

# شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ

سياحة في أحاديث آل محمد ﷺ

# شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ

سياحة في أحاديث آل محمد ﷺ

رعد عبد السادة علي



طبع في لبنان

جميع الحقوق محفوظة  
محافظة وسجلت

الطبعة ١٤٤٠م  
الأول ٢٠١٩م

جميع الحقوق محفوظة ©

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختراجه مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء أكانت إلكترونية، أم ميكانيكية، أم التصوير، أم بالتسجيل أم خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر ومقدمات

بيروت - لبنان / بئر العبد - هاتف: ٠٠٩٦١ ٣٤١٣٢٥٦  
موبايل: ٠٠٩٦١ ٣ ٩٠٢٩٤٤  
E-mail: dar.alkari2012@gmail.com  
بغداد - العراق / شارع المتنبي مدخل جديد حسن باشا  
موبايل: ٠٧٧٢٢٢٩٧١٢١

  
دار القارئ  
للطباعة والنشر والتوزيع

# شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ

سِيَاحَةٌ فِي أَحَادِيثِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ

رَعْدُ عَبْدِ السَّادَةِ عَلِيٍّ





## المقدمة

قال تعالى ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

لن اكون مُبالغاً إذا قلت ان كل حديث من أحاديث آل محمد ﷺ بحاجة إلى بحث مُفرد، لان هذه طبيعة النور الذي تنكشف به الاشياء، ولن اكون مُبالغاً إذا قلت ان كل حديث يرتبط مع غيره بنحو ما، لانها عيون صافية يصب بعضها في بعض، فالأحاديث عندي كالحديقة المملوءة بانواع واصناف الورود كل وردة لها شكلها الخاص، وعطرها الخاص، وتأثيرها الخاص، الا انها كلها تشترك في ارض واحدة و﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكان من عاداتي ان افتتح يومي بالتأمل بحديث او حديثين من كلامهم صلوات الله عليهم، فاجتمعت في ذهني واوراقي عشرات الملاحظات وعشرات المطالب حول جملة من الأحاديث احببت ان اجمعها في كتاب واحد، مما ولد لي حيرة في اختيار عنوان الكتاب.

وعلى الرغم من ان الكتاب يطغى عليه الجانب الروائي إلا انه لا يخلوا من تناول آية، او فهم فلسفي، او معلومة تاريخية، او تصور علمي، والتي بمجموعها تحمل الفائدة والمتعة والتي ربما تقود القارى في بعض فقراته إلى نشاط ذهني.

(١) النحل/٦٩

(٢) الرعد/٤

## هلك فيك اثنان

عن الإمام علي عليه السلام قال «يهلك في اثنان ولا ذنب لي مُحِبٌ مُفْرَطٌ ومُبْغِضٌ مُفْرَطٌ»<sup>(١)</sup>، والحديث ورد بعدة صيغ وبنفس المعنى،

وربما يتصور البعض أن في الحديث دلالة أن أمير المؤمنين عليه السلام ينهى عن الغلو فيه، لأنهم يعتقدون ان «المُحِبُّ المُفْرَطُ» هو المُعَالِي، وهو المعنى الشائع والظاهر للحديث عند الناس، ولكن يجب أن لا ننظر لكلام الحكماء دائماً على الظاهر، فللحكمة أساليب في الكلام لا يعرفها إلا من عرف لحن خطابهم، والمعنى الذي يفهمه الناس من الحديث كون الإمام عليه السلام ينهى عن الغلو فيه لأنهم فهموا من لفظة «هلك» بمعنى دخل النار، والحقيقة أن لفظة الهلاك قد تعني «الموت» كما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فهل هلاك يوسف عليه السلام هو دخوله إلى النار وحاشاه، بل الهلاك هو الموت.

فإذا هلك اي «مات» شخص في حب علي عليه السلام فهذا قمة الإيمان ﴿لِيَمِثِلَ هَذَا فَلَيعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ويا ليتني اهلك في حب علي عليه السلام، وإذا هلك اي «مات» شخص في بغض علي عليه السلام فهو قمة الكفر أعادنا الله وإياكم، فيكون معنى الحديث أن هناك من يموت بسبب حبه لعلي عليه السلام، وهناك من يموت بسبب بغضه لعلي عليه السلام، أو أن هذا المُحِبُّ الذي يتحدث بفضائل الإمام علي عليه السلام قتله أعداء علي عليه السلام لأنهم يرون فيه مُعَالِي، وأنت ترى على مر التاريخ مصاديق واضحة للحديث، فكم من شيعة علي عليه السلام قتلهم أعداء علي عليه السلام لأنهم يحبون علي عليه السلام ويتكلمون بفضائله، وكم من أعداء علي عليه السلام قتلهم شيعة علي عليه السلام لأنهم يبغضون علي عليه السلام، وليس لأmir المؤمنين عليه السلام ذنب في ذلك، فبغض علي عليه السلام ذنب، وحب علي عليه السلام كذلك ذنب، فحب علي عليه السلام ذنب عند المبغضين، وبغض علي عليه السلام ذنب عند المحبين أيضاً وكلاهما يهلك في حب علي عليه السلام وليس لعلي عليه السلام ذنب في ذلك.

(١) بحار الأنوار/ ج ٣١/ ص ٦٦٠

(٢) المؤمن/ ٣٤

(٣) الصفات/ ٦١

## أروه عن أبي

قال: قلت: لابي عبد الله عليه السلام نسمة الحديث منكم فلا ادري منك او من ابيك، «فقال: ما سمعته مني فاروه عن أبي وما سمعته مني فاروه عن رسول الله صلى الله عليه وآله»<sup>(١)</sup>.

ربما يتسائل البعض لماذا يأمر الإمام الصادق عليه السلام السائل بان يروي حديثه عن ابيه الباقر عليه السلام او عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ والتأمل في احوال وحياتة الإمام الصادق عليه السلام يقودنا إلى عدة اسباب لفهم هذا الأمر منها:

١- ان الإمام الصادق عليه السلام عاش في وضع سياسي خطير جداً وهي فترة تغير الحكم من بني امية إلى بني العباس، فربما هكذا وضع جعل الإمام عليه السلام يأمر السائل ان ينسب الحديث لرسول الله صلى الله عليه وآله او لايه الإمام الباقر عليه السلام لكي لا يُشكّل الكلام مصدر تهديد للإمام الصادق عليه السلام من القوة السياسية الصاعدة والتي ربما صدر فيها كلام عن الإمام الصادق عليه السلام بما يتناسب وواقع الحال الاجتماعي والسياسي، ونسبة هكذا أحاديث لرسول الله صلى الله عليه وآله او للإمام الباقر عليه السلام تُبعد اي شُبْهة حول الإمام الصادق عليه السلام، فيكون الإمام الصادق عليه السلام بهذا الاسلوب قد اوصل مُرادَه إلى الناس وفي نفس الوقت حمى نفسه، لان كلامه يُنسب لرسول الله صلى الله عليه وآله او الإمام الباقر عليه السلام، فهذا اسلوب ووسيلة يتعلق بالوضع السياسي وادارة عموم الصراع في تلك الايام.

٢- في زمن الإمام الصادق عليه السلام ظهرت المدارس الفقهية والمذاهب العقائدية، وبما ان الإمام الصادق عليه السلام رأس مدرسة أهل البيت عليهم السلام في زمانه فربما وهو الاكيد ان خصومه من بقية المدارس لا يأخذون بقوله لانهم ببساطة خصوم، وبما ان تلك المدارس الفقهية التي ظهرت في زمن الإمام الصادق عليه السلام لا تستطيع رد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله او الإمام الباقر عليه السلام لانهم يتمتعون بنسبة كبيرة من الاحترام عند المخالفين، فاسناد الكلام لرسول الله صلى الله عليه وآله او الإمام الباقر عليه السلام يكون ابلغ بالحجة عليهم.

٣- ربما هذا الأمر يتعلق بذات السائل نفسه، فربما السائل غير متفقه بالحديث ولا بالعقيدة كون آل محمد عليهم السلام كلهم واحد ونور واحد وكلامهم واحد فارجع الإمام الصادق عليه السلام السائل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله او الإمام الباقر عليه السلام، اذ ربما السائل قليل التفقه والدراية وهو يثق ببعض الأئمة

(١) وسائل الشيعة : ج٢٧ / ص ١٠٢

دون غيرهم، وهذا هو أسلوب المداراة الذي اتبعه الأئمة عليهم السلام مع عموم الناس ومع جهلتهم وحتى مع شيعتهم.



## زكاة الظفر

عن أمير المؤمنين عليه السلام من حديث طويل يذكر فيه جملة من احوال الإمام المهدي عليه السلام قال «..... يهلك الله فيها جيش السفيناني ويمضي هارباً فياخذه رجل من الموالي اسمه صباح فيأتي به إلى المهدي عليه السلام وهو يصلي العشاء الاخرة فيبشره، فيخفف في الصلاة ويخرج ويكون السفيناني قد جعلت عمامته في عنقه وسُحب فوقه بين يديه فيقول السفيناني للمهدي يا ابن عمي مَنْ عَلِيٍّ بالحياة اكون «كذا» سيفاً بين يديك واجاهد اعداءك والمهدي جالس بين أصحابه وهو احبى من عذراء فيقول خلوه فيقول أصحاب المهدي يا ابن رسول الله تمن عليه بالحياة وقد قتل اولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، ما نصبر على ذلك، فيقول: شأنكم واياهم اصنعوا به ما شئتم وقد كان خلاه وافلته فيلحقه صباح في جماعة إلى عند السدرة فيضجعه ويذبحه وياخذ رأسه ويأتي به المهدي فينظر شيعته إلى الرأس فيكبرون ويهللون ويحمدون الله على ذلك ثم يامر المهدي بدفنه ثم يسير في عساكره فينزل دمشق.....»<sup>(١)</sup>

كلما اقرأ هذا الحديث اقف مُحْتاراً في فهم مقصد الإمام المهدي عليه السلام في اطلاق سراح السفيناني، فلماذا يقبل استرحامه ويعفو عنه وقد فعل ما فعل؟ ولكن الواضح انني جاهل انظر إلى الامور دائماً على ظاهرها، وآل محمد عليهم السلام هم اهل الحكمة وفي كل تصرف من تصرفاتهم حكمة، فهم لا تسيروهم العواطف والاهواء مهما كان الجرم كبيراً.

وفي الحديث امر لابد من التوقف عنده قبل تفسير عفو الإمام المهدي عليه السلام عن السفيناني، فالإمام المهدي عليه السلام عفا عنه «خلاه وافلته»، ولكن أصحاب الإمام المهدي عليه السلام يعترضون ويقولون «ما نصبر على ذلك»، والعبارة تذكرني برد الملائكة اذ قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾<sup>(٢)</sup>، ولا ادري كم نحتاج من السنين الضوئية لكي ينضج وعينا ولا نرد على قول آل محمد عليهم السلام الا بعبارة «سمعنا واطعنا».

ثم وجدت حديث يفسر لي مثل هذا التصرف، عن الإمام الصادق عليه السلام قال «المعروف زكاة النعم، والشفاعة زكاة الجاه، والعلل زكاة الابدان، والعفو زكاة الظفر، وما ادبت زكاته فهو مأمون

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام / الشيخ علي الكوراني / ج ٣ / ص ٩٥

(٢) البقرة / ٣٠

السلب....»<sup>(١)</sup>

نعم «العفو زكاة الظفر»، وقد ظفر الإمام المهدي عليه السلام بالسفياني فتكون عملية العفو هنا زكاة، اما نحن فعندنا الظفر انتقام، لذلك قال الحديث «وقد كان خلاه وافلته» اي اعطاه حريره ولكن أصحاب المهدي عليه السلام ارادوا القصاص فسمح لهم الإمام بعد ان خلاه وافلته فظفروا به وذبحوه، ومن هنا فقد نال حسابه وقد قال الحديث «وما اديت زكاته فهو مأمون السلب»، اما امر الإمام المهدي عليه السلام بدفنه فهذه اخلاق اولاد الأنبياء فهم لا يمثلون بالميت وان كان عدوا لهم وان كان كلباً عقوراً.

## الكذابين والكذابة

الحديث المشهور عن رسول الله ﷺ قوله «يا ايها الناس قد كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ مُتعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

تكذيب الأنبياء هي سنة الذين كفروا، وهي جارية على طول تاريخ الديانات، ويشهد بها القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ورسول الله ﷺ ايضاً كُذِّبَ من قبل قومه ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ﴾<sup>(٤)</sup>، ولكن هناك فرق بين شخص يُكذِّبُك، وشخص يكذب عليك، وشخص يكون عليك كذابة، فالشخص الذي يُكذِّبُ رسول الله ﷺ بمعنى انه يقول عنه انه ليس بنبي، والشخص الذي يكذب عليه بمعنى انه ينقل عنه معلومة خاطئة او مخترعة، والحديث لم يقل «كثرت عليّ الكذابين»، بل قال «كثرت عليّ الكذابة»، فمن هم «الكذابة»؟

ولعل الاغلب الاعم من الناس وحسب التبادر الذهني لمعنى الكذب في الحديث يفهمون منه ان رسول الله ﷺ يقصد انه كثر من يكذب عليه، بمعنى ان البعض يخترع حديث وينسبه إلى رسول الله ﷺ، والحق ان هذا المعنى هو الشائع حتى في علم الرجال، فهم عندما يقولون عن فلان بانه كذاب يقصدون انه يخترع حديث لم يقله رسول الله ﷺ ويدسه مع الأحاديث، لذا يقولون دائماً في علم الجرح والتعديل عن ناقل الحديث كونه «كذاب وضاع»، وسترى ان هذا المعنى صحيح في وقت لاحق من تاريخ الإسلام، كما ورد عن ابي عبد الله عليه السلام «إِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ صَادِقُونَ لَا نَخْلُو مِنْ كَذَّابٍ يَكْذِبُ عَلَيْنَا فَيَسْقُطُ صَدَقَتُنَا بِكَذْبِهِ عِنْدَ النَّاسِ.....»<sup>(٥)</sup>، اما في حياة الرسول فللحديث معنى اخر تبينه لنا أحاديث الأئمة عليهم السلام حول معنى «الكذابة».

عن ابي إبراهيم عليه السلام قال «قال رسول الله ﷺ: الا هل عسى رجل يُكذِّبُنِي وهو على حشاياه مُتَّكِيٌّ، قالوا يا رسول الله ﷺ ومن ذا الذي يُكذِّبُك، قال الذي يبلغه الحديث فيقول ما قال رسول

(١) الشعراء/ ١٠٥

(٢) الشعراء/ ١٢٣

(٣) الشعراء/ ١٠٤

(٤) آل عمران/ ١٨٤

(٥) رجال الكشي/ ص ٢٥٧- ٢٥٨ ترجمة ابي الخطاب

اللَّهُ ﷻ قط، فما جائكم عني من حديث موافق للحق فأنا قلته، وما أتاكم عني من حديث لا يوافق الحق فلم أقله، ولن أقول إلا الحق»<sup>(١)</sup>.

عن ابي إبراهيم عليه السلام قال «قال رسول الله ﷺ اتقوا تكذيب الله» قيل يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال «يقول احدكم قال الله، فيقول الله عز وجل كذبت لم اقله، ويقول لم يقل الله، فيقول عز وجل كذبت قد قلته»<sup>(٢)</sup>.

فالكذابة ليس من يخترع حديث وينسبه لرسول الله ﷺ، بل الكذابة هو الذي يسمع الحديث منسوب لرسول الله ﷺ ويقول لم يقل رسول الله ﷺ هكذا، اي يكذب صدور الكلام عن رسول الله ﷺ، وهذا النوع من الناس موجودين حتى في الوسط الشيعي الذي عاصر الأئمة عليهم السلام، فإذا ورده حديث عن احد الأئمة لا يتحمل معناه قال من تلقاء نفسه ما قال الأئمة عليهم السلام هكذا فيكون من ضمن «الكذابة»، كما يشهد به الحديث التالي، عن الإمام الصادق عليه السلام «الهالك ان يُحدّث أحدكم بشيء منه لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا شيئاً والانكار هو الكفر»<sup>(٣)</sup>.

لذلك سماهم رسول الله ﷺ كذابة ولم يسمهم كذابين، والكذابة صيغة مبالغة تفيد التاكيد على الكذب، لان الكذاب هو الذي يخترع الحديث او المعلومة وهو اقرب للمُحرّف او الوضّاع، اما الكذابة فهو الذي يقطع بعدم صدور الحديث من المعصوم عليه السلام.

والذي يؤيد المعنى انه في زمن النبي الأكرم ﷺ كانت الدعوة محصورة في مكة والمدينة، وعملية اختراع نص واسناده إلى الرسول ﷺ في ذلك الوقت صعبة جداً، ولكن عملية تكذيب ما يقوله الرسول ﷺ امر ممكن وطريق اسهل في ذلك الوقت لذلك سماهم الحديث «كذابة» وليس كذابين.

اما بعد رحيل صاحب الرسالة ﷺ واختلاف الامة من بعده واقضاء أهل بيته عن حقهم، واتخاذ الصراع شكله السياسي والعقائدي والفكري فقد كثرت جيوش الكذابين والكذابة في كل طوائف الامة.

وعليه فان العامل على آلية علم الرجال والقائل بان الحديث الفلاني ضعيف او غير صحيح او منسوب للرسول ﷺ وان الرسول ﷺ لم يقله اعتمادا على وثاقة الرجال فهو من الكذابة، ويجب ان يسمى علم الرجل بهذا المعنى «بعلم الكذابة».

(١) معاني الاخبار/ ص ٣٩٠

(٢) معاني الاخبار/ ص ٣٩٠

(٣) بصائر الدرجات

## حديث العزوبة

ورد بكثرة في المأثور الروائي لكلا الفريقين روايات تتحدث عن الانهيار والانحلال الأخلاقي والعقائدي الحاصل في آخر الزمان، وستلاحظ من جملة المرويات ان هناك تركيز في ذكر الانهيار في جانب العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة، بحيث تنقلب فيها الموازين وتتشبه النساء بالرجال، وتشبه الرجال بالنساء، وتكتفي الرجال بالرجال، وتكتفي النساء بالنساء، ولصعوبة ايجاد الزوجة الصالحة والظرف الاجتماعي والإنساني الملائم لتأسيس اسرة في ذلك الزمان تجد ان هناك نص يشير إلى استحلال العزوبية في تلك الايام وترك الزواج، علماً ان الزواج سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ والعزوبية امر مكروه جداً في الشريعة وذمته جملة من النصوص ولكن الخبر التالي يُشير إلى حلية العزوبية في تلك الايام.

ورد عن الرسول الاكرم ﷺ «سيأتي زمان على أمتي تحل لهم العزوبية والرهبانية وان تلد المرأة حية خير من ان تلد الولد»<sup>(١)</sup>.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فرّ بدينه من قرية إلى قرية، ومن شاهر إلى شاهر، ومن حجر إلى حجر، كالثعلب الذي يراوغ»، قالوا: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال «إذا لم تُنل المعيشة إلا بمعاصي الله عزّ وجلّ، فإذا كان ذلك الزمان حلّت العزوبة» قال: وكيف ذاك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج؟ قال «لانه إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه، فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولد، فان لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يدي قرابته» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ «يعيرونه بضيق المعيشة، فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده مورد الهلكة»<sup>(٢)</sup>.

وربما يتسائل البعض ويقول ان حالات الانهيار الأخلاقي تظهر بشكل تدريجي وتصاعدي في المجتمع، وان جملة من هذه الحالات موجودة في كل زمان ومكان، وبالتالي لا يمكن تحديد الفترة التي يمكن ان نقول عنها انها اخر الزمان بالضبط؟ الحقيقة هناك حديث اخر عن رسول الله ﷺ يشير إلى تحديد السنة التي تحل فيها العزوبة، «إذا أتى على أمتي مائة وثمانون

(١) الملاحم او علائم اخر الزمان/ الشيخ حسين طائفي همداني/ ح ٢٥ / ص ٤٨، كذلك عقود الجواهر: ٣٨٢

(٢) المحجة البيضاء: ٢٠ / ٤ وورد كذلك في جملة من مصادر العامة

سنة بعد الالف فقد حلت العزوبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال.....»<sup>(١)</sup>

وبما اننا حاليا في سنة ١٤٣٨ هجري فيكون التالي «١٤٣٨ - ١١٨٠ = ٢٥٨» فقد حلت العزوبة لهذه الامة منذ ٢٥٨ سنة «والله العالم».

(١) الملاحم او علائم اخر الزمان/ الشيخ حسين طاوئي همداني/ ح٢٤ / ص ٤٧. روح البيان: ٧٣ س ٢٧ في تفسير روح البيان في تفسير قوله تعالى «اسكن انت وزوجك الجنة»

## المبطلون

عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام في ذكر بعض شؤون الغيبة قال: «... اما انه له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقاتون...»<sup>(١)</sup>.

ربما يتسائل البعض ما هو معنى ومدلول لفظة المبطلون؟

تم تعريف مفهوم المبطل بحديث اخر وهو قول الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام: «... وانتم مخالفتون ومبطلون الذي لا يعرف إماماً ولا يتولى ولياً...»<sup>(٢)</sup>.

وعلى موجب الحديث يمكن القول ان المبطل هو الذي لا يعرف إماماً او لا يتولى ولياً من آل محمد عليه السلام، وربما هو المنتحل للإمامة كما في الحديث التالي عن الإمام الصادق عليه السلام: «طوبى للذين هم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهليت»<sup>(٣)</sup>، فالمنتحل لامر الامة هو المبطل لها.

وجسب قول اهل اللغة فالمبطل هو المفسد، ابطل العمل اي افسده، ابطل الأمر افسده، ابطل الحكم الغاه، ابطل في حديثه هزل، ابطل مفعول القنبلة جعلها لا تنفجر، فيمكن القول المبطل هو المفسد في امر الامامة

(١) مسند الإمام العسكري عليه السلام / الشيخ عزيز الله العطاردي / باب ١٦ / ح ١٠

(٢) مسند الإمام العسكري عليه السلام / الشيخ عزيز الله العطاردي / باب ١٧ / ح ٥

(٣) مسند الإمام العسكري عليه السلام / الشيخ عزيز الله العطاردي / باب ٩ / ح ٤

## المكر الإلهي

المكر في القرآن الكريم ورد كصفة للخالق والمخلوق ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وان وصف الله نفسه بانه ماكر بل خير الماكرين ربما حيرت الكثيرين، لان المتعارف في الاستعمال ان المكر ليست صفة ممدوحة، فالمكر عند اهل اللغة هو خداع الغير بحيلة، حتى ان العلامة آشتاين في محاولته للحصول على نظرية كل شيء من خلال ربط نظريته «النسبية» مع نظرية «الكم» قال «ان الرب ذكي لكنه ليس ماكر»، لكن بعد ان ارهقته هذه المحاولة ولم يصل الى نتيجة فيها حتى آخر عمره قال «لقد غيرت رأبي فعلى ما يبدو ان الرب ماكر»<sup>(٢)</sup>.

علينا ان نفهم ان كل شيء يُنسب الى الله يجب ان يكون في محله وصحيح وجميل بانتسابه اليه، عكس الإنسان اذا نُسبت إليه الاشياء، فاما ان تكون جميلة أو قبيحة، صحيحة أو خاطئة، فمثلاً الغضب يكون مذموم اذا كان من صفات الإنسان ولكنه اذا نسب الى الله يكون مهيباً، والمكر اذا نُسب الى الإنسان ربما يكون اشارة للذم والخداع كما تقول هذا ثعلب مكار، ولكن اذا نسبته الى الله يعني الاتقان في اظهار الاشياء المخفية، فالمكر عند الله بمعنى الاستدراج حتى يقع العاصي في شر اعماله، يقول الإمام علي عليه السلام «التكبر على المتكبر فضيلة» ومع ان التكبر صفة سيئة لكن استخدامه ضد المتكبر نفسه يسمى فضيلة، وكذلك المكر فهو عند الناس صفة سيئة لكن استخدامه ضد الماكر فضيلة.

ولكن هناك بعض الصفات تبقى قبيحة في كل الأحوال كالكذب، فهي تُنسب للإنسان فقط ولا يمكن ان تُنسب لله، وكذلك الفقر اذا نُسب للإنسان العادي فهو شيء مُشين، واذا نسبته للأنبياء كان فخراً ومنها قول رسول الله ﷺ «الفقر فخري»، ولا يمكن ان ينسب لله لانه الغني وعباد الفقراء.

(١) آل عمران/ ٥٤

(٢) كون آشتاين / ميشيو كاكو



## غاية ترقى المؤمنين

ربما هناك سؤال يتردد في صدور المؤمنين بعد ان يكون لهم اطلاع واسع على أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) «ما المطلوب مني الان وما هو تكليفي»؟ والذي اراه ان ترقى المؤمن يمر بالمراحل التالية:

١- المبالغة في المعرفة

٢- التوسل

٣- الانكسار

٤- معرفة التكليف

٥- قضاء حوائج المؤمنين

فمعرفة آل محمد (عليهم السلام) اول الطريق، والمبالغة بالمعرفة هو السير على ذلك الطريق، والسائر المتأدب لا بد وانه يتوسل بهم لكي يبقى على الطريق ولا يزلف عنه، ولن تبقى على الطريق إلا إذا انكسرت أمامهم، وإذا اردت ان تصل لحقيقة فعليك بالانكسار كما ورد في الحديث القدسي «انا عند المنكسرة قلوبهم»، عندها فقط ستعرف تكليفك الذي هو اقرب الطرق للوصول اليهم، وهو قضاء حوائج اخوانك المؤمنين، فالواصل اليهم هو الواصل لشيعتهم، والعارف بهم هو العارف بحوائج شيعتهم، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

عن ابو الحسن (عليه السلام) «من اتاه اخوه المؤمن في حاجة فانما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها اليه فان قبل ذلك فقد وصله بولايتنا وهو موصول بولاية الله وان رده عن حاجة وهو يقدر على قضائها سلط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره».

عن ابي عبد الله (عليه السلام) «ما عبد الله بشيء افضل من اداء حق المؤمن».

## الروبيضة والمحاضير والفيض بوك

ورد في مصادر العامة عن رسول الله ﷺ «سيأتي على الناس سنوات خداعة يُصدّق فيها الكاذب، ويُكذّب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويُخون فيها الأمين وينطق فيها الروبيضة» قيل وما الروبيضة يا رسول الله؟ قال «الرجل التافه يتكلم في امر العامة»، وفي رواية اخرى «السفيه يتكلم في امر العامة».

والواضح انهم ما كانوا يعرفون معنى هذه اللفظة لذلك سألوا رسول الله ﷺ عنها، ولا داعي لمراجعة المعاجم حول معنى لفظة الروبيضة لان الحديث قد عرفها بانه الرجل التافه.

قال ابي عبد الله ﷺ «هلكت المحاضير»، قال: قلت: وما المحاضير؟ «قال المستعجلون»<sup>(١)</sup> والمحاضير عند اهل المعاجم هو الشديد العدو وهو ينطبق على معنى المستعجل ايضا، ولكني هنا اتساءل، الا ترون ان كل هذه الصفات «الروبيضة - التافه - الفاسق - المحاضير - المستعجلون» تنطبق على من يتكلم هذه الايام في الفيض بوك.

(١) بحار الأنوار/ ج ٥٢/ ح ٤٣/ ص ١٣٩

## من هو «سفيهنا»

عن الإمام الصادق عليه السلام في كلامه عن احوال نبي الله إبراهيم عليه السلام قال عليه السلام «ثم استجاب الله دعوته حين قال ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾<sup>(١)</sup>، وهذه آية متشابهة ومعناها انه سأل عن الكيفية، والكيفية من فعل الله عز وجل، متى لم يعلمها العالم لم يلحقه عيب ولا عرض في توحيده نقص، فقال الله عز وجل ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَال بَلَى﴾<sup>(٢)</sup>، هذا شرط عام لمن آمن به متى سئل واحد منهم، اولم تؤمن وجب ان يقول: بلى، كما قال إبراهيم عليه السلام ولما قال الله عز وجل لجميع ارواح بني ادم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾<sup>(٣)</sup> كان اول من قال بلى محمد عليه السلام فصار بسبقه إلى بلى سيد الأولين والآخرين وافضل النبيين والمرسلين فمن لم يجب عن هذه المسألة بجواب إبراهيم فقد رغب عن ملته قال الله عز وجل ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>

للفظة السفيه في القرآن الكريم عدة مدلولات ومعاني منها الجاهل كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾<sup>(٦)</sup>، والسفيه عند اهل اللغة هو الذي يذر ماله في ما لا ينبغي، وهو الجاهل، وهو الفظاظة، وهو الحمق، وهو خفة العقل، او الخفة في كل شيء، الا ان كلامنا يدور حول معنى للسفيه نستشفه من الحديث مورد الكلام.

فعندما جائهم النداء في عالم الذر ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾<sup>(٧)</sup>، فمن قال ﴿بَلَى﴾ كان على ملّة التوحيد، وهي الملّة التي جاء بها إبراهيم عليه السلام، ومن لم يقل بلى لم يكن موحداً ولا على ملّة إبراهيم وهو «السفيه» ومن هنا قال ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾<sup>(٨)</sup>، فالسفيه حسب المعنى الذي يذكره الحديث هو الخارج عن ملّة إبراهيم وصاحب الاجابة الغير موفقة في عالم الذر، فانقسم الناس هناك إلى موحدين وسفهاء، فهناك معنى للسفاهة في الدنيا ومعنى آخر في عالم الذر يذكره الحديث. وبما ان رسول الله عليه السلام هو اول من اجاب ببلى في عالم الذر

(١) البقرة/ ٢٦٠

(٢) البقرة/ ٢٦٠

(٣) الأعراف/ ١٧٢

(٤) البقرة/ ١٣٠

(٥) تفسير البرهان/ ج ١/ ص ٣٣٦/ ح ١

(٦) النساء/ ٥

فكان سيد الموحدين وسيد الأولين والآخرين، عن الصادق عليه السلام «قال الله عزّ وجلّ لجميع ارواح بني ادم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، كان اول من قال «بَلَى» محمد صلى الله عليه وآله، فصار بسبقه إلى «بلى» سيد الأولين والآخرين وفضل الأنبياء والمرسلين»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا يأتي السؤال من هو رأس السفهاء وسيدهم واول من رفض التوحيد في عالم الذر؟ هو الذي سمته الآية القرآنية «سفيها» كما جاء على لسان الجن ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾<sup>(٢)</sup>، ولفظة سفيها هنا تقارب في المعنى لفظة «كبيرنا - ريئسنا - سيدنا»، وهو السفيه اخس الجن الذي رفض السجود لآدم عليه السلام، لذلك سماه الجن «سفيها» كما يقول اهل التوحيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله «نبينا».

(١) تفسير البرهان: ج ٣ - ص ٢٤٢ - ح ١٩

(٢) الجن / ٤

## العالم والعليم والخبير

ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام قوله «..... انا بالغيب خبير، وبما يكون عليم.....»  
والعبارة تعطي لمفهوم العليم تعريف كونه يعرف «بما يكون»، وبالتالي يمكن بناء تعريفات  
«للعالم» و «الخبير» على موجب تعريف العليم كالتالي.

العالم: هو العارف بما كان «معرفة بالماضي»..... بما مضى من الأحداث  
العليم: هو العارف بما سيكون «معرفة بالمستقبل».... بما سيكون من الأحداث  
او

العالم: هو العارف بما صدر من لوح الغيب ووقع  
العليم: هو العارف بما صدر من الغيب ولم يقع لحد الآن  
الخبير: هو العارف بما يصدر حالياً من لوح الغيب «ما يحدث في الليل والنهار الأمر بعد  
الأمر»

فالعالم له علاقة بالماضي والعليم له علاقة بالمستقبل والخبير له علاقة بالحاضر وهي  
أحداثيات الزمان الثلاثة «الماضي والحاضر والمستقبل»  
أما معاني هذه المفاهيم حسب المتداول بين الناس:  
العالم: هو العارف بصنف او فرع من فروع المعرفة  
العليم: هو العارف بكل شيء «لديه كل فروع المعرفة»  
الخبير: هو العارف بدقيات الأمور لفرع معرفي معين

## الخلق والرزق والموت والحياة

قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾<sup>(١)</sup>

هذه اربعة مفاهيم جاءت بسياق واحد، والآية الكريمة تذكر مراحل اربعة متسلسلة حكماً في الظهور، فلا بد للشيء في البداية ان يخلق، ثم يرزق، ثم يموت، ثم يُعاد احياءه وهي دالة على المعاد، وهنا ستقول أليس الخلق حياة؟ فلماذا يقول على اول الظهور خلق وعلى اصل المعاد حياة؟ والحق ان هذا التسلسل ايجادي تكويني حكمي فالخلق يحمل في طياته معنى الحياة كظهور للشيء، ثم يحمل معنى التكليف والاستمرار في موضوع الرزق، فلا وجود لشيء الا بتكليف ولا تكليف الا برزق، ثم يحمل معنى انتهاء المدة بالموت فالموت وهو الفاصل ما بين الخلق والحياة، ما بين المبدأ والمعاد، فالحياة الحقيقية لا تظهر في الخلق والرزق والموت بل تظهر بعد مرور كل هذه المراحل، لذلك جاءت في النهاية لان الحياة الدنيا مرتبطة بالرزق والتكليف والاستمرار اما ما بعد الموت والاخرة فارتبطت بالحياة لذلك سما الحياة الاخرة بالحيوان ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾<sup>(٢)</sup>

ومن باب ذوقي استشف ان الآية الكريمة التي اجتمعت فيها هذه المفاهيم الأربعة بهذا التسلسل الحكمي تشير إلى حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يبين اركان العرش الأربعة وهو اول ظهور للنظام الرباعي في الكون.

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) «ان العرش خلقه الله تعالى من انوار اربعة، نور احمر منه احمرّت الحمرة، ونور اخضر منه اخضرّت الخضرة، ونور اصفر منه اصفرّت الصفرة، ونور ابيض منه ابيض البياض، وهو العلم الذي حملّه الله الحملة وذلك نور من عظمته...»<sup>(٣)</sup>

العرش<sup>(٤)</sup>: على ما افهم من اجواء الحديث اعلاه هو منظومة كونية كلية مُحيطَةٌ بالاشياء،

(١) الروم/٤٠

(٢) العنكبوت/٦٤

(٣) الكافي/ كتاب التوحيد/ باب العرش والكرسي/ ح ٣٣٥

(٤) العرش في اللغة جاء بمعنى سرير الملك، وسقف البيت، ورئيس القوم، والخيمة، وعش الطائر، ويقال للفلك التاسع الذي هو اعلى من فلک البروج بانه عرش لانه مثل السقف للعالم كله، وجاء في اخبار آل محمد (عليه السلام) معاني كثيرة للعرش منها المشيئة والعلم والملك ومظهر الرحمانية والعقل والقلم والدين وسقف الجنة.

والاحاطة لها معنيان، الأولى: الاحاطة بالمعنى الهندسي كما تحيط الدائرة بما في داخلها، والثاني: احاطة بمعنى المعرفة فمن احاط بشيء عرف كل تفاصيله، وهذا المعنى هو الاكثر شيوعاً في الأحاديث كون العرش هو العلم الذي من يحمله يحيط معرفة بكل الاشياء، والعرش كمعنى اخر يُطلق على نهاية كل عالم كلي يُحيط علماً بكل حيثيات ذلك العالم، وهو مقام الاجمال، والذي يسميه الحكماء «الفلك الاطلس»، والعرش هو سقف كل عالم، كما يقال «عرش العنب» لانه يعلوه ويغطيه، او هو اعلى مقام في كل عالم، والعرش هو كل المُلْك وهو بمعنى السيطرة والتملك، وبما ان العوالم متعددة فيتعدد مفهوم العرش بتعدد العوالم.

فاول العوالم الكلية هو عالم الجبروت ووقته السرمذ وعرشه المشيئة التي خلقها الله بنفسها وهي مُحيطَة بكل ذلك العالم بل بكل العوالم، لان المشيئة هي اول المراتب الوجودية، وهي ينبوع علل الاشياء، فالحقيقة المحمدية ﷺ هي عرش هذا العالم.

وثاني العوالم الكلية عالم الملكوت ووقته الدهر ونهايته عرش الملكوت، وهو الذي تقول عنه الأحاديث «الجنة سقفها العرش»، وهو قوله تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾<sup>(١)</sup> والماء هو العلم، فالعرش هنا هو محل ذلك العلم وهو الذي يسموه «فلك المنازل» وهي الحروف التكوينية الدهرية والابداع الثاني ومقام التفصيل الذي منه تفصلت الاشياء، والحقيقة العلوية هي عرش هذا العالم.

وثالث العوالم الكلية عالم الزمان وعرشه المحيط به هو قلب المعصوم ﷺ الذي تنزل عليه الاوامر في ليلة القدر، وهو المعنى بالأحاديث بقولهم ﷺ «قلب المؤمن عرش الرحمن»، فكل معصوم من الأئمة الاثنا عشر في زمانه هو عرش عالم الزمان، اما الان فعرش عالم الزمان هو صاحب الزمان ﷺ وعليه تنزل الاوامر في ليلة القدر.

والاركان الأربعة للعرش يجمعها قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ وهي «ركن الخلق، ثم ركن الرزق، ثم ركن الممات، ثم ركن الحياة» وكل واحدة تمثل نور من الأنوار الأربعة «الابيض و الأصفر، والأخضر، والاحمر» التي ذكرها الحديث عن الإمام علي ﷺ اعلاه، والأنوار الأربعة هي الحقائق الجبروتية للاربعة العالين وعلل الاشياء وهم «محمد وعلي والحسن والحسين» عليهم افضل الصلاة والسلام، وتحت كل نور ملك من الملائكة الأربعة وعنصر من عناصر التخليق كما في الجدول ادناه.

محمد	علي	حسن	حسين
ركن الخلق	ركن الرزق	ركن الموت	ركن الحياة
نور ابيض	نور اصفر	نور اخضر	نور احمر
ميكائيل	إسرافيل	عزرائيل	جبرائيل
ماء	هواء	تراب	نار

والعرش كما قلنا منظومة كونية وهو في كل عالم العلم المحيط في ذلك العالم، ففي عالم الجبروت العلم المحيط عند الأنوار الأربعة للعالمين، وكلما نزلت العوالم رتبة ظهرت اربعة مفاهيم تتناسب مع طبيعة كل عالم حاملة لركن من اركان العرش في ذلك العالم، فيكون الملائكة الأربعة «ميكائيل واسرافيل وعزرائيل وجبرائيل» هم وسائط الامداد لكل عالم حسب مقتضيات ذلك العالم، فهم في عالم الجبروت جبروتيين وفي عالم الملكوت ملكوتيين وفي عالم الزمان زمانيون ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وتحت كل ملك طبيعة من الطبائع الأربعة ومنها يتكون عالم الطبائع، وتحت كل طبع عنصر من العناصر ومنه يتكون عالم العناصر وهكذا إلى اخر مراتب الوجود.

ومن هذا التصور تلاحظ ان ركن الحياة من مختصات الإمام الحسين عليه السلام ولا حياة الا مع الحسين عليه السلام لانه هو الجنة وهو الحياة.



## العبودية التكوينية والعبودية التشريعية

قوله تعالى ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾<sup>(١)</sup>

ربما يقول البعض اننا نرى في حياتنا اغلب الناس غير مؤدين لتعاليم دينهم وليس عندهم اهتمام عبادي بل هم بلا دين، فكيف تقول الآية ان كل المخلوقات في السماوات والأرض هم مقرين بالعبودية ولا نرى فيهم اثر ذلك.

العبودية نوعان:

**الأولى:** عبودية تكوينية، وهي متعلقة باصل ايجادهم، وهم هنا مقصود الآية الكريمة ولا يحدد عن عبوديته منهم احد، لانه خالقهم ولولا هذه العبودية لم ينجدوا.

**الثانية:** عبودية تشريعية، وهي المتعلقة بالالتزام باوامر الله ونواهيه وهي مدار التكليف والحساب، ومن عمل بها فهو العبد المؤمن، وكل الفخر في هذه العبودية.

ومن هنا كل من يعتقد بان الله غير موجود، او يقول انا لا اعبد الله فهو كاذب، لانه إذا لم يلتزم بالعبودية التشريعية فهو مقهور بالعبودية التكوينية، فالله خالقهم شاؤوا ام ابوا، وهم عبيد له شاؤوا ام ابوا، صدقوا ام لم يُصدّقوا، ومن هنا كان التنافس بين الناس والتي عليها مدار الثواب والعقاب هي العبودية التشريعية، لان العبودية التكوينية جبليّة راکزة في المخلوق برأ كان ام فاجراً، اما العبودية التشريعية فهي مناط العمل والتكامل والحساب والثواب.

## ذا الكفل

قوله تعالى ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ط كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ط وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾<sup>(٢)</sup>.

هناك اختلاف عند المفسرين في تحديد شخصية ذي الكفل، واكثرهم يذهب إلى انه من أنبياء بني إسرائيل لانه ورد في سياق الكلام المذكورا مع الأنبياء، ويقول البعض انه «الياس» المسمى «ايليا»، وقيل انه خليفة اليسع، وقيل انه عوبديا الذي له كتاب من كتب أنبياء اليهود، ويعتقد البعض انه ليس نبي بل رجل صالح ولم يذكر القرآن الكريم قصته فغاية ما ذكره انه من الصابرين ومن الاخيار.

ويبقى السؤال من هو ذا الكفل؟

ما يجول في ذهني ان ذا الكفل في احد هاذين الموردين هو «ابو طالب» للاسباب التالية:

١ - قوله الإمام الصادق عليه السلام «ان في القرآن ما مضى وما يحدث وما هو كائن كانت فيه اسماء الرجال فالقيت انما الاسم الواحد منه في وجوه لا تحصى يعرف ذلك الوصاة»<sup>(٣)</sup>.

فالاسماء في القرآن الكريم بدلالة الحديث «في وجوه لا تحصى»، فيمكن للاسم الواحد ان يشير إلى عدة شخصيات، كما في الدليل الروائي التالي، فاسم إسماعيل عليه السلام في مورد قرآني الذي يعتقد البعض انه ابن إبراهيم عليه السلام الا انه إسماعيل بن حزقيال.

عن يزيد بن معاوية العجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا بن رسول الله ﷺ أخبرني عن إسماعيل الذي ذكره الله تعالى في كتابه حيث يقول ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾<sup>(٤)</sup>، أكان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام؟ فأن الناس يزعمون أنه إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام. فقال عليه السلام «إسماعيل مات قبل إبراهيم عليه السلام وأن إبراهيم عليه السلام كان حجة لله قائماً صاحب شريعة فإلى من أرسل إسماعيل إذا؟» قلت: فمن كان جعلت فداك؟ قال عليه السلام:

(١) الأنبياء/٨٥

(٢) ص/٤٨

(٣) تفسير العياشي

(٤) مريم/٥٤

«ذاك إسماعيل بن حزقيال النبي ﷺ، بعثه الله إلى قومه فكذبوه وقتلوه وسلخوا وجهه، فغضب الله تعالى عليهم فوجه إليه سطا طائل - ملك العذاب - فقال له: يا إسماعيل أنا سطا طائل ملك العذاب وجهني رب العزة إليك لأعذب قومك بأنواع العذاب أن شئت. فقال له إسماعيل: لا حاجة لي في ذلك يا سطا طائل. فأوحى الله إليه: ما حاجتك يا إسماعيل؟ فقال إسماعيل: يا رب أنك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبية ولمحمد بالنبوة ولأوصيائه بالولاية وأخبرت خير خلقك بما تفعله أمته بالحسين بن علي ﷺ من بعد نبينا، وأنت وعدت الحسين ﷺ أن تُكرهه إلى الدنيا حتى ينتقم بنفسه ممن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا رب أن تُكرني إلى الدنيا حتى أنتقم ممن فعل بي ما فعل كما تُكر الحسين ﷺ. فوعد الله عزّ وجلّ إسماعيل بن حزقيال ذلك فهو يكرّ مع الحسين بن علي ﷺ...»<sup>(١)</sup>.

٢ - الأحاديث تقول ان هناك أنبياء مُستعلنين وأنبياء مُستخفين والمتابع يلاحظ ان جُملة الأنبياء المُستعلنين المذكورين في القرآن هم من بني يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم ﷺ، اما المستخفين فهم من بني إسماعيل ابن إبراهيم ﷺ فلم يذكر القرآن الكريم واحد من الأنبياء من سلالة إسماعيل الا رسول الله ﷺ، فيكون جملة اجداد رسول الله ﷺ إلى إسماعيل هم من الأنبياء المستخفين كما اثبتناه في كتابنا «المزايلة» فراجع، فيكون ابو طالب ﷺ نبي، والموردين القرانيين اعلاه فيهما ذكر لإسماعيل مع ذا الكفل مما يوحى بعلاقة بنحو ما، اذ لا بد من وجود رابط معين لكي يُذكر بسياق واحد.

٣ - ليس بالضرورة ان يكون ذا الكفل شخص واحد فقد ذكرت الرواية السابقة ان إسماعيل في قوله تعالى ﴿وَإِذْ كُرِّ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلُ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾<sup>(٢)</sup> انه إسماعيل بن حزقيال وليس إسماعيل بن إبراهيم ﷺ.

٤ - يمكن ان يكون «ذا الكفل» لقب وليس اسم كما ان «ذا النون» لقب لنبي الله يونس، و«ذا القرنين» لقب لشخص اسمه عياش، كما ان «ابو طالب» كنية، وهناك جملة من آيات القرآن الكريم ذكرت اشخاص بعناوين خاصة وتكفلت المرويات ببيان اسمائهم الحقيقية، كما في قوله تعالى ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾<sup>(٣)</sup>، الذي قالت عنه الأحاديث انه اصف بن برخيا ﷺ وصي نبي الله سليمان ﷺ، وقوله ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(٤)</sup>، الذي تقول عنه الأحاديث انه

(١) الايقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/باب ١٠/ح ٤٢/ص ٣٣٠.

(٢) مريم/ ٥٤

(٣) الرعد/ ٤٣

(٤) الكهف/ ٦٥

الخضر عليه السلام، وقوله ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾<sup>(١)</sup> الذي تقول عنه الأحاديث ان حزقيل مؤمن ال فرعون.

٥ - وعلى الارجح ان يكون «ذا الكفل» عنوان، اي كل شخص يكفل نبي او شخصية عظيمة لابد ان يسمى «ذا الكفل»، وعلى موجب هذا الموقف فيمكن ان يكون لقب زكريا «ذا الكفل» لانه كفل مريم ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾<sup>(٢)</sup>، ويمكن ان يكون ابو طالب «ذا الكفل» لانه كافل اليتيم محمد صلى الله عليه وسلم، ونتيجة هذه الكفالة العظيمة يسمى ذا الكفل، وقد ورد في كتاب سرائر واسرار النطقاء «ان ابي طالب اسمه عمران وعبد مناف وذو الكفل..... فسمي ابو طالب ذو الكفل لكفالاته محمد صلى الله عليه وسلم»<sup>(٣)</sup>

٦ - لا ادري لماذا ورد ذكر «ادريس» في مورد الأنبياء بعد إسماعيل علما ان ادريس من أنبياء ما قبل الطوفان، ولا ادري ما هي الوحدة الموضوعية بين هؤلاء الأنبياء الثلاثة «إسماعيل وادريس وذا الكفل» مع وجود الفارق الزمني الكبير بينهم، وإذا اخذنا بنظر الاعتبار الحديث الذي ذكرناه حول الاسماء في القرآن «الاسم الواحد منه في وجوه لا تحصى»، والخبر الذي يقول ان ادريس سُمِّي ادريساً «لكثرة دراسته الكتب» إذا المعروف ان لدى ادريس عشرات الكتب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «انزل الله على ادريس ثلاثين صحيفة»<sup>(٤)</sup>، فمن الراجح ان هناك اكثر من ادريس إذا قلنا ان ادريس ليس اسم علم بل هو لقب لكل من تعمق في دراسة الكتب، وخصوصا ان ادريس ما قبل الطوفان اسمه «اخنوخ» مما يُرَجَّح ان ادريس لقب وليس اسم، فيمكن القول ان هناك علاقة ربط نسبية بين «إسماعيل وادريس وذا الكفل» إذا اعتبرنا ادريس في هذه الآية ليس اخنوخ ما قبل الطوفان.

(١) غافر/ ٢٨

(٢) آل عمران/ ٣٧

(٣) سرائر واسرار النطقاء/ تاليف الداعي جعفر بن منصور اليمن/ تحقيق وتقديم الدكتور مصطفى غالب/

(٤) قصص الأنبياء/ السيد نعمة الله الجزائري/ الباب الثاني/ في قصص ادريس عليه السلام/ ص ٨٥

## أم القرى

عن أمير المؤمنين عليه السلام «ان الله خلقنا فاكرم خلقنا وفضلنا وجعلنا امناه وحفظته وخزانه على ما في السماوات وما في الأرض وجعل لنا اصدقاءً واعداءً فسمانا في كتابه وكنى عن اسمائنا باحسن الاسماء واحبها اليه تكنية عن العدو، وسمى اصدقاءنا واعداءنا في كتابه وكنى عن اسمائهم وضرب لهم الامثال في كتابه في ابغض الاسماء اليه وإلى عباده المتقين»<sup>(١)</sup>.

دلالة الحديث واضحة كون الله سمي آل محمد عليهم السلام في القرآن الكريم باحسن الاسماء واحبها اليه ولكنها تكنية عن العدو لكي لا يعرفها إلا المؤمنون، وكذلك الحال مع اعدائهم حيث كنى عن اسمائهم بابغض الاسماء، وان عملية معرفة اسماء آل محمد عليهم السلام وكناهم في القرآن الكريم ليست بالصعوبة التي قد يتصورها البعض لان جملة من الأحاديث بينت هذه الاسماء.

عن ابا بصير قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾<sup>(٢)</sup>، فقال «رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر وعلي عليه السلام الهادي، يا ابا محمد هل من هاد اليوم؟» قلت: بلى جُعِلت فداك ما زال منكم هاد من نور هاد حتى رُفعت اليك، فقال «رحمك الله يا ابا محمد لو كان إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية، مات الكتاب، ولكنه حي يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى»<sup>(٣)</sup>.

والحديث واضح كون المنذر من اسماء رسول الله صلى الله عليه وآله والهادي من اسماء أمير المؤمنين عليه السلام.

عن محمد بن الفضيل قال: قلت لابي الحسن الرضا عليه السلام: اخبرني عن قول الله عز وجل ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾<sup>(٤)</sup> إلى آخر السورة، فقال «﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ الحسن والحسين»، فقلت «﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾»<sup>(٥)</sup>، قال «ليس هو طور سنين ولكن طور سيناء»، قال: فقلت وطور سيناء،

(١) بحار الأنوار/ ج ٢٤

(٢) الرعد/ ٧

(٣) الكافي: ج ١/ ص ١٤٨ ح ٣

(٤) التين/ ١

(٥) التين/ ٢

فقال «نعم هو أمير المؤمنين ﷺ»، قلت ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾<sup>(١)</sup>، قال «هو رسول الله ﷺ امن الناس به من النار إذا اطاعوه»، قلت: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>، قال «ذاك ابو فصيل حين اخذ الله الميثاق له بالربوبية ولمحمد ﷺ بالنبوة، ولاوصيائه بالولاية فأقرّ وقال نعم الا ترى انه قال ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup> يعني الدرك الاسفل حين نكص وفعل بأل محمد ﷺ ما فعل...»<sup>(٤)</sup>.

والأحاديث التي صرّحت بالاسماء بهذا المعنى كثيرة لا نستطيع استقصائها جميعا، ولكن هناك اسماء لآل محمد ﷺ في القرآن بحاجة لتدبر وقرائن لمعرفة معناها، وقد اشار إلى هذا المعنى الإمام الصادق ﷺ بقوله «لو قرأ القرآن كما انزل لالفيتموننا مُسمّين»، وقوله «لو تدبر شيعتنا القرآن لألفيتموننا مُسمّين»، وهنا سنحاول التدبر بايتين قرآنتين كريمتين لاستخراج احد هذه الاسماء كما افهم.

قوله تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾<sup>(٦)</sup>.

لاحظ هنا ان المُركَّب اللغوي ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قد تكرر في كلا الآيتين، ومتابعة اولية للتركيب اللغوية القرآنية التي تكرر يرجح ان كل مُركَّب لغوي قرآني يتكرر مرتين لا يعني انه يشير إلى موضوع واحد، بل كل مُركَّب في سياق معين يشير إلى دلالة ثانية ليست كدلالته في الموارد الاخرى<sup>(٧)</sup>، وبما ان القرآن كما يصفه المعصوم ﷺ كونه «يجري مجرى الشمس والقمر» فلا بد ان هذه التركيب اللغوية لها معاني باطنة تتناسب مع حركة بواطن القرآن

(١) التين/ ٣

(٢) التين/ ٤

(٣) التين/ ٥

(٤) تاويل الآيات ج٢/ص ١٨٤/ح ٤، كذلك تفسير البرهان/ج ٨/ص ٣٢٠/ح ٤

(٥) الأنعام/ ٩٢

(٦) الشورى/ ٧

(٧) راجع كتابنا «اية ورواية» فقد ذكرنا فيه شرح مفصل لجملة من الآيات القرآنية ذات التركيب اللغوي المتشابه، واثبتنا من خلال الروايات المتعلقة بها ان كل مركب لغوي منها يشير إلى موضوع معين يختلف عن المركب اللغوي الآخر الذي يشبهه بخصيصة معينة.

نفسه، ومن هنا يكون لدينا التصور التالي:

الأول: مورد الأنعام اقترن مع «الكتاب» فيما مورد الشورى اقترن مع «القرآن»، والكتاب هو الحقيقة الجامعة لكل الكتب المنزلة، فيكون مورد الشورى عام ومورد الأنعام خاص.

الثاني: مورد الأنعام يشير إلى مجموعة مؤمنة كونهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ و ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وهم «على صلاتهم يحافظون» مما يشير إلى خصوصية المورد، اما مورد الشورى فيشير إلى مجموعتين احدهما إلى الجنة والاخرى للسعير مما يشير إلى عمومية المورد.

الثالث: مورد الشورى فيه «ام القرى» هي هذه البلدة المعروفة بمكة، وهي كما يقول الإمام ابي جعفر عليه السلام «ومكة من امهات القرى»<sup>(١)</sup>، والانذار العام كان لها ولعموم القرى التي حولها.

الرابع: مورد الأنعام فيه «ام القرى» له معنى خاص جدا اذ ورد في المرويات ان «القرى» رجال خاصين.

عن الإمام الحجة عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً﴾<sup>(٢)</sup>، قال «فنحن والله القرى التي بارك الله فيها وانتم القرى الظاهرة»<sup>(٣)</sup>.

فتكون «ام القرى» هي ام تلك القرى المباركة الذين هم رجال خاصين مباركين منصوص عليهم وهي على الباطن مولاتنا الزهراء عليها وعلى آل بيتها افضل الصلاة والسلام، وقد ذكرت في فقرة سابقة بدلالة الحديث ان الاسماء في القرآن الكريم على وجوه لا تحصى.

اما موضوع الانذار فقد ورد مرة واحدة في مورد الأنعام ﴿لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، وفي مورد الشورى ورد مرتين ﴿لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، مما يشير ايضا إلى خصوصية مورد الأنعام وعمومية مورد الشورى، لان الانذار هي مهمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأولى للبشرية ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وهذا الانذار بدأ ايضا بشكل

(١) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٣/ ص ٦٦/ ح ٥

(٢) سبأ/ ١٨

(٣) تفسير البرهان/ ج٦/ ص ٣٣٢/ ح ٥

لقد ورد معنى القرى كونها رجال في كثير من موارد القرآن الكريم منها قوله تعالى «وتلك القرى اهلكتناهم لما ظلموا» فالقرى كابية بحد ذاتها لا تنظم ولكن من يسكن فيها من الناس يظلم فسماهم هنا قرى وهم ناس، وقوله تعالى «وكذلك اخذ ربك إذا اخذ القرى وهي ظالمة» وقد قال الإمام السجاد عليه السلام «ان القرى رجال»، وقد قال في عدة مواضع «اهل القرى» كما في قوله تعالى «اتيا اهل قرية استطعنا اهلها» فهنا يحدد ان لهذه القرية اهل اما الموارد التي ليس فيها اهل فهي رجال.

(٤) الرعد/ ٧

خاص لعشيرته الاقربين ثم لعموم الناس ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(١)</sup>

(فام القرى في مورد الانعام على الباطن هي مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام ، والذين حولها هم ابنائها القرى المباركة ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فارجوا الانتباه للاشارة ولا تقتصر على العبارة).

(١) الشعراء/ ٢١٤

(٢) النمل/ ٨



## الذكر الغائب

وردت لفظة «ذكر» في القرآن الكريم بعدة اشتقاقات مثل «ذكرى» و«ذكرى» و«يذكرون» وغيرها، ولها عدة مدلولات في الاستخدام القرآني، وقد وردت بمعنى القرآن كما في قوله ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>، وقد ورد ان لهذا الذكر اهل كما في قوله ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ووردت بمعنى شخص مخصوص كما في قوله تعالى ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الذِّكْرَ ۗ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾<sup>(٣)</sup>، فهو عرف «ذكرا» كونه ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾، فلا يمكن ان يكون الذكر في هذا المورد بمعنى القرآن لان القرآن كتاب والكتاب لا يقوم بعملية التلاوة بل الشخص هو الذي يتلوا، فهذا «ذكرا» هو شخص صفاته انه «رسولا» و«يتلوا» وهو شخص الرسول الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام

عن الإمام الرضا عليه السلام «قال في حديث مجلس المأمون» قال عليه السلام «الذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أهله وذلك بين في كتاب الله عز وجل حيث يقول في سورة الطلاق ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۗ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ قال: «فالذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن اهله»<sup>(٤)</sup>.

ومن هذا المعنى للفظة الذكر كونه شخص يمكن التأمل في قوله تعالى ﴿أَفَنْضَبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وان كان الغالب في كتب التفسير ان الذكر في هذه الآية هو القرآن بمعنى «افحسبتم ان تترككم بلا تذكير او بلا حساب او عقاب».

والحقيقة ان هذه التركيبة اللغوية للآية عندي مُحيرة، ولكن لو جرينا وراء المعاني المتعددة للفظة «الذكر» وقلنا ان الذكر له اهل بدلالة الآية، وان الذكر قد تعني شخص بدلالة الآية والحديث اعلاه، فكل شخص من الأئمة عليهم السلام هو ذكر، ويكون هذا المورد على الباطن خاص بالإمام المهدي عليه السلام، فيكون الضرب هنا بمعنى الغيبية اي اتحسبون اننا نقطع نور الامامة ان كنتم

(١) النحل/٤٤

(٢) النحل/٤٣

(٣) الطلاق/١٠ - ١١

(٤) عيون اخبار الرضا /ج ١/ ص ٢١٦/ ح ١، تفسير البرهان/ج ٨/ ح ٢ / ص ٤٥

(٥) الزخرف / ٥

قوماً مسرفين ولكننا غيَّبناه لاسرافكم.

عن علي بن إبراهيم: قوله تعالى ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ استفهام اي ندعكم مُهملين لا نحتج عليكم برسول او بإمام او بحجج<sup>(١)</sup>.

فيمكن القول ان الذكر في الآية مورد الكلام هي القائم ﷺ فتكون عبارة ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾<sup>(٢)</sup> بمعنى «نغيِّبه عنكم» لانكم مسرفين، ويمكن ان يقودنا هذا المعنى لمعنى باطني اخر، فقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup> فسبيل الله هو الإمام ﷺ فيكون قوله تعالى ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup> اي إذا بحثتم عن امامكم الغائب ﷺ، فالضرب هنا هو تتبع الاثار للوصول اليه.

(١) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٧/ ص ١٠٩/ ح ١

(٢) الزخرف/ ٥

(٣) النساء/ ٩٤

(٤) النساء/ ١٠١

## وأشرقَت الأرض بنور ربها

لقد ذكرت في جُملة من مؤلفاتي ان الواقع الفلكي للأرض سيتغير عما هو عليه الان في فترة متقدمة من دولة العدل الالهي، مما يجعل الايام والسنين تطول، نتيجة ان دوران الأرض حول نفسها سيساوي مدة دورانها حول الشمس فتظهر حالة يسميها الحديث «لبوث الفلك»<sup>(١)</sup>، وهذا التغير في الواقع الفلكي للأرض وانتقاله من حالة الحركة إلى حالة اللبوث تجعل للشمس وللقمر واقع جديد أيضاً بالنسبة لسكان الأرض، والأحاديث تذكر أن أهل هذه الجنة الأرضية يستغنون عن ضوء الشمس والقمر.

عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾<sup>(٢)</sup>، قال «رب الأرض يعني إمام الأرض». قلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال «إذن يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزون بنور الإمام عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال «أن قائمنا إذا قام أشرقَت الأرض بنور ربها واستغنى العباد عن ضوء الشمس والقمر وصار الليل والنهار واحد وذهبت الظلمة ويُعمّر الرجل في ملكة حتى يولد له ألف ذكر.....»<sup>(٤)</sup>

عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال من حديث طويل: «... قلت: جعلت فداك كيف تطول السنون؟ قال: يأمر الله الفلك بالبوث وقلة الحركة فتطول الأيام والسنون.....»<sup>(٥)</sup>.

عن عبد الكريم الخثعمي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم يملك القائم عليه السلام؟ قال «سبع سنين تطول له الأيام والليالي حتى تكون السنة من سنين مقدار عشر سنين من سنينكم هذه.....»<sup>(٦)</sup>.

وعبارة «ويجتزون بنور الإمام عليه السلام» تعني يكتفون بنور الإمام، ويمكن أن نفهم منها التصورات

التالية:

(١) راجع كتابنا «نجم يتقلب في الآفاق»، وكتابنا «ايام الله» حول هذا الموضوع

(٢) الزمر/٦٩

(٣) تفسير القمي/ج٢/ص ٢٢٤ كذلك تفسير البرهان/البحراني/ج٦/ص ٥٦٥/ح١

(٤) سرور اهل الإيمان/للنيلي النجفي

(٥) روضة الواعظين/٢/٢٦٤، أعلام الوري: ٤٣٢، كشف الغمة: ٣/٢٥٦

(٦) الأيقاظ من الهجعة/الحر العاملي/باب٩/ح٩/٢٦/ص ٢٥٧ وكذلك أرشاد المفيد: ٢: ٣٨١

الأول: قد يكون هذا النور وهذه الاضاءة هو نور شخص الإمام نفسه، ولطالما ذُكر في المرويات أنهم «نور الله»، وهذا شأن من شؤون الإمامة خارج مداركنا.

الثاني: ربما العبارة تشير إلى أن الأرض ستضاء «بعلم الإمام»، لان دول العدل الإلهي يظهر بها سبعة وعشرون حرف من العلم، فيكون هذا العلم خارج توقعاتنا ومعرفتنا الحالية.

الثالث: يمكن أن نُفسّر هذا الأمر من خلال ما موجود في ايدينا من العلوم المتعلقة بقوانين المادة وحالاتها، بالانطلاق من حديث الإمام الرضا عليه السلام «... وقد علم ذوو الالباب ان الاستدلال على ما هناك لا يكون الا بما هيئنا...»<sup>(١)</sup>، والله جعل لكل شياً سبباً، فلا بد أن علم الإمام سيظهر بالأسباب، وان كانت الأحاديث تؤكد أن علوم دوله الإمام عليه السلام اكبر مما نتخيله.

وما يجول في خاطري القاصر هو تحليل مرتبط بما نفهمه حالياً من قوانين الفيزياء الصرفة، فالثابت علمياً أن كل مغناطيس تنبعث منه وتُحيط به خطوط قوة تسمى الحقل المغناطيسي، وإذا تقاطع هذا الحقل مع معدن موصل نتجت الكهرباء، وكذلك إذا مرّ تيار كهربائي في سلك تولد المجال المغناطيسي، وهذه الظاهرة مشروحة في كتب الفيزياء بشكل مفصل ولها قوانين رياضية دقيقة لمعرفة تأثيراتها وخواصها، فيمكن القول أن تطور العلوم في دولة الإمام المهدي عليه السلام المتعلقة بظهور سبعة وعشرون حرفاً من العلم يمكن من خلالها أنتاج الطاقة من المجال المغناطيس الأرضي نفسه، فربما تُستثمر مغناطيسية الأرض لإنتاج طاقة لا تنضب من خلال تقاطع خطوط الفيض المغناطيس الأرضي مع معادن خاصة، وخصوصاً في زماننا هذا تجري ابحاث جداً ضخمة لايجاد مصادر للطاقة بديلة عن النفط والفحم، ومنها التجارب الأولية للحصول على طاقة كهربائية باستثمار امواج البحر نفسها.

وهذا التصور الذي اتكلم عنه استوحيه من أحوال المدينتين «جابلسا وجابلقا» التي ذكرتها أحاديث آل محمد عليهم السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال أن الحسن عليه السلام قال: «ان لله مدينتين أحدهما بالمشرق والأخرى بالمغرب عليهما سور من حديد.....»<sup>(٢)</sup>

وكلا المدينتين محاطتان «بسور من حديد» وهذه الميزة بالذات تثير تساؤل وهو: ما فائدة وجود هذا السور؟ فأصل السور يوضع للحماية، وهل هناك أعداء يترصبون بهذه المدن فتم بناء سور من حديد لحمايتها؟ وكيف يصح ذلك والأحاديث تذكر أنهم يعيشون بسلام بل هم في حالة انتظار خروج القائم عليه السلام.

(١) عيون اخبار الرضا/ ج ١ / باب ١٢ / ح ١

(٢) الكافي/ ج ١ / ص ٤٦٢

اعتقد «والله العالم» أن فائدة هذا السور ليس للحماية، بل هو نظام لتوليد الطاقة، يمكن من خلاله أن تحيط نفسها بحقل طاقة جبار من كل مكان، مثال ذلك ما تراه في الأفلام العلمية الحديثة كون هناك مُدن تُحاط بدرع من الطاقة على شكل نصف كرة، والحديث يسميها «مدن» ولم يقل عنها أنها كواكب، فهي بهذا المعنى جزء من كوكب، فإذا تقاطعت مغناطيسية هذا الكوكب مع سور الحديد الذي هو معدن موصل والذي من المفروض ان يكون سور على شكل دائرة لأنتجت الطاقة الكهربائية من المجال المغناطيسي لذلك الكوكب، وبما ان المجال المغناطيسي على شكل كرة او قبة فان حقل الطاقة سيكون بهذا الشكل يحيط بتلك المدن ويضيء لهم ما في داخل القبة فلا يحتاجون بعدها لضوء الشمس والقمر، ولعل مفهوم القبة الذي ورد في بعض الأحاديث يشير إلى هذا المعنى،

سُئل الإمام ابي عبد الله عليه السلام عن قبة آدم فقيل له: هذه قبة آدم؟ قال «نعم لله قبب كثيرة، اما ان خلف مغربكم تسعة وثلاثين مغربا ارضا بيضاء مملوءة خلقا يستضيئون بنورها...»<sup>(١)</sup>

ولا استبعد أن يكون النظام على الأرض في دولة العدل مثل هذه الأنظمة الطاقوية، وخصوصاً أن النص القرآني يؤكد وجود السور الفاصل بين أهل الجنة وأهل النار ﴿فَصُرَبٌ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وبعض الأحاديث التي ذكرناها عن الجنان المدهامتان في كتابنا ايام الله تشير إلى وجود أسوار حولها فراجع.

أما عبارة «يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر»، فتشير بشكل مؤكد أن الواقع الفلكي للشمس والقمر يختلف في تلك الأيام، فحركة القمر مرتبطة بحركة الأرض بالتبعية، فإذا ابطأت الأرض بالدوران حول الشمس، أبطئ القمر بالدوران حول الأرض، فإذا بطئت الحركة الانتقالية بطئت بالتبعية الحركة الدورانية حول نفسها.

فإذا أكملت الأرض دورتها حول الشمس بألف سنة مما تعدون، فالقمر يبطئ من دورته حول الأرض بالتبعية، وبما ان القمر حالياً يكمل «١٢» دورة حول الأرض كلما دارت الأرض حول الشمس دورة واحدة، فهذا معناه إذا دارت الأرض حول الشمس بمدة ألف سنة مما تعدون، لا بد وان القمر في هذه الألف سنة قد دار أيضا حول الأرض «١٢» دورة فتكون مدة الدورة للقمر حول الأرض في ذلك النظام كالتالي:

(١) بصائر الدرجات: ص ٥١٣

(٢) الحديد/ ١٣

«١٠٠٠ ١٢ ÷ ١٢ = ٨٣/٣ سنة» وبهذا تكون منازل القمر الثمانية والعشرين طويلة جداً قد تصل فترة كل منزل إلى أكثر من سنتين بقياساتنا الحالية.

وحسب هذه القياسات الافتراضية فإن أهل الجنتان المدهامتان التي ستظهر في زمن الإمام المهدي عليه السلام في آخر الرجعات لا يرون من منازل القمر إلا الهلال في بداية دورته، والهلال في نهاية دورته، أو ربما لا يرونه بالمرّة لأن رؤية الهلال في أول منزلة وأخرها صعبة جداً، وبهذا المعنى تكاد تكون رؤية القمر نهائياً معدومة لصعوبة رؤيته في أول يوم وفي آخر يوم من الشهر، أما بقية المنازل فلا يرونها، فأهل الجنتان المدهامتان لا يرون الشمس ولا القمر.

والحقيقة العلمية تؤكد ان القوة المغناطيسية للمغناطيس تكون اقوى عند الاقطاب فمثلا خطوط الفيض المغناطيسي الأرضي تنبع من القطب الجنوبي وتنتهي إلى القطب الشمالي، فتكون القوة المغناطيسية لكوكب الأرض اقوى عند القطب الشمالي والجنوبي وهنا امر مهم نريد ان نصل اليه وهو انك إذا استعملت البوصلة لتحديد جهة الشمال فان المؤشر دائما يشير إلى جهة الشمال، اما إذا وقفت في نقطة صدور فيض المجال المغناطيسي الأرضي الشمالي او الجنوبي عندها ستدور البوصلة في كل الاتجاهات وتبقى تدور لان خطوط الفيض قد تساوت عليه من كل الجهات.

ومن هنا يمكن القول ان عملية انتاج كهرباء من تقاطع خطوط الفيض في هذه النقاط ممكنة إذا مرت هذه الخطوط من خلال حلقة من الحديد، اي بما معناه على مستوى الفرض انك لو بنيت سور من الحديد في منطقة الفيض المغناطيسي الشمالي او الجنوبي ستتمكن من انتاج كهرباء، مع فارق واحد ان احدهما سيكون جريان التيار الكهربائي فيه من اليمين إلى اليسار والاخر من اليسار إلى اليمين حسب قاعدة اليد اليمنى في تحديد اتجاه التيار الكهربائي المعروفة، ولربما بُنيت هذه المدن «جابلسا وجابلقا» على هذا الاساس العلمي.

هنا ستقول لي ان هذه المدن ذكرت الأحاديث عنها انها في المشرق والمغرب بينما انت تتكلم عنه من خطوط الفيض وقوتها هو في الشمال والجنوب؟

نحن هنا لا نتكلم عن مدن تقع على الأرض بل في افاق اخرى ولكننا نستفاد من اجوائها لفهم ما في ايدينا من علوم.

وهذه المدن موجودة حالياً بدلالة الأحاديث، وربما هي قريبة منّا في اي نظام كوكبي قريب من الأرض ولكننا لا نراها، اذ ربما حقل الطاقة الذي حولها يجعلها من الداخل مضيفة ومن الخارج غير مرئية، فإذا مرّ بقربها اي احد لا يراها، كما هو حال «الزجاج الزئبقي» المستعمل

عندنا حاليا في صناعة الشباييك، فمن كان داخل الغرفة يرى الذي خارجها، اما الذي خارج الغرفة فلا يرى الذي في داخلها، فهي بهذا الحال مُدن مخفية، لذلك ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام في احوال سكان هاتين المدينتين قوله «لهم طريق اعلم به من الخلق إلى حيث يريد الإمام عليه السلام».

## كتاب مختوم بخاتم من ذهب

عن المفضل بن عمر قال قال الصادق ﷺ «كأنني أنظر إلى القائم على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاث مائة و ثلاثة عشر رجلا عدة أهل بدر وهم أصحاب الألوية وهم حكام الله في أرضه على خلقه حتى يستخرج من قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب عهد معهود من رسول الله ﷺ فيجفلون عنه إجمال الغنم فلا يبقى منهم إلا الوزير وأحد عشر نقيباً كما بقوا مع موسى بن عمران ﷺ فيجولون في الأرض فلا يجدون عنه مذهبا فيرجعون إليه والله إني لأعرف الكلام الذي يقول لهم فيكفرون به»<sup>(١)</sup>.

عن ابي عبد الله ﷺ انه قال «كأنني بالقائم على منبر الكوفة عليه قباء فيخرج من وريان قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب فيفكه فيقرأه على الناس فيجفلون عنه اجفال الغنم فلم يبقى إلا النقباء فيتكلم بكلام فلا يلحقون ملجأ حتى يرجعون اليه واني لاعرف الكلام الذي يتكلم به»<sup>(٢)</sup>

لا بد وان كل انسان صاحب قريحة تأملية قد لاحظ ان هناك جُملة من المعاني تقفز إلى الذهن بشكل مباشر نتيجة قراءته المستمرة للقرآن والأحاديث، حتى ليُخَيَّل اليك ان القرآن والأحاديث تتحدث معك، واعتقد ان هذا حال قد جرى على الكثير من الناس على اختلاف قابلياتهم العقلية او الذوقية، وبعض هذه المعاني عادة ما يرافقها خوف ناتج من عدم رغبة الإنسان المتأمل عن الخروج عن حدود الادب والمعقول، فتبقى هذه الأفكار والتأملات حبيسة النفس والعقل والوجدان، فربما البعض منها يدخلك في خانة التقول او «السقوط في الراي» اعاذنا الله واياكم من زلة الاقدام ومن انحراف الاقلام، ولا بد وان الإنسان المؤمن المُحب لال محمد ﷺ والمتأدب امام كلامهم لا يترك عنان افكاره تصل إلى هذا المستوى من الاستشعار، والحقيقة ان هذه مسألة قد عانا منها جملة من المتأملين في استخراج معنى لمجرد الظن او الحدس او الاستذواق وهو امر فيه محاذير كثيرة، ولا بد ان المعنى الذي يظهر للمتأمل ان يخضعه لمجمل النص القرآني والروائي فلا يخالف الثابت بل يحوم حول بعض المعاني الجزئية التي يبرزها هذا النص او ذلك، اما إذا لم ترتقي عقولنا لفهم ما يدور في خواتمنا فعلينا بالتوقف والقول انه ليس كل ما وصلنا عنهم ﷺ تدركه عقولنا،

(١) إكمال الدين وتمام النعمة/ الشيخ الصدوق

(٢) بحار الأنوار/ ٥٢/ ٣٢٦



ولعل كل الذين تمعنوا في أحاديث ظهور الإمام المهدي عليه السلام قد استوقفتهم هذه الأحاديث مورد الكلام التي لا بد وان تجعل جملة من المعاني تدور في ذهن المتأمل، وربما هذه الحالة دافعها الفضول القوي الذي يتولد داخل كل انسان لمعرفة ما مكتوب في ذلك الكتاب الذي محتواه يجعل خيرة أصحاب الإمام المهدي عليه السلام يجفلون عنه اجفال الغنم، وقد حاول الكثير فك رموزات هذه الأحاديث واستنباط معنى ولو جزئي لمحتوى الكتاب الذي سيقراه عليه السلام، إلا ان كل المؤشرات تشير إلى انه موضوع مُقفل ولا يمكن فك شفرته إلا في ذلك اليوم الذي يتكلم به قائم آل محمد عليه السلام ويظهر اسراره، والحقيقة ان قراءة كتاب من قبل القائم عليه السلام فيه اسرار لا تُحتمل امر ليس فيه غرابة، وخصوصاً ان كل المنتظرين يعلمون ان ظهوره عليه السلام لا يخلوا من ظهور اسرار كثيرة، إلا ان الأمر المُحير هو سلوك أصحابه وفرارهم عند سماعهم ذلك المحتوى، مما يُعيدك لاصل الحيرة والرغبة في معرفة محتوى هذا الكتاب.

وعلى الرغم من وجود فارق مهم بين الحديثين كون الحديث الأول يقول ان الكتاب سيقراً على أصحاب القائم عليه السلام، فيما يقول الحديث الثاني انه سيقراه على الناس، إلا ان الوحدة الموضوعية بينهما ثابتة، وخصوصاً ان كلا الحديثين يتحدثان في نفس المكان الذي هو منبر الكوفة، وان الجميع ينفر من حوله إلا «الوزير واحد عشر نقيباً»، ويمكن الجمع بين الحديثين بالقول ان من حول القائم عليه السلام في ذلك اليوم هم أصحابه الخواص الثلاثمائة وثلاثة عشر ومعهم عامة الناس، فيكون الموقف واحد وردود الأفعال واحدة، فإذا فر أصحاب المهدي عليه السلام كما ينفر الغنم فمن دونهم اولى بذلك ايضاً.

والذي اراه ان اي محاولة لمعرفة مضمون الكتاب ستؤدي بنا إلى تأويلات تعسفية والحل الاسلام عندي القول باحد امرين، الأول: هو الصمت والتوقف وايقال علم هكذا حديث إلى قائم آل محمد عليه السلام نفسه لقولهم عليه السلام «ما جائكم عنّا ولم تفهموه توقفوا وكلوا علمه إلى العالم من آل محمد عليه السلام»، الثاني: ان من حق المنتظر ان يتأمل ويتفقه بالصعب من أحاديثهم صلوات الله عليهم إلا ان الجزم بالقول بمعرفة فحوى الكتاب يحتاج إلى قرائن قوية للاثبات، وإذا كان الثلاثمائة وثلاثة عشر أصحاب الإمام المهدي عليه السلام وهم صفوة الناس في ذلك الزمان سيفرون عند سماعه فما بلك ببقية الناس امثالنا، لذلك يجب ان نتأدب في قرارة انفسنا ونقول ان التدبر والتفقه مسموح وممدوح إلا انه لا يجعلك تصل إلى ادعاء معرفة الغيب نفسه، والتفقه والتأدب هنا هو ان تحوم حول معنى للحديث، وإذا لم تصل إلى معنى تؤيده القرائن عليك بالتوقف والقول «القول مني ما قال آل محمد عليه السلام»

## أَوْلَيْكَ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمُ الدِّينَ

عن سدير الصريفي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من أهل الكوفة فأقبل عليهم وقال لهم «حجوا قبل أن لا تحجوا قبل أن يمنع البر جانبه حجوا قبل هدم مسجد بالعراق بين نخل وانهار حجوا قبل أن تقطع سدره بالزوراء على عروق النخلة التي اجتنت منها مريم رطباً جنياً فعند ذلك تمنعون الحج وتنقي الثمار وتجذب البلاد وتبتلون بغلاء الاسعار وجور السلطان ويظهر فيكم الظلم والعدوان والبلاء والوباء والجوع وتظلمكم الفتن من جميع الآفاق فويل لكم يا أهل العراق إذا جائتكم الرايات من خراسان وويل لأهل الري من الترك وويل لأهل العراق من أهل الري وويل لهم ثم ويل لهم من الثط»

قال سدير: فقلت: يا مولاي وما الثط؟ قال «قوم آذانهم كأذان الفار الصغير لباسهم الحديد كلامهم ككلام الشياطين صغار الحدق مرد جرد استعينوا بالله من شرهم وأولئك يفتح الله على أيديهم الدين ويكونون سبباً لأمرنا»<sup>(١)</sup>.

ربما يتبادر إلى ذهن القارئ عند قراءة هذا الحديث أنه يتحدث عن الوضع السياسي والاجتماعي المتدهور في نهايات أيام الحكم العباسي في منتصف القرن الثالث الهجري، وهذا التدهور الذي سهل عملية سقوط بغداد والخلافة الإسلامية من قبل المغول والبويهيون والسلاجقة، فبدايات الحديث فعلاً تنطبق على هكذا أحداث تاريخية تخص العراق، وبسبب صيغة العموم التي تسود جو الحديث «فالعلاء - العدوان - الوباء - الجوع - الفتن» كلها عناوين تنطبق على أكثر من واقعة تاريخية، بل هي مرافقة لكل عملية عدوان أو تدخل عسكري، حتى أن مسألة انقطاع الحاج متكرره عبر التاريخ لانقطاع خطوط السير والطرق في حالات الانهيار السياسي أو العدوان العسكري مما يجعل أداء فريضة الحج في هكذا ظروف أمر صعب إذا لم يكن خطيراً.

ولكن عند متابعة العبارات الواردة في نهايات الحديث نلاحظ أنها تنقلنا إلى أحداث مستقبلي لامرين مهمين.

الأول: هو كلامه عن «الثط».

(١) بحار الأنوار/ج٤٧ - ص١٢٢

والثاني: هو العبارة التي تخص هؤلاء الثط كونهم «يفتح الله على أيديهم الدين ويكونون سبباً لامرنا».

وهاذين العنوانين لا ينطبقان على المغول او السلاجقة او البويهيين وكل مرحلة تاريخيه سابقة مما يؤكد كون الحديث يشرح احداث ستقع في اخر الزمان تكون سبباً في بداية ظهور امر القائم (عليه السلام)، فمن هؤلاء «الثط» وكيف سيكون دخولهم «سبباً لامرنا».

وردت في الأحاديث لفظتان متقاربتان هما «الزط» و«الثط»

الزط: او كما تسميهم بعض المصادر «السيابجة» وهم قوم جوالون يتنقلون من مكان إلى اخر طلباً للرزق او هم «العجر»، وقد استُخدمت اللفظة لوصف المقاتلين المرتزقة، والزط في اللغة هو الخداع والمكر والدهاء، ويمتاز لدى البعض بأحتوائه على عوامل اباحية، فالمزطوط هو الذي يقع عليه فعل الزط، والزاطط هو الفائز وهو القائم بعملية الزط، وهذه اللفظة عند بعض الشعوب تعني شتيمة قاسية جدا بمعنى انه ينحدر من سلالة سيئة.

وبصورة عامة الزط قوم رُحّل عجر، او كما يسميهم اهل العراق «الكيولية»، وهم ينحدرون من انساب مختلطة وليس لهم اصل واحد، ومن مهاراتهم الرقص والغناء، ولا توجد بينهم ضوابط اخلاقية في العلاقات الجنسية مما يعزز ضياع اصولهم لاختلاط اعراقهم.

اما الثط: قال الفيروز ابادي : الثط: الكوسج القليل شعر اللحية والحاجبين والمرد جمع امرد وهو الذي ليس لبدنه شعر، والثط الكوسج الذي عُري وجهه من الشعر/ الجوهري.

وكما هو واضح فان هذه الصفات «للزط والثط» لا تنطبق على المغول الذين اسقطوا الخلافة العباسية فهؤلاء لهم أحاديث خاصة تصفهم كونهم «صغار الاعين - فطس الانوف - وجوههم المجان المطرقة - يتنعلون الشعر».

ولاختلاف صفات الزط او الثط عن صفات المغول يمكن ان نقول ان الحديث يشير إلى حدث مستقبلي سيقع على اهل العراق من هؤلاء الثط او الزط في اخر الزمان، وهذه الصفات كونهم «عجر - ذوي انساب مختلطة - وخليط من عدة اعراق - مقاتلين مرتزقة - يغلب عليهم الطابع الاباحي في علاقاتهم الجنسية - محبين للرقص والغناء» وكل هذه العناوين تنطبق في الوقت الحاضر بشكل واضح على «الأمريكان» الذين اجتاحتوا العراق.

وعلى موجب هذا التصور ستتابع فقرات الحديث كونه يتحدث عن حدث مستقبلي.

١ - لاحظ ان الحديث يحث الناس على الحج من قبل ان يهدم مسجد في العراق لانه على

ما يبدو ان هدم هذا المسجد سيكون سبباً في انقطاع الحاج ويؤيده الحديث التالي .

عن رسول الله ﷺ هدم المنافقون مسجد بالمدينة ليلاً فأستعظم أصحاب رسول الله ﷺ ذلك فقال رسول الله ﷺ «لا تنكروا ذلك فان هذا المسجد يُعمر ولكن إذا هُدم مسجد برائنا بطل الحاج»، قيل له واي مسجد برائنا هذا، قال ﷺ «غربي الزوراء من ارض العراق صلى فيه سبعون نبياً ووصياً وآخر من يصلي فيه هذا و اشار بيده إلى علي بن ابي طالب»<sup>(١)</sup>

٢ - عبارة «فويل لكم يا اهل العراق إذا جائتكم الرايات من خراسان» .

هذه العبارة تخص اهل العراق وتحذرهم من ويل ياتيهم من رايات قادمة من خراسان، وقد يعتقد البعض ان العبارة تشير إلى دخول تلك الرايات من خراسان ايام ابو مسلم الخراساني والتي مهدت لصعود العباسيين لدفة الخلافة، وهذا غير صحيح لان العبارة التي تليها تقول «الويل لاهل الري من الترك»، وكما هو معلوم ان الري هي طهران حالياً وما يجاورها وهي على المعنى السياسي حالياً إيران، ولا يوجد خبر تاريخي يؤكد ان الترك تعرضوا للري ايام نشوء الخلافة العباسية، ولوجود هذه العلاقة بين العبارتين فمن المستبعد ان يكون الحديث يشير إلى رايات ابو مسلم الخراساني، علما ان نهاية الحديث تذكر ان كل هذه الاطراف ستنال الويل من «الثلث»، وليس في ايام دخول رايات ابو مسلم من خراسان إلى العراق اي وجود او اثر «للثث» كما ان الحديث يؤكد ان هذه الراية فيها الويل لقوله «الويل لكم يا اهل العراق» .

٣ - الحديث يذكر عبارة مترابطة ومتصلة مع بعضها وهي «وتظلمكم الفتن من جميع الآفاق فويل لكم يا اهل العراق إذا جائتكم الرايات من خراسان وويل لأهل الري من الترك وويل لأهل العراق من اهل الري وويل لهم ثم ويل لهم من الثلث» .

وهذا الحدث الذي تذكره العبارة وقع في تاريخنا المعاصر ولا زلنا نعاني من اثاره، فعبارة «وتظلمكم الفتن من كل جانب» تخص اهل العراق فقد جائتهم الفتن من كل دول الجوار بعد دخول «الثلث» ارضهم عام «٢٠٠٣»، وعبارة الفتن هنا ليست بحاجة لبيان فهي «مفخحات - حرب طائفية - قتل على الهويه - انتهاك للمقدسات.....» .

ثم يذكر الحديث صفات لهؤلاء الثلث التي تنطبق بشكل واضح على صفات الأمريكان «اذانهم كأذان الفار الصغير - لباسهم الحديد - كلامهم ككلام الشياطين - صغار الحدق - مرد جرد» .

(١) هامش الامالي - الشيخ المفيد ص ٦٤ والحديث مروى عن علي بن طاووس

اما العبارة الهامة جدا في الحديث والتي تؤكد بشكل واضح ان الحديث يتكلم عن حدث مستقبلي وهي عبارة تتعلق بهؤلاء الشط وهي «وأولئك يفتح الله على أيديهم الدين ويكونون سبياً لأمرنا»، وقد يعتبر البعض هذه العبارة غريبة إلا انها اصابت كبد الحقيقة، لان الأحاديث تذكر «ان الظالم سيفي انتقم به وانتقم منه»، وكذلك قولهم عليه السلام «ان الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاسق»، وقولهم «ان الله إذا اراد ان ينتقم لنفسه انتقم بولية وإذا اراد ان ينتقم لولية انتقم له بالظالم»، وقولهم عليه السلام «ان الله إذا اراد ان يظهر امراً سلط عليه شرار خلقه» وغيرها من الأحاديث التي تؤكد نفس المعنى.

ولم نجد في تاريخ العراق على امتداده على الرغم من كثرة من احتله جهة كانت سبياً في فتح الدين على أيديهم، بل كل من احتل العراق ضيق عليه وعلى اهله سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعقائديا، ولكن الأحداث التي جرت بعد دخول الأمريكان إلى العراق كانت سبياً واضحا بان يتمتع شيعة العراق بحرية عقائدية واضحة في ممارسة طقوسهم الدينية، وأمريكا لا تستطيع منع هذا الأمر لانها دخلت تحت ستار الديمقراطية واحترام عقائد وتراث الشعوب، وهذه الممارسات العقائدية الشيعية التي ظهرت بشكل كبير جعلت «الوعي الجمعي» عند شيعة العراق يلتصق بشكل نادر مع عنوان «المهدي»، وتبلور هذا الوعي بشكل لم يشهد له تاريخ العراق مثل الا بعد دخول القوات الامريكية للعراق، وان الحرب الطائفية التي عمت البلد لسنوات جعلت الإنسان الشيعي يدرك بفطرته الشيعية من حيث يدري ولا يدري بانه مستهدف من كل الجهات، فجعله نتيجة هذا الضغط يتبه ويعود لاصوله وجذوره العقائدية، فادرك بالفطرة السليمة التي جلتها المصائب والويلات عليه على مر التاريخ ان خلاصه الوحيد هو تبني مشروع الإمام المهدي عليه السلام بعد ان «اظلتكم الفتن من كل الآفاق» وهذا ادى بالضرورة إلى نشوء جيل له هدف مركزي وهو المهدي عليه السلام وتوج هذا الوعي بشكل واضح وقوي من خلال مشروع الحسين عليه السلام المتمثل بالممارسة السنوية للملايين سيرا على الاقدام ولعدة ايام في ذكرى اربعينية الإمام الحسين عليه السلام، هذه الممارسة في الحقيقة هي مرحلة اعداد ضخمة لاستقبال خليفة الله في ارضه، فهي بيعة للامل القادم والولاء لكل العناوين المقدسة التي جمعتها سفينة الحسين عليه السلام، فهم بهذه الشعيرة المقدسة «يطئون موطأ يغيض الكفار» ولهذا انتهى الحديث بعبارة «ويكونون سببا لامرنا»

## تجدد سلطان بني العباس «قراءة جديدة»

عن الحسن بن الجهم قال: قلت للرضا عليه السلام: اصلحك الله انهم يتحدثون ان السفيناني يقوم وقد ذهب سلطان بني العباس، فقال عليه السلام: «كذبوا انه ليقوم وان سلطانهم لقائم»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث من جملة أحاديث عصر الظهور التي دار حولها الكلام، فالحديث يؤكد على ظهور السفيناني ومُلك بني العباس لا زال قائماً، فيما واقع التاريخي يبين ان مُلك بني العباس قد انتهى بغزوا هولاءكو لبغداد، وبهذا فقد زال مُلك بني العباس ولم يظهر السفيناني لحد الان، وهذا دفع الباحثين لتبني امرين.

الأول: هو تجديد مُلك بني العباس في اخر الزمان والسفيناني الخارج اخر الزمان يظهر عليهم.

الثاني: ان دلالة «بني العباس» ليس بالضرورة تعود على جهة حاكمة تنتسب لبني العباس نسبياً، بل ان مدلولها ربما يشير إلى اي جهة حاكمة تظهر في اخر الزمان تسلك نفس سلوك بني العباس العقائدي والسياسي فيكونون هم الذين يخرج عليهم السفيناني، كما مال بعض الباحثين إلى انطباق هذا المدلول على جهات سياسية في زمننا الحاضر.

ونريد هنا ان نشير إلى استنتاجات كقراءة جديدة للنص لابد فيها من النظر إلى اطراف الموضوع من خلال النقاط التالية<sup>(٢)</sup>.

١ - اخذ الحديث على ظاهره والالتزام بكون مُلك بني العباس كجهة حاكمة سيتجدد في اخر الزمان ويظهر عليهم السفيناني.

٢ - يمكن القول انه كان من المقرر في علم الله ان يستمر مُلك بني العباس إلى اخر الزمان ويظهر في اخر ملكهم السفيناني إلا ان البداء حدث في مُلكهم لامر ما نجعله فاهلكهم الله منذ مئات السنين قد مضت، وبالتالي فان جملة موضوع بني العباس قد جرى عليه البداء ولا ضرورة للقول بتجدد مُلكهم في اخر الزمان.

(١) الغيبة/ النعماني/ ص ٣٠٣

(٢) راجع كتابنا «حدث وحديث» للتفريق بين دلالة «بني فلان» و «بني العباس»

٣ - يمكن ترجيح احتمال ان السفيناني المقصود في هذا الحديث ليس هو سفيناني اخر الزمان بل هو واحد من الخارجيين من بني سفينان على الحكم العباس، والتاريخ يذكر لنا جملة من الامويين السفينانيين ممن خرجوا على بني العباس اثناء ملكهم.

ابن حجر قال «السفيناني هو ابو المعيطر علي بن عبد الله من ولد ابي سفينان بن حرب استغل القتال بين الامين والمأمون في بغداد فاستقل بدولة في الشام»<sup>(١)</sup>

المدائني قال «كان في ولد ابي سفينان رجل به وضح ومرض.... انه قال انا السفيناني الذي يذهب ملك بني العباس على يديه»<sup>(٢)</sup>.

ومنهم الخارج على الخلافة العباسية «علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفينان ابن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ابو الحسن الاموي المعروف «بابي العميطر» بويع بالخلافة بدمشق في ولاية الامين في ذي الحجة سنة ١٩٥»<sup>(٣)</sup>.

«السفيناني: الامير ابو الحسن «علي بن عبد الله بن خالد بن معاوية بن ابي سفينان» القرشي الاموي الدمشقي ويعرف «بابي المعيطر» كان سيد قومه وشيخهم في زمانه بويع بالخلافة بدمشق في زمن الامين»<sup>(٤)</sup> «وكان علي بن عبد الله ابو المعيطر من ولد يزيد بن معاوية بن ابي سفينان وكان بنو امية يروون فيه الروايات ويذكرون ان فيه علامات السفيناني وان اموره لا تتم الا بكلب وانهم انصاره»<sup>(٥)</sup>.

وكذلك خروج ابو حرب المبرقع اليماني على الدولة العباسية في زمن المعتصم العباسي ظهر في الشام وفلسطين سنة ٢٧٧ وزعم انه السفيناني»<sup>(٦)</sup>، فيما ذكر ابن الاثير «ثم تحصن في رؤوس الجبال وهو مبرقع.... فاتبعه على ذلك خلق كثير من الحرائيين وغيرهم وقالوا هذا هو السفيناني المذكور انه يملك الشام فاستفحل امره جدا واتبعه نحو مئة الف مقاتل فبعث اليه المعتصم.....»<sup>(٧)</sup>

والحديث مورد الكلام مروى عن الإمام الرضا عليه السلام الذي عاش «١٤٨ - ٢٠٣ هـ»، وكما تلاحظ ان بعض هؤلاء قد ظهروا في زمن الإمام الرضا عليه السلام وبعضهم بعد وفاته، فيمكن ان يكون

(١) تبصرة المشتبه/ الحافظ ابن حجر: ٧٥٣/٢

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر/ ح ٨٦ - ٢١٩

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر/ ج ٣٢/ ٢٤

(٤) سيرة اعلام النبلاء/ الذهبي/ ج ٩/ ٢٨٤

(٥) تاريخ مدينة دمشق/ ابن عساكر/ ج ٣٤/ ص ٢٩

(٦) راجع سيرة اعلام النبلاء/ الذهبي/ ج ١٠/ ٣٠٢

(٧) البداية والنهاية/ ابن الاثير/ ١٠/ ٣٢٤

السائل قد سئل عن احد هؤلاء السفينيين المتواجدين في عصره او ان الإمام ﷺ في جوابه يقصد احدهم وليس سفياي اخر الزمان.

٤ - اعتقد استنادا لقولهم ﷺ «ان لنا في كل لفظة سبعون وجها ولنا في كلها المخرج»، ان في كلام الإمام الرضا ﷺ سر مخفي يتعلق بموضوع بني العباس والسفياي استشفه من خلال معرفة نوع ودوافع الصراع بين قيادات الخير وقيادات الشر كما قال القرآن الكريم ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، والمكر المنسوب إلى الله هنا ليس الاخذ غيلة بل تهيئة الامور بشكل سري لكي يقع المخالفين في شر اعمالهم، وبما ان بني هاشم في صراع تاريخي وعقائدي وفكري مع الامويين والعباسيين فما المانع ان يجعل الأئمة ﷺ الصراع بين الامويين والعباسيين انفسهم، فبني العباس اخذوا الملك من بعد بني امية ولا بد وان بني امية يعتبرون بني العباس غاصبين لملكهم، فالراجح ان صدور مثل هذه الأحاديث من قبل المعصومين ﷺ يؤجج الصراع بينهم، لان بني امية سيرون في هذا الكلام نبوءة في استرجاع ملكهم مما يجعل الامل يرتفع لديهم في قتال بني العباس وهم يعلمون ان آل محمد ﷺ لا يتكلمون الا بالحق، فإذا سمعت قيادات الامويين ان الإمام الرضا ﷺ يقول ان السفياي يخرج وان ملك بني العباس لا زال قائماً فهم يفهمون منه امكانية تاريخية للثورة على بني العباس، كما ان دولة بني العباس قامت على نبوءات تتعلق برايات خراسان المشرقية، واعتقد ان هذا الحديث اعد بهذا الشكل وبهذه الصياغة للوقعة بين بني امية وبني العباس لكي يخف شرهم على الشيعة، فهذه تخريجة نفهم منا عبارة الإمام الرضا ﷺ وقد ورد في بعض الأحاديث ان في كلامهم ﷺ مُحْكَمٌ ومُتَشَابِهٌ، عن الإمام الرضا ﷺ «ان في اخبارنا مُتَشَابِهاً كَمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَمُحْكَمًا كَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ، فَرَدُّوا مُتَشَابِهَهَا إِلَى مُحْكَمِهَا، وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحْكَمِهَا فَتَضَلُّوا»<sup>(٢)</sup>، وورد انهم ﷺ يفتنون الاعداء بالضلالة التي لا هدى فيها، عن حدثه من أصحابنا، عن ابي عبد الله ﷺ قال: جاء رجل فلما نظر اليه ابو عبد الله ﷺ قال «اما والله لأضلنّه اما والله لا وهمنّه» فجلس الرجل فسأله مسألة فافتاه، فلما خرج قال ابو عبد الله ﷺ «لقد افتيته بالضلالة التي لا هداية فيها»<sup>(٣)</sup>.

### حديث اخر:

ولكن الحديث التالي سيعيدنا إلى اصل التساؤل ان ملك بني العباس سيتجدد في اخر الزمان.

عن الإمام الكاظم ﷺ قال «لو ان اهل السماوات والأرض خرجوا على بني العباس لسقيت

(١) الأنفال/ ٣٠

(٢) البحار/ ج ٢/ ص ١٨٥ كذلك عيون اخبار الرضا/ ج ٢/ ص ٢٦١

(٣) مختصر البصائر/ باب ما جاء في التسليم لما جاء عنهم ﷺ وفيمن رده وانكره/ ١٤/٢٦٨



الأرض بدمائهم حتى يخرج السفيناني» قلت: يا سيدي امره من المحتوم، قال عليه السلام «من المحتوم» ثم اطرق رأسه» وقال: ملك بني العباس مكر وخداع يذهب حتى لم يبقى منه شيء ويتجدد حتى يقال ما مر به شيء»<sup>(١)</sup>.

بالجمع بين الحديث مورد الكلام مع الحديث اعلاه يمكن ان نستشف الامور التالية:

١ - ان الحديث الأول مروى عن الإمام الرضا عليه السلام والحديث الثاني مروى عن الإمام الكاظم، وقد قالوا عليهم السلام «خذوا بما جائكم عن اخرنا»، والأحاديث ينسخ بعضها بعضاً كما تنسخ الآيات القرآنية بعضها بعضاً، لذلك يمكن ترجيح القرائن المتعلقة بالحديث الأول أكثر من القرائن المتعلقة بالحديث الثاني.

٢ - ورد عن الأئمة في أكثر من مورد ان هذا الأمر قد تأجل عدة مرات، عن الإمام الصادق عليه السلام في وصيته للاحول المعروف بمؤمن الطاق قال «فوالله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرات فاذعتموه فاخره الله..... وانتم قد قرب امركم فاخره الله....»<sup>(٢)</sup>، بمعنى ان هذا الأمر قد كان من المقرر له زمان معين لكن بسبب الاذاعة تم تأجيله ثلاث مرات، ومنه نستشف ان الموضوع كلما تم تاخيره إلى اجل ثاني لابد وان تجري عليه بعض الاضافات «وليس التغييرات»، فالعلامات الاساسية للموضوع ثابتة مهما تغير الموعد ومنها النداء والصيحة والخسف وقتل النفس الزكية التي تسميها الأحاديث بالمحتومات ولكن ربما نتيجة هذا التغيير في الموعد تجري بعض الاضافات على الموضوع اما من باب البدء او من باب النسخ والمنسوخ فتصدر أحاديث جديدة كلما جرى تغيير في الموعد تتناسب مع هذا التغيير، والراجح ان نوع الاضافات على الحدث لا يشمل المحتومات بل يشمل الفرعيات فمثلا كان من المقرر ان يظهر السفيناني وسلطان بني العباس قائم الا ان التغيير في موعد هذا الأمر نتيجة الاذاعة ادت إلى ان يجري البدء على هذا الموضوع فيمكن ان يخرج السفيناني في اخر الزمان وبني العباس غير موجودين مثلاً وهو لا يغير من مسار المحتومات شيء، فربما كان من المقرر ان يظهر السفيناني على ملك بني العباس الا ان اذاعة هذا الخبر احدث تغيير في الموعد سحب معه توقيت ظهور السفيناني نفسه وهلاك بني العباس انفسهم فجاء هولاء فانهى وجودهم ولم يخرج السفيناني في زمانهم لان السفيناني من المحتومات على خلاف تجدد ملك بني العباس فهو من الفرعيات، فهلاك بني العباس على يد السفيناني إذا لم تذيعوا الخبر اما وانكم قد اذعتموه فمن الممكن ان لا يخرج عليهم.

(١) الغيبة/ النعماني/ ٣٠٢ بحار الأنوار / ج ٥٢ / ٢٥٠

(٢) تحف العقول/ الحراني/ ٣٠٧ كذلك بحار الأنوار/ ج ٧٨ / ص ٢٨٦ - ٢٩٢

## المقام والمرتبة

المقام والمرتبة لفظتان وردتا في الأحاديث حالها حال الفاظ اخرى مثل «الدرجة - والمنزلة - والمكانة»، وتطلق عند الناس بدون اي ضابطة او مُحدد، ولا بد من نظرة اولية في مدلولهما، واستقصاء موارد هذه الألفاظ ليس امر هين وتحديد مفهومها بحاجة لنظر مستمر لذلك ساقصر على ملاحظات اولية.

اقول ابتداءً ان الاستعمال القرآني للفظة المقام هو الحد الفاصل في تمييزها عن بقية المفاهيم كما في قوله تعالى ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>، ويؤيده دعاء رجب «وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك وخلقك»<sup>(٤)</sup>.

وحسب الموارد القرآنية فالمقام هو اقصى ما يصل اليه المخلوق في كمالاته، فالمقام هو مبدأ كل شيء، فمن وصل إلى مبدأه وصل إلى مقامه، فاقصى ما تصل اليه هو مبدأك، فما يصله الرسول ﷺ هو المقام المحمود، وما يصله المؤمنون هو المقام الامين،

فمقام الشيء هو ترقيه في سلسلة الطول

ومرتبة الشيء هو ترقيه في سلسلة العرض

وبالنتيجة كل مقام يتكون من عدة مراتب، فحركتك من مقام إلى مقام حركة طولية، وحركتك في نفس المقام حركة رتبية من مرتبة إلى مرتبة، فقد تكون انت ومؤمن اخر في نفس المقام، إلا انك اعلى منه رتبة وهكذا، والمقام هو جهة المخلوق إلى ربه، والرتبة هي جهة المخلوق إلى مثله، فالأنبياء كلهم في مقام النبوة إلا انهم يتفاضلون بينهم بالرتب، لذلك قال ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾<sup>(٥)</sup>، فالترتيب لاهل نفس المقام بالمرتبة، وسيد ذلك المقام هو سيد

(١) الصافات / ١٦٤

(٢) الإسراء / ٧٩

(٣) الدخان / ٥١

(٤) مهج الدعوات / ابن طاووس / دعاء رجب

(٥) الإسراء / ٥٥

كل المراتب، والرسول ﷺ في مقام الأنبياء اعلاهم مرتبة، والذين من بعده من اولي العزم اقل من الرسول ﷺ مرتبة، وهم اعلى من بقية الأنبياء رتبة وهكذا، فانت لك جهتان جهة إلى ربك هي مقامك، وجهة إلى مثلك وهي مرتبتك، فالمقام لا يقاس إلا بنسبته لله، والمرتبة لا تقاس إلا بنسبتها لمخلوق مثلك، والخلق يمكن ان يتساوون او يختلفون في المقامات والرتب، اما آل محمد ﷺ فهم في كل مقام وكل رتبة اعلى من الكل، لان مقامهم جهتهم إلى الله هي اعلى جهة لا يدركها احد غيرهم، ورتبتهم هي جهتهم إلى المخلوقات وهم افضل المخلوقات كونهم لا يقاس بهم الناس، لذلك قال ﷺ في زيارة عاشوراء «لعن الله امة دفعتكم عن مقاماتكم وازالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها»، لانك حينما تقول انهم صلوات الله عليهم غير منصّبين من الله تكون قد دفعتهم عن مقامهم، وعندما تقول انهم مثل الناس تكون قد دفعتهم عن مراتبهم، وفي كلا الحالتين من يقول بذلك ملعون.

والمقام يعني ايضاً المكانة من النفس، والمرتبة تعني المكان بالقرب والبعد<sup>(١)</sup>، فإذا ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ «الشيعة جيرانني في الجنة»، او عبارة «انت في درجتي في الجنة»، او «انت معي في الجنة»، فهذا معناه قرب مكاني وليس قرب مكانة، فالمرتبة هي التي تحدد من هو الأول، ومن هو الثاني، ومن هو الثالث وهكذا، فالمرتبة هي افضلية في نفس المقام، اما المقام فهو الذي يحدد من هو الاقرب للنفس اي المكانة، فالمرتبة هو ما تحصل عليه عند سيرك في المقام.

المقام: حركة في نظام تصاعدي

المرتبة: حركة في نظام عرضي

المقام: هو حال العبد عند مولاه

الرتبة: حال العبد عند الخلق

(١) يقول السيد كاظم الرشتي «الرتبة هي مكان الاثر من مؤثره بالقرب والبعد» / جواهر الحكم / ج ١١ / ص ٥٣٩

## الغل

قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

عن ابي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ﴾ فصدق الله لم يكن الله ليجعل نبياً غالاً ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ومن غل شيئاً رآه يوم القيامة في النار ثم يكلف ان يدخل اليه فيخرجه من النار<sup>(٢)</sup>.

عندما يقرأ الإنسان هذه الآية الكريمة فانه يتصور بحكم التبادر الذهني وسياق الكلام ان المعنى هو ان الأنبياء من الممكن ان يصدر منهم غلّ وهذا الغل سيوافيهم يوم القيامة<sup>(٣)</sup>، الا ان في الحديث الشريف يوضح خلاف هذا التصور، اذ الآية تتكون من مقطعين، الأول: يخص الأنبياء وهو قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ﴾، والإمام عليه السلام في الحديث يؤكد عدم ظهور الغل من قبل الأنبياء، الثاني: قوله ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فهو يخص عامة الناس، فمن غل منهم رآه يوم القيامة في النار فيدخل اليها ويخرجه منها.

وهذا التركيب للآية الشريفة يؤكد الحديث الذي يقول ان بعض آيات القرآن الكريم بدايتها شيء ونهايتها شيء آخر.

عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألت ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كُنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم، «فقال لي يا جابر ان للقرآن بطناً وللبطن بطناً وظهراً وللظهر ظهراً، يا جابر وليس شيء أبعد عن عقول الرجال من تفسير القرآن ان الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل ينصرف على وجوه»<sup>(٤)</sup>

(١) آل عمران/ ١٦١

(٢) تفسير القمي/ ج ١/ ص ١٢٩ كذلك تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٢/ ص ١٢٨ ح ٣

(٣) عن ابي عبد الله عليه السلام «الغللول كل شيء غل من الإمام واكل مال اليتيم شبهة والسحت شبهة» تفسير البرهان/ البحراني/

ج ٢/ ص ١٢٨ ح ٢

(٤) تفسير العياشي/ ج ١/ ص ٢٣ ح ٨

## تراجمة الوحي

ورد في الزيارة الجامعة لمقامات وفضائل آل محمد عليهم السلام، قوله عليه السلام «وخزنة لعلمه ومستودعاً لحكمته وتراجمة لوحيه»، فما هي دلالة الترجمة هنا؟

الترجمة كما هو المتعارف عليه عند البشر هي نقل الكلام حرفياً أو بالمعنى من لغة لاخرى لتوضيح مُراد المتكلم وافهام السامع، او هي نقل معنى الكلام من لغة لاخرى.

اما الترجمة بالمعنى الالهي فهي اخذ الفيض من العالي و اظهاره للداني بما يتحملة الداني، فلا يظهر فيض العالي بالمباشر بل يظهر من خلال المترجم، وكل عملية ترجمة تقتضي وجود ثلاث جهات.

الأولى: صاحب النص الذي نُريد ان نعرف مقصده من الكلام ونرمز له «ا».

والثاني: المترجم ونرمز له «ب».

والثالث: المُترجم له ونرمز له «ج».

وفي الترجمة بين البشر يكون عادة «ا» و «ج» لا يعرف احدهما لغة الاخر، فيحتاجون إلى المترجم «ب» لكي يُترجم من وإلى الطرفين معنى كلامهم، وبالتالي فان «ب» او المترجم من هذه الناحية افضل من «ا» ومن «ج» لانه يعرف كلا اللغتين سواء نقلها بشكل حرفي او بالمعنى.

اما الترجمة بالمعنى الالهي فليست هكذا لان «ا» هو المصدر ويعرف حاجة «ج»، وبما ان «ج» قابلياته محدودة و «ا» قابلياته مُطلقة لذلك اقتضت الحكمة ان يكون «ب» واسطة بين المطلق والمحدود، لان «ا» المطلق لا يتكلم مع الداني، بل يتكلم مع «ب» الذي هو الراقى، والراقى يوصل للداني مراد المطلق، ويبقى «ب» هو الوحيد الذي يعرف مُراد «ا» اما «ج» فيأخذ معنى من معاني الكلام حسب قابليته وحسب استعداده، لذلك يقوم «ب» بترجمة معنى من معاني مراد المتكلم إلى «ج» لان «ج» لا يتحمل كل المعاني، ومن هنا قال آل محمد عليهم السلام «ان لنا في كل لفظ سبعون وجهاً»<sup>(١)</sup>، لانهم ادري بمراد الله، فالله لا يظهر لمخلوقاته بذاته بل يظهر لهم بخلقه، وخلقه هم نوره، لان الداني لا يتحمل العالي بذاته بل بصورته حسب مقامه،

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال «أني لأتكلّم على سبعين وجهاً لي في كلها تخريجة» مختصر البصائر.

فالمترجم يأخذ من المبدأ الأعلى ويجعله صالحاً لقبالية الأدنى.

وآل محمد ﷺ مقامهم الترجماني هو مقام الواسطة والوسيلة، وترجمتهم لمُراد الله لا يقتصر على الكلام فقط بل هم تراجمة لفعل الله ولصفاته واسمائه، لذلك يستطيعون تفهيم العالم والجاهل لهذه الخصيصة، كما ان الماء واحد لكنه عندما يصل إلى الأرض يدخل في عدة انظمة نباتية وبيئية وحياتية فيظهر في كال نظام حسب طبيعة ذلك النظام.

وعلى المعنى العام كل واسطة بين العالي والداني هو ترجمان، وبهذا يكون المترجم يعرف عن العالي اشياء لا يعرفها الداني، ويضل الداني بحاجة للمترجم لمعرفة قصد العالي، والترجمة التي نعنيها هنا هي معرفة القصد.

والسؤال هنا هل المترجم ينقل بلغة واحدة ام بعدة لغات على اعتبار ان لغات الخلق كثيرة؟ هذا ما ستجيبنا عليه الأحاديث التالية:

عن المفضل عن الإمام الصادق عليه السلام قال «ان الوحي ينزل من عند الله عزّ وجلّ بالعربية فإذا أتى نبياً من الأنبياء اتاه بلسان قومه»<sup>(١)</sup>.

اي ان لغة الوحي هي العربية ثم يُترجم من اللغة العربية إلى لغات اقوام الأنبياء ﷺ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﷻ<sup>(٢)</sup>، وموضوع الترجمة له تسمية قرآنية وهو قوله ﷻ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﷻ<sup>(٣)</sup>.

عن ابي الصلت الهروي قال: كان الرضا عليه السلام يكلم الناس بلغاتهم، وكان والله افصح الناس واعلمهم بكل لسان ولغة، فقلت له يوما: يابن رسول الله ﷺ إنني لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها، فقال «يا ابا الصلت، أنا حُجَّةُ الله على خلقه، وما كان الله ليتخذ حُجَّةً على قوم وهو لا يعرف لغاتهم، اما بلغك ما قال أمير المؤمنين عليه السلام وأوتينا فصل الخطاب، فهل فصل الخطاب إلا معرفة اللغات»<sup>(٤)</sup>.

إذا اللغة الام هي العربية وكل النصوص ترجع اليها ولكن الله يخاطب كل قوم بلسانهم، إذا هناك قراءة باللغة العربية لكل الكتب السماوية يعرفها من امتلك فصل الخطاب وكل الكتب السماوية الموجودة حالياً مترجمة عن العربية بواسطة الوحي.

(١) قصص الأنبياء/ الراوندي/ ص ٢٧٨

(٢) إبراهيم/ ٤

(٣) ص/ ٢٠

(٤) عيون اخبار الرضا/ ج٢/ باب ٥٤/ ح٣/ ص ٢٥١

عن النبي ﷺ «ان الرجل الاعجمي من امتي ليقراً القرآن بعجمة فترفعه الملائكة على عربيته»<sup>(١)</sup>، وعن رسول الله ﷺ «ان سين بلال عند الله شين»<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا فلا تستغرب إذا عرفت ان هناك جملة من النصوص المقدسة كانت متداولة في الديانات السابقة وقد ذكرها آل محمد ﷺ في كلامهم على شكل ادعية ومناجاة لانهم يمتلكون فصل الخطاب.

عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عن ابيه الباقر عليهما السلام قال «ما انزل الله تبارك وتعالى كتاباً ولا وحيّاً إلا بالعربية، فكان يقع في مسامع الأنبياء باللسنة قومهم، وكان يقع في مسامع نبينا ﷺ بالعربية، فإذا كلم به قومه كلمهم بالعربية فيقع في مسامعهم بلسانهم، وكل احد لا يخاطب رسول الله ﷺ باي لسان خاطبه إلا وقع في مسامعه بالعربية كل ذلك يترجم جبرئيل ﷺ له وعنه تشريفاً من الله عز وجل»<sup>(٣)</sup>.

ولعل هذا يذكرنا بالنداء الذي سينادي به جبرئيل ﷺ ليلة الثالث والعشرون من شهر رمضان قبل ظهور الإمام المهدي ﷺ حيث سيسمعه كل قوم بلغتهم<sup>(٤)</sup>، فالنداء بالعربية لانه كلام الوحي ويترجم إلى كل الناس حسب لغاتهم، ومن هنا فان الإمام المهدي ﷺ كرسول الله ﷺ ستظهر مُعجزة امتلاكهم «فصل الخطاب» عند ظهوره، فهو يتكلم بالعربية ولكن كل اهل لغة يسمعونه بلسانهم، وهي من ابين حُجج الله على خلقه في تلك الايام، فلا احد يدعي معرفة كل اللغات الا هم صلوات الله عليهم.

(١) الكافي/ ج٢/ ص ٦١٩

(٢) عدة الداعي/ ص ٢٧

(٣) علل الشرائع/ الصدوق/ ج١/ ص ١٢٦

(٤) عن أبي عبد الله ﷺ قال «لا يخرج القائم حتى ينادى بأسمه في جوف السماء ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان ليلة

الجمعة» معجم أحاديث الإمام المهدي/ ج٣/ ص ٤٧٢/ ح ١٠٣٦

## استغفار المعصوم عليه السلام

ورد في دعاء كميل «اللهم اغفر لي كل ذنب اذنبته كل خطيئة اخطأتها.....اللهم لا اجد لذنوبي غافراً ولا لقبائحي ساتراً ولا شيء من عمل القبيح بالحسن مبدلاً غيرك لا إله إلا انت سبحانك وبحمدك ظلمت نفسي وتجرات بجهلي.....» والادعية بهذا المعنى كثيرة وخصوصاً في الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين (عليه السلام).

وجُملة الادعية الواردة عن ائمة أهل البيت (عليهم السلام) مشحونة بالاستغفار والتوسل وطلب المغفرة وطلب محو الذنوب مما يدعون البعض للتساؤل، اليس الأئمة معصومين ومبرئين من الذنوب ولا يصدر منهم إلا الخير؟ فكيف يطلبون المغفرة ويتوسلون بالله لمحو ذوبهم؟ الا يتنافى هذا مع عصمتهم؟

قد اختلفت الاراء حول بيان هذا الموضوع ويمكن النظر اليه من خلال النقاط التالية:

١ - البعض يعتقد ان المعصوم (عليه السلام) ليس له ذنب ولكن هذه طريقة يتعمدها في ادعيته لكي يُعلم الناس كيف يدعون ويستغفرون ويتوسلون بالله، فتكون هكذا ادعية لا تمثل لسان حال المعصوم (عليه السلام) بل هو طريقة لتعليم المؤمنين وعموم الرعية.

٢ - اخرون يعتقدون ان هذه الطريقة هي فعلاً لسان حال المعصوم (عليه السلام)، لا لانه اذنب بل لانه يرى نفسه اليوم اكثر تكاملاً من الامس، لذلك هو يستغفر اليوم لحاله الذي كان عليه بالامس وهكذا دواليك، وأصحاب هذا الرأي يعتقدون ان المعصوم (عليه السلام) يتكامل على مر الايام، وسنجيب عن هذا الموضوع في نقطة لاحقة.

٣ - الأحاديث تشير ان هذا الاستغفار والتوسل هو لسان حال المعصوم نفسه إلا انه لا يطلبه لنفسه بل معناه على الباطن استغفار لشيئته، فعبارة مثل «اغفر لي ذنبي» اي اغفر لشيئتي ذنوبهم، كما قال الله عن الكعبة بانها «بيتي» والله ليس له بيت يحويه إلا انها نُسبت اليه تشريفاً، والكعبة لا تمثل ذات الله، بل هي جهة التوجه اليه، فمن اساء لها اساء إلى الله، ومن كرمها كرم الله، وكذلك الإمام (عليه السلام) قال عنه «ذنبي» لان الشيعة منسوبين اليه كما يُنسب الثوب لصاحبه ويقول هذا ثوبي، وثوبه لا يمثل ذاته بل هو ظاهره، وهذا المعنى ورد في عدة أحاديث كون «قلوب الشيعة خلقت من فاضل طينتهم او ان الشيعة سموا شيعي لانهم من شعاع آل محمد (عليه السلام)»،



فالشيعية بهذا المعنى هم ظاهر الإمام عليه السلام، فتتظيف الثوب لا يدل على وساخة الذات، فطلب المغفرة من قبل المعصوم لشيعته اشبه بتنظيف الثوب الظاهر، والثوب ليس هو صاحب الثوب، ويؤيده الحديث التالي.

عن ابي الحسن الثالث عليه السلام انه سُئِلَ عن قوله عزّ وجلّ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ ١ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ٢ (١)، فقال عليه السلام «وأي ذنب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله مُتَقَدِّمًا او مُتَأَخَّرًا؟ وإنما حمّله الله ذنوب شيعة علي عليه السلام من مضى منهم ومن بقي ثم غفرها له» (٢).

والحديث واضح الدلالة ولا يحتاج إلى مزيد بيان، فهم صلوات الله عليهم يتحملون ذنوب شيعتهم لانهم منسويين اليهم كما ترى في الشرع وفي الحياة إذا ضمن شخص دين شخص اخر وجب عليه ايفاءه، فهم عليه السلام ينسبون تلك المعاصي إلى انفسهم كما ينسب الضامن الدين لنفسه، فهو ضامن لشيعه علي عليه السلام ان يغفر لهم ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر، فيستغفرون ويبيكون ويتضرعون لله عزّ وجلّ وهو مُقتضى كرمهم صلوات الله عليهم ومقام شفاعتهم للمذنبين من الشيعة.

٤ - النقطة الثالثة اعلاه هي اصل الموضوع بدلالة الحديث، ويمكن ان نضيف نقطة اخرى بدلالة حديث اخر، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يدعوا لعلي عليه السلام بان لا يُسيهه الله شيء، فقال أمير المؤمنين عليه السلام اتخاف عليّ النسيان يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال «لا» ولكني احب ان ادعوا لك «نقلت الحديث بالمعنى»، ومن هذا الحديث المبارك يمكن القول بل هو الاكيد ان المعصوم عليه السلام لا يُذنب ولا يُخطأ ولا يسهو ومع ذلك هو دائم الدعاء والاستغفار لانه «يحب ذلك».

٥ - الأحاديث تبين معاني اخرى لاستغفار المعصومين عليه السلام فعلى الرغم من كمالهم هم يدركون ان طاعة الله على الكلية لا يدركها احد كما ورد الإمام الصادق عليه السلام قوله «علم الله عزّ وجلّ الا يقوم احد من خلقه بحقه»

٦ - الحديث التالي يبين بما لا يقبل الشك ان المعصوم لا يذنب لقوله «فلا تذهبن بك المذاهب» من حديث للإمام ابي جعفر عليه السلام مع حمران في احوال الأئمة المعصومين عليه السلام قال «.... وما كان الذي اصابهم ذلك يا حمران لذنب اقترفوه ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ولكن لمنازل وكرامة اراد ان يبلغوها فلا تذهبن بك المذاهب» (٣)، فالاستغفار هو لطلب تلك المنازل وليس لذنب اقترفوه.

(١) الفتح/ ٢١

(٢) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٧/ ص ٢٣٦/ ح ٨

(٣) اصول الكافي: كتاب الحجّة: ٤/٢٦/١

٧ - نحن القاصرين لا نُدرك ما يدركونه ﷺ عندما يذكرون جلال الله سبحانه، والمؤمن العادي الصالح المُطيع المُؤدب حتى وان لم يكن له ذنب ولا عيب ووقف أمام خالقه او أمام المعصوم ﷺ لا بد وانه يرى في نفسه القصور في حضرتهم وهذا من كمال التادب، وهم صلوات الله عليهم عندما يقفون أمام الله يستغفرون وان لم يكن لهم اي ذنب وهو مقتضى تأدبهم مع الله عزّ وجلّ وهو قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>

٨ - كل مخلوق دون الله عزّ وجلّ مُركّب، ولا بسيط على الحقيقة بمعنى عدم التركيب إلا الله، لان الله هو الصمد الذي ليس له جزء، وكل مخلوق دونه حادث مُركّب من جهتين، وهم صلوات الله عليهم لهم جهتين، جهة إلى ربهم وهي الجهة التي عرف الله له نفسه بهم لهم كما ورد في الحديث «تجلى لها بها»، وهي المعنية بقول أمير المؤمنين ﷺ «فالقى في هويتها مثاله فاصدر عنها افعاله»، وجهة ثانية إلى انفسهم وهي جهة عبوديتهم لله، ووما لا شك فيه ان جهة الرب اعلى من جهة العبد، والمعصوم ﷺ في مقام جهته إلى نفسه يُدرك ذلك الفرق، فيقول كما ورد عن رسول الله ﷺ «ما عرفناك حق معرفتك» وقوله ﷺ «ما عبدناك حق عبادتك» فاستعغارهم من هذا الباب كون جهتهم إلى انفسهم ادنى من جهتهم إلى ربهم وهو واضح ان شاء الله.

٩ - عقيدتي ان المعصوم ﷺ يولد كاملاً، دليله الأحاديث المتظافرة التي تشرح احوال المعصوم ﷺ منذ ايام نطفته، كونه من نطفة مُنعقدة من ماء سماوي، وانه يقرأ القرآن وهو في بطن امه، وانه يولد ساجد، وغيرها من الاحوال الخاصة التي ذكرتها المرويات والتي تدل على كماله.

فالاشكال ليس في المعصوم نفسه بل في نظرنا اليه، فالمعصوم يولد كاملاً ولكننا لا ندرك كماله لقصور قابلياتنا، ومن هنا كانت الابتلاءات والمحن الجارية عليه سبباً في اظهار وكشف كمالته، فيضمن الناس انه يتكامل وهو في الحقيقة في حالة اظهار لكمالته، كما ان كربلاء لم تكامل زينب ﷺ ولكنها كانت سبباً في اظهار كمالاتها، فكيف اعرف ان زينب ﷺ كاملة الصبر الا من خلال كربلاء، فهي ذات صبر كامل لكن هذا الصبر لم يظهر إلا في كربلاء فكربلاء كاشفة لكمالات زينب ﷺ، لذلك لولا بلائهم لم نعرف كمالاتهم.

ومن هنا التبس الأمر على البعض وظن ان المعصوم ﷺ في حالة تكامل، والحق اننا ناقصين لا نرى كمال المعصوم ﷺ، ونقصنا هذا يجعلنا لا نفهم كمالهم الا ببلائهم، فهم يُظهرون الكمال ونحن نقول انهم يتكاملون، والفرق كبير بين الموضوعين.

١٠- ربما ستقول ان الحديث واضح كونهم ﷺ في كل ليلة جمعة يزدونكما ورد عنهم ﷺ «نحن في كل ليلة جمعة نزاد ولولا اننا نزاد لنفد ما عندنا»، وهذا الحديث المبارك وامثاله هو الذي دفع البعض للقول بانهم في حالة تكامل لان الزيادة اليوم تقتضي النقص بالامس، والذي افهمه ان هذا توهم عند البعض فهذه ليست زيادة في ذواتهم فهم في ذواتهم كاملين بل هي زيادة لحاجة الخلق اليها كون ارزاق واجال ومصالح العباد تجري على ايديهم، فالذي نزل عليهم ليلة الجمعة هم يعرفونه لانه جزء مما نزل عليهم في ليلة القدر، إلا ان نزوله عليهم هنا للتففيذ، فهم يعلمون كل شيء وينتظرون اذن الله في اجراءه وهو الذي يسميه الحديث زيادة وهي مصداق قوله تعالى ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وهو الذي عبر عنه حديث اخر كونه اشرف علومهم «قلت: جعلت فداك فأى شيء هو العلم؟ قال: «ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

فالزيادة هنا هو ما يحتاجه الناس وليس ما تحتاجه ذات المعصوم ﷺ، فلو ان هناك رجل كامل عاقل حكيم يعطيه الله كل شهر الف دينار يوزعها على الفقراء فإذا انقطع عنه المال لا ينقص من ذات هذا الرجل شيء لان ذاته كاملة الا ان الاموال نفذت منه فهو يحتاج من الله الزيادة لتمشييه امور العباد فهو في كل شهر يُزاد ولولا انه يُزاد لنفد ما عنده.

ويمكن ان نستدل على ان الزيادة ليست لذواتهم بل للخلق من خلال دليل الحكمة، ففي الحكمة كل شيء له مقامان ذاتي وعرضي، فالذاتي هو نسبة الشيء إلى نفسه، والعرضي هو نسبة الشيء إلى غيره، وكذلك الحال مع آل محمد صلوات الله عليهم فلهم مقامان ذاتي وعرضي، فمقامهم الذاتي بالنسبة لانفسهم كامل لانهم حجة الله على خلقه ولا يمكن بالحكمة ان يجعل الله حجة على خلقه غير كامل، اما مقامهم العرضي فهو مقامهم بالنسبة للخلق، والخلق ناقصين يحتاجون إلى مدد وتكميل، ومن هنا كانت الزيادة لمقامهم العرض لحاجة الخلق وليس لمقامهم الذاتي فهم بمقامهم الذاتي يعلمون ما كان وما يكون<sup>(٣)</sup>

(١) الأنبياء/٢٧ - ٢٧

(٢) بصائر الدرجات/الصفار/ج٣/باب ١٤/ح٣

(٣) يمكن ان اضرب لك مثلا للتوضيح والامثال كما يقولون تقرب من جهة وتبعد من جهة، فانت مثلا لو كنت في يوم من الايام مديرا لاحد المؤسسات فكونك انسان صاحب شهادة وعلم وتعرف قوانين هذه المؤسسة فهذا مقامك الذاتي، اما مجموعة الاوامر والتعليمات التي ترد عليك من جهة عليا لادارة هذه المؤسسة فهي مقام عرضي انت تقوم به لادارة المؤسسة من خلالك

## السنة الدهرية

عن أبي عبد الله ﷺ من حديث طويل قال «..... ان الله عزّ وجلّ لما خلق النور خلقه يوم الجمعة في تقديره في اول يوم من شهر رمضان، وخلق الظلمة يوم الاربعاء يوم عاشوراء في مثل ذلك اليوم يوم العاشر من شهر محرم في تقديره وجعل لكل منهما شريعة ومنهاجا....»<sup>(١)</sup>.

هذه التسميات للشهر والايام ليست هي اشهرنا وایامنا الزمانية، بل هي الاشهر والايام الدهرية التي كانت في بدء التكوين والتي كل يوم منها بالف سنة مما تعدون ﷻ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﷻ<sup>(٢)</sup>، بدليل قوله «لما خلق النور»، والنور لم يُخلق في عالمنا الأرضي الزماني، بل خُلِقَ في النظام الدهري قبل هذه الدنيا، لذلك عقب بعدها الحديث بعبارة «في تقديره» اي اول الخلق والتقدير، والحديث يُعطينا اشارة عن الفارق الزمني الكبير بين الأحداث في النظام الدهري، لان كل يوم في النظام الدهري هو بالف سنة من سنين الزمان، فإذا كانت السنة في الزمان «٣٦٠» يوماً<sup>(٣)</sup> فالسنة في النظام الدهري «٣٦٠٠٠٠» سنة زمانية، والشهر في النظام الدهري «٣٠٠٠٠» سنة زمانية. كما يقول الإمام الرضا ﷺ «.... وقد علم ذووا الالباب ان الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما هي هنا...»<sup>(٤)</sup>.

وأحاديث آل محمد ﷺ تقول ان السنة تبدأ بشهر رمضان عن رسول الله ﷺ «رمضان قلب السنة فإذا سلم رمضان سلمت السنة كلها»<sup>(٥)</sup>، وعن أمير المؤمنين ﷺ «ان اول كل سنة اول يوم من شهر رمضان»<sup>(٦)</sup>، وقوله ﷺ «وراس السنة شهر رمضان»<sup>(٧)</sup>. عن أمير المؤمنين ﷺ من خطبة له قال «..... رجب شهر ذكر، رمضان تمام السنين، شوال يشال فيه امر القوم، ذو القعدة يقعدون فيه، ذو الحجة الفتح من اول العشر....»<sup>(٨)</sup>

(١) مصباح المتعجد/ ص ٧٨٢

(٢) الحج/ ٤٧

(٣) السنة حاليا ٣٦٥ يوم وذكرنا ٣٦٠ للتقريب ليس اكثر

(٤) عيون اخبار الرضا/ ج ١/ باب ١٢/ ح ١

(٥) الملاحم والفتن/ ابن طاووس/ باب ٩/ ص ١٤٥

(٦) وسائل الشيعة ج ٣

(٧) التهذيب/ ج ١

(٨) مصباح البلاغة «مستدرک نهج البلاغة» للمير جهاني ٣٦٣/٢ الحديث ١١٢/٢١٩ نقلا عن كنز العمال للمتقي الهندي

الحديث ٣٩٦٧٩

وهو على خلاف ما هو معمول به حالياً اذ تبدأ السنة عند المسلمين في شهر محرم، وبما ان الحديث مورد الكلام يقول ان الله خلق النور في شهر رمضان، فالنظام التقويمي النوري يبدأ من رمضان في الدهر وفي الزمان لان «ما هناك لا يكون إلا بما هي هنا»، والحديث يذكر ان الله خلق الظلمة في عاشوراء اي في محرم، فهذا معناه ان النظام المعمول به حالياً ببداية السنة من شهر محرم هو نظام ظلماني، والمستشف انه عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام سيعيد التقويم إلى النظام النوراني اي تبدأ السنة في شهر رمضان يوم الجمعة بالذات.

ولو اجرينا عملية حسابية بسيطة سنجد ان الشهور تترتب كالتالي «رمضان - شوال - ذي القعدة - ذي الحجة - محرم.....» فيكون الفارق الزمني بين خلق النور والظلمة هو «اربعة اشهر وعشرة ايام»، فإذا فرضنا ان كل شهر «٣٠» يوم يكون الفرق «١٣٠» يوم بقياساتنا الزمانية، اما بالقياس الدهري فهي «١٣٠٠٠٠» سنة، اما لماذا خلق الظلام في العاشر من محرم، فلم اجد له قرينة إلا بالقول انه هو نفسه ذلك اليوم الدهري الذي قتل فيه الإمام الحسين عليه السلام في ذلك العالم قبل عالمنا الزماني<sup>(١)</sup>، والله لم يخلق الظلمة بذاته بل هي نتاج فعل مخلوقاته، والراجح حسب هذا التصور ان الحوادث التي جرت في عالم الدهر تعاد نفسها في عالم الزمان في نفس التاريخ، ومنها حادثة يوم الغدير التي حدثت في الثامن عشر من ذي الحجة فيجب ان تكون حدثت في الثامن عشر من ذي الحجة في العالم الدهر، والراجح ايضاً انه نفس اليوم الذي سجدت فيه الملائكة لآدم عليه السلام في سنة دهريه اخرى، وقس كل الحوادث المهمة على هذا التصور حرفاً بحرف فحادثة الغدير الدهرية حدثت في العالم النوري قبل خلق الظلام، ويؤيده قوله تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>، لاحظ ان هذا النظام معمول به من يوم خلق الله السماوات والأرض.

ويمكن ان نستفاد من هذا الحديث المبارك في النظر لحديث اخر وهو حديث خلق العقل والجهل عن أبي عبد الله عليه السلام «ان الله عز وجل خلق العقل وهو اول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي، قال: ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانيا فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له أقبل فلم يقبل، فقال له: استكبرت، فلعنه»<sup>(٣)</sup>

(١) راجع كتاب «كربلاء في العوالم» للمؤلف

(٢) التوبة / ٣٦

(٣) اصول الكافي / كتاب العقل والجهل / ح / ١٤

فالإدانة «ثم» في الحديث التي تفيد التتابع وقد يرى البعض من خلالهما ان الله خلق الجهل بعد العقل مباشرة، والحق ان بينهما فترة زمنية طويلة كالفترة الفارقة بين خلق النور والظلمة لان الجهل ابن الظلمة.

## كلام ذوقي في آيات سورة التكوير

قوله تعالى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ • وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ • وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ • وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ • وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ • وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ • وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ • وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيِّلَتْ • بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ • وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ • وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ • وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ • وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾<sup>(١)</sup>.

اعتقد والله العالم ان هذه الآيات المباركات تذكر احداث لا تخص يوم القيامة النهائي بل هي واصفة لاحداث وعلامات القيامة الصغرى «قيامه الرجعة»، فهي واصفة لجُملة من احداث الرجعة، وقد يعتقد البعض ان هذه الأحداث يجب ان تترتب زمنياً بشكل تصاعدي فتكون كل فقرة سابقة تاتي بعدها اللاحقة مباشرة زمنياً، اي إذا حدثت علامة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يجب بالضرورة ان تأتي بعدها علامة ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾، ثم تاتي بعدها بالضرورة ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ وهكذا، وهذا الرأي وان كان فيه وجهة كبيرة إلا انه يمكن القول ان المتلقي للنص غير مُلزم بالنظر اليه بهذا الشكل ما دام هو شارح لاحوال يوم من ايام الله المرجوه وهو يوم الرجعة، فهناك الكثير من احداث الدنيا وردت في روايات المعصومين عن اخر الزمان فيها جملة من الأحداث ليس بالضرورة ان تقع كلها حسب تسلسلها في الحديث الواحد، وخصوصا ان الأحداث التي تذكرها سورة التكوير لا يفصل بينهما بالاداة «ثم» حتى نقول عنها انها يجب ان تكون متتابعة ومتسلسلة، لان «ثم» تفيد الترتيب والتتابع كما تقول «ذهب إلى السوق ثم إلى المدرسة ثم إلى البيت»، فيكون لك بهذا الشكل خط سير مُرتب زمنياً فلا يمكن حسب كلامك ان تذهب إلى البيت قبل السوق، فالاداة «ثم» حددت ترتيب الأحداث، اما آيات سورة التكوير فقد فصلت بينها الاداة «اذا» والتي اعتقد انها لا تشير إلى الترتيب بقدر ما تشير إلى حتمية الوقوع.

ولكن يمكن وضع تسلسل إذا نظرنا للحدث الكلي من خلال ربط الاجزاء، ومع ذلك ساحاول الشرح حسب التسلسل الموجود في نص الآيات المباركة حسب ترتيبها املاً بالحصول على ترتيب منطقي ينسجم مع احداث الرجعة.

١- ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: رجوع شمس الحقيقة المحمدية ﷺ لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾<sup>(١)</sup> وقد ذهب البعض إلى ان لفظة «كورت» هو ذهاب نورها وهو غير صحيح<sup>(٢)</sup> لقوله تعالى ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾<sup>(٣)</sup>، اي بمعنى يرد اوله على اخره ويمسك اخره باطراف اوله والعكس صحيح فالشمس إذا كورت يرد اولها اخرها، وبما ان المرويات تذكر ان لفظة الشمس دالة على شخص الرسول الكريم ﷺ فيكون معنى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ هو رجوع رسول الله ﷺ في احداث الرجعة، فهو الأول ظهوراً من المعصومين ﷺ في الزمان والاخر رجوعاً منهم في الرجعة، لان العلة الغائية دائماً مقدمة وجوداً ومؤخرة ظهوراً، كما كان صلوات الله عليه هو الأول تكويناً في الأنبياء واخرهم ظهوراً، يشهد بها قوله ﷺ «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»، فتكون عملية رجوعه ﷺ هي «تكوير» لانطباق الأول على الاخر والظاهر على الباطن.

٢- ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾: النجوم على الباطن هم المعصومين ﷺ والعبارة دالة على رجوعهم في الرجعة.

يقول الراغب في المفردات: الكدر ضد الصفاء يقال عيش كدر، والكدرة في اللون خاصة، والكدورة في الماء وفي العيش خاصة، والانكدار تغير من انتشار الشيء قال ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ وانكدر القوم على كذا إذا قصدوا متناثرين عليه.

لاحظ قوله ان الانكدار هو تغير من انتشار الشيء او التناثر، والأئمة ﷺ في الرجعة لا يرجعون حسب تسلسلهم الظهوري في الحياة الدنيا فالمعروف ان ظهورهم في الدنيا جاء كالتالي «الرسول الكريم ثم الإمام علي ثم الإمام الحسن ثم الإمام الحسين ثم التسعة المعصومين من صلب الحسين تاسعهم اخرهم قائمهم» صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، اما في الرجعة فيكون الظهور الأول للإمام الحسين ﷺ ولقول أبي عبد الله ﷺ «أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي ﷺ»<sup>(٤)</sup>، ثم يرجع أمير المؤمنين ﷺ وله عدة رجعات ثم بقية الأئمة

(١) القصص/٨٥

عن أبي عبد الله ﷺ في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، قال «نبيكم ﷺ راجع إليكم». تفسير البرهان/

البحراني/ ج ٦ / ص ١٠١ / ح ٦

(٢) قال الراغب في المفردات: كور: كور الشيء ادارته وضم بعضه إلى بعض ككور العمامة

(٣) الزمر/ ٥

(٤) الايقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ١٠ / ح ١٠٩ / ص ٣٥٩.



ولا اعرف بالضبط تسلسل رجعتهم، ثم تُختم الرجعات برجوع رسول الله ﷺ، وبهذا يكون رجوعهم ليس حسب تسلسل ظهورهم او حسب افضليتهم بل يصح عليهم مفهوم «تغير من انتشار الشيء» او «التناثر» فيكون معنى ﴿وَإِذَا التُّجُومُ أَنْكَدَتْ﴾ اي رجوع الأئمة ليس حسب تسلسلهم متناثرين.

٣- ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: ذكرت في كتابي «نجم يتقلب في الآفاق» ان النظام الطبيعي والفلكي للأرض سيتغير من خلال حركات الجبال الستة المذكورة في القرآن الكريم ومنها «الدك والنسف والسير والرجف» وتكون حركة سير الجبال هي الممهدة لتغير الوضع الفلكي من السريع إلى البطيء «اللبوث».

٤- ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: تغير النظام الفلكي للأرض يستتبعه بالضرورة تغير في النظام المناخي والبيئي والزراعي تمهيدا لظهور بركات دولة العدل وهذه التغيرات بجملتها تقود إلى تغير في خواص الحيوانات الفسلجية والسلوكية محولة اياها من المتوحشات إلى الأليفات وقد ذكرت جملة من المرويات عن خواص دولة العدل ان الذئب يرعى مع الشاة والاسد ياكل التبن والجارية تفرّي الاسد والطفل يعلب مع الحنش والتي تدل على انقلاب نوعي في سلوك الحيوانات التي هي «العشار» وتعطيلها هو تعطيل نظامها السابق واستبداله بنظام جديد فقال ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾.

٥- ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: اعتقد ان هذا المُرْكَب القرآني يُشير إلى خروج يأجوج ومأجوج الذين سماهم هنا «الوحوش» وربطهم بلفظة «الحشر» لانهم يخرجون على شكل جماعي ولو تدبرت النصوص الروائية لوجدت ان عملية خروج يأجوج ومأجوج بعد احداث الرجعة بكثير<sup>(١)</sup>.

وربما يراد منه حشر الكفار، لان الناس في القيامة على صور اعمالهم فللمؤمن صورة انسانية تدخل الجنة، وللكافر صورة وحشية حيوانية تدخل النار، وسماهم وحوش من التوحش ازاء الانس من المأنوسية.

٦- ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: السجر هو تهيج النار. وقد ذكرت في كتابي «نجم يتقلب في الآفاق» ان الأرض عندما تلبث وتتوقف عن الحركة في اخر الزمان ستصبح جغرافيتها موزعة على اربعة اجزاء.

(١) لقد ناقشنا هذا الموضوع بشكل مفصل في كتابنا «ابام الله»

الأول : الجزء المواجه للشمس وهو منطقة النهار السرمد

الثاني: الجزء الذي عكس الشمس وهو منطقة الليل السرمد

الثالث: منطقة الغروب الدائم

الرابع: منطقة الفجر الدائم

والآية مورد الكلام ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ تشرح حال منطقة النهار السرمد التي ستلتهب وتغلي البحار فيها.

٧- ﴿وَإِذَا الْتُفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ وهي الرجعة بمعناها العام بان ترجع النفوس إلى الابدان، او بمعنى اخر هو زواج اهل الرجعة، فقد ذكرت المروييات ان المؤمن لا يموت الا إذا رأى بين عينيه الف ولد ذكر.

٨- ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيِّدَتْ﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ: الموءدة على الباطن هي الحسين عليه السلام والآية تمثل بدايات الحساب في الرجعة وسيكون الحساب على هذه «الموءدة» هو اول حساب في الرجعة لان هدف الرجعة الأول هو الاقتصاص من قتله الحسين عليه السلام لذلك كان شعار القائم عليه السلام «يا لثارات الحسين»

٩- ﴿وَإِذَا الْأُصْحُفُ نُشِرَتْ﴾: حساب الخلائق في الرجعة واعطاء كل ذي حق حقه بنشر صحف الاعمال والذي يُحاسب الخلق الإمام الحسين عليه السلام لقولهم عليه السلام «ان الذي يلي حساب الخلق في الرجعة الحسين بن علي اما في القيامة فهو بعث إلى الجنة او إلى النار»

١٠- ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾: استقرار النظام الفلكي نهائيا على وضع اللبوث فيظهر واقع فلكي جديد يمكن فيه رؤية ملكوت السماوات لان الرجعة نعيم ارضي بواقع سماوي فعبر عن هذا الواقع لسماوي بقوله ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾

١١- ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾: وهو جحيم منطقة النهار السرمد التي سيبقى فيها ماحضوا الكفر، وكما ترى ان هناك ترابط موضوعي بين قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ وقوله ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ باعتبار ان كلا الموضوعين سيحدثان في منطقة النهار السرمد لذلك اختلفت صيغ الأفعال المستخدمة لوصف كلا الحالتين في الأولى قال «سُجِّرَتْ» وفي الثانية قال «سُعِّرَتْ» لان الأولى ستنتهي بانتهاء وجود البحار فالبهار ستبخر كلياً فتبداء الحرارة ترتفع اكثر فاستعمل الفعل «سُعِّرَتْ» لانه كما نفهم اشد من «التسجير».

١٢- ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾: وهو ما يحدث في منطقة الغروب الدائم والفجر الدائم بظهور الجنتان المدهامتان.

ويعتقد العلامة النيلى ان ترتيب هذه الآيات ياتي بشكل متسلسل معكوس اي ان الأول تحققا هو قوله ﴿إِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾ والآخر تحققا هو ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ويشترط الترتيب الموجود في السياق لانه يعتقد ان هذه الأحداث مرتبة زمنيا ولكن ترتيبها في السورة معكوس لانه كان يظن ان الشمس هي هذا الجرم المعروف وان تكويرها هو نهاية الأحداث وهو غير صحيح لان انكدار النجوم هو نتيجة لتكوير الشمس على المعنى الذي يذهب اليه اهل التفسير فيكون انكدار النجوم قبل تكوير الشمس وهو غير صحيح إذا نظرنا للآيات بشكل معكوس من النهاية إلى البداية.

## علاقة الناس بالنبي والولي

عن الهيثم بن عمرو التميمي، قال: قال ابو عبد الله ﷺ «يا هيثم التميمي ان قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء، وجاء قوم من بعدهم فأمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيء، ولا ايمان ظاهر إلا بباطن، ولا باطن إلا بظاهر»<sup>(١)</sup>

الناس على الظاهر والباطن من جهة علاقتهم بالنبي ﷺ والولي ﷺ انواع ومشارب نرصد منهم الاقسام التالية:

**القسم الأول:** هم من آمن بالظاهر ولم يؤمن بالباطن، اقصد انهم امنوا بمشروع النبوة ولم يؤمنوا بمشروع الامامة، وهم اصناف فمنهم من امن بالرسول ﷺ وعنده الامامة امر لا يدخل في الدين الا من جهة اللفظ، فالإمام عندهم هو الذي يُصَلِّي بالناس، وهم عموم اهل السُنَّة الذين يقعون تحت قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ومنهم من امن بالرسول ﷺ وعادى الولي ونصب له العداة فهم النواصب وهم الذين يشملهم قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

**القسم الثاني:** وهم من آمن بالظاهر والباطن اي بمشروع الرسالة والامامة وهم مراتب اعلاهم واولهم «الراسخون في العلم» ثم الأنبياء ثم عموم الشيعة وحسب مراتبهم لقول الصادق ﷺ «شيعتنا مراتب».

**القسم الثالث:** وهم من امن بالباطن وترك الظاهر، اي امن بالولاية وترك النبوة وهؤلاء هم «عقلاء المجانين»، فهو عاقل لانه اقر بالولي، وهو مجنون لانه ترك النبي، وهم المشمولين بقوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(٤)</sup>

(١) مختصر البصائر/ باب في نوار مختلفة/ ح ٣/٢٤٦

(٢) النحل/ ١٠٨

(٣) المجادلة/ ٢٠

(٤) الكهف/ ١٠٣ - ١٠٤

القسم الرابع: وهم من امن بالظاهر والباطن اي بالنبي والولي الا انهم يستوحشون من بعض مقامات الولي الصعبة المستصعبة وهؤلاء هم «اهل الباطل من اهل الباطن».

القسم الخامس: وهم من امن بالظاهر والباطن اي بالنبي والولي الا انهم يعتقدون من طرف خفي ان مقامات الولي تُدرك وهم «جهال الحكماء»، فهم حكماء لانهم اقرؤا بمقامات الولي ولم ينكروا منها شيء، الا انهم جهال لانهم يتصورون ان هذه المقامات يدركها بعض البشر منهم.

## الموازين

الكثير من الناس يتصورون ان الحساب يوم القيامة هو عبارة عن حساب اعداد السيئات والحسنات، فمن كانت له عشرة حسنات وخمسة سيئات كعدد دخل الجنة، ومن كان له العكس دخل النار، ومن تساوت سيئاته مع حسناته كان من أصحاب الأعراف، والمعنى العام لهذا التصور هو الشائع، ولكن القرآن يُعطينا تصور اخر لهذا الموضوع من خلال لفظ «الموازين» كما في قوله ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(١)</sup>، فالحساب ليس حساب اعداد بل حساب وزن، لذلك قال تعالى ﴿لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٢)</sup> ولم يقل اكثر عملاً، فمدار الحساب على نوعية العمل وليس على كميته، فالميزان حساس بل واعى ويعرف قيمة كل عمل صغيراً كان او كبيراً، قليلاً او كثيراً، فقد توضع فيه حسنة واحدة بنوعية خاصة تطيش معها كل السيئات، وقد توضع سيئة بنوعية خاصة تحرق كل الحسنات وقد قال الرسول الكريم ﷺ «الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب».

ولفظة الموازين بصيغة الجمع تجعلني اذهب إلى ان هناك معنى عام وخاص، فالمعنى العام هو الوزن الكلي لكل اعمالك وهي النتيجة النهائية للحساب فهو ميزان كلي، والمعنى الخاص كون هناك عدة موازين كل له حيثية معينة ومنها.

١- ميزان العمل: وهو المعنى العام للميزان اذ توضع فيه الاعمال الحسنة والسيئة.

٢- ميزان الكمية: هناك شخص يمتلك مليون دينار وتصدق بدينار واحد، واخر له دينار وتصدق بدينار، فكلاهما تصدقا بنفس المبلغ، الا ان الأول كميته واحد على مليون، والاخر كميته واحد على واحد، فيكون ميزان الثاني اثقل من ناحية الكمية.

٣- ميزان الجهة: وهو الميزان الذي يحدد هل ان الجهة التي ارتكب من اجلها العمل مستحقة، فمثلا انت تتصدق ولكن ليس لجهة غير مستحقة كما ورد في الحديث «لا صدقة وذو رحم محتاج».

(١) الأنبياء/ ٤٧

(٢) الكهف/ ٧

٤- ميزان الكيفية: وهو الميزان الذي يزن هل ان العمل سري ام علني كما ورد في لحديث «الصدقة في السر تطفئ غضب الرب».

٥- ميزان الوقت: وهو الميزان الذي يقاس فيه زمن العمل، فمثلا التصديق في يوم المجاعة ليس كالتصدق في ايام اليسر ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾<sup>(١)</sup>

٦- ميزان النية: وهو من اخطر الموازين وعليه مدار كل العمل اذ يوزن فيه هل العمل لوجه الله ام هو رياء للناس ام هو عادة ام اضطرار وهكذا.

٧- ميزان الرتبة: وهو الميزان الذي يتم من خلاله وزن العمل قياساً برتبة صاحبه، فمثلاً من يترك صلاة الليل من عموم الناس لا يحاسب لانها اصلاً استحباباً لعامة الناس، اما خواص الناس فيحاسبون عليها لان رتبهم اعلى لذلك ورد في الحديث «حسنات الأبرار سيئات لمقربين».

٨- ميزان العقيدة: وهو ميزان خطير جداً وربما هو اخر الموازين، فالشيعة مثلاً تتساقط كل ذنوبه في هذا الميزان ان كانت عقيدته صحيحة كما ورد في الحديث «حب علي حسنة لا يضر معها سيئة».

١٠- ميزان الصورة: فكل عمل له صورته الخاصة فعمل الخير صورته النور، وعمل الشر صورته الظلام، والنتيجة النهائية لهذا الميزان هو تجسم الاعمال، فيكون شكل صاحب الاعمال هو نفس صورة اعماله.

وبصورة عامة موازين الدنيا تزن وتقيس شيء واحد، فمثلاً تقيس الثقل فقط، او الطول فقط، او الحرارة فقط، او القيمة فقط، اما موازين الآخرة فهي مفهوم يُعرف به كم الشيء و صفتة ونوعه وجنسه وجوهره وعرضه وحدوده وجهاته ويعلم به رجحانه من عدمه، وإذا اردت القول الفصيح فالميزان هو الولي.

## نظرة في أشكال التدين

موضوع التدين تاريخياً يسير باتجاه غاية عظمى ستفصح عن نفسها إذا عرفنا كيف نُفرِّق بين أنواع التدين، وفي رأيي التدين ثلاثة أنواع، «تدين طقسي» و«تدين عملي» و«تدين فكر وتأمل»، ويمكن ان اوجز الكلام في هذه الانواع حسب الجدول التالي.

تدين طقسي	تدين عملي	تدين فكر وتأمل
عبادات وشعائر	معاملات وعلاقات مع الناس «العلم يهتف بالعمل والا ارتحل»	تأمل وتفكر في الآيات الانفسية والآفاقية
تكليف ظاهري	تكليف عملي	تكليف فكري
موضوع دنيوي	موضوع دنيوي	موضوع دنيوي
يتغير في زمن القائم <small>عليه السلام</small> وينتهي عند دخولهم الجنة فيكون تكليفهم عين نعيمهم	يتغير في زمن القائم <small>عليه السلام</small> وينتهي عند دخولهم الجنة «يوم يغني الله كل من سعته»	هو الغاية في دولة العدل وفي الجنة «من عرف نفسه عرف ربه»



## مصر ومنبرها

عن عباية الاسدي قال: سمعت أمير المؤمنين صلى الله عليه واله وهو «مشتكي»<sup>(١)</sup> وأنا قائم عليه، «لابنين بمصر منبراً، ولانقضن دمشق حجراً حجراً، ولاخرجن اليهود والنصارى من كل كور العرب، ولاسوقن العرب بعصاي هذه». قال: قلت له: يا أمير المؤمنين كأنك تخبر انك تحيي بعدما تموت. قال «هيهات يا عباية ذهبت في غير مذهب يفعله رجل مني»<sup>(٢)</sup>.

عن الإمام علي عليه السلام «ويسير الصديق الاكبر براية الهدى والسيف ذو الفقار والمخصرة..... ثم يسير إلى مصر فيعلو منبره ويخطب الناس فتستبشر الأرض بالعدل»<sup>(٣)</sup>.

لقد اعتمد جملة من الباحثين على هذه الروايات وامثالها في اعلاء شأن مصر في احداث اخر الزمان، لانهم يفهمون منها ان الإمام المهدي عليه السلام سيبنى في مصر منبراً، وفهموا من لفظ المنبر انه سيكون لمصر دور اعلامي كبير في احداث الظهور.

ولو تابعت سياق الكلام في خطبة المخزون لرأيت ان المعني بها هو شخص الإمام علي عليه السلام لانه هو «الصديق الاكبر» اي هو الذي يسير إلى مصر فيعلوا منبره، واعتقد ان استنتاج الشيخ الصدوق صحيح كون الإمام علي عليه السلام اتقى عباية كما في الحديث الأول لان عباية وامثاله لا يتحملون موضوع الرجعة، لان اجواء كلا الحديثين لا تشيران إلى حدث سيقع قبل القائم عليه السلام ولا حتى بعده بقليل بل كلا الحديثين يتحدثان عن احداث ستجري في زمن رجعة الإمام علي عليه السلام وهي بعد القائم عليه السلام بكثير.

والمتابع للأحاديث من مصادرها سيجد ان اقدم رواية لموضوع منبر مصر في كتاب معاني الاخبار للصدوق ولكن فيها عبارة تقلب ما يذهب اليه البعض رأساً على عقب.

(١) لعل اللفظة هي «متكى» من الاتكاء، وتؤيده العبارة التي تليها «وانا قائم عليه»، وفي مكيا المكارم ١/ ورد ١٤٦د بلفظ «وهو مشتكي»

(٢) بحار الأنوار/ ج ٥٣/ ح ٤٧/ ص ٥٩ - ٦٠

ويذكر المجلسي قول الصدوق عن الحديث، قال الصدوق ان أمير المؤمنين عليه السلام اتقى عباية الاسدي في هذا الحديث واتقى ابن الكواء في الحديث الأول لانهما كانا غير محتملين لاسرار ال محمد عليه السلام

(٣) خطبة المخزون لأمر المؤمنين عليه السلام

عن عباية الاسدي، قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو «مسجل»<sup>(١)</sup> وأنا قائم عليه «لأتين مصر مبيرا، ولانقضن دمشق حجراً حجراً، ولاخرجن اليهود والنصارى من كل كور العرب، ولاسوقن العرب بعصاي هذه». قال: قلت له: يا أمير المؤمنين كأنك تخبرنا أنك تحيي بعد موت، فقال «هيهات يا عباية ذهبت في غير مذهب يعقله»<sup>(٢)</sup> رجل مني»<sup>(٣)</sup>.

وكما تلاحظ الفرق كبير في المعنى بين عبارة حديث المجلسي «لأتين بمصر منبراً» التي يعتقد الباحثين انها تدل على صدارة اعلامية لمصر، وعبارة حديث الصدوق «لأتين مصر مبيرا» التي تدل على خرابها، وفي رأيي القاصر ان عبارة «لأتين مصر مبيرا» هي الاصح لانها تتفق مع معاني الحديث كون الإمام علي (عليه السلام) سينقض دمشق حجراً حجراً ويخرج اليهود والنصارى من كل كور العرب ويسوق العرب بعصاه فيكون بيار مصر من جملة هذا الدمار، ومعنى العبارة كما افهم انه (عليه السلام) يجعل مصر ارضاً بوراً كما هو حال الشام، كما تقول هذه ارض باثرة، او بضاعة باثرة كاسدة لا رواج لها، والسوق التي لا بيع فيها ولا شراء تسمى سوق باثرة، والبنت البائر التي لم تتزوج، والعمل البائر هو الذي لم تتحقق نتيجته، وبار الشيء اي هلك، وتؤيد المعنى جملة من الاخبار التي تدل على ان مصر لا تسلم من الخراب قبل الظهور بقليل وبعده ومنها الرايات الصفر التي تجتاحها كما ورد في الاخبار ان مصر «تفت كما تفت البعرة»<sup>(٤)</sup>.

وحتى لو كانت عبارة «لأتين بمصر منبراً» هي الصحيحة فليس في سياق الكلام شيء يدل على ان مصر ستصبح مركزاً اعلامياً، فليس كل منبر يرتقوه (عليه السلام) معناه ان ذلك المكان اصبحت له خصيصة اعلامية دون غيره، علماً ان كل الأحاديث الواردة عن اهل بيت العصمة عليهم افضل الصلاة والسلام تؤكد ان الصدارة الدينية والسياسية والاعلامية والقيادية للعالم في زمن الظهور هو للكوفة بالذات وليس لغيرها.

(١) لعل اللفظ هو «مسجى» اي متمدن بهيئة النائم وليس «مسجل» وقد وردت هذه اللفظة في الأحاديث بعدة صيغ منها

«مشتكي» ومنها «مشملي»

(٢) في نسخة البحار «يفعله» بدل «يعقله»

(٣) معاني الاخبار/ الشيخ الصدوق/ نوادر المعاني/ ح ٨٢ / ص ٤٠٦

(٤) عن كعب «ليوشكن العراق يُعرك عرك الاديم، ويشق الشام شق الشعر، وتفت مصر فت البعرة، فعندها ينزل الامر» الملاحم

والفتن/ ابن حماد/ ٥٦٩

## صاحب كتاب المفاجأة

جاء في كتاب «المفاجأة بشراك يا قدس» للباحث «محمد عيسى داود» مجموعة من الاخبار ينقلها من مخطوطات تخص احداث اخر الزمان ينسبها إلى الجفر العلوي،

ويقول «ومن العلامات او المقدمات الحتمية زوال مُلك آل قارون بغتة وسماها صاحب المخطوط «آل قارون» كما سماهم «اخوة قارون» يملكون ذهباً ليس بالأصفر ولا الاحمر ولا الابيض خزائنها منه تنوء بالعصبة اولي القوة ومن يناطحهم فيه يقولون مقالة قارون «انما اوتيته على علم عندي» وهذه العبارة القارونية هي شعار قبيلتين سماهما المخطوط «آل حابص» و «آل دوعس»<sup>(١)</sup>.

ويورد في نفس الكتاب خبر اخر ينسبه إلى جفر الإمام الصادق عليه السلام حول نفس الموضوع الا انه هنا يسميهم «آل حاصب» و «آل دوسع»

يقول «ومما جاء في جفر مولانا جعفر الصادق رضي الله عنه من مقدمات وارهافات اقتراب عهد المهدي عليه السلام

«..... لا يخرج المهدي على ما شاء الله وهو فعّال لما يُريد إلا إذا ملك قبيلتان من آل قارون بايديهم كنوز خزائنها تنوء بالعصبة اولي القوة كلها ذهب ثقيل المتاعب غزير المطالب يأتيه كما قال أمير المؤمنين علي اهل الشرق واهل المغارب والقبيلتان والمقبلون يقتسمانه ما بين سالب وناهب ولا يناله الغالب يقوم عليه شرار خلق الله فمن ناطحهم مفاتيحه واجهوه بمقالة اخيهم قارون «انما اوتيته على علم عندي» فمنهم «آل قارون» ومنهم «اخوة قارون» وكلهم لهذا منكرون وكل الملوك في هذا الكنز طامعون حتى مارق اليهود وتاج رؤوسهم الملعون ولا يقوم المهدي الا بمطمع وفتن كالليل المظلم يظلم ليل «آل حاصب» حتى يغدو لا صبح لهم ويختلف «آل دوسع» فيما بينهم فيقع ملكهم وقوع فخارة من يد ساه لاه فيزول بغتة عنهم ويتشتت امرهم فلا سعود لهم.....»<sup>(٢)</sup>

(١) المفاجأة بشراك يا قدس / محمد عيسى داود / ط ١ / دار المحبين / ص ٢٤٧

(٢) المفاجأة بشراك يا قدس / محمد عيسى داود / ط ١ / دار المحبين / ص ٢٤٧

ولو دقت في اسم هاتين القبيلتين «آل حاصب» و «آل دوسع»، وجعلت الحرف الثالث مكان الرابع لكانت «آل حابص» و «آل دوعس»، وقراءت العبارة من اليسار إلى اليمين لكانت كالتالي «آل سعود» و «آل صباح»، وهم المعروفين حاليا بحكام السعودية المنتسبين لجدهم سعود وحكام الكويت المنتسبين لجدهم صباح، والذهب الذي يملكونه حاليا الذي وصفه الخبر بأنه ليس باصفر ولا احمر ولا ابيض هو النفط الذي هو مصدر ثروتهم، وسماهم الخبر «آل قارون» و «اخوة قارون» لان قارون امتلك من الكنوز كما يقول عنه القرآن الكريم ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مِصْرَ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾<sup>(١)</sup>، وهم يعتبرونه حق ثابت لهم كما وصف الله قارون بقوله ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾<sup>(٢)</sup>، والخبر فيه الكثير من النقاط التي تشابه ما جاء في الماثور الروائي عن آل محمد ﷺ عن كيفية انهيار مُلْك الحجاز الذي يتزامن مع ظهور الإمام المهدي<sup>(٣)</sup> وان ملكهم ينتهي بغتة كانكسار فخارة سقطت من يد رجل ساه<sup>(٤)</sup>

لكن الغريب ان صاحب كتاب «المفاجئة» في كتابه يمدح كثيرا حكام الحجاز ويعتبرهم في خدمة الإسلام ولم ينتبه للمعنى الذي يذكره هذا الخبر الذي ينقله هو، فالخبر يذمهم اشد الذم لذلك يمكن القول ان هذا الخبر هو عبارة عن «مفاجئة تفاجئ صاحب كتاب المفاجئة»<sup>(٥)</sup>.

(١) القصص / ٧٦

(٢) القصص / ٧٨

(٣) عن أبي جعفر ﷺ إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم فعند ذلك فانتظروا الفرج وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان فإذا اختلفوا فتوقعوا الصيحة في شهر رمضان وخروج القائم ﷺ ان الله يفعل ما يشاء ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم فإذا كان كذلك طمع الناس فيهم واختلفت الكلمة وخرج السفيناني «غيبة النعماني» باب ١٤ / ح ١٧

(٤) عن ابي جعفر محمد بن علي ﷺ «ان ذهاب ملك بني فلان كقصع الفخار، وكرجل كانت في يده فخارة وهو يمشي إذ سقطت من يده وهو ساه عنها فانكسرت، فقال حين سقطت: ها «شبه الفرع» فذهاب ملكهم هكذا أغفل ما كانوا عن ذهابه» غيبة النعماني / باب ١٤ / ح ١٣

(٥) يقول محمد عيسى داود «والحقيقة والله شاهدي اني احب الامير عبد الله بن عبد العزيز وارى فيه الغيرة الصادقة والوطنية المخلصة» المفاجئة بشراك يا قدس / ط ١ / دار المحبين / ص ٣٩٣

هكذا عندما يتكلم عن حكام الحجاز يمدحهم باجمل الالقب اما عندما يتحدث عن المهدي ﷺ فانظر ماذا يقول «ولا يمنع مطلقا ان يكون المهدي له سابق غفلة وصدود ومواطن غواية فينقله الله لبقاء قلبه وصدق اضماره وحبه للمصطفى ﷺ ولفرط اشفاقه على امته ينقله الله إلى منازل الهداية ومن ظلمات المخالفة والعصيان إلى انهار الخير والرضوان.....» المفاجئة بشراك يا قدس / محمد عيسى داود / ط ١ / دار المحبين / ص ١٠٣

## التقويم الإسلامي الجديد

روي عن النبي ﷺ قال «ان في العشر بعد ستمائة الجرح والقتل وتملى الأرض ظلما وجورا، وفي العشرين بعدها يقع موت العلماء ولا يبقى الرجل بعد الرجل، وفي الثلاثين ينقص النيل والفرات حتى يزرع الناس شطهما، وفي الاربعين بعدها تمطر السماء الحجر كأمثال البيض فيهلك فيها البهائم، وفي الخمسين بعدها تُسلط عليهم السباع، وفي الستين بعدها تنكسف الشمس فيموت نصف الجن والانس، وفي السبعين بعدها لا يولد المؤمن من المؤمن، وفي الثمانين تصير النساء كالبهيم، وفي التسعين بعدها تخرج دابة الأرض ومعها عصا ادم وخاتم سليمان، وفي السبعمئة تطلع الشمس سوداء مظلمة، وتسالوا<sup>(١)</sup> عما ورائها»<sup>(٢)</sup>.

وفي خبر آخر «سنة ثمانين وستمئة تظهر امرأة يقال لها سعيدة مع لحية وسبال<sup>(٣)</sup> مثل الرجال، تاتي من الصعيد في مائتي الف عنان وتسير إلى العراق»، وهذه قصة طويلة عظيمة ما ذكرتها، «وفي سنة سبع وثمانين وستمئة يظهر من الروم رجل يقال له المزيد في سبعمئة قنطارية «وهي علم» على كل قنطارية صليب، تحت كل صليب الف فارس افرنجي ونصراني «وهذه قصة عظيمة طويلة» وفي زمانه يخرج اليه رجل من مكة يقال له سفيان بن حرب»<sup>(٤)</sup>.

(١) في جوامع الكلم للاحسائي «ولا تسالوا عما وراءها»

(٢) جامع الاخبار او معارج اليقين في اصول الدين/ الشيخ محمد بن محمد السبزواري من اعلام القرن السابع الهجري/

تحقيق علاء ال جعفر/ الفصل الثاني والمائة في الملاحم / ح «٢/١١٠١» / ص ٣٩٧

(٣) السبلة: ما فوق الشفة من الشعر، او هي طرف الشارب من الشعر، فهنا تعني شعر الشارب اي لها لحية وشوارب

(٤) جامع الاخبار او معارج اليقين في اصول الدين/ الشيخ محمد بن محمد السبزواري من اعلام القرن السابع الهجري/

تحقيق علاء ال جعفر/ الفصل الثاني والمائة في الملاحم / ح «٣/١١٠٢» / ص ٣٩٧

وبالجمع بين الخبرين ينتج الجدول التالي:

٦١٠ - ٦٠٠	الجرح والقتل وتملئ الأرض ظلما وجورا
٦٢٠ - ٦١٠	يقع موت العلماء ولا يبقى الرجل بعد الرجل
٦٣٠ - ٦٢٠	ينقص النيل والفرات حتى يزرع الناس شطهما
٦٤٠ - ٦٣٠	تمطر السماء الحجر كأمثال البيض فيهلك فيها البهائم
٦٥٠ - ٦٤٠	تسلط عليهم السباع
٦٦٠ - ٦٥٠	تنكسف الشمس فيموت نصف الجن والانس
٦٧٠ - ٦٦٠	لا يولد المؤمن من المؤمن
٦٨٠ - ٦٧٠	تصير النساء كالبهيم
٦٩٠ - ٦٨٠	تخرج دابة الأرض ومعها عصا آدم وحاتم سليمان
٧٠٠ - ٦٩٠	تطلع الشمس سوداء مظلمة

هذا الخبر من مُعضلات الاخبار، ولم يرد على قدر اطلاعي إلا في كتاب «جامع الاخبار»، ووجدته ايضا في كتاب جوامع الكلم للشيخ احمد الاحسائي وهو ينقله ايضا من كتاب جامع الاخبار<sup>(١)</sup>، ولا يذكر صاحب كتاب «جامع الاخبار» المصدر الذي ينقل منه.

ولعل اول ما يجول في خاطر عند قراءة الحديث ان الزمن الذي يتحدث عنه هو التقويم الهجري المعروف عندنا حالياً، لانه يذكر وقائع تحدث ما بين سنة «٦٠٠ - ٧٠٠» اي وقائع القرن السابع الهجري، ولو تابعت التاريخ الإسلامي لا تجد هكذا وقائع حدثت في القرن السابع الهجري وخصوصاً ان الحديث يذكر احداث جسيمة مثل خروج دابة الأرض وموت نصف الجن والانس وغيرها بل لم تحدث ولا واحدة منها لحد الان، بل لم تحدث حتى بعد هذا التاريخ ونحن نعيش حالياً في القرن الخامس عشر الهجري.

(١) راجع كتاب جوامع الكلم/ الشيخ الاحسائي/ج/٥/ رسالة في العصمة والرجعة/ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ / مطبعة الغدير

ولعل الاغلب ينكر مثل هذه الاخبار، واحسنهم حالاً من يقول عنها مُظطربة، ولا يمكن ان نلوم احد إذا كانت هذه قناعته لعدم وجود مصداق تاريخي ينطبق على معلومات الخبر وخصوصاً انه يتحدث عن فترة مضت، ومن غير المعقول ان هكذا احداث جسيمة تقع في تاريخ المسلمين بل في تاريخ البشرية ولا يوثقها احد، فيكون انكار مثل هذه الأحاديث امر متوقع، والذي اراه ان اي خبر لا تجد له مصداق تاريخي او انطباق مع الواقع لا يجب تكذيبه، بل يجب تأويله، والتأويل ليس امر هين فهو بحاجة لقرائن قوية للاثبات، ويمكن الولوج لفهم اجواء الخبر من خلال الاحتمالين التاليين:

**الاحتمال الأول:** هو ان هذا الخبر يتحدث عن احداث ستقع بعد الالف الهجري الأول اي اعتباراً من «١٦٠٠» لغاية «١٧٠٠» هجري، فبدلاً من ان يقول الف وستمائة وعشرة، حذف آلاف وقال «العشر بعد الستمائة»، وبما اننا نعيش حالياً في سنة «١٤٣٨ هـ» فيكون بيننا وبين تحقق هذ الأحداث في المستقبل

$$١٦٠٠ - ١٤٣٨ = ١٦٢ \text{ سنة}$$

وهذا الاحتمال عندي ضعيف لان الخبر لا يذكر ظهور الإمام المهدي عليه السلام من جملة الأحداث مما يجعل ظهور دابة الأرض قبل المهدي عليه السلام وهذا خلاف الأحاديث.

**الاحتمال الثاني:** وهو الراجح عندي، من خلال القول انه بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام ينتهي العمل بالتقويم الهجري الحالي ويبدأ تقويم جديد يبدأ من يوم ظهور القائم عليه السلام، وخصوصاً ان الأحاديث تذكر ان الإمام المهدي عليه السلام سيأتي بجملة من الاشياء الجديدة منها «بكتاب جديد على العرب شديد»<sup>(١)</sup>، ولا بد ان مشروع خلافة الله على الأرض يبدأ بتقويم خاص الذي هو نفسه تقويم يوم الرجعة.

وبهذا يكون الخبر مورد الكلام يتحدث عن احداث ستقع بعد خروج الإمام المهدي عليه السلام بستمائة عام، اي الخبر يتحدث عن احداث القرن السابع بعد خروج الإمام المهدي عليه السلام وكلها من احداث الرجعة.

والسبب الذي يجعلني اميل لهذا التصور كون كل الأحداث التي يذكرها الخبر لو راجعت مرويات آل محمد عليهم السلام لرأيت اغلبها بعد ظهور القائم عليه السلام بكثير وخصوصاً ظهور دابة الأرض

(١) عن ابي جعفر عليه السلام «يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وبقضاء جديد على العرب شديد ليس شأنه الا السيف لا يستتبع احد ولا ياخذ في الله لومة لائم». الغيبة/ النعماني/ ص ١٤٥

والفعاليات التي ستجري على الشمس، وساتبع الموضوع من خلال الاحتمال الثاني.

لقد ذكرت في كتابي «حدث وحديث» تصوري الأولي حول احداث ما بعد ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)، وذكرت في الكتاب ان هذه الفترة طويلة جداً لأنها ستتداخل بشكل كلي مع يوم الرجعة الذي هو يوم طويل جداً لآلف سنة مما تعدون، عن الإمام الصادق (عليه السلام) «أيام الله المرجوة ثلاثة، يوم قيام القائم، ويوم الكربة، ويوم القيامة»<sup>(١)</sup>، وذكرت ان الإمام المهدي (عليه السلام) سيموت بعد ان يحكم «١٩» سنة ويكون الذي يدفنه الإمام الحسين (عليه السلام)، وبعدها تأتي خمسين سنة، كما مذكور في الأحاديث التالية.

عن جابر قال: سمعت ابا جعفر (عليه السلام) يقول «والله ليملكن رجل منا أهل البيت الأرض بعد موته ثلاثمائة سنة ويزداد تسعة». قال: قلت: فمتى ذلك؟ قال «بعد موت القائم». قال: قلت: وكم يقوم القائم في عالمه حتى يموت؟ قال «تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلى موته». قال: قلت: فيكون بعد موته هرج؟ قال «نعم خمسين سنة»<sup>(٢)</sup>.

عن أبي عبد الله (عليه السلام): «من حديث طويل..... قال: إذا جاء الحجة الموت فيكون الذي يغسله ويكفنه ويحفظه ويلحده في حفرته الحسين بن علي (عليه السلام) ولا يلي الوصي إلا الوصي»<sup>(٣)</sup>. وعلى موجب هذا التصور اعتقد ان احداث ما بعد ظهور القائم تمر بثلاث مراحل مهمة هي كالتالي:

اولاً: فترة حكم القائم (عليه السلام) الأولى وما سيحدث فيها.

ثانياً: الخمسون سنة هرج وما سيحدث فيها.

ثالثاً: احداث الرجعة وما سيحدث فيها.

وحسب هذا التصور فان الأحداث التي يذكرها الخبر مورد البحث ستكون بعد ستمائة سنة او اقل بقليل من ظهور القائم (عليه السلام)، وبالتالي فالسؤال واضح ماذا سيحدث في هذه الستمائة سنة بعد القائم (عليه السلام).

(١) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٧/ ص ١٧٨/ ح ٤ كذلك تأويل الآيات/ ج٢/ ص ٥٧٦/ ح ٣

(٢) تفسير العياشي: ج٢/ سورة الكهف/ ح ٢٤/ ص ٤٥٢ كذلك الإمام المهدي (عليه السلام) في بحار الأنوار/ ج٢/ باب ٢٩/ الرجعة/ ح ١٢٢/ ص ٥٩٦،

وقد ورد نفس الحديث في مختصر البصائر/ عز الدين الحلبي/ أحاديث في الرجعة من غير طريق سعد «٤٢/١٤٢». والغيبة/ النعماني/ باب ٢٦/ ح ٣، وغيبة الطوسي/ ح ٥٠٥ الا انه لا يذكر فترة الخمسين سنة فيه.

(٣) مختصر البصائر/ عز الدين الحلبي.



ولقد ذكرت في كتابي «حدث وحديث» أن تسلسل الأحداث بعد ظهور القائم عليه السلام ليس امراً هيناً لتداخل جملة من الأحداث مع بعضها، ولكن الأحاديث تذكر ان الإمام الحسين عليه السلام يحكم بعد القائم عليه السلام فترة «٣٠٩» سنة.

عن ابي جعفر عليه السلام قال «ثم يخرج المنصور إلى الدنيا فيطلب بدمه ودم أصحابه فيقتل ويسبي حتى يقال: لو كان ذا من ذرية الأنبياء ما قتل الناس كل هذا القتل، فيجتمع الناس عليه ابيضهم واسودهم فيكثرون عليه حتى يلجؤنه إلى حرم الله فإذا اشتد البلاء عليه مات المنتصر وخرج السفاح إلى الدنيا غضبا للمنتصر فيقتل كل عدو لنا جائر ويملك الأرض كلها ويصلح الله له امره ويعيش ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً».

ثم قال ابو جعفر عليه السلام «يا جابر وهل تدري من المنتصر والسفاح؟ يا جابر المنتصر الحسين والسفاح أمير المؤمنين صلوات الله عليهم اجمعين»<sup>(١)</sup>.

فإذا جمعنا فترة حكم القائم عليه السلام البالغة «١٩» سنة مع فترة الهرج البالغة «٥٠» سنة مع فترة حكم الإمام الحسين عليه السلام البالغة «٣٠٩» سنة يكون المجموع «٣٧٨» سنة، فتكون هذه احداث القرون الأربعة الأولى من احداث الرجعة، وبما ان الروايات تشير إلى ان الإمام علي عليه السلام سيرجع ويُقتل ايضاً، فربما تكون احداث القرون الخامس والسادس هي حداث رجعة الإمام علي عليه السلام نفسه، وهنا يمكن ان نضع احداث القرن السابع «٦٠٠ - ٧٠٠» بعدها كما ورد في الخبر محل البحث، اذ الخبر يبيدأ بعبارة مهمة وهي «ان في العشر بعد ستمائة الجرح والقتل وتملىء الأرض ظلماً وجوراً» وفي العشرين بعدها يقع موت العلماء ولا يبقى الرجل بعد الرجل، وفي الثلاثين ينقص النيل والفرات حتى يزرع الناس شطهما، وفي الاربعين بعدها تمطر السماء الحجر كامثال البيض فيهلك فيها البهائم، وفي الخمسين بعدها تُسلط عليم السباع، وفي الستين بعدها تنكسف الشمس فيموت نصف الجن والانس، وفي السبعين بعدها لا يولد المؤمن من المؤمن، وفي الثمانين تصير النساء كالبهم، وفي التسعين بعدها تخرج دابة الأرض ومعها عصا آدم وخاتم سليمان، وفي السبعمائة تطلع الشمس سوداء مظلمة، وتسالوا عما ورائها»، وكلها احداث تشير إلى عملية خراب متسلسلة تهلك فيها الخلائق، وربما عملية الجفاف وموت البهائم والمطر الغريب وموت نصف الجن والانس كلها تشير إلى تغير النظام الفلكي للأرض والتي سيرافقها جملة من الفعاليات الطبيعية المتطرفة، اما عبارة «تُسلط عليم السباع» فربما هي

(١) تفسير العياشي: ج ٢/سورة الكهف/ ح ٢٤/ ص ٤٥٢ كذلك الإمام المهدي عليه السلام في بحار الأنوار/ ج ٢/ باب ٢٩/ الرجعة/

دالة على خروج يأجوج ومأجوج، اما عبارة «وفي الثمانين تصير النساء كالبهم» والتي تقابلها عبارة الخبر الثاني «سنة ثمانين وستمائة تظهر امرأة يقال لها سعيدة مع لحية وسبال مثل الرجال، تاتي من الصعيد في مائتي الف عنا وتسير إلى العراق»، فهما عبارتين مترابطتين اذ لطالما ذكرت المرويات علامات الانحلال الأخلاقي في اخر الزمان ومنها «تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال» فربما تكون للنساء في ذلك الزمان سطوة وسلطة تمكنها من قيادة الجيوش وتعطينا الخطبة اللؤلؤية للإمام علي عليه السلام مقطع من هذا الحدث عن أمير المؤمنين عليه السلام «تظهر في الصعيد امرأة يقال لها سعيدة ولها لحية وسبال، وتظهر في ثمانين الف عنان، واكثر اتباعها من بني تميم، فتسير إلى ان تبلغ العراق وتنحدر إلى الرحبة ثم إلى الانبار والعراق، وتصير إلى موضع يقال له القنطرة العتيقة، فيقتل بها مقتلة عظيمة، وينشر لها على شاطئ دجلة اربعمائة علم احمر عند الزوراء التي مرت بها أجمة.....»<sup>(١)</sup>، وحدث الرجعة بصورة عامة كما افهم من الروايات تنتهي بظهور دابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وهذا ما انتهت به عبارات الخبر «وفي التسعين بعدها تخرج دابة الأرض ومعها عصا آدم وخاتم سليمان، وفي السبعمائة تطلع الشمس سوداء مظلمة، وتسالوا عما ورائها» وقد جاء في المرويات ان دابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها ايتان متلازمتان ايهما حدثت تاتي الاخرى على اثرها، لانه بعد طلوع الشمس من مغربها يغلق باب التوبة ويبدأ الحساب وسيتم وسم الناس عن طريق دابة الأرض «هذا مؤمن وهذا كافر»، وهذه الأحداث كلها متصورة لان يوم الرجعة يوم طويل وهو بالف سنة مما تعدون.

(١) الخطب النادرة لأمير المؤمنين عليه السلام / الخطبة اللؤلؤية / عبد الرسول زين الدين، المجموع الرائق: ٤٥٦ / ٢، الكتاب المبين:

## الحُجَّة - الخليفة - الامام

لابد من وجود مائز لغوي او اعتباري او وظيفي للتفريق بين الفاظ مُهمة جداً متداولة في الارث الشيعي لا زالت لحد الان بدون تعريف وتطلق بدون اي مُحددات، وعملية جمع كل موارد هذه الألفاظ واستعمالاتها في الأحاديث من الصعوبة بمكان، فالارث الشيعي مشحون بها شحناً، ومنها لفظة «الإمام - الحُجَّة - الوصي - الخليفة - الولي».

والراجع عندي ان هذه الألفاظ خارج حدود التعريف الكلي، وغاية جهد الإنسان هو الوصول إلى تصور وتعريف جزئي لها، فهي علما يبدوا الفاظ تأبى ان تقع تحت سيطرة اللغة ومعانيها بالكلية، فهي اشبه باللطيفة السائرة في كل شيء، كما يسير الماء في عروق الشجر، ومن هنا فكل لفظة من هذه الألفاظ تؤدي إلى مفهوم له عدة تعاريف، والذي اعتقد به ان كل مفهوم يظهر له معنى جديد كلما تغير نوع العالم الذي يظهر به، وهذه التعاريف ايضا تتغير بتغير العالم الذي تظهر فيه، او الحال الذي يظهر به المعصوم (عليه السلام) من خلاله، فهي دالة تابعة لنوعية العالم وشكل الوقت الذي تظهر فيه.

وهذا الموضوع بحد ذاته بحاجة لبحث مفرد وتقصي دقيق لكل موارد هذه الألفاظ الا اني هنا ساقصر على ايراد تصور واستنتاجات اولية حول هذه الألفاظ كمعنى وكمفهوم.

ولابد من مقدمة بسيطة حول انواع العوالم، اذ العوالم الكلية ثلاث تختلف من جهة الوقت والمادة والحركة.

الأول: عالم الجبروت ووقته السرمد ومادته اللطيفة وحركته الساكنة التي لا تدرك بالسكون.

الثاني: عالم الملكوت ووقته الدهر ومادته الرقيقة وحركته البطيئة.

الثالث: عالم المُلْك ووقته الزمان ومادته الكثيفة<sup>(١)</sup>.

عالم الجبروت	وقت السرمد	مادة لطيفة	ساكن لا يدرك بالسكون
عالم الملكوت	وقت الدهر	مادة رقيقة	حركة بطيئة
عالم الملك	وقت الزمان	مادة كثيفة	حركة سريعة

(١) راجع كتابنا «ايام الله» فقد بسطنا فيها الكلام حول هذه العوالم

بالتالي ستجد ان هذه الألفاظ «الحجة - الخليفة - الإمام» تُعبّر عن مقامات في عوالم مُعيّنة.

### الحجّة:

عن ابي عبد الله عليه السلام «الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق»<sup>(١)</sup>.

الحجة هو اللفظ الدال على الظهور الكلي الجامع للمعصوم عليه السلام في مقام العلة والمؤثرية، اي هو جهة الفعل، لذلك قال عليه السلام «الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق»، فمقام الفعل ساري قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، فإذا فُني المعلول بقيت العلة، وإذا فُني المفعول بقي الفعل، فهو قبل ومع وبعد الخلق، وهو مقام لا يجري عليه فعل الموت، لانه وجه الله الباقي بعد فناء كل شيء ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾<sup>(٢)</sup>، وهو مقام جبروتي سرمدي تدرج تحت لواءه كل مقامات الاسماء والصفات لانه عالم الأمر وعالم المعنى وعالم الفعل، وهو جهة المخلوق الأول إلى ربه ومقام كُنَّ «قبل الخلق»، فهو الدليل والبرهان لذلك فهو مقام الحقيقة ﴿قَلِيلٌ مِنَ الْحُجَّةِ الْبَالِغَةُ﴾<sup>(٣)</sup>.

### الخليفة:

الخليفة هو اللفظ الدال على الظهور الكلي الجامع للمعصوم عليه السلام في مقام «الفعل والمنفعل» في نفس الوقت، وهو مقام دهري ملكوتي، وهو جهة المخلوق الأول إلى نفسه «مع الخلق»، وهو مقام برزخي بين «الكاف والنون» اي بين «كُن فيكون»، وهو الذي يعطي لكل ذي حق حقه ويسوق لكل مخلوق رزقه، ومقام البرزخية هذا هو الذي تسميه الأحاديث مقام الباب كما قالوا عليه السلام «نحن باب الله»، وهو الغاية التي من اجلها خُلق الخلق ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(٤)</sup>، وما خلقت سماء مبنية ولا ارض مدخية إلا لهم صلوات الله عليهم.

### الإمام:

الإمام هو اللفظ الدال على الظهور الكلي الجامع للمعصوم عليه السلام في مقام «المنفعل»، وهو جهة المخلوق الأول باتجاه الخلق «بعد الخلق»، فإذا كان الحجّة هو الفعل، فالإمام هو المنفعل،

(١) اصول الكافي/ ج ١ / كتاب الحجّة/ باب ٦١ / ح ٤٤٤

(٢) القصص/ ٨٨

(٣) الأنعام/ ١٩٤

(٤) البقرة/ ٣٠

بمعنى ان الإمام هو «محل فعل الله»<sup>(١)</sup>، وهو مقام زماني مُلكي، عن ابي عبد الله عليه السلام «ان الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام»<sup>(٢)</sup>، وهي من اكثر الألفاظ ظهوراً واستخداماً في الأحاديث، وهو مقام يجري عليه فعل الموت إلا انه يموت اخر الناس، عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام «.... ان اخر من يموت الإمام....»<sup>(٣)</sup>.

وهذا المقامات الثلاثة التي عبر عنها الحديث كونها «قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق» جمعها الحديث التالي بالفاظ اخرى تدل على نفس المفهوم وهي «المعاني، الابواب، الإمام» عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال «يا جابر او تدري ما المعرفة، المعرفة اثبات التوحيد اولاً، ثم معرفة المعاني ثانياً، ثم معرفة الابواب ثالثاً، ثم معرفة الإمام رابعاً، ثم معرفة الاركان خامساً، ثم معرفة النقباء سادساً، ثم معرفة النجباء سابعاً، وهو قوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾، وتلا ايضا ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وبالجمع بين كل هذه العناوين ينتج عندنا المخطط التالي:

جبروت	سرمد	قبل الخلق	علة	فعل	جهته لربه	حجة	معنى	مصدر
ملكوت	دهر	مع الخلق	تقدير	خلق	جهته لنفسه	خليفة	باب	بث
ملك	زمان	بعد الخلق	معلول	منفعل	جهته للخلق	إمام	إمام	مستقبل

فالمعصوم عليه الصلاة والسلام له عدة مقامات ناتجة من تعدد العوالم وبالتالي فلكل مقام لفظ يدل على ذلك المفهوم والتعريف يجب ان يكون صادر من معرفة تلك المقامات في تلك العوالم فهناك مقام فعلي في عالم الفعل يتبعه لفظ دال عليه، وهناك مقام تكويني في عالم التكوين يتبعه لفظ دال عليه، وهناك مقام تشريعي في عالم التشريع وهناك لفظ دال عليه وهكذا

(١) هذه العبارة هي تعريف الشيخ احمد الاحسائي للفظ الإمام / جوامع الكلم

(٢) اصول الكافي / ج ١ / كتاب الحجّة / باب ٦٢ / ح ٤٤٦

(٣) اصول الكافي / ج ١ / كتاب الحجّة / باب ٦٣ / ح ٤٦٠

(٤) صحيفة الأبرار للعلامة محمد تقي / ج ٢ / الحديث ٧ / الجزء الثالث من القسم الثاني، كذلك ورد في الزام الناصب / الشيخ علي الزيدي الحائري / ج ١ / الغصن الأول / الثمرة الخامسة في معرفة الإمام. كذلك بحار الأنوار: ج ٢٦ / ص ٨، كذلك كتاب الامامة من كتاب العوالم للشيخ الجليل عبد الله البحراني عن استاذة العلامة محمد باقر تقي المجلسي عن والده من كتاب عتيق جمعه بعض محدثي أصحابنا في فضائل أمير المؤمنين.

تتعدد المقامات بتعدد العوالم وتتعدد التعريفات بتعدد الالفاظ إلى ما لا يحصىها الا الله.

ولا ضرب لك مثلاً، هناك شخص صديق لك اسمه احمد وهو طبيب واستاذ جامعة وله ولد يدعى صادق، فانت بعلاقتك الشخصية معه تقول له يا احمد، وبعلاقتك معه كمريض تقول له يا دكتور، وبعلاقتك معه في الجامعة تقول له يا استاذ، وبعلاقتك الرسمية معه امام الناس تقول له يا ابا صادق وهكذا كل هذه القاب لشخص واحد إلا انها تظهر لها الفاظ خاصة بها عند ظهوراته في العالم الخاص به والجهة التي يتوجه بها اليه.

وكذلك المعصوم انت تقول عنه حجة في مقام العلة والأمر والمعنى والفعل، وتقول عنه خليفة في مقام التكوين واصل التشريع ومقام الاسماء والصفات، وتقول عنه امام في مقام التبليغ والهداية ومحل ظهور الفعل، وتقول عنه وصي في مقام حفظ موارث الأنبياء، وتقول عنه ولي في مقام التملك والتسلط على الشيء، فالولي هو المعيار الذي توزن به الاعمال ويقاس به الإيمان.

ربما ستقول لي ان هناك الكثير من الأحاديث تخالف ما تقول فمنها عن ابي عبد الله عليه السلام «ان الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام»<sup>(١)</sup>، واخر عن ابي الحسن عليه السلام «ان الأرض لا تخلو من حُجَّةٍ وانا والله ذلك الحجة»<sup>(٢)</sup>، فمرة يسميه إمام ومرة يسميه حُجَّة، نعم هو والله ذلك الحُجَّة في مقام الإمام «بعد الخلق»، ومن هنا استشف ان الحج كشعيرة على المعنى الظاهر هو هذه الطقوس العبادية التي تؤدى في مكة في زمن معين وفي مكان معين، إلا انه على الباطن الحج هو بلوغ الحُجَّة اي من عرف مقام الحُجَّة فقد حج.

ومن هنا استطيع التفريق بين معنى كلمة الخليفة في الموارد التالية، الأول: قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(٣)</sup>، والثاني: قوله تعالى ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup>، والكثير من الناس يتصور ان مورد ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ خاص بآدم عليه السلام لانه جاء في سياق قصة خلق آدم عليه السلام، إلا ان الخليفة هنا هو الغاية التي سيخلق الله من اجلها آدم وذريته لانه منصب لا يظهر إلا في اخر الزمان، فيكون معنى الخليفة في مورد البقرة هو المقام الاصلي الدهري للفظ الذي سيظهر في ايام دولة العدل، اما معنى اللفظ في مورد «ص» فهو معنى تبعي زماني يمكن ان يحوزه اي نبي او وصي في الدنيا.

(١) اصول الكافي/ ج ١/ كتاب الحجّة/ باب ٦٢/ ح ٤٤٦

(٢) اصول الكافي/ ج ١/ كتاب الحجّة/ باب ٦٢/ ح ٤٥٣

(٣) البقرة/ ٣٠

(٤) -ص/ ٢٦

وعليه يمكن وضع التعريفات الأولية التالية:

الحُجَّة: هو مقام المعصوم بجهته إلى ربه

الخليفة: مقام المعصوم بجهته إلى نفسه

الإمام: مقام المعصوم بجهته إلى الخلق

او

الحُجَّة: الفقير إلى الخالق

الخليفة: المستغني عن الخلق

الإمام: الذي يحتاجه الخلق ولا يحتاج إلى احد

او

الحُجَّة: هو الحقيقة

الخليفة: هو الحقيقة السائرة في كل شيء

الإمام: هو الحقيقة الظاهرة في كل شيء

او

الحُجَّة: غيب الله في ذاته

الخليفة: غيب الله في خلقه

الإمام: ظاهر الله في خلقه

الحجة	الخليفة	الإمام
سرمد	دهر	زمان
مقام المعصوم بجهته إلى ربه	مقام المعصوم بجهته إلى نفسه	مقام المعصوم بجهته إلى الخلق
الفقير إلى الخالق	المستغني عن الخلق	الذي يحتاجه الخلق ولا يحتاج إلى احد
هو الحقيقة	هو الحقيقة السائرة في كل شيء	هو الحقيقة الظاهرة في كل شيء
غيب الله في ذاته	غيب الله في خلقه	ظاهر الله في خلقه

## فترة حكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

سُئِلَ الإمام الرضا عليه السلام، جُعِلَتْ فِداكَ انْ أَصْحَابُنَا رَوَوْا عَنْ شَهَابٍ عَنْ جَدِّكَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ «أَبِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنْ يَمْلِكُ أَحَدٌ مَا مَلَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ وَعِشْرُونَ سَنَةً، قَالَ عليه السلام «إِنْ كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَهُ جَاءَ كَمَا قَالَ». فَقُلْتُ جَعَلْتَ فِداكَ وَآيَ شَيْءٍ تَقُولُ أَنْتَ؟ فَقَالَ «مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ وَانْتِظَارَ الْفَرْجِ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ فَارْتَقِبُوا أَنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ وَانْتَظِرُوا أَنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَجِيءُ الْفَرْجَ عَلَى الْيَاسِ وَقَدْ كَانَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَصْبِرَ مِنْكُمْ»<sup>(١)</sup>.

ربما الاستنتاج الأول الذي سيبرز في ذهن كل قارئ بعد قراءة الحديث هو انه لا احد بعد رسول الله ﷺ يحكم اكثر من ثلاث وعشرين سنة، وربما سيعتقد ان الحديث يشير إلى قاعدة مُطلقة يمكن ان تجري على كل مراحل التاريخ تحت فهمه لعبارة «أبي الله تبارك وتعالى ان يملك احد ما ملك رسول الله ﷺ ثلاث وعشرون سنة»، وربما البعض سيسعى لجعلها قاعدة عامة، علماً أن الإمام الرضا عليه السلام لم يؤكد هذه المعلومة بالكلية لقوله «ان كان» اي انه يضع شرطاً علماً انه يعلم ان ابا عبد الله الصادق عليه السلام قاله او لم يقله.

والحقيقة ان هذا الحديث وامثاله عادة ما يمر عليها القارئ ولا ينتبه للمعاني الدقيقة الواردة فيه، وكل استنتاج يمكن استخلاصه من اي حديث يجب ان يمر بمرحلة بحث وتدقيق منطلقين من فهم رئيسي هو هل الحديث يذهب للمعنى العام ام الخاص.

والمشهور في التاريخ ان مدة بعثة رسول الله ﷺ هي «٢٣» سنة، والتي يسميها الحديث «مُلْكُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، ولا ادري بالضبط هل هي المدة الممتدة من يوم بعثته إلى يوم وفاته ام هي الفترة الممتدة من يوم نزول اول آية في القرآن إلى يوم نزول اخر آية في القرآن وان كان الفارق ربما لا يذكر، والحديث عن ابي عبد الله عليه السلام يحدد فترة نزول القرآن بعشرين سنة. عن ابي عبد الله عليه السلام «نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم نزل طوال عشرين سنة»<sup>(٢)</sup>، مما يعزز كون فترة نزول القرآن ليس كل مُلْك رسول الله ﷺ فإذا اضعنا لها فترة الثلاث سنوات التي كانت فيها الدعوة سرية فيمكن القول كاستنتاج اولي ان مدة «٢٣» سنة هي فترة

(١) بحار الانوار/ ج ٥٢/ ص ١١٠/ ح ١٧ كذلك الكافي/ الكليني/ ج ١/ ص ٣٨٠

(٢) الكافي/ ٢/ ٦٢٨



الدعوة التي اغلبها فترة نزول القرآن، والمشهور تاريخياً ان رسول الله ﷺ قضى هذه المدة ما بين مكة والمدينة، في مكة «١٣» سنة وفي المدينة «١٠» سنوات.

والموضوع يجب ان يفهم اولاً من خلال فهم المعنى العام للحديث، فاحد السائلين يسأل الإمام الرضا عليه السلام عن معلومة وردت في كلام جده الإمام ابي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام يقول فيها اي الصادق عليه السلام «ابي الله تبارك وتعالى ان يملك احد ما ملك رسول الله ﷺ ثلاث وعشرون سنة»، فاجابه الإمام الرضا عليه السلام «ان كان ابو عبد الله عليه السلام قاله جاء كما قال»، والعبارة بهذه الصياغة تحتاج إلى تحليل لعبارة «ان كان» تشير إلى انه لم يُقرّ ولم يُنكر في نفس الوقت، بمعنى ان الإمام الرضا عليه السلام صاغ عبارة تجعل الجواب مُعلّق يمكن ان يُصرف إلى عدة وجوه.

عن ابي عبد الله عليه السلام قال «اني لا تكلم على سبعين وجهاً لي في كلها المخرج»<sup>(١)</sup>، عن ابي عبد الله عليه السلام قال «أنتم أفتقه الناس ما عرفتم معاني كلامنا، أن كلامنا لينصرف على سبعين وجهاً»<sup>(٢)</sup>.

وبما ان الحديث يشترك فيه اثنان من الأئمة المعصومين الإمام الصادق والإمام الرضا عليهما السلام فيجب متابعة الموضوع من جهتهما وستتناول اولاً معنى الحديث من جهة الإمام الصادق عليه السلام كالتالي:

١ - ربما يكون قصد السائل ان يسأل عن مدة حكم الثلاثة الذين حكموا بعد رسول الله ﷺ كون ابي بكر حكم سنتان واشهر، وعمر بن الخطاب حكم عشرة سنوات واشهر، وعثمان بن عفان حكم اثنا عشر سنة، ولكن هذا الاحتمال ضعيف بل غير وارد لان الناس في زمن الإمام الصادق عليه السلام يعرفون كم حكم هؤلاء وبالتالي لا دلالة يمكن ان يستفاد منها السائل في سؤاله إذا كان هذا مقصده، فهذا الاحتمال مستبعد نهائياً ولكنه يفيدنا كمصدق تاريخي على المعنى الأولي انه لا احد ممن يسمونهم بالخلفاء الراشدين قد حكم اكثر من مدة مُلك رسول الله ﷺ إذا عرفنا ان الإمام علي عليه السلام لم يحكم إلا اربعة سنوات وتسعة اشهر.

٢ - الاحتمال الارجح ان السائل كان يفهم انه لا احد من بني امية يحكم اكثر من «٢٣» سنة باعتبار ان الإمام الصادق عليه السلام عاش في زمن بني امية إلى نهاية مُلكهم وعاصر الفترة الأولى من مُلك بني العباس، ولو راجعت هذا الموضوع تاريخياً لوجدت ان بني امية حكموا فترة «٤١» - «١٣٢» هجري اي «٩١» سنة موزعة على «١٤» حاكم اموي لم يحكم اي واحد منهم فترة «٢٣»

(١) بصائر الدرجات / محمد حسن الصفار / ج ٧ / باب ٩ / ح ١

(٢) بصائر الدرجات / محمد حسن الصفار / ج ٧ / باب ٩ / ح ٦

سنة متواصلة واكبر فترة حكم هي فترة حكم معاوية بن ابي سفيان البالغة (٢٠) سنة وبعض حكامهم حكموا اشهر قليلة، وهذا التناغم في العدد كون عدد آل البيت ﷺ هو (١٤) شخص وعدد من حكم من بني امية هو ايضا (١٤) فيه قرينة تشير ان الإمام الصادق ﷺ في عبارته كون لا احد يحكم اكثر من فترة حكم رسول الله ﷺ هو خاص ببني امية فقط كونه معاصر لنهاية ملكهم وربما قالها في تلك الفترة ليؤكد زوال ملكهم.

٣ - لعل البعض يقول ربما ان هذا الكلام صدر من الإمام الصادق ﷺ في فترة حكم بني العباس باعتباره عاصر اول ملكهم فيكون معنى العبارة لوصف حال ملوك بني العباس ايضا؟ نعم الاحتمال وارد كون الإمام الصادق ﷺ ولد سنة (٨٣) هجرية ومات وعمره (٦٥) سنة اذ توفي سنة (١٢٨) هجري وهو بهذا الشكل قد عاصر من حكام بني امية في زمن إمامته إبراهيم بن الوليد ومروان الحمار، وعاصر من بني العباس السفاح وابو جعفر المنصور، وبما ان ملك بني امية انتهى سنة (١٣٢) هجري والإمام الصادق ﷺ مات سنة (١٤٨) هجري فهذا معناه ان عاش (١٦) سنة من عمره الشريف في حكم بني العباس، وبالتالي يمكن ان تكون هذه المعلومة صدرت منه في هذه الفترة فتكون دلالتها باتجاه بني العباس.

الحقيقة ان ملك بني العباس امتد للفترة من (١٣٢ - ٦٥٦) هجري اي (٥٢٤) سنة تولى الحكم فيها (٣٧) حاكم منهم، والواقع التاريخي لهؤلاء يشير ان بعضا منهم حكم اكثر من (٢٣) سنة منهم هارون العباسي والمقتدر الذي حكم (٢٩) سنة والناصر لدين الله الذي حكم (٤٧) سنة، فلا يمكن ان تنطبق هذه القاعدة على من حكم من بني العباس.

ولا ادري بالضبط هل ان العبارة التي يوردها الحديث عن الإمام الصادق ﷺ كانت من كلامه المباشر ام ان احد سألته فاجاب بهذه المعلومة، فالحديث لا يعطينا تصور عن ذلك وانما هي معلومة يقول بها شخص سأل الإمام الرضا ﷺ عنها كون جده الصادق ﷺ قالها، وبالتالي فنحن لا نعرف الظروف الذاتية والموضوعية التي صدر فيها الكلام والجهة التي سألت وجهة الجواب فكل هذه الامور نعالجها هنا من جهة التخمين والقرائن المتصلة بكل استنتاج، ويمكن القول بشكل ظني ان هذا السؤال سُئل للإمام الصادق ﷺ في زمن الحاكم ابي جعفر المنصور الذي حكم (٢١) سنة فربما طول فترة حكمه والظلم الذي تعرض له الشيعة قد جعل البعض يسأل او يتذمر من طول فترة حكمه فاجابه الصادق ﷺ بهذه العبارة ليطمئنه مثلا وهو احتمال وان كان وارد الا ان اثباته صعب لعدم وجود القرينة ولوجود من حكم من بني العباس اكثر من (٢٣) سنة بعد الإمام الصادق ﷺ مما يشير إلى ان الحديث ربما خاص بملك بني امية ولا يشير إلى ملك بني العباس.

٤ - لو تابعت بصورة عامة فترات حكم السلاطين من العثمانيين الذين حكموا بلاد المسلمين والذين حكموا في دول اخرى مثل حكم الامويين في الاندلس وحكم الفاطميين وغيرهم ستجد جملة منهم من حكم لاكثر من «٢٣» سنة مما يرجح ان القاعدة خاصة وليست عامة، وهذا يؤكد عبارة الإمام الرضا عليه السلام في نفس الحديث قوله «ان كان ابو عبد الله عليه السلام قاله جاء كما قال»، الا كونها تشير إلى ملك بني امية لانها جاءت كما قال ابو عبد الله عليه السلام، اي هي قاعدة جارية عليهم فقط وما بعدها يفعل الله ما يشاء لذلك لم يؤكد الإمام الرضا عليه السلام هذه المعلومة بجواب نعم مثلاً لانه يعلم ان هناك من سيحكم اكثر من «٢٣» سنة في بني العباس<sup>(١)</sup>.  
هذه بعض المعاني التي نستشفها من الحديث إذا نظرنا اليه من جهة الإمام الصادق عليه السلام وعصره اما إذا نظرنا إلى الحديث من جهة الإمام الرضا عليه السلام وعصره يمكن ان نخرج بالمعاني التالية

١ - لم يؤكد الإمام الرضا عليه السلام المعلومة بشكل مباشر بل اجاب بعبارة تتحمل اكثر من معنى مما اضطر السائل ان يقول للإمام عليه السلام «فقلت جعلت فداك واي شيء تقول انت» والامام هنا ايضا لم يجبه بشكل مباشر بل قال له «ما احسن الصبر وانتظار الفرج» وهي عبارة اخرى تشير إلى ان الإمام يحاول ان يبقي الأمر مبهما ولا يريد الجواب المباشر.

٢ - عبارة الإمام عليه السلام «ما احسن الصبر وانتظار الفرج اما سمعت قول العبد الصالح فارتقبوا اني معكم رقيب وانظروا اني معكم من المنتظرين، فعليكم بالصبر فانه انما يجيء الفرج على الياس وقد كان الذين من قبلكم اصبر منكم» تشير إلى انه يقول للسائل بشكل غير مباشر وما يهملك ان حكم فلان او فلان «٢٣» سنة او اكثر فتكليفكم هو انتظار القائم عليه السلام وليس زوال ملك فلان او ملك فلان، وعلمنا بيدوا ان متابعة زوال المثلك في زمن الأئمة عليهم السلام كان موضوع متداول بكثرة كما هو الحال في ايامنا هذه، فكل شخص يهتم بموضوع الإمام المهدي عليه السلام يجد نفسه من حيث يعلم ولا يعلم مهتم بمتابعة اخبار الملوك ومدة حكمهم مما جعل الإمام الرضا عليه السلام يجيب بالاهتمام بموضوع الانتظار حصراً.

٣ - ربما الإمام الرضا عليه السلام لم يجب السائل بشكل مباشر كأن يقول له نعم قال جدي ذلك بل اختار عبارة لها عدة معاني وهي «ان كان ابو عبد الله عليه السلام قاله جاء كما قال» لكي يبقى

(١) لعله من الممكن ان نشير الى امر حدث في تاريخنا المعاصر حيث حكم صدام حسين العراق من يوم ١٦/٦/١٩٧٩ لغاية يوم ٩/٤/٢٠٠٣ ومجموعها ٢٣ سنة وتسعة اشهر و٢٣ يوم وربما والله العالم ان الرقم ٢٣ له خصوصية في هلاك الظالمين والاحاديث ايضا تذكر ان جبرائيل عليه السلام سوف ينادي يوم الثالث والعشرون من شهر رمضان في سنة خروج القائم ومن ضمن ندائه (انتهت مدة الجبارين)

منطوق الجواب متعلق بالإمام الصادق ﷺ الذي هو متوفي في هذه الفترة فلا يستطيع احد ان يفعل له شيء، لان الإمام الرضا ﷺ عاش ظرف تاريخي وسياسي جداً صعب ومُعقد من فترات حكم بني العباس وخصوصاً انه عاش في زمن فيه تداعيات خطيرة اعقبت عملية قتل والده الامام موسى بن جعفر ﷺ وخوف بني العباس من ان تتحول هذه الحادثة إلى نار تُوَجِّح ثورات علوية او جماهيرية كما حدث بعد قتل الإمام الحسين ﷺ وعانت منها الدولة الاموية لذلك قام المأمون العباسي بتقريب الإمام الرضا ﷺ واعلان ولاية العهد، وهذا التصرف فيه دلالة على خطورة الموقف في ذلك الوقت، فتم تقريب الإمام الرضا ﷺ من الحكم لكي يمتصوا زخم التمرد او الثورات، وحسب هذا الوضع السياسي المتأزم إذا سُئِلَ الإمام الرضا ﷺ هكذا سؤال واجاب بنعم فهذا معناه انه يقول انه لا احد من بني العباس يحكم اكثر من «٢٣» سنة مما قد يثير الخلفاء عليه.

٤ - ربما السائل سأل الإمام الرضا ﷺ هذا السؤال لان هناك واقع تاريخي عاصره كون هارون العباسي الذي حكم قبل الإمام الرضا ﷺ قد حكم «٢٣» سنة فيكون قصد السائل ضمناً انه كيف يقول الإمام الصادق ﷺ انه لا احد يحكم كما حكم رسول الله ﷺ وهذا هارون العباسي قد حكم مثله مما جعل الإمام الرضا ﷺ يجيب بهذا الشكل، ولو تابعت حياة الإمام الرضا ﷺ لوجدت هناك جملة من الأحاديث تشير إلى انهم سألوه عن اشياء قالها الإمام الصادق بالذات مما يشير إلى وجود جهة تحاول ان تبين للناس ان كلامهم ﷺ فيه تناقض وحاشاهم<sup>(١)</sup>.

٥ - ربما الإمام الرضا ﷺ لم يؤكد الرقم لعلمه بان البداء جاري على مدة حكم المملوك اي يكون معنى الحديث ضمناً ان كل ملك او حاكم لا يتجاوز حكمه اكثر من مدة حكم رسول الله ﷺ البالغة «٢٣» سنة الا إذا حصل البداء

عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله ﷺ قال: «ما بعث الله عزّ وجلّ نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال: الاقرار بالعبودية، وخلع الأنداد، وإن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء»<sup>(٢)</sup>.

(١) واليك حديث سؤل فيه الإمام الرضا (ع) عن كلام قاله الإمام الصادق (ع)

عن الحسن بن علي الخزاز قال: دخل علي بن أبي حمزة على أبي الحسن الرضا ﷺ فقال له: أنت إمام؟ فقال (نعم). فقال: إني سمعت جدك جعفر بن محمد ﷺ يقول: لا يكون الإمام إلا وله عقب. فقال: (أنسيت يا شيخ أم تناسيت؟ ليس هكذا قال جعفر (ع) إنما قال جعفر ﷺ لا يكون الإمام الا وله عقب إلا الذي يخرج عليه الحسين بن علي ﷺ فانه لا عقب له). فقال له: صدقت جُعِلت فداك هكذا سمعت جدك يقول) الغيبة للطوسي: ٢٢٤ / ١٨٨ كذلك الايقاظ من الهجعة بالبرهان على

الرجعة/ الحر العاملي/ الباب ١٠ / ح ٩٦ / ص ٣٥٣

(٢) الكافي / الاصول / باب ٤٩ / ح ٣٦٦

## رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والشیطان

ورد بكثرة في أحاديث العامة حديث ان لرسول الله ﷺ شیطان ولكنه اسلم.  
 عن احمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «ليس منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الشياطين». قالوا: وانت يا رسول الله؟ قال «نعم، ولكن الله اعاني عليه فاسلم»<sup>(١)</sup>.  
 روى مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «ما منكم من احد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة». قالوا: واياك يا رسول الله؟ قال «وايائي، ولكن الله اعاني عليه فاسلم، فلا يأمرني الا بخير».

عن عائشة من حديث. قال رسول الله ﷺ «افاخذك شيطانك؟». قالت: يا رسول الله او معي شيطان؟ قال «نعم». قلت: ومع كل انسان؟ قال «نعم». قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال «نعم»، ولكن ربي اعاني عليه»<sup>(٢)</sup>.

وعلى ما يبدو ان بعض علمائهم لم يطمئن لظاهر الحديث كون الرسول ﷺ له شيطان، بل ومن الممكن ان يُسلم، مما يدعوا للتساؤل وهل الشياطين تُسلم؟ بل ويأمره لقوله «فلا يأمرني إلا بخير»، وما هو الشيء الذي امر به ذلك الشيطان المُسلم رسول الله ﷺ فعمل به؟ وهذا ربما يقود البعض بالضرورة للطعن في موضوع الوحي بالذات وبالتالي سلامة القرآن نفسه، فكيف نأمن على نبي له شيطان، وله كلام امر به الشيطان نفسه، فقالوا في الحديث بعض التأويلات لتخفيف شدة العبارات لان الحديث عندهم بهذه الصياغة مُشكل، ومن الطبيعي جداً انهم إذا ارادوا ان يُعالجوا مثل هذا الموضوع وغيره سيلجؤون اولا للصياغة اللغوية للكلام.

«قال الترمذي: عن سفيان بن عيينة في قول النبي ﷺ «ولكن الله اعاني عليه فاسلم». قال: يعني اسلم انا منه... قال سفيان: والشیطان لا يسلم»، وقالوا ان «اسلم» بفتح الميم اي اسلم شيطانه وصار مسلماً<sup>(٣)</sup>، وبعضهم قال «اسلم» بالرفع اي انه ﷺ سلم من شره وفتنته، وقال ابن الاثير: اي انقاد واستسلم وكف عن وسوستي.

والحق ان بعضهم وجد تأويل اخر في حديث انس بن مالك، «ان رسول الله ﷺ اتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علة فقال هذا حظ

(١) مسلم ٢٨١٤ احمد ١ / ٣٥٨

(٢) احمد ١١٥ / ٦ ومسلم ٢٨١٥

(٣) هذه القراءة بالفتح رجحها عياض والنووي في شرح مسلم

الشیطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه «اي جمعه» ثم اعاده في مكانه» قال انس وقد كنت ارى اثر ذلك المخيط في صدره»<sup>(١)</sup>.

ومعنى الحديث ان رسول الله ﷺ في اصل تكوينه فيه علقه للشیطان، وهذه قد انتزعت من رسول الله ﷺ وهو طفل صغير وهو يلعب مع الصبيان وهو قبل الوحي بكثير مما لا يشكل شائبة على موضوع العصمة لا على اقل تقدير في فترة ما بعد الوحي، لكن هذه التخريجة لا تصمد امام الأحاديث السابقة لانها تُقرّ ان شیطان النبي قد اسلم بل ويأمره ايضاً، وهذه عبارات تدل بشكل واضح ان هذا الشيطان استمر تواجده مع رسول الله ﷺ حتى بعد الرسالة لانه يقول عنه «اسلم».

ويخالف هذه التخريجة ايضاً الحديث الذي يروونه كون رسول الله ﷺ كان يتعوذ من الشيطان في كل ليلة، فكيف يكون اسلم ورسول الله ﷺ يدعوا عليه كل ليلة كما في الحديث «ان رسول الله ﷺ إذا اخذ مضجعه من الليل قال: بسم الله وضعت جنبي، اللهم اغفر لي ذنبي، واخساً شيطاني، وفك رهاني، واجعلني في الندي الاعلى»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية اخرى «تخزي شيطاني»، فكيف يقول عنه «انه لا يأمرني إلا بخير» وهو يتعوذ منه كل ليلة.

ولعل هذه الأحاديث وامثالها هي التي جعلت البعض منهم يقول بوجود حالين في شخص الرسول ﷺ، الحال الأول هو حال النبي وما يتعلق به من نزول الوحي والتشريع وادارة شؤون الامة، والثاني هو حال الإنسان الذي يجري عليه ما يجري على الناس وموضوع العصمة متعلق بالحال الأول فقط، وعلاقته مع الشيطان الذي اسلم متعلق بالموضوع الثاني.

والحقيقة انهم لا يمكنهم ان يُخرّجوا هذه الأحاديث بطريقة سليمة لانهم يرون في الشيطان صفة داخلية في الإنسان ولم يخطر ببالهم بل لا يعرفون اصلاً ان الشياطين انواع منهم الانسي ومنهم الجنى وهؤلاء لهم تحقق في الخارج على هيئة اشخاص.

والحق ان في القرآن وأحاديث اهل بيت العصمة صلوات الله عليهم تصور اخر يختلف عما يقوله ابناء العامة، قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد ورد عداوة الشيطان للأنبياء في موارد اخرى ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾<sup>(٤)</sup>، حتى ان عملية هبوط آدم وإبليس وصفت بانها عداوة ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) مسلم ٢٦١ احمد ٣/١٤٩ ابن حبان ١٤/٢٤٢

(٢) سنن ابو داود ٥٠٥٤

(٣) الأنعام/ ١١٢

(٤) طه/ ١١٧

(٥) طه/ ١٢٣

والآية صريحة بوجود اعداء للأنبياء من الشياطين من «الانس والجن» وقد التفت بعض علماء العامة لجو الآية كون فيها مخرج لهذه الأحاديث لانها تثبت ان للنبي عدوا من الشياطين ولكنه «اسلم»، ولكن الآية لو اعتمدوا عليها كمصداق للحديث فانها ستوقعهم باشكال اكبر كون هؤلاء الشياطين من الانس والجن، وبالتالي يجعل المتأمل يسأل نفسه من هم هؤلاء الانسيين؟ ولماذا اسلم شيطان الرسول ﷺ ولم يسلم غيره؟ وهذا ما سيوضحه لنا الحديث التالي.

عن ابي عبد الله عليه السلام قال «ما بعث الله رسولا إلا وفي وقته شيطانان يؤذيانه ويفتنانه ويضلان الناس بعده، فأما الخمسة أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، فأما صاحباً نوح فطنطينوس وخرام، وأما صاحباً إبراهيم فمكيل ورذام، وأما صاحباً موسى فالسامري ومرعقيا، وأما صاحباً عيسى فينواس ومريسون، وأما صاحباً محمد ﷺ فحبتير وزريق»<sup>(١)</sup>.

والحديث تُصدّقه الآية، لان الآية تقول بوجود جهتين «انس وجن» والحديث يقول بوجود اثنان سماهما «شيطانان»، وكذلك الآية تسميهم شياطين، والحديث يشير إلى هؤلاء «الشيطانان» لا ينطبق عليهم مفهوم كون الشيطان «يسري من بني ادم سريان الدم في العروق»، بل هما موضعان خارجيان متشخصان باشخاص ولهم اسماء إلا ان احدهم جني واخر انسي، فلا يصح بعدها القول ان لرسول الله ﷺ شيطان بمعنى انه يسري منه مسرى الدم في العروق كما هو حال الناس، بل له شيطانان بمعنى «عدوان من الانس والجن» متشخصين في الخارج ولهم اسماء يتسمون بهما، فوجود هؤلاء مع الأنبياء من باب الضدية في الصراع لانهم اعداء، وبما ان التكليف للانس والجن فكان اعداء الأنبياء منهم ظاهرين من الانس والجن، وهؤلاء وان كانوا من الانس والجن الا انه سماهم شياطين لانهم منافقون يظهرون الإسلام ويضمرون الكفر ومن هنا قال عنهم «اسلم» كما في روايات العامة ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، ولو كان الشيطان هنا صفة كما يقولون ما قال عنه «اسلم»، وهذه العبارة لوحدها دالة على تشخصه في الخارج على هيئة انسان، لان الذي في الداخل لا يمكن ان يسلم اما الذي في الخارج لكونه شيطان فمن الممكن ان يسلم «خوفا طمعا»، وحسب روايات العامة كون هذا الشيطان اسلم فاننا لا نعرف هل الذي اسلم الشيطان الجني ام الشيطان الانسي.

والعبارة الواردة في حديث الإمام ابي عبد الله عليه السلام «صاحباً محمد» قصدية الدلالة كونهما موضوعان خارجيان بل شخصان معروفان، بل استخدمها مع كل الأنبياء كما في الحديث،

(١) تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٣/ ص ٨٥/ ح ٢

(٢) الحجرات/ ١٤

ولفظه «صاحب» تدل بشكل واضح ان كل هؤلاء لم تكن عداوتهم مُعلنة والا لم يسميهما صاحبان، بل كانت عداوتهما مُضمرة والناس تسميهم «أصحاب»، لذلك عبّر عنها الحديث بعبارة اسم «اعانني الله عليه فاسلم»، اي اسلم ظاهراً، وهذه علما يبدوا سنّة جارية في تاريخ الأنبياء كون كل هؤلاء الشياطين محيطين بالأنبياء وهم من خاصة أصحابهم، وعلما يبدوا ان امثال هؤلاء يُفتتن بهم الناس في كل الديانات بعد رحيل الأنبياء، وهذه الشخصيات التي ذكرها الحديث الوارد عن ابي عبيد الله ﷺ بحاجة لتقصي تاريخي مفرد لمعرفة طبيعة عملهم وطبيعة صراعهم مع الأنبياء وطبيعة التحريف الذي حصل في الديانات.

ولكن من هما «حبر وزريق»؟ والشيعي لا يحتاج إلى دليل لتحديد هوية هاذين الشيطانين الانسي والجني لان الأحاديث كثيرة جدا بتحديد شخصيتهما.

في قوله تعالى ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾<sup>(١)</sup>.

عن ابي عبد الله ﷺ «يؤتى بجهنم لها سبعة ابواب بابها الأول للظالم وهو زريق، وبابها الثاني لحبر، والباب الثالث للثالث، والرابع لمعاوية، والباب الخامس لعبد الملك، والباب السادس لعسكر بن هوسر، والباب السابع لابي سلامة، فهم ابواب لمن تبعهم»<sup>(٢)</sup>.

عن ابي عبد الله ﷺ «كانت امرأة من الانصار تدعى حسرة تغشى آل محمد ﷺ وتحن، وان زفر وحبر لقيها ذات يوم فقالا: اين تذهبين يا حسرة؟ فقالت: اذهب إلى آل محمد فاقضي من حقهم واحدث بهم غدا، فقلا: ويلك انه ليس لهم حق انما كان هذا على عهد رسول الله ﷺ، فانصرفت حسرة ولبثت ايام ثم جاءت فقالت لها ام سلمة زوجة النبي ﷺ ما ابطأ بك عنا يا حسرة؟ فقالت: استقبلني زفر وحبر فقالا: اين تذهبين يا حسرة؟ فقلت: اذهب إلى آل محمد فاقضي من حقهم الواجب، فقالا: انه ليس لهم حق انما كان هذا على عهد النبي ﷺ، فقالت ام سلمة: كذبا لعنهما الله لا يزال حقهما واجبا على المسلمين إلى يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

عن اسحاق بن عمار الصيرفي سألت الإمام الكاظم ﷺ هذا السؤال جعلت فداك حدثني بحديث في ابي بكر وعمر فقد سمعت من ابيك أحاديث عدة. فقال ﷺ «يا اسحاق الأول بمنزلة العجل والثاني بمنزلة السامري.....»<sup>(٤)</sup>.

(١) الحجج / ٤٤

(٢) البرهان: ٢ / ٣٤٥

(٣) ثواب الاعمال وعقاب الاعمال / ص ٢١٦ الخصال / ص ١٩٩

(٤) ثواب الاعمال وعقاب الاعمال / ص ٢١٦ الخصال / ص ١٩٩



## عمر الدنيا

قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك ان الناس يزعمون ان الدنيا عمرها سبعة آلاف سنة. فقال «ليس كما يقولون ان الله خلق لها خمسين الف عام فتركها قاعاً قفراً خاوية عشرة آلاف عام، ثم بدأ فخلق فيها خلقاً ليس من الجن ولا من الملائكة ولا من الانس وقدر لها عشرة آلاف عام، فلما قربت آجالهم افسدوا فيها فدمر الله عليهم تدميراً، ثم تركها قاعاً قفراً خاوية عشرة آلاف عام ثم خلق فيها الجن وقدر لهم عشرة آلاف عام فلما قربت آجالهم افسدوا فيها وسفكوا الدماء وهو قول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾<sup>(١)</sup> كما سفكت بنو الجان فاهلكهم الله ثم بدأ فخلق ادم وقرر له عشرة آلاف وقد مضى من ذلك سبعة آلاف عام ومائتان وانتم في آخر الزمان»<sup>(٢)</sup>.

لا ادري على وجه الدقة ان الدنيا كمفهوم زمني من اين تبدأ وإلى اين تنتهي، وهل هي فترة زمنية تشغل عدة مخلوقات ويدخل فيها كل الاوادم السابقين؟ ام هي فترة تواجد آدمنا فقط؟ والذي اظنه ان الدنيا كمفهوم زمني متعلق بموضوع التكليف، فكل مخلوق يُكلف فهو في الدنيا<sup>(٣)</sup>، فتكون الدنيا هي فترة التكليف الممتدة من خروج آدم من الجنة إلى يوم رجوع ذريته اليها في الرجعة، والرجعة نهاية الدنيا بالنسبة اليها وبداية عالم البرزخ الكوني.

والحديث بحد ذاته بحاجة لبحث مفرد، الا انه يُعطينا معلومة كون «الدنيا» خمسين الف عام، ويُشير لى ان الدنيا كمفهوم زمني يمكن ان تتواجد فيه عدة مخلوقات بشكل متسلسل، وان فترة تواجد آدمنا وذريته هي فترة محدودة من الدنيا «عشرة آلاف سنة» وليست هي كل الدنيا، ويُقسّم الدنيا إلى خمسة اقسام كل قسم عشرة آلاف سنة.

(١) البقرة/ ٣٠

(٢) تفسير العياشي: ٣١ / ١

(٣) لا اقصّد من هذا الكلام ان التكليف سينقطع نهائياً بعد نهاية الدنيا فلا قوام لاي كائن الا بتكليف، لان تكليفه هو عين وجوده كما في قوله تعالى ﴿كل قد علم صلاته وتسيّحه﴾ (النور/ ٤١) ولكن التكليف انواع يختلف باختلاف العوالم فالتكليف في كل عالم حسب جنس ذلك العالم، ففي الجنة مثلاً تكليفهم هو عين نعيمهم، وعندما اقول ان كل مخلوق يُكلف فهو في الدنيا اقصّد منه التكليف الذي على موجب سيحاسب اما الى الجنة واما الى النار اما بقية التكاليف ما بعد الدنيا فهي تابعة للدرجة التي وصل اليها المخلوق والعالم الذي يحل فيه.

١- عشرة آلاف سنة قاعاً قفراً

٢- عشرة آلاف سنة فيها خلق ليسوا من الملائكة ولا الجن ولا الإنسان

٣- عشرة آلاف سنة قاعاً قفراً

٤- عشرة آلاف سنة فترة الجن

٥- عشرة آلاف سنة المدة المقررة لأدم

والبعض يتصور ان مفهوم الدنيا يبدأ من اول خلق آدم ولكن الحديث يعطينا تصور اخر ان الدنيا لم تبدأ من يوم خلق آدم ابو دورتنا بل هي قبله بكثير، وبهذا تكون الدنيا فيها عدة مراحل نحن في اخرها الذي مضى منها سبعة آلاف ومائتان من يوم صدور هذا الحديث.

ويمكن اجراء عملية حسابه بسيطة لمعرفة كم تبقى من الدنيا على موجب فترة العشرة آلاف سنة التي حددها الحديث، فالحديث صدر في زمن الإمام الصادق عليه السلام اي ان الوقت الذي صدر فيه الحديث يكون قد مضى من الدنيا «٧٢٠٠» عام وبقي منها في يوم صدور الحديث «٢٨٠٠» عام، وبما ان الإمام الصادق عليه السلام توفي سنة «١٣٨ هـ» وبما اننا اليوم بتاريخ «١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م» فيكون التالي:

$$١٢٩٨ = ١٣٨ - ١٤٣٦$$

«١٢٩٨» عام هو ما مضى من العشرة آلاف سنة بعد صدور الحديث، فإذا جمعناه مع ما مضى من العشرة آلاف سنة قبل صدور الحديث وهو «٧٢٠٠» يكون التالي:

$$٨٤٩٨ = ١٢٩٨ + ٧٢٠٠$$

«٨٤٩٨» عام هو ما مضى من العشرة آلاف سنة إلى يومنا هذا

$$١٠٠٠٠ - ٨٤٩٨ = ١٥٠٢$$

عام وهو المتبقي من العشرة آلاف سنة

ولكن هنا يبرز لنا سؤال هل ان نهاية هذه العشرة آلاف سنة هو بداية يوم القيامة والحساب والثواب ام ان المتبقي «١٥٠٢» فيه احداث اخرى

اقول: لا يمكن ان تنتهي الدنيا الا إذا حكم آل محمد عليهم السلام وهي قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ

فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً<sup>(١)</sup>، وقوله ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فيكون ملك آل محمد<sup>(ص)</sup> من ضمن العشرة آلاف سنة المقررة لتواجد آدم وذريته وهو من ضمن «١٥٠٢» المتبقية، ولكن الأحاديث تقول عن هذا الملك انه طويل كما ورد في الدعاء «وتمتعه فيها طويلا» فكم هي فترة دولة القائم من ضمن «١٥٠٢» المتبقية؟

بالاسناد عن بريده الاسلمي قال: قال رسول الله<sup>(ص)</sup> «كيف إذا استيأست أمتي من المهدي فيأتيها مثل قرن الشمس يستبشر به أهل السماء وأهل الأرض فقلت يا رسول الله<sup>(ص)</sup> بعد الموت؟ فقال<sup>(ص)</sup> والله أن بعد الموت هدى وأيمان ونوراً قلت يا رسول الله<sup>(ص)</sup> أي العمرين أطول قال<sup>(ص)</sup> «الأخر بالضعف»<sup>(٤)</sup>.

عن الإمام الحسن بن علي<sup>(عليه السلام)</sup> «أنه مر في مسجد رسول الله<sup>(ص)</sup> بحلقة فيها قوم من بني امية، فتغامزوا به وذلك عندما تغلب معاوية على ظاهر أمره. فرآهم وتغامزهم به، فصلى ركعتين ثم جاءهم فلما رأوه جعل كل واحد منهم يتنحى عنه مجلسه له، فقال لهم: «كونوا كما أنتم فإني لم أرد الجلوس معكم ولكن قد رأيت تغامزكم بي: أما والله لا يملكون يوماً ألا ملكنا يومين ولا شهراً ألا ملكنا شهرين ولا سنة ألا ملكنا سنتين.....»<sup>(٥)</sup>.

هذه الأحاديث تشير صراحة إلى ان فترة ملك آل محمد في اخر الزمان هو ضعف فترة ملك اعدائهم، وبما ان بني امية حكموا قرابة «٩١» عام وبني العباس حكم قرابة «٥٠٨» عام فيكون مجموع ما حكم اعداء آل محمد<sup>(ص)</sup> «٥٩٩» اي تقريبا «٦٠٠» عام فيكون ضعفه هو «١٢٠٠» عام فيكون التالي:

$$١٢٠٠ - ١٥٠٢ = ٣٠٢ \text{ عام}$$

وقد يضمن البعض ان «٣٠٢» هو الفترة المتبقية لظهور الإمام المهدي<sup>(عليه السلام)</sup> وهو غير صحيح لان الأحداث الخاصة بما بعد الإمام المهدي طويلة جدا ومنها احداث نزول المسيح وظهور

(١) البقرة/ ٣٠

(٢) الأنبياء/ ١٠٥

(٣) الزمر/ ٧٤

(٤) الايقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ٩/ ح ١٠١/ ص ٢٨٩

(٥) بحار الأنوار/ المجلسي: ٩٠/٤٤ - ومثله في مناقب آل أبي طالب: ١٧٥/٣

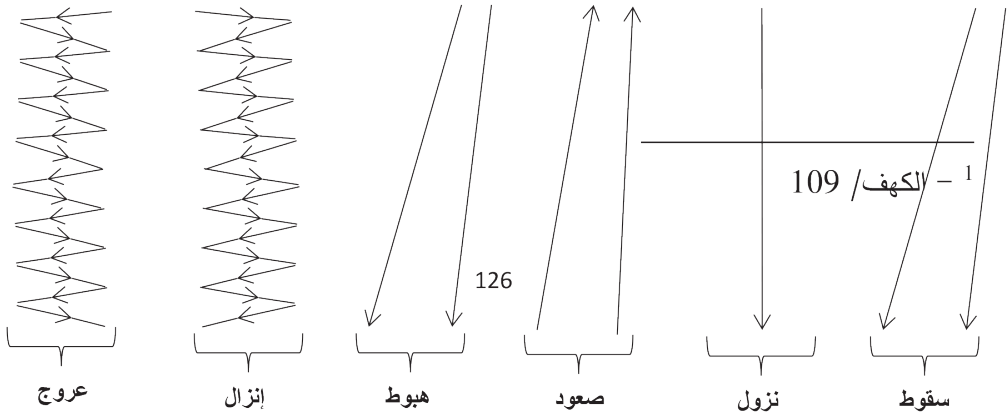
الذجال وطلوع الشمس من مغربها ورجعة الإمام الحسين عليه السلام والإمام علي عليه السلام وهذه قد تشغل مساحة زمنية قد تصل إلى «٣٠٠» سنة وخصوصا ان المرويات تقول ان الإمام المهدي يحكم «١٩» سنة ويموت وله فترة حكم اخرى تبلغ سبعة سنوات كل سنة بعشر سنين من سنيكم هذه فتبقى فترة الـ «٣٠٠» فترة معقولة لكي تجري فيه كل هذه الأحداث وبالنتيجة النهائية وحسب هذه الأرقام فان الظهور قريب ان شاء الله

اما إذا احتج علينا البعض كون الأحاديث تذكر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رجعتة سيحكم «٥٠٠٠٠» سنة والإمام علي عليه السلام يحكم «٤٤٠٠٠» سنة فهذه ليست من فترة الدنيا بل من فترة البرزخ الكوني الذي ستصل اليه الخلائق في رحلتها الوجودية في نهاية الرجعة.

## متابعة بعض الألفاظ من خلال مفهوم الحركة

الواضح جداً أن لكل لفظ معنى هو الذي يسمونه المعنى اللغوي، والمعروف أن الألفاظ تتعدد معانيها نتيجة تعدد الاستخدام اللغوي لها، فالألفاظ يمكن أن تتغير معانيها حسب دلالة الجملة التي يستخدم فيها اللفظ، ولا بد هنا من التساؤل هل من الممكن إيجاد طرق أخرى غير المعنى اللغوي لفهم مدلولات بعض الألفاظ؟ هل من الممكن أن نفهم معاني الألفاظ بدلالة مفهوم معين؟ كما لو نفهم بعض معاني الأفعال بدلالة مفهوم الحركة، أو فهم معاني بعض الألفاظ بدلالة مفهوم الزمن مثلاً، وهنا سنجري وراء هذا التصور في محاولة لوضع تعاريف أولية لبعض الألفاظ ليس القصد منها إيجاد انطباق كلي على مواردها القرآنية فهذا امر غير ميسور وقد قال عزّ من قال ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾<sup>(١)</sup>، وعن الصادق عليه السلام قال «ان للقرآن ظهر ولبطن وللبطن بطن حتى سبعة ابطن»، وقالوا عليه السلام «ان لنا في كل لفظ سبعون وجهاً ولنا في كلها المخرج».

وهنا اريد ان اخرج بشكل معين من دائرة فهم اللفظ لغويا، وادور حول معانيه الجزئية من خلال متابعة معاني هذا اللفظ من خلال دالة يمكن ان تعمل عليه، وستابع الفاظ خاصة من خلال مفهوم الحركة ومفهوم الوقت.



## ١ - السقوط:

هو حركة الشيء من الاعلى إلى الاسفل بشكل مستقيم او مائل غير مسيطر عليها إلى مكان غير معلوم، «لاحظ الشكل - ا»، كما تقول «سقطت الطائرة» او «سقط النيزك»، فانت ترى الحركة ولكن لا تعرف اين سيستقر بها الحال، فالسقوط حركة مرتبطة بالمجهول مكاناً وبعدم السيطرة فعلاً، وعادة ما يتبع السقوط دمار او عذاب ﴿أَوْ تُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾<sup>(١)</sup>.

## ٢ - النزول:

وهو حركة الشيء من الاعلى إلى الاسفل بشكل مستقيم عمودي حصراً «لاحظ الشكل - ب»، كما تقول «نزل المطر» او «نزل المصعد»، قوله ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾<sup>(٢)</sup>، والنزول حركة مسيطر عليها وتنتهي إلى مكان معلوم، وحسب هذا الفهم الحركي لمعنى السقوط والنزول لا يصح ان تقول سقوط المطر بل نزول المطر.

## ٣ - الصعود:

هو حركة الشيء من الاسفل إلى الاعلى بشكل خط مستقيم او مائل منضبطة ومسيطر عليها «لاحظ الشكل - ج» كما في حركة صعود الجبل او الصعود إلى العمارة او صعود الطائرة.

## ٤ - الهبوط:

هو حركة الشيء من الاعلى إلى الاسفل بشكل خط مستقيم او مائل وهي حركة منضبطة مسيطر عليها تنتهي إلى مكان معلوم ومقرر سلفاً، كما تقول «هبطت الطائرة» فهي حركة منضبطة مسيطر عليها تنتهي إلى مكان معلوم مسبقاً وهو ارض المطار، وكذلك عندما تقول هبطت المضلة، او كما تقول هبطت الملائكة وهكذا لذلك إذا هبطت الطائرة استقرت وإذا سقطت تدمرت «لاحظ الشكل - د».

والهبوط له عدة معاني منها معنى هندسي مرتبط بالحركة من الاعلى إلى الاسفل كما ذكرنا، ومنه معنى رتبي بالهبوط من حال عالي إلى حالي داني كما تقول «هبطت المعنويات» او بمعنى تغيير الحال، والهبوط بالمعنى الرتبي و تغيير الحال كما في قوله ﴿قَالَ اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد يجتمع المعنى الهندسي والرتبي في حركة واحدة كما في المورد القرآني اعلاه ايضاً، والهبوط يتبعه استقرار لذلك قال ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾، وبما ان الهبوط

(١) سبأ/ ٩

(٢) البقرة/ ٢٢

(٣) طه/ ١٢٣

ينتهي إلى منطقة معلومة سميت تلك الاماكن «مهابط» كما ورد بعبارة «مهبط الوحي» او «مهبط الملائكة».

وحسب هذا الفهم الحركي لمعنى النزول والهبوط لا يصح ان تقول نزلت الطائرة بل هبطت الطائرة.

#### ٤ - الانزال:

كما ان السقوط والهبوط يشتركان بكونهما حركة من الاعلى إلى الاسفل ولكنهما يختلفان بالخصائص، كذلك النزول والانزال يشتركان بمعنى الحركة من الاعلى إلى الاسفل ولكن يختلفان بالخصائص.

فالانزال حركة الشيء من الاعلى إلى الاسفل يرافقتها تمايل ذات اليمين وذات الشمال اي حركة موجية، «لاحظ الشكل - ه» لانها تحمل في طياتها معنى حركة الشيء العظيم من الاعلى إلى الاسفل، وكمعنى علوي تحمل معنى الفيض في حركة ظهور الشيء من الاجمال إلى التفصيل ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالسقوط والنزول والهبوط والانزال بينهم تشابه عام من حيث الحركة من اعلى إلى اسفل ولكن يختلفون من ناحية القيمة معنوياً واعتبارياً، فمثلاً الهابط من الناحية المعنوية ينقص من قدره او من مميزاته شيء، كما في عملية هبوط آدم وإبليس، لذلك عبر عنها بالهبوط ولم يقل نزلا لانهما فقدا الكثير من خصائصهما في هذه العملية، وكذلك الملائكة إذا انتقلت من العالم العلوي إلى الأرض تفقد صورتها الملائكية وتظهر بالصورة البشرية كما في قوله تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، اما الانزال ففيه لا يفقد المنزل من قيمته شيء كما هو «نزول القرآن» ولم يقل هبوطه.

ويمكن ان تلاحظ معنى معين في عبارة الزيارة الجامعة «وما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته»، ففي هذ العبارة جمعت النزول والهبوط في سياق واحد، ويمكن ان يكون الرسل هنا هم انفسهم الملائكة، ولكن عندما تأتي الملائكة بامر خاص او تشريعي يقال عنها نزلت، كما ورد في الأحاديث ان «جبريل ينزل على رسول الله ﷺ»، وإذا جاءت بامر خارج التشريع قيل هبطت، فحركة الملائكة تشريعياً نزول وهو يحمل معنى الوحي، وحركتها كتنفيذ وتدبير هبوط.

(١) النحل/ ٨٩

(٢) الأنعام/ ٩

## ٥ - العروج:

هي حركة من الاسفل إلى الاعلى على شكل خط مستقيم ذات اليمين وذات الشمال اي حركة موجية «لاحظ الشكل - و»، وهي بمعنى صعود الادنى إلى الاعلى، وهو مبدأ الوسيلة التي من خلالها يتقبل العمل، كما ورد «الصلاة معراج المؤمن»، وعلى ظاهر القرآن الكريم فان حركة العروج حركة سماوية فقط كما في قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾<sup>(١)</sup>، فالذي يتحرك من السماء إلى الأرض نزول، والذي يتحرك داخل السماء فهو عروج، فالعروج على المعنى السماوي هو حركة من سماء لآخرى لذلك قيل الإسراء والمعراج، فالإسراء حسب هذا التصور هو الوصول إلى السماء، اما المعراج فهو الحركة فيها.

وإذا اردنا ان نربط بعض هذه الألفاظ مع مفهوم اخر غير الحركة وهو نوع الوقت فيكون لدينا معاني لهذه المفاهيم من خلال الحركة ونوع الوقت.

فقد ذكرنا سابقا ان هناك اوقات متعددة في الكون فهناك العالم ذو الوقت الدهري، وهناك العالم ذو الوقت الزماني وما بينهما العالم ذو الوقت البرزخي فيمكن القول.

العروج: هو حركة من الاسفل إلى الاعلى من الزمان إلى الدهر او هو حركة داخل الاعلى فقط اي داخل الدهر فكلها عروج ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

والهبوط: هو حركة من الاعلى إلى الاسفل من الدهر إلى البرزخ او من البرزخ إلى الزمان.  
والنزول: هو حركة من الاعلى إلى الاسفل في الزمان

(١) سبأ/ ٣٤

(٢) المعارج/ ٤

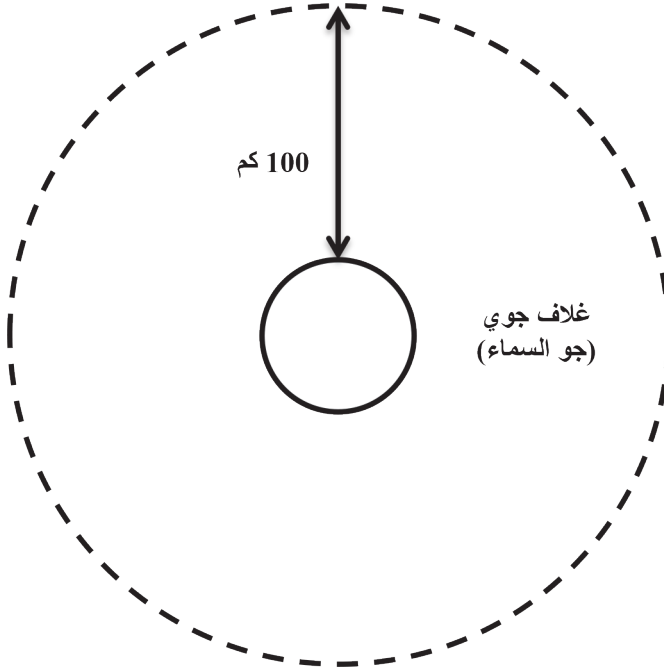


## جو السماء - الموج المكفوف - البحر المكفوف

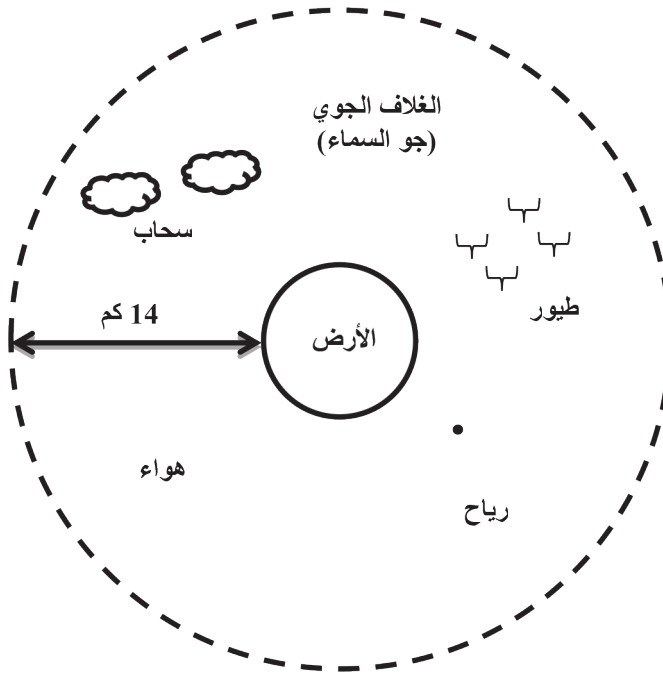
قال تعالى ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

المعنى الغالب للفظة السماء هي كل ما يرتفع فوق الرأس فهي تبدأ من فوق الرأس إلى ما شاء الله، والآية الكريمة تشير إلى وجود جزء من السماء له تسميه خاصة سمته «جو السماء»، ولعل قصد الآية الكريمة بموضوع «جو السماء» هو ما نسميه حالياً «الغلاف الجوي للأرض»، دليل ذلك من نفس سياق الآية الكريمة كون الطير مسخرات في جو السماء، والطيور يعيش في الغلاف الجوي الأرضي ولا يتعداه، والغلاف الجوي الأرضي يتكون من عدة غازات وهو كمعدل يمتد إلى أكثر من «١٠٠» كيلو متر عن سطح الأرض، وكلما ارتفعنا عن سطح الأرض قلت كثافة الغازات، وهو يتكون من أربع طبقات أساسية «التروبوسفير - الستراتوسفير - الميزوسفير - الثيروسفير»، وتعتبر طبقة التروبوسفير الأولى التي تمتد لمسافة «١٤» كيلومتر هي أهم طبقات الغلاف الجوي الأرضي ويعتمد عليها الإنسان والحيوان والنبات في العيش والتنفس وهي المساحة التي تستغلها الطيور كفضاء لها في الطيران، وبعد مسافة «١٠٠» كيلومتر يبدأ الفضاء الخارجي

لاحظ الشكل «١».



الشكل «١»



شكل «٢»

ويؤيد هذا المعنى الحديث التالي

ورد في خطبة عيد الفطر للإمام علي (عليه السلام) «وجرت الرياح اللواقح في جو السماء والسحاب»<sup>(١)</sup> وبهذا يكون جو السماء هو الفضاء الذي تتحرك فيه الطيور والرياح والسحاب وهو المعروف عندنا بالغللاف الجوي الأرضي لاحظ الشكل «٢».

وان الذي سمته الآية الكريمة بجو السماء له تسمية اخرى في الأحاديث وهو الهواء كما في حديث الإمام علي (عليه السلام) «بين السماء والهواء بحر عجاج يتلاطم به الامواج»<sup>(٢)</sup> وتذكر الأحاديث ان في هذا الهواء مخلوقات لا نراها ولا نعرفها بل الواضح ان هذه المنطقة مشحونة بالحياة كما في الأحاديث التالية.

عن صفوان الجمال قال: كنت بالحيرة مع ابي عبد الله (عليه السلام) اذ اقبل الربيع وقال: أجب أمير المؤمنين، فلم يلبث ان عاد، قلت: اسرعت الانصراف، قال «انه سألني عن شيء فاسأل الربيع عنه»، فقال صفوان: وكان بيني وبين الربيع لطف، فخرجت إلى الربيع فسألته فقال: اخبرك العجب ان الاعراب خرجوا يجتنون الكمأة فاصابوا في البر خلقاً ملقى، فأتوني به فادخلته على الخليفة، فلما رآه قال: نحه وادع جعفر، فدعوته فقال: يا ابا عبد الله اخبرني عن الهواء ما فيه؟ قال «في الهواء موج مكفوف»، قال: فيه سكان؟ قال «نعم»، قال: وما سكانه؟ قال «خلق ابدانهم ابدان الحيتان، ورؤوسهم رؤوس الطير، ولهم اعراف كأعراف الديكة، ونغانغ كنغانغ الديكة، واجنحة كاجنحة الطير من اللون اشد بياضا من الفضة المجلوة»، فقال الخليفة: هلم الطشت، فجنّت به وفيها ذلك الخلق وإذا هو والله كما وصفه جعفر، فلما خرج جعفر قال: يا ربيع هذا الشجا المعترض في حلقي من اعلم الناس»<sup>(٣)</sup>.

ولا اعرف على الحقيقة المعنى اللغوي لعبارة «الموج المكفوف» ففي المعاجم في مادة «كفّ» عدة معاني منها كفّ الثياب اي طيها، ومنها الكفيف بمعنى فاقد البصر، وإذا اخذنا هاذين المعنيين مع مُجمل ما ورد في الأحاديث حول الموج المكفوف يمكن القول بان الموج المكفوف هو الفضاء ذو المراتب المطوية الذي لا يُرى، والمعنى العام يمكن ان ينطبق على طبقات الغلاف الجوي كونها طبقات غير مرئية، ومن الحديث يتبين ان الهواء فيه كائنات والواضح انها كائنات غير مرئية ولكنها إذا اقتربت كثيرا من اجوائنا الملامسة للأرض يمكن

(١) مفاتيح الجنان/ خطبة عيد الفطر

(٢) المناقب: ٢/ ٤٣٣

(٣) بحار الأنوار: ٥٦/ ٢٣٨

رؤيتها كما حدث في هذا المخلوق الذي تحدث عنه الحديث اعلاه، ويوجد حديث اخر يحدد وجود حيات في الهواء تصيدها البزاة، عنهم ﷺ «ان بين السماء والأرض حيات خضر تصيدها بزاة شهب يمتحن بها اولاد الأنبياء»<sup>(١)</sup>، وما دامت التي تصيدها هي البزاة فهو طير لا يرتفع اكثر من «٥» كيلومتر فهذه الكائنات لا بد وان تكون في غلافنا الجوي، ويمكن تفسير عدم امكانية رؤيتها اما لان اجسامها من سنخ الهواء فهي رقيقة برقته فلا يمكن رؤيتها في عالمها الا إذا وصلت لمستوى الأرض فتشكف ويمكن رؤيتها، او ان طبيعة الطبقات العليا للهواء مانعة من رؤيتها كما نرى في كائنات البحر فانت تستطيع ان ترى بعينيك كائنات البحر على مستوى عشرات الامتار ولكن بعد ان يصبح عمق البحر مئات الامتار فلن ترى شيء سوى الظلام علما ان قاع البحر مشحون بالحياة ونحن لا نراه، وربما هكذا كلما توغلنا في الفضاء زاد الظلام وقلت امكانية الرؤيا، او يمكن القول ان هذه الكائنات وان كانت موجودة في الغلاف الجوي الأرضي الا انها تعيش بفضاءات مغلقة خاصة بها اشبه بالمحميات البيئية فهي ما دامت في تلك المحميات فلا احد يراها اما إذا خرجت منها سقطت على الأرض وراها الناس.

وبصورة عامة اجواء هذه الأحاديث تشير إلى ادلة تساند النظريات التي تؤمن بوجود كائنات فضائية والنظريات التي تؤمن بوجود عوالم غير عوالمنا، وهو الموضوع الذي اثير حوله جدل كبير في الاوساط الغربية من وجود كائنات فضائية لها زيارات عديدة للأرض، وتوجد مؤشرات واضحة في ارث اغلب الحضارات القديمة تشير إلى هذا الموضوع، والارث الديني غني بالامثلة عنها ولكنهم يعتقدون ان تلك العوالم خارج نطاق كوكبنا الأرضي بكثير الا ان هذه الأحاديث وهذا التحليل الذي نوردته ربما يشير إلى ان قسما منها قريب مّا جداً بل في غلافنا الجوي، وبالنتيجة يمكن القول ان الهواء والفضاء مشحون بالحياة الا ان انماط هذه الحياة ليست مالوفة لدينا كتركيب وماهية وطريقة عيش.

وقد ورد في المرويات كلام عن الموج المكفوف كونه السماء الدنيا، سئل رسول الله ﷺ عن السماء قال «هذا موج مكفوف عنكم»، وعن أمير المؤمنين ﷺ سئل عن السماء الدنيا مما هي؟ قال «من موج مكفوف»<sup>(٢)</sup>.

وهناك تعبير اخر ورد في المرويات ليس «الموج المكفوف» بل «الجو المكفوف».

(١) بحار الأنوار: ٣٣٩/٥٦

(٢) الخصال: ٣

عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام «اللهم رب السقف المرفوع والجو المكفوف الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفاً للنجوم السيارة وجعلت سكانه سبطاً من ملائكتك.....»<sup>(١)</sup>

عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام «ان من الآيات التي قدرها الله للناس مما يحتاجون اليه البحر الذي خلقه الله بين السماء والأرض، قال: وان الله قدر فيه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب.....»<sup>(٢)</sup>.

وحديث اخر يبين ان هذا البحر بين «السماء والهواء»

عن الإمام علي عليه السلام «بين السماء والهواء بحر عجاج يتلاطم به الامواج»<sup>(٣)</sup>.

وهذا كما يبدو ليس غلافنا الجوي الذي تسميه الأحاديث «الهواء» و«الموج المكفوف» بل هو فضاء اعلى من غلافنا الجوي لان فيه مجرى الشمس والقمر والنجوم والكواكب وسكانه من الملائكة، وما دام القمر يجري في «الجو المكفوف» فهذا معناه ان حدود البحر المكفوف تبدأ من اسفل فلك القمر إلى بداية السماء الدنيا، فهو ما يقابل عندنا الفضاء الخارجي الذي تنعدم فيه الجاذبية.

وعليه يمكن وضع جدول لترتيب هذت المثابات من الأرض إلى السماء الأولى

الهواء - الموج المكفوف	الغلاف الجوي الأرضي
الجو المكفوف	الفضاء الخارجي
السماء	السماء الدنيا

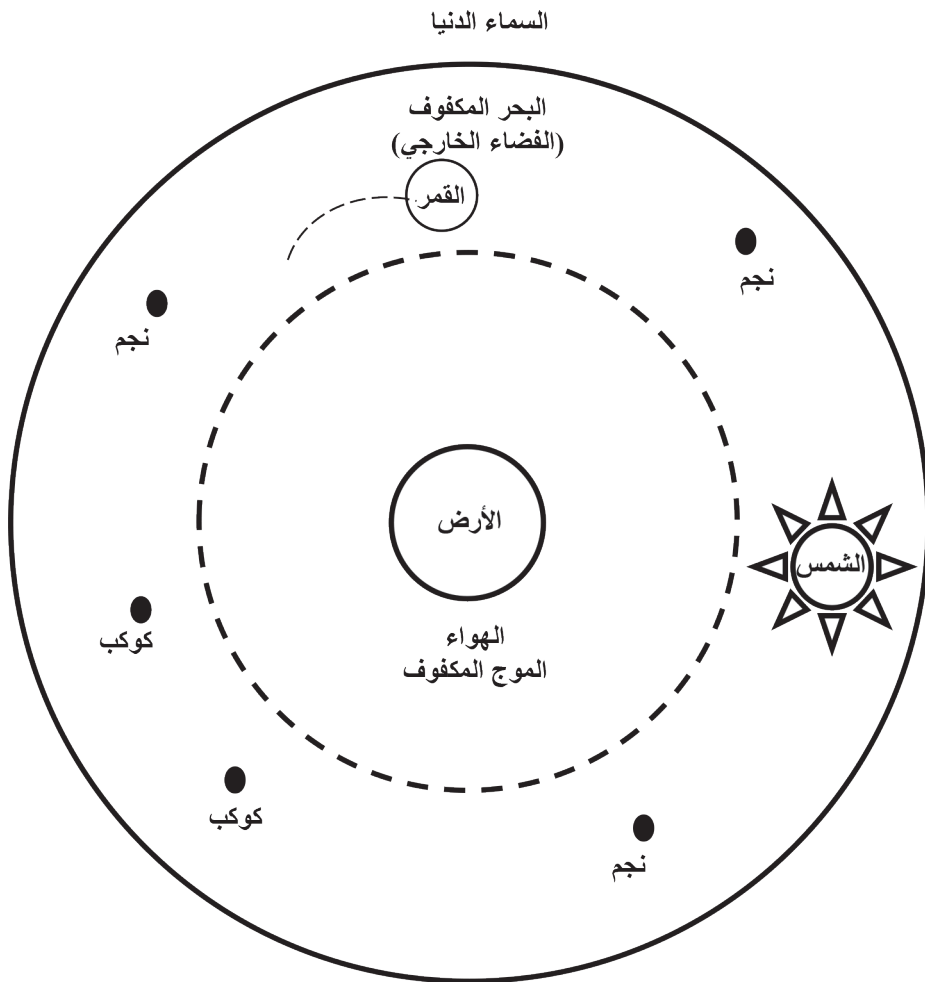
وبهذا يمكن رسم خارطة اولية للمسافة الممتدة من الأرض إلى السماء الدنيا بدلالة الآية الكريمة ومجمل الروايات

لاحظ الشكل «٣»

(١) نهج البلاغة : ٣١٨ / ١

(٢) الكافي : ٣٧٩ / ٨

(٣) المناقب : ٤٣٣ / ٢



الشكل «٣»

## تأملات باطنية في العصا والحجر

قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ﴾ (١)

عن الإمام الباقر (عليه السلام) من حديث في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ﴾ قال «..... فإذا زوجت فاطمة من علي فعلي العصا وفاطمة الحجر يخرج منها احد عشر اماما من صلب علي يتم اثنا عشر اماما لعلي حياة لامتك تهتدي كل امة بامامها في زمنه ويعلم كل قوم كما علم قوم موسى مشربهم فهذا تاويل هذه الآية وكان بين تزويج علي بفاطمة في السماء وتزويجها في الأرض اربعون يوما» (٢).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) «ان في القرآن ما مضى وما يحدث وما هو كائن كانت فيه اسماء الرجال فالقيت انما الاسم الواحد منه في وجوه لا تحصى يعرف ذلك الوصاة» (٣)

وقد ورد في كلام الشيخ الاحسائي والسيد كاظم الرشتي والحاج محمد كريم خان نفس المعنى كون لهذه الآية باطن وهو ان موسى (عليه السلام) فيها هو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والعصا هو الإمام علي (عليه السلام)، والحجر هو مولانا فاطمة (عليها السلام)، ويمكن ان ابني تصور على هذا الفهم الباطني للآية (٤).

فيكون معنى الآية على الباطن، إننا اوحينا لمحمد (صلى الله عليه وآله) ﴿ ان اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ ان «يزوج النور بالنور» (٥)، وقال ﴿ اضْرِبْ بِعَصَاكَ ﴾ ونسبها لنفسه ولم يقل «اضرب بالعصى» لان

(١) الأعراف / ١٦٠

(٢) صحيفة الأبرار/ الميرزا محمد تقي/ الجزء الثاني من القسم الأول/ ح ٩

(٣) تفسير العياشي

(٤) ورد عن الأئمة (عليهم السلام) «لو تدبر شيعتنا القرآن لالفيتمونا مسمين» وورد عنهم ايضا «ان موسى في القرآن سبعة» وهذه كلها اشارات باطنية يمكن من خلالها النظر إلى بواطن القرآن الكريم ومعرفة المدلولات العميقة للنص كما ورد عنهم صلوات الله عليهم «ان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق»

(٥) عن الإمام الحسن (عليه السلام) قال «بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بيت ام سلمة اذ هبط عليه ملك له عشرون راس في كل راس الف لسان يسبح الله ويقدهه بلغة لا تشبه الاخرى فقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله) انا صرصايل «محمود» بعثني الله اليك ويقول لك زوج النور بالنور فقال النبي (صلى الله عليه وآله) من ممن؟ قال فاطمة من عليفلذا زوج النبي (صلى الله عليه وآله) فاطمة (عليها السلام) بشهادة جبرئيل وميكائيل وصرصايل وكان هذا ازواج في الأرض

العصا منه واليه، وربما رمز لها بالحجر لانه ليس لها ﷺ كفو<sup>(١)</sup> إلا علي ﷺ فينجس منها ﷺ اثنتا عشرة عَيْتًا ﷺ يعني اثنا عشر اماماً، ﷺ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ﷺ والناس هنا الشيعة، والراجح ان هذا المقام ليس مقام زماني بل هو مقام ملكوتي علوي لان الأحاديث تقول ان الله زوج علي من فاطمة عليهما السلام في السماء قبل الأرض باربعين يوم، وهذا هو مقام الحجية لها صلوات الله عليها على كل المعصومين لقول الإمام العسكري ﷺ «نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا»<sup>(٢)</sup> لانها هناك ينبوع علل وجودهم ومنها تخرج العيون الاثنا عشر التي هي مقام فلك الكرسي والبروج الاثنا عشر ﷺ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﷺ ﷺ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﷺ<sup>(٤)</sup> والنجوم هنا الأئمة ومواقع النجوم هي مولاتنا فاطمة على الباطن.

ولو تأملت لوجدت الآية تتحدث عن اربعة دوال هي «موسى - العصا - الحجر - العيون» وهي على الباطن «محمد - علي - فاطمة - الأئمة» وهي على الباطن العلل الأربعة للتخليق، وعلى باطن الباطن «نبوة - ولاية - عصمة - امامة»

الرسول محمد ﷺ	العلة الغائية	وهو المُقدم وجوداً والمؤخر ظهوراً
الإمام علي ﷺ	العلة الفاعلة	«محل فعل الله»
مولاتنا فاطمة ﷺ	العلة المادية	الرحم الكوني الذي منه صور الأئمة ﷺ
الأئمة الاثنا عشر ﷺ	العلة الصورية	البروج الإثنا عشر

(١) عن المفضل عن ابي عبد الله ﷺ قال «لولا ان الله تعالى خلق أمير المؤمنين ﷺ لم يكن لفاطمة كفو على ظهر الأرض

من آدم فما دونه» تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٥/ ص ٤٦٨/ ح ١٠

(٢) اطيب البيان في تفسير القرآن/ ج ١٣/ ص ٢٢٥

(٣) البروج/ ١

(٤) الواقعة/ ٧٥



## أسياف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخمسة

عن ابي عبد الله عليه السلام سأله رجل من شيعته عن حروب أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال عليه السلام «بعث الله محمداً عليه السلام بخمسة اسياف، ثلاثة منها شاهرة<sup>(١)</sup> لا تغمد حتى تضع الحرب اوزارها، ولن تضع الحرب اوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم ذلك اليوم فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً<sup>(٢)</sup>، وسيف مكفوف، وسيف منها مغمود سلّه إلى غيرنا وحكمه الينا.

فاما السيوف الثلاثة الشاهرة فسياف على مشركي العرب، قال الله عزّ وجلّ فَأَقْضُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>(٣)</sup>، هؤلاء لا يقبل منهم إلا القتل او الدخول في الإسلام، واموالهم فيء وذراريهم سبي على ما سن رسول الله عليه السلام فانه سبي وعفى وقبل الفداء.

والسيف الثاني على اهل الذمة قال الله سبحانه وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا<sup>(٤)</sup>، نزلت هذه الآية في اهل الذمة ونسخها قوله تعالى فَاتَّبِعُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ<sup>(٥)</sup>، فمن كان منهم في دار الإسلام فلن يقبل منهم إلا الجزية او القتل ومالهم فيء وذراريهم سبي فإذا قبلوا الجزية على انفسهم حرّم علينا سبيهم وحرّمت اموالهم وحلت مناكحتهم، ومن كان منهم في دار الحرب حلّ لنا سبيهم واموالهم ولم تحل لنا مناكحتهم ولم يقبل منهم الا دخول دار الإسلام والجزية او القتل.

والسيف الثالث على مشركي العجم كالترك والديلم والخرز، قال الله عز وجل في اول السورة التي يذكر فيها الذين كفروا فقص قصتهم ثم قال فَضْرَبَ الرَّقَابِ حَتَّى إِذَا أَخْتَضْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا<sup>(٦)</sup>، فاما قوله فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ

(١) الشاهرة: المجردة من الغمد

(٢) الأنعام/ ١٥٨

(٣) التوبة/ ٥

(٤) البقرة/ ٨٣

(٥) التوبة/ ٢٩

(٦) محمد/ ٤

يعني بعد السبي منهم، ﴿وَأَمَّا فِدَاءٌ﴾ يعني المفاداة بينهم وبين اهل الإسلام، فهؤلاء لا يقبل منهم إلا القتل او الدخول في الإسلام ولا يحل لنا نكاحهم ما داموا في دار الحرب.

واما السيف المكفوف فسياف على اهل البغي والتأويل قال الله ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتِلُوا فَأُضْلِحُوا بَيْنَهُمَا فإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ ان منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فسئل النبي ﷺ من هو؟ فقال - خاصف النعل - يعني أمير المؤمنين عليه السلام - وقال عمار بن ياسر: قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاثا، وهذه الرابعة والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا اننا على حق وانهم على الباطل، وكانت السيرة فيهم من أمير المؤمنين عليه السلام ما كان من رسول الله ﷺ في اهل مكة يوم فتحها فانه لم يسب لهم ذرية وقال: من اغلق بابه فهو امن، ومن القى سلاحه فهو امن، وكذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة نادى فيهم لا تسبوا لهم ذرية، ولا تدفخوا على جريح، ولا تتبعوا مدبرا، ومن اغلق بابه والقى سلاحه فهو امن.

والسيف المغمود الذي يُقام به القصاص، قال الله عز وجل ﴿التَّنْفِيسُ بِالتَّنْفِيسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ﴾<sup>(٢)</sup>، فسئل إلى اولياء المقتول وحكمه الينا، فهذه السيوف التي بعث بها محمداً ﷺ فمن جردها او جحد واحدا منها او شيئا من سيرها واحكامها فقد كفر بما انزل الله تبارت وتعالى على محمد ﷺ<sup>(٣)</sup>

للسيف في تاريخ الحضارات والاديان رمزية كبيرة وخاصة ومتعددة، فهو رمز للسلطة والقانون والموت والقوة والبطش والشرف والواجب، ولطالما ارتبطت السيوف الخاصة مع ابطال الحق الالهيين، وعبارات الحديث توحى بان دلالة السيف لا تقتصر على كونه آلة من معدن، بل تشير إلى معنى القانونية لارتباطها مع مفهوم الآية، فلفظ الآية يعني في بعض معانيه القانون، فتكون آيات السيف هي آيات قوانين القتال، فمعنى السيف ومعنى الآية ومعنى القانون ينطبق احدهما على الاخر، فكل آية قانون ولا بد للقانون من شخص يطبقه ولا بد من إله للتنفيذ، فيصح انطباق دلالة احدهما على الاخر، وفي الارث الروائي تم اطلاق مفهوم السيف على

(١) الحجرات/ ٩

(٢) المائدة/ ٤٥

(٣) وسائل الشيعة: الحر العاملي/ ج١٥/ كتاب الجهاد/ ص ٢٥ / ح ١٩٩٣٨ ورواه الكليني ايضا في الكافي وشيخ الطائفة في التهذيب

شخص خاص، عن رسول الله ﷺ في وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) انه «وسيف الله وسيفي»<sup>(١)</sup>، ولا غرابة ان يكون السيف مصداق لآية كما ورد ان سيف ذو الفقار هو من آيات الله عز وجل واشتهرت به مقولة جبرائيل (عليه السلام) «لا سيف الا ذو الفقار لا فتى الا علي».

لقد ذكر جملة من المفسرين اكثر من عشرين آية قرآنية يسمونها آيات القتال ولو راجعتها لوجدت ان قسماً منها ليس فيه امر بالقتال، انما فيه ذكر لموضوع القتال والحث على القتال والتهيئة للقتال واعداد العدة والوعد بالنصر وشروط القتال وغيرها، ولكن مدار الكلام عندهم على آيات معينة منها قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ○ وَاَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمُ فِيهِ فَإِن قَاتَلَكُمُ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ○ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ○ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ○ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ○ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ○ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ○ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ○ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ○ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ○ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَفْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ○ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ○ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>

وهذه التي يطلق عليها المفسرون آية القتال او آية السيف ولكل منها مناسبة خاصة، واختلف العلماء في فهم آية السيف فمنهم من يقول بانها نسخت جميع آيات الصلح والكف عن المشركين، وقال بعضهم انها ليست ناسخة لتلك الآيات ولكن الاحوال تختلف حسب قوة وضعف المسلمين.

(١) الامالي / الصدوق / ص ٢٧١

(٢) البقرة / ١٩٠ - ١٩٣

(٣) التوبة / ١-٥

وقد استخدم التفسير العشوائي والشخصي والفئوي لهذه الآيات حالها حال بقية القرآن في زمننا الحالي وفي كل زمان بشكل خارج مراد الله عز وجل، فقد تم تسييسها باتجاهات مختلفة خدمة لمصالح معينة لجهات متنازعة، ومن هنا نفهم لماذا حث الارث الروائي لآل محمد ﷺ بعدم القتال إلا تحت راية معصوم لانه الوحيد العارف باحوال هذه الآيات وعلى من تشهر هذه السيوف.

والحديث مورد الكلام يبين ان هناك خمسة اسياف اي خمسة قوانين تشرحها خمسة آيات قرآنية خاصة بالقتال، بل ليس كلها للقتال فبعضها للقصاص، وهذه الاسياف ثلاثة مشهورة، والرابع مكفوف، والخامس مُغمد، والذي افهم من كلمة مشهورة انه سيف مُجرد عن غمده، اي في حال استعمال، فهي آيات ثلاثة وسيوف ثلاثة مُشرعة معمول بها على طول خط الزمن إلى موعده معين إلى ان تضع الحرب اوزارها، ولا تضع الحرب اوزارها إلا بطلوع الشمس من مغربها، وفي الحديث دلالة على ان طلوع الشمس من مغربها هو من اخر العلامات بعد القائم ﷺ وليس قبله كما يتصور البعض، فلو طلعت الشمس من مغربها قبل ظهور القائم ﷺ فهذا معناه ان الحرب وضعت اوزارها قبل القائم ﷺ وهو خلاف الأحاديث التي تذكر بعد القائم ﷺ حروب كثيرة، فبعد طلوع الشمس من مغربها ستنتهي المعارك وستغمد هذه السيوف الثلاثة ويتوقف العمل بهذه الايات فلا يوجد بعدها كافر على الأرض، ولن تقبل التوبة من احد وتظهر دولة العدل فلا مشركين ولا كفار فتغمد هذه السيوف ويتوقف العمل بهذه الآيات لانتفاء الموضوع الخاص بها.

عن ابي جعفر ﷺ في قوله ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ﴾ قال نزلت: او اكتسبت ﴿فِي إِيْمَانِهَا حَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> قال «إذا طلعت الشمس من مغربها فكل من آمن في ذلك اليوم لا ينفعه ايمانه»<sup>(٢)</sup>.

والحديث المبارك موضوع البث حدد اسياف وقوانين القتال والقصاص بخمسة كالتالي

### السيف المُشهر الأول:

قال ﷺ «سيف على مشركي العرب، قال الله عز وجل ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَعِدُّوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، هؤلاء لا يقبل منهم إلا القتل او الدخول في الإسلام، واموالهم فيء وذرائعهم سبي على ما سن رسول الله ﷺ فانه سبي وعفى وقبل الفداء».

(١) الأنعام/١٥٨

(٢) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٣/ ص ١٢١/ ح ١

الراجح ان عبارة «مُشركي العرب» تعني العرب الذين قاتلوا رسول الله ﷺ في حياته في بدر وأحد وحنين وغيرها، وهم من قريش ومن تحالف معها لذلك سماهم مُشركي العرب، فان غلبهم رسول الله ﷺ وهم على كفرهم قتلهم واموالهم فيء وذراريهم سبي، وان امنوا عفي عنهم، لذلك خُتمت الآية بقوله ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وهؤلاء هم انفسهم الذين دخل عليهم رسول الله ﷺ عند فتح مكة وقال «من دخل داره فهو امن» فمن تاب منهم واسلم عفا عنه.

وقد يتصور البعض ان مفهوم «مُشركي العرب» قد انتهى بعد ان سيطر رسول الله ﷺ على مكة وشاع الإسلام في كل الحجاز وجزيرة العرب، فبعد موت رسول الله ﷺ لا بد وان هذا العنوان قد انتهى، والحق ان هذا العنوان موجود على طول خط الزمن وإلى الان لان كل سيف مشهور غير مُعتمد لا بد وان له انطباق على ارض الواقع عبر التاريخ لان له علاقة بموضوع الشرك، فرسول الله ﷺ قبل رحيله قد نصّب الإمام علي عليه السلام من بعده خليفة على المسلمين في يوم الغدير، فكل من خرج عليه ونصّب غيره هو مُشرك، لانه جعل مع امر رسول الله ﷺ امر اخر وشخص اخر وهذا العمل والشرك سواء ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(١)</sup>، وحسب قرأتي للأحاديث فان الإمام المهدي عليه السلام في اول ظهوره سيقاتل «مُشركي العرب» وهم اهل مكة والمدينة بهذا السيف ايضا، فإذا لم يتوبوا قتلهم فاموالهم فيء وذراريهم سبي.

### السيف المشهر الثاني:

قال عليه السلام «والسيف الثاني على اهل الذمة قال الله سبحانه ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، نزلت هذه الآية في اهل الذمة ونسخها قوله تعالى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فمن كان منهم في دار الإسلام فلن يقبل منهم إلا الجزية او القتل ومالهم فيء وذراريهم سبي فإذا قبلوا الجزية على انفسهم حُرّم علينا سبيهم وحُرّمت اموالهم وحلت مناكحتهم، ومن كان منهم في دار الحرب حلّ لنا سبيهم واموالهم ولم تحل لنا مناكحتهم ولم يقبل منهم الا دخول دار الإسلام والجزية او القتل».

(١) الحشر / ٧

(٢) التوبة / ٢٩

اهل الذمة هم اهل الديانات الاخرى من اليهود والنصارى الذين يجمعهم عنوان اهل الكتاب والذين يعيشون كما قال الحديث في دار الإسلام، فمن دفع الجزية منهم حرمت انفسهم واموالهم وحلت مناكحتهم، ومن كان منهم في دار الحرب حلت اموالهم وسبيهم ولم تحل مناكحتهم

### السيف المشهر الثالث:

قال ﷺ «والسيف الثالث على مُشركي العجم كالترك والديلم والخزر، قال الله عز وجل في اول السورة التي يذكر فيها الذين كفروا فقص قصتهم ثم قال ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابَ حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُواهُمُ فَشَدُّوا الوُثَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾<sup>(١)</sup>، فاما قوله ﴿فِيمَا مَنَّا بَعْدُ﴾ يعني بعد السبي منهم، ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾ يعني المفاداة بينهم وبين اهل الإسلام، فهؤلاء لا يقبل منهم إلا القتل او الدخول في الإسلام ولا يحل لنا نكاحهم ما داموا في دار الحرب».

هؤلاء ليسوا من مُشركي العرب وليسوا من بقية الاديان من اهل الذمة بل هم من ملل اخرى سماهم مشركي العجم، ولفظة العجم في بعض اطلاقاتها تشير إلى كل من ليس بعربي مثل «الترك والديلم والخزر»

عن ابي عبد الله ﷺ قال «في سورة محمد ﷺ آية فينا وآية في عدونا، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۖ فَاِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَضْرِبُوْا الرِّقَابَ﴾ إلى قوله ﴿لَا تَنْصَرِ مِنْهُمْ﴾ فهذا السيف على مشركي العجم من الزنادقة ومن ليس معه كتاب من عبدة النيران والكواكب»<sup>(٢)</sup>.

والحديث يبين ان هؤلاء ليس لهم كتاب على خلاف اهل الذمة الذين لهم كتاب، فهؤلاء لا يقبل منهم إلا القتل او الدخول في الإسلام ولا يحل لنا نكاحهم ما داموا في دار الحرب.

هذه هي الاسياف الثلاثة المشهورة ولفظة «المشهرة» وعبار «لاتعمد حتى تضع الحرب اوزارها، ولن تضع الحرب اوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها» تدل بشكل واضح ان هؤلاء سيظلون عبر التاريخ في حالة حرب مع المسلمين إلى ان تضع الحرب اوزارها بطلوع الشمس من مغربها.

### السيف الرابع المكفوف:

قال ﷺ «واما السيف المكفوف فسييف على اهل البغي والتأويل قال الله ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ

(١) محمد/٤

(٢) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٧/ ص ٢٠٦/ ح ١

المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهم<sup>١</sup> - صلحا - فإن بعث إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله<sup>(١)</sup> فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ ان منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فسئل النبي ﷺ من هو؟ فقال - خاصف النعل - يعني أمير المؤمنين ﷺ - وقال عمار بن ياسر: قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاثا، وهذه الرابعة والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا اننا على حق وانهم على الباطل، وكانت السيرة فيهم من أمير المؤمنين ﷺ ما كان من رسول الله ﷺ في اهل مكة يوم فتحها فانه لم يسب لهم ذرية وقال: من اغلق بابه فهو امن، ومن القى سلاحه فهو امن، وكذلك قال أمير المؤمنين ﷺ يوم البصرة نادى فيهم لا تسبوا لهم ذرية، ولا تدفخوا على جريح، ولا تتبعوا مدبرا، ومن اغلق بابه والقى سلاحه فهو امن»

وهذا السيف الرابع المسمى بالمكفوف والذي بعده المغمد ليست كالثلاثة الأولى، فالثلاثة الأولى مشهورة اما هذه فتستخدم لاغراض خاصة حددها الحديث، ورد في الأحاديث عبارة «البحر المكفوف» وهو من المثابات السماوية ولا اعرف على نحو الدقة ما دلالة هذا اللفظ ولماذا سماه «السيف المكفوف» وهو سيف يشهر على اهل البغي والتأويل، والواضح ان رسول الله ﷺ لم يستخدم هذا السيف لانه قاتل على التنزيل، ولكن قال انه سيستخدمه ولي الله الإمام علي ﷺ بعد رسول الله ﷺ في معارك التأويل وقاتل اهل البغي.

عن ابي بصير عن ابي عبد الله ﷺ، قلت: ﴿وَإِنْ طَافِئَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأْصَلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأْصَلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ قال «الفتتان، انما جاء تأويل هذه الآية يوم البصرة، وهم اهل هذه الآية، وهم الذين بغوا على أمير المؤمنين ﷺ، فكان الواجب عليه قتالهم وقتلهم حتى يفيئوا إلى امر الله، ولو لم يفيئوا لكان الواجب عليه فيما انزل الله ان لا يرفع السيف عنهم حتى يفيئوا ويرجعوا عن رأيهم، لانهم بايعوا طائعين غير كارهين، وهي الفئة الباغية، كما قال الله عز وجل، فكان الواجب على أمير المؤمنين ﷺ ان يعدل فيهم حيث كان ظفر بهم كما عدل رسول الله ﷺ في اهل مكة، من عليهم وعفا، وكذلك صنع أمير المؤمنين باهل البصرة حيث ظفر بهم مثل ما صنع رسول النبي ﷺ باهل مكة حذو النعل بالنعل» قال: قلت: قوله تعالى ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ

أَهْوَى ﴿١﴾، قال «هم اهل البصرة»، قلت ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ﷺ، قال «اولئك قوم لوط ائتفتك عليهم، انقلبت عليهم» ﴿٢﴾.

وهؤلاء سماهم اهل البغي لانهم مسلمين بايعوا الامام الحق علي بن ابي طالب ﷺ الا انهم خرجوا عليه وهو ما حدث في معارك أمير المؤمنين ﷺ الثلاثة «الجمل وصفين والنهروان»، «الناكثين والمارقين والقاسطين»، فاهل مكة والذين من قبلهم سماهم «مشركي العرب» ولهم سيف خاص لانهم ربما اسلموا مكرهين، اما هؤلاء فسماهم اهل البغي والتاويل لانهم مسلمين اساساً وبايعوا طائعين ومن يخرج عن هذه البيعة فهو باغي، عن أمير المؤمنين ﷺ «من سل سيف البغي قتل به» ﴿٣﴾، وهم المقصودين بقول رسول الله ﷺ «يا عمار تقتلك الفئة الباغية»، وربما سماهم اهل التاويل لانهم اجتهدوا في ارائهم ولم ياخذوا الدين من اهله فقالوا «ان الحكم لله» فكانت هذه الآيات خاصة بهم: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ وهي مما تأويله بعد تنزيهه، والإمام علي ﷺ تصرف مع هؤلاء كما تصرف رسول الله ﷺ مع اهل مكة.

ربما يتسائل البعض كيف يمكن ان يتقاتل صنقان من الناس كلهم مؤمنين، اعتقد ان هذا دليل واضح على ان لمفهوم الإيمان مراتب كما ان للتوحيد مراتب وكلهم يقال لهم موحدين، وللعبادة مراتب وكلهم يقال لهم عابدين، والعلم مراتب وكلهم يقال لهم علماء، كما ان الشيعة مفهوم يطلق على كل من امن بولاية وعصمة الأئمة الاثنا عشر وهم ايضا مراتب لقول الصادق ﷺ «شيعتنا مراتب» والأحاديث كثيرة كون سلمان في المرتبة العاشرة والمقداد ابا ذر دونه وهم كلهم مؤمنين.

فلا بد من القول بان الطائفتين من المؤمنين المتقاتلتين ليسوا بدرجو واحدة «ولو يعلم ابا ذر ما في قلب سلمان لقتله» وبالتالي فلا بد ان احد الفئتين لها ايمان باقرار ظاهري والاخرى لها ايمان متعلق بحقيقة الاقرار.

وبهذا يكون أمير المؤمنين ﷺ قد قاتل بالسيوف المشهورة والسيوف المغمد، فهو قاتل مشركي العرب في بدر واحد وحنين وقاتل اهل الذمة في خيبر في حياة رسول الله ﷺ، وقاتل بعد رسول

(١) النجم/٥٣

(٢) الكافي: ج٨/ص ١٨٠ ح/٢٠٢ كذلك تفسير البرهان/ البحراني/ ج٧/ص ٢٥٨ ح/١

(٣) نهج البلاغة/ ج٤/ ص ٨١



الله ﷺ بالسيف المكفوف اهل البغي والتاويل، فهو قاتل بسيف مُشهر وسيف مكفوف، ولعل هذا يشير إلى معنى من معاني قول أمير المؤمنين ﷺ «انا الضارب بالسيفين»<sup>(١)</sup>، وهو ايضا قول الإمام السجاد ﷺ في وصف أمير المؤمنين ﷺ «هو الضارب بسيفين»، نعم يمكن ان يكون أمير المؤمنين ﷺ على ظاهر الفاظ هذه العبارات انه يستخدم سيفين في المعارك، ولكن حسب اجواء هذه الحديث المبارك مورد الكلام يمكن ان يكون السيفين هما السيف المشهر والسيف المكفوف.

والذي يجول في خاطري القاصر ان الإمام الحسين ﷺ قد قاتل في كربلاء بهذا السيف المكفوف لان هؤلاء هم ايضا مسلمين من اهل البغي خرجوا عن طاعة من نصبه الله ورسوله ﷺ خليفة للمسلمين،

### السيف الخامس المغمود:

قال ﷺ «والسيف المغمود الذي يُقام به القصاص، قال الله عز وجل ﴿لَتَنفَسَ بِالتَّنْفِيسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾<sup>(٢)</sup>، فسَلَّه إلى اولياء المقتول وحكمه الينا، فهذه السيوف التي بعث بها محمداً ﷺ فمن جحدها او جحد واحدا منها او شيئا من سيرها واحكامها فقد كفر بما انزل الله تبارت وتعالى على محمد ﷺ»

وهذا سيف ليس للحرب بل للقصاص وهو مغمود ولا يُسَلَّ الا للاخذ بالقصاص، فسَلَّه لاولياء المقتول وحكمه لآل محمد ﷺ.

عن احدهما عليهما السلام في قوله تعالى ﴿التَّنْفِيسَ بِالتَّنْفِيسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ الآية قال «هي محكمة»<sup>(٣)</sup>.

عن حماد الحلبي عن ابي عبد الله ﷺ قال في الرجل يقتل المرأة متعمدا فأراد اهل المرأة ان يقتلوه، قال «ذلك لهم، إذا ادوا إلى اهل نصف الدية، وان قبلوا الدية فلهم نصف دية الرجل، وان قتلت المرأة الرجل قُتلت به وليس لهم الا نفسها»<sup>(٤)</sup>.

(١) امالي الصدوق/٧٧

(٢) المائدة/٤٥

(٣) التهذيب: ج ١٠/ ص ١٨٣/ ح ٧١٨

(٤) الكافي: ج ٧/ ص ٢٩٨/ ح ٢

## شأن هذه السيوف بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام:

ولهذه الآيات الكريمة والسيوف المرتبطة بها شأن في حياة الأئمة بعد مقتل الإمام الحسين ﷺ فالأئمة ﷺ بعد الإمام الحسين ﷺ من الإمام السجاد ﷺ إلى الإمام الحسن العسكري ﷺ لم يستخدموا هذه السيوف المشهورة الثلاثة والسيوف والمكفوف لاسباب تتعلق بقانون المزايلة إلى حين خروج الودائع المؤمنين من اصلاب الكافرين وخروج الكافرين من اصلاب المؤمنين كما شرحناه بالتفصيل في كتابنا المزايلة فراجع.

واخبار السيوف لها الحظ الاوفر في زمن ظهور الإمام المهدي ﷺ، وسيتم العمل بكل هذه الاسياف في زمانه، لقول الإمام العسكري ﷺ «وسيطر حجة الله على الخلق بالسيوف المسلول»<sup>(١)</sup>، فسوف يقاتل بالسيوف المشهورة الأول مشركي العرب من اهل مكة والمدينة<sup>(٢)</sup>، ويقاتل بالسيوف المشهورة الثاني اهل الذمة من اليهود والنصارى، ويقاتل بالسيوف المشهورة الثالث مشركي العجم<sup>(٣)</sup>، ويقاتل بالسيوف المكفوف اهل البغي والتأويل وعلما يبدوا انهم من الوسط

(١) مسند الإمام العسكري ﷺ / عزيز الله العطاردي / باب ١٤ / ح ٤

(٢) قال ابو جعفر ﷺ «ثم يدخل المدينة فتغيب عنهم عند ذلك قريش، وهو قول علي بن ابي طالب ﷺ والله لودت قريش اي عندها موقفا واحدا جزر جزور بكل ما ملكت وكل ما طلعت عليه الشمس او غربت، ثم يحدث حدثاً فإذا هو فعل ذلك قالت قريش اخرجوا بنا إلى هذه الطاغية فوالله ان لو كان محمدياً ما فعل ولو كان علويماً ما فعل ولو كان فاطمياً ما فعل، فيمنحه الله اكتافهم، فيقتل المقاتلة ويسبي الذرية». تفسير العياشي / ج ٢ / سورة الأنفال / ح ٤٩

قال ابو جعفر ﷺ «ثم ينطلق حتى ينزل الشقرة فيبلغه انهم قد قتلوا عامله فيرجع اليهم فيقتلهم مقتلة ليس قتل الحرة اليها بشيء، ثم ينطلق يدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه والولاية لعلي بن ابي طالب ﷺ والبراءة من عدوه»

عن الإمام الباقر ﷺ «من حديث طويل..... يسير إلى المدينة فيسير الناس حتى يرضى الله عز وجل فيقتل الفأ وخمسائة قرشي ليس فيهم إلا فرخ زنية». دلائل الامامة: ٢٤١

(٣) عن ابي جعفر ﷺ في ذكر احوال المهدي ﷺ «..... ومعه سيف مختلط يفتح الله له الروم والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر....» الغيبة / ص ٢٣٤

عن أمير المؤمنين ﷺ «فيتهي الخبر إلى القائم فيسير إلى ملك الروم في جيوشه فيواقعه في اسفل الرقة بعشر فراسخ فتصبح بها الواقعة حتى يتغير ماء الشط بالدم ويتن جانبا بالحيف الشديدة فيهزم ملك الروم إلى الانطاكية فيتبعه المهدي إلى فئة العباس تحت القطورا فيبعث ملك الروم إلى المهدي ويؤدي له الخراج فيجيبه إلى ذلك حتى على ان لا يروح من بلد الروم ولا يبقى امير عنده الا اخرجه إلى اهله فيفعل ذلك ويبقى تحت طاعته» الزام الناصب: ١٧٠ / ٢

عن أمير المؤمنين ﷺ «ثم ان المهدي «عج» يسير هو ومن معه فينزل قسطنطينية في محل ملك الروم فيخرج منها ثلاث كنوز كنز من الجواهر وكنز من الذهب وكنز من الفضة ثم يقسم المال على عساكره بالقفا فيز....» الزام الناصب: ١٧٠ / ٢

عن ابي جعفر ﷺ «ثم يعقد بها القائم ﷺ ثلاث رايات لواء إلى القسطنطينية يفتح الله له ولواء إلى الصين فيفتح له ولواء إلى جبال الديلم فيفتح له» بحار الأنوار: ٣٨٨ / ٥٣

الشيعة<sup>(١)</sup>، وهذا السيف هو من السيوف المغمدة كما جاء عن رسول الله ﷺ من حديث طويل فيه اخبار القائم عليه السلام قال «... وله سيف مغمد فإذا حان وقت خروجه اختلع ذلك السيف من غمده.....»<sup>(٢)</sup>، اما السيف المغمد فهو سيف القصاص حيث سيقم كل الحدود.

وهنا يمكن ان نضع جواب لتساؤل كان يُثار دائما هنا وهناك حول قول الأئمة عليهم السلام عن القائم عليه السلام انه «يضع السيف على عاتقه ثمانية اشهر».

عن الإمام الصادق عليه السلام قال «ولكن صاحب الأمر الطريد الشريد الموتور بابيه المكنى بعمه يضع السيف على عاتقه ثمانية اشهر»<sup>(٣)</sup>، عن ابي عبد الله عليه السلام «..... ويضع السيف على عاتقه ثمانية اشهر هرجا هرجا حتى يرضى الله.....»<sup>(٤)</sup>، عن أمير المؤمنين عليه السلام «..... بأبي ابن خيرة الاماء لا يعطيم الا السيف هرجاً هرجاً موضوعاً على عاتقه ثمانية اشهر حتى تقول قريش لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا.....»<sup>(٥)</sup>

وقد ضمن البعض من خلال هذه الأحاديث ان جملة معارك الإمام المهدي عليه السلام بعد الظهور تستغرق ثمانية اشهر فقط فيما تشير جملة من المرويات ان معاركه تستمر لسنين وخصوصاً تلك المعارك التي يفتح بها كل بلدان العالم، والحقيقة ان هذا التساؤل يمكن ان نجد له فهم من خلال القول ان هذا السيف الذي سيضعه على عاتقه لمدة ثمانية اشهر هو واحد من تلك السيوف الخمسة، والذي استشفه هو السيف المكفوف الذي يقاتل به اهل البغي والتأويل من المسلمين في اول ظهوره عليه السلام، ولو تابعت معارك الإمام المهدي منذ خروجه من مكة وما يفعله بالمدينة وما يفعله عند دخوله الكوفة إلى حين معركة الابدال مع بقايا السفيناني في الشام ستجد

(١) قال ابو جعفر عليه السلام «لكنني أنظر اليهم مصعبين من نجف الكوفة ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً كأن قلوبهم زبر الحديد، جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره يسير الرعب امامه شهر وخلفه شهر امده الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوئين حتى إذا صعد النجف قال لأصحابه تعبدوا ليلتكم هذه فيبيتون بين راعع وساجد يتضرعون إلى الله حتى إذا أصبح قال: خذوا بنا طريق النخيلة وعلى الكوفة جند مجتد قلت: جند مجتد؟ قال: اي والله حتى ينتهي إلى مسجد إبراهيم عليه السلام بالنخيلة فيصلي فيه ركعتين فيخرج اليه من كان بالكوفة من مرجئها وغيرهم من جيش السفيناني فيقول لأصحابه استطردوا لهم ثم يقول مروا عليهم.

قال ابو جعفر عليه السلام ولا يجوز والله الخندق منهم مخبر ثم يدخل الكوفة فلا يبقى مؤمن الا كان فيها او حن اليها وهو قول أمير

المؤمنين علي عليه السلام تفسير العياشي/ ج ٢/ سورة الأنفال/ ح ٤٩

(٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام/ باب ٦/ ح ٢٩

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ج ١/ باب ٣٠/ ح ٥

(٤) غيبة النعماني: باب ١٠/ ح ٥

(٥) ينابيع المودة: ص ٤٩٨ باب ٩ كذلك منتحب الاثر

انها كلها مع المسلمين من اهل القبلة وهؤلاء يقاتلهم بسيف «المكفوف» وستلاحظ انها فترة ثمانية اشهر اما بعد الانتصار عليهم وانتقال المعارك مع فئات من خارج هذا الدين فيقاتلهم بالسيوف المشهورة.

## الحنفية وملة إبراهيم

هل هناك فرق بين الفطرة والحنفية، ام ان هناك اتحاد بينهما بالمعنى بوجه معين؟

هناك حديث يجمع بينهما ويقول انهما واحد وهما فعلا واحد من حيث المبدأ.

عن زرارة قال سألت ابا جعفر عليه السلام عن قوله عز وجل ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ <sup>(١)</sup> قلت م الحنفية؟ قال «هي الفطرة» <sup>(٢)</sup>، وتؤيده الموارد القرآنية التي وردت فيها اللفظتين بنفس السياق كما في قوله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ <sup>(٣)</sup>، وقوله ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ <sup>(٤)</sup>، ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ <sup>(٥)</sup>، وقوله ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ <sup>(٦)</sup>.

وأحاديث اخرى تصف الفطرة بانها التوحيد، عن ابي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ <sup>(٧)</sup> قال: «التوحيد» <sup>(٨)</sup>

وأحاديث اخرى تصفها بانها الإسلام اي المعنى العام للدين الذي جاءت به كل الأنبياء، عن ابي عبد الله عليه السلام «الحنفية هي الإسلام» <sup>(٩)</sup>، عن ابي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ما تلك الفطرة؟ قال «هي الإسلام فطرهم الله حين اخذ عليهم ميثاقهم على التوحيد قال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وفي المؤمن والكافر» <sup>(١٠)</sup>، فالحنفية هي الفطرة وهي الإسلام وعليها كل الأنبياء ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ <sup>(١١)</sup>، ويؤيدها الحديث التالي، عن ابي عبد الله عليه السلام قال «قال أمير المؤمنين عليه السلام ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾

(١) الحج/ ٣١

(٢) تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٥/ ص ٢٩٢/ ح ٧

(٣) الروم/ ٣٠

(٤) البقرة/ ١٣٥

(٥) آل عمران/ ٩٥

(٦) الأنعام/ ١٦١

(٧) الروم/ ٣٠

(٨) تفسير البرهن/ ج ٦/ ص ١٥٠/ ح ٢

(٩) تفسير البرهان/ البحراني/ ج ١/ ص ٣٣٧/ ح ١

(١٠) تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٦/ ص ١٥٢/ ح ٩

(١١) يوسف/ ٣٨

يهوديا يصلي إلى المغرب ولا نصرانيا يصلي إلى المشرق ﴿وَلَا كِنَ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾<sup>(١)</sup> يقول كان علي دين محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا سنفهم لماذا امر الله رسوله الكريم ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام والحنفية الإبراهيمية ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ الَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾<sup>(٤)</sup>، لان ملة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام والتوحيد والفطرة التي جاءت بها كل الرسالات، ورسول الله ﷺ ﴿كَانَ نَبِيًّا وَأَدَمَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ﴾، فشريعته هي الإسلام ومنها اخذ كل الأنبياء، دليله قوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>، ولفظة «العالمين» دالة على عموم رسالته على كل العوالم وكل الشرائع وكل الأنبياء، فكل الأنبياء عاملين بدين الإسلام ولا دين غيره الا ان الشرائع فيها نسخ ببعض المسائل المخصوصة حسب زمان الأنبياء فنسخت بعض مسائل آدم في زمن نوح ونسخت بعض مسائل نوح في زمن إبراهيم وهكذا فلم يكن رسول الله قبل البعثة متعبدا الا بدينه وهو التوحيد والفطرة والإسلام لا غيرها وهم الذين علموا الملائكة الدين في اول الخلق.

والحديث التالي يبين وجه آخر للحنفية كونها الشرائع التي لم تنسخ وعليها كل شرائع الأنبياء، علي بن إبراهيم «الحنفية العشرة التي جاء بها إبراهيم عليه السلام التي لم تنسخ إلى يوم القيامة»<sup>(٦)</sup>، ومن هنا يتضح ان رسول الله مامور بهذه الشرائع التي لا تنسخ، والحديث التالي يبين هذه العشرة.

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام «قال فيما وصف له شرائع الدين «ان الله لا يكلف نفسا الا وسعها، ولا يكلفها فوق طاقتها» وافعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين»<sup>(٧)</sup> والله خالق كل شيء» «ولا تقول بالجبر والتفويض» «ولا ياخذ الله عز وجل البريء بالسقيم» «ولا يعذب الله عز وجل الابناء بذنوب الاباء فانه قال في محكم كتابه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وقال عز وجل ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾<sup>(٨)</sup> «ولله عز وجل ان يعفو وان يفضلو ليس له تعالى ان يظلم» «ولا يفرض الله تعالى على عباده طاعة من يعلم انه يغوبهم ويضلهم» «ولا يختار

(١) آل عمران/ ٦٧

(٢) -تفسير البرهان/ ج ٢/ ص ٥٣/ ح ٣

(٣) النحل/ ١٢٣

(٤) الأنعام/ ٧٩

(٥) -الفرقان/ ١

(٦) تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٢/ ص ٣٣٠/ ح ١

(٧) النجم/ ٣٩

لرسالته ولا يصطفي من عباده من يعلم انه يكفر به ويعبد الشيطان دونه» ولا يتخذ على عباده الا معصوما»<sup>(١)</sup>

علي بن إبراهيم: انزل الله تعالى على إبراهيم عليه السلام الحنفيه وهي الطهارة وهي عشر اشياء خمسة في الراس وخمسة في البدن فاما التي في الراس فخذ الشارب واعفاء اللحي وطم الشعر<sup>(٢)</sup> والسواك والخلال واما التي في البدن فحلق الشعر من البدن والختان وقلم الاظفار والغسل من الجنابة والظهور بالماء وهي الحنفيه الطاهرة التي جاء بها إبراهيم فلم تنسخ ولا تنسخ إلى يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>

وقد يتصور البعض ان هناك تعارض بين الحديثين كون الحديث الأول يذكر عشرة اشياء لها علاقة بالعقائد فيما الحديث الثاني يذكر عشرة اشياء خاصة بالتكاليف الشرعية حول النظافة عموماً ولا تعارض في الأحاديث فربما موضوع العشرة متكرر حسب وجوه الشريعة التي لا تنسخ، فمرة عشرة مواضع في الطهارات لا تنسخ، ومرة عشرة مواضع في القوانين والاعتقادات لا تنسخ وهكذا، دليله قول الإمام الصادق عليه السلام ما ابقت الحنفيه شيئاً، عن ابي جعفر عليه السلام «ما ابقت الحنفيه شيئاً حتى ان منها قص الشارب وقلم الاظفار والختان»<sup>(٤)</sup>.

وربما ما مشهور في الديانة اليهودية «بالوصايا العشرة» هي نفسها موضوع الحنفيه الإبراهيمية او القوانين العشرة التي لا تنسخ وعليها مدار كل الشرائع وهي عند اليهود هكذا «لا تكن لك آلهة اخرى امامي» «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض ولا تسد لهن ولا تعبدهن» «لا تحلف باسم الالهك باطلا» «اذكر يوم السبت لتقدسه» «اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الأرض التي يعطيك الرب» «لا تقتل» «لا تزني» «لا تسرق» «لا تشهد شهادة زور» «لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا امته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك».

ولو راجعت جملة من آيات القرآن الكريم لوجدتها تشير إلى اوامر اساسية لا تختلف عليها الشرائع إذا عدتها كانت ايضا عشرة منها،

(١) تفسير البرهان/ ج٣/ ص ١٣٠/ ح ٩

(٢) طم الشعر: جزه او عقصه/ القاموس المحيط مادة طمم

(٣) تفسير البرهان/ البحراني/ ج١/ ص ٣٣٧/ ح ٣

(٤) تفسير البرهان/ البحراني/ ج١/ ص ٣٣٧/ ح ٢

قوله تعالى ﴿ قُلْ نَعَالُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۗ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۖ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۖ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾

وقوله تعالى ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۗ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُولًا ۗ ۝ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۗ ۝ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۗ ۝ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۗ ۝ وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبَذِيرًا ۗ ۝ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۗ ۝ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَنْبَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ۗ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ۗ ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۗ ۝ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۖ إِنْ قَتَلْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطَاً كَبِيرًا ۗ ۝ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۗ ۝ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۖ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ۗ ۝ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۗ ۝ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۖ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۗ ۝ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۗ ۝ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۗ ۝ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٢﴾ .

(١) الأنعام/ ١١٥١ - ١٥٢

(٢) الإسراء/ ٢٢ - ٣٨



فكل من يؤمن بالله وبرسول الله يجب ان يكون على هذه الملة وهذه الحنفية، عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام «ما اعلم احدا على ملة إبراهيم الا نحن وشيعتنا»<sup>(١)</sup>، ويؤيده قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ فَخُلِّصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله ﴿وَمَنْ يَرْعُبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير البرهان/ البحراني /ج٢/ ص ٦٩/ ح ١

(٢) النساء/ ١٢٥

(٣) الحج/ ٣١

(٤) البينة/ ٥

(٥) البقرة/ ١٣٠

## الروح والمغناطيسية

عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال «... إن الأرواح لا تمازج البدن ولا توأكله، وإنما هي كلل للبدن مُحِيطَةٌ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

يمكن ان افهم معنى للحديث إذا افترضنا ان الروح طاقة مُشغَّلة للجسم وعلاقتها بالجسم كعلاقة المغناطيس بالمغناطيسية، فنحن نرى المغناطيس ولكننا لا نرى المغناطيسية، كذلك نرى الجسم ولا نرى الروح، ولكننا نحس باثار الروح كما نحس بأثار المغناطيسية، وبما ان المغناطيسية تُحيط بالمغناطيس كذلك الروح تحيط بالجسم كما يقول الحديث، ويمكن ان تعكس هذا التصور على كوكب الأرض فان جرم الكوكب هو جسمه، والمغناطيسية التي تحيط به هو روحه وهي طاقته المُشغَّله، لذلك إذا ماتت الاجرام فقدت مغناطيسيتها كما يفقد الجسم الروح، ومن هنا يمكنك ان تتابع قوة المغناطيسية في الكواكب السيارة لصياغة تصور حول امكانية تواجد الحياة عليها استنادا لقوة مجالها المغناطيسي.

والقاعدة العلمية تقول ان المغناطيس يفقد مغناطيسيته بالطرق والتسخين، فإذا طرقت المغناطيس بشدة يفقد مغناطيسيته ويتحول إلى مادة الحديد فقط، والمغناطيسية كظاهرة فيزيائية ناتجة من ترتيب ذرات المادة بشكل معين، فلكل ذرة مجال مغناطيسي فإذا ترتبت هذه الذرات بحيث تكون مُحصلة جمع القوى المغناطيسية لذراتها باتجاه واحد ظهرت المغناطيسية على المادة، وان عملية الطرق والتسخين تؤدي إلى خلل وبعثرة في ذرات المادة وهذا بدوره يؤدي إلى فقدان المغناطيسية.

ويمكن توصيف حالة الموت بهذا الفهم الفيزيائي للمغناطيسية فمفارقة الروح للجسد كما تفارق المغناطيسية المغناطيس، فيصبح حديدة ومادة بلا روح، فالكائن الحي اكتسب صفة الحياة لان خلاياه موزعة ومرتبطة بشكل مُعين يضمن له استمرار الحياة فيه، ولكن إذا انحلت او فسدت او تغير نظامها نتيجة المرض او الشيخوخة او الانحلال الطبيعي فان الكائن سيموت نتيجة فساد البنية، وهذا يقودنا إلى تصور اخر عن الموت والقتل كما تقول الأحاديث «ان الموت موت والقتل قتل»<sup>(٢)</sup>، فالقتل هو تدخل مباشر لتهديم البنية فهو حتما حسب هذا التصور

(١) بحار الأنوار /ج ٥٨/باب حقيقة النفس والروح/ح ١١/ص ٤٠.

(٢) عن زرارة قال: كرهت أن أسأل أبا جعفر عليه السلام فأحتلت مسألة لطيفة لأبلغ بها حاجتي، فقلت أخبرني عن من مات أقتل؟ قال:

يختلف عن الموت العادي، والقتل حاله حال الضرب على المغناطيس الذي يفقد مغناطيسيته بالضرب والتسخين.

وهذا المثل العلمي حول المغناطيس ربما يُفسّر لنا بعض حالات النزاع عند الموت كما تقول الأحاديث ان بعض الناس يكون الموت عندهم هو عبارة عن نشر بالمناشير او رضخ بالحجارة، فامثال هؤلاء روحهم متمسكة بشكل كبير في مادة الجسم فلا تنفصل عنه إلا بالضرب الشديد، كما تنفصل المغناطيسية عن المغناطيس بالضرب الشديد، وهذه احوال ليست ثابتة فربما تجري على البعض ولا تجري على البعض الاخر وخصوصاً ان الأحاديث تصف حالات اخرى للموت كونها اشبه بان يشم الإنسان ريحاً طيبة.

وهنا ياتينا استنتاج وهو ان الروح ليس لها تحقق إلا من خلال واقع مادي تعمل وتظهر من خلاله، فهذه ثنائية لا تنفك كثنائية المادة والطاقة، فلا يمكن حسب هذا التصور ان توجد روح مجردة بمعزل عن المادة تماماً، كما لا توجد مغناطيسية بمعزل عن الحديد تماماً، اما ما ورد في الأحاديث كون هناك عالم للارواح فهو صحيح إلا ان هذا العالم له مادة رقيقة جداً تناسب ورقة الروح، فعالم الروح ايضاً من مادة وروح ولكن هناك غلبة لعنصر الروح فيه فسُمي بعالم الروح، فلا تظهر اثار المادة بشكل واضح لغلبة عنصر الروح، وعالم الدنيا فيه مادة وروح إلا ان الغلبة لكثافة المادة فسُمي بعالم المادة.

والان لدينا سؤال وهو إذا كانت المغناطيسية صفة فيزيائية من صفات المادة ناتجة من ترتيب مُعين لذراتها، فاصل المغناطيسية هو المادة وحركتها الداخلية اي حركة ذراتها وطبيعة ذراتها، فليس كل مادة قابلة للتحويل إلى مغناطيس على خلاف الجاذبية التي هي صفة من صفات المادة مهما تغيرت المادة وتنوعت، والعلماء لحد الان لم يضعوا تعريف واضح للكتلة، وبالتالي إذا عرفنا ما هي الكتلة عرفنا ما هي الجاذبية، فلا بد من وجود خصيصة في ذرات المادة يجعلها ذات جاذبية «والجاذبية في المادة نوع من المغناطيسية إلا انها بفعالية واحدة اي تجذب ولا تنفر» فالمغناطيسية قوة جذب لبعض المواد وتنافر مع مثيلاتها، اما الجاذبية فهي جذب ولا تنافر.

«لا، الموت موت والقتل قتل». فقلت له: ما أحد يقتل إلا مات: قال: فقال «يا زرارة قول الله أصدق من قولك»، قد فرق بين الموت والقتل في القرآن فقال ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، وقال ﴿وَلَيْنِ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾، ليس كما قلت يا زرارة الموت موت والقتل قتل وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُذًّا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾، وقال ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ قال: ليس من قتل بالسيف كمن مات على فراشه، أن من قتل لابد ان يرجع إلى الدنيا حتى يدوق الموت» مختصر البصائر/عز الدين الحلبي/ باب الكرات وحالاتها» ح/٧/٦١/ ص ٩٢.

وقد عرفنا ان المغناطيس يفقد مغناطيسيته بالطرق والتسخين، فربما توجد طريقة لجعل الكتلة او المادة فاقدة لخصيصة الجاذبية او قوة الجذب، وبالتالي امكانية رفع الاشياء بدون ادنى تكلف او صرف جهد كما نراه في الأفلام العلمية، او ربما بالعكس ربما توجد في المادة خصيصة تولّد جاذبية معكوسة بحيث تتنافر المواد من بعضها كما تتافر اقطاب المغناطيس المتشابهة.

وربما هناك مادة تزيد في جاذبيتها نتيجة ظروف اخرى لا تتعلق بالكتلة بل بتوزيع ذراتها كما حدث في عصا موسى ﷺ عندما تلقف ما يؤفكون، وهو ما يُسمى علميا بالانهيار الجذبي للمادة كما هو الحال في الثقوب السوداء، وربما لهذا السبب آمن السحرة بموسى ﷺ لان سحرهم يعتمد على معرفة بعض خصائص المادة واستثمارها في تحريك الاشياء، اما ما قام به موسى ﷺ فهو «تغيير طبيعة المادة» وهو المعروف عندنا حاليا بعلم النانو اي «اعادة بناء المادة».

ومن هنا يمكن القول افتراضاً ان المادة يمكن ان تفقد قابليتها على الجذب نتيجة اعادة بناء المادة بمواصفات معينة، وربما لا يجري هذا التصور على كل مادة بل على مواد خاصة كما ان المغناطيسية لا تتواجد في كل مادة بل في مواد خاصة.

## حقيقة روائية علمية عن المادة

عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام «في الربوبية العظمى والإلهية الكبرى لا يكون الشيء لا من شيء إلا الله، ولا ينقل الشيء من جوهره إلى جوهر آخر إلا الله، ولا ينقل الشيء من الوجود إلى العدم إلا الله»<sup>(١)</sup>

لا بد ان الكل سمع وعلى الاخص المهتمين بدنيا العلوم عن الجهود الحثيثة التي يبذلها علماء الفيزياء بالذات للغور في دقائق المادة، وهذه المعرفة لا تتحقق إلا من خلال تحطيم المادة نفسها لمعرفة اجزائها، فإذا اردت ان تدرس شيء لا بد في البداية ان تعرف اجزاء والوحدات الاساسية التي تكون منها، والعلماء يهدفون من خلال هذه العملية إلى معرفة اسرار الكون وكيف بدء ومصيره، وإلى بدايات القرن العشرين كان الاعتقاد السائد ان الذرة هي اصغر وحدة بنائية في المادة، ولكن بعد اكتشاف النشاط الاشعاعي لبعض العناصر وبناء المفاعلات النووية ودراسة النشاط الاشعاعي للعناصر المشعة تمكنوا من تحطيم ذرات المواد بطاقة المفاعلات الكبيرة، وتبين لهم ان الذرة مكونة من ثلاث وحدات اساسية «البروتون والنيوترون والالكترون»، وكلما زادت طاقة المفاعل كلما زاد التحطيم وظهور اجزاء اخرى للمادة فكلما حطمت جزء من المادة ظهر لك جزء اخر وهكذا إلى ان وصل العلماء إلى اكتشاف عشرات الجسيمات النووية، والمفاعلات النووية تزداد طاقتها كلما زاد قطر مُعجّل الجسيمات النووية، فكلما زاد قطر المُعجّل زادت الطاقة وهذا بدوره يؤدي إلى امكانية اكبر في تجزئة المادة، ومن هنا جاء التساؤل المهم وهو كم نحتاج من الطاقة لكي نصل إلى اخر مستوى من تجزئة المادة، اي كم سيكون قطر المُعجّل الذي يمكننا من الحصول على اخر مستوى من التجزئة، وبمعادلات رياضية طويلة ومعقدة تمكن العلماء من حساب هذه العملية والقياسات اللازمة لتحقيقها، واخيراً وبفضل التقنية العالية في نهايات القرن العشرين تم بناء اضخم مفاعل على الأرض وهو المسمى «مصادم الهادرون» الذي من خلاله سيتمكن العلماء من تعجيل الجسيمات النووية إلى سرعة اقرب لسرعة الضوء والتي من المفروض إذا تصادمت جزيئات المادة وهي بهذه السرعة هو ان نصل إلى اخرى مستوى من التهشيم ولا بد ان الجسيمات الناتجة هي الوحدات الاساسية للمادة.

(١) بحار الأنوار: ج ٤/ ص ١٤٧ كذلك توحيد الصدوق ص ٣٢

ومصادم الهايدرون هو اضخم مُعجَّل للجسيمات النووية ومحيط دائرته تبلغ «٢٧ كيلو متر»، وبُنِي على عمق «١٧٥ متر» تحت الأرض في منطقة الحدود الفرنسية السويسرية، وتقوم بتمويله المنظمة الاوربية للابحاث النووية، وتعاون في بناءه اكثر من «١٠٠٠٠» فيزيائي ومهندس من «١٠٠» دولة، ومئات الجامعات والمختبرات، ويستخدم هذا المُعجَّل في ايصال الجزيئات النووية إلى سرعة مقاربة لسرعة الضوء ثم تصطدم مع مثيلاتها في داخل هذا المُعجَّل للوصول إلى اقصى عملية تهشيم لانه لا يوجد سرعة اكبر من سرعة الضوء وبالتالي فان التهشيم سيصل إلى اخر مرحلة التي ستكون هي اخر اجزاء المادة.

ويسعى العلماء من خلال هذا المصادم للاجابة على جملة من الاسئلة العلمية والفكرية والفلسفية حول طبيعة المادة والكون منها، ما هي طبيعة المادة؟ كيف بني الكون من هذه المادة؟ ما هي طبيعة القوى الرابطة للمادة؟ وهل للمادة اجزاء لا تتجزء؟ هل للمادة مادة نقيضة؟ هل توجد ابعاد اخرى في الكون غير الأبعاد الثلاثة المعروفة؟

وربما يقول البعض ما هو الهدف من كل ذلك؟ والسؤال إذا كان بهذا المعنى البسيط فهو غير صحيح لان العلم بحد ذاته مطلب والاكتشاف يحرك العقول، والحق ان الهدف المُعلن هو هدف علمي صرف، وهو معرفة الوحدات الاساسية للمادة من خلال تهشيم المادة باعلى سرعة ممكنة، ولكن هناك اهداف فلسفية وفكرية لابد وان ترافق اي هدف علمي، والفهم الفلسفي للمادة وبداية الكون هو المحور الاساسي لهكذا جهود، لانهم يريدون ان يعرفوا حقيقة وهي هل ان اعلى مستوى لتهشيم المادة يُحوّل المادة إلى طاقة بالكلية، ام اننا سنصل إلى الجزء الاخير من المادة والدقيق جداً والمفروض ان يكون جزء المادة الذي لا يتجزأ اي جوهرها الحقيقي.

وعلى حد متابعتي للموضوع وحدود معرفتي الشخصية اعتقد انهم سيصلون إلى النتيجة التالية والفهم التالي، وهي ان الوحدة الاساسية لتركيب المادة هي «مُجزء لا يتجزء»، وهذا الفهم استدل عليه بالشكل التالي:

فقد ثبت عندي من خلال القرآن والمرويات والحكمة والفلسفة ان كل شيء دون الله مخلوق حادث، ولا قديم إلا الله عزّ وجلّ، وكل مخلوق لابد ان يكون مُركباً، ولا بسيط على الحقيقة بمعنى عدم لتركيب إلا الله عزّ وجلّ وهو مصداق قوله تعالى ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾<sup>(١)</sup>، والصمد هو الذي ليس له جزء، عن الإمام الصادق عليه السلام «لان ما سوى الواحد متجزئ والله واحد

لا متجزئاً»<sup>(١)</sup>، ودليل تركيب المخلوقات من القرآن قوله تعالى ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، أما من المرويات، فعن الإمام الرضا عليه السلام في حديثه مع عمران الصابي «..... ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي اراد من الدلالة على نفسه واثبات وجوده فالله تبارك وتعالى فرداً واحداً لا ثاني معه»<sup>(٣)</sup>، وقالوا في الحكمة «كل ممكن زوج تركيبى».

والمادة بهذا المعنى حتى في ظهورها الأولي ليست بسيطة ولا احادية التكوين فلا احادية إلا لله، فالمادة حسب هذا الفهم مركبة من جزئين على اقل تقدير ولا يمكن لاي جزء منهما ان يكون مُستقلاً قبل التركيب، وعلى حد اصطلاح الفلاسفة فهما «وجود وماهية» او «مادة وصورة»، وعلى مستوى ما نريد اثباته هنا فالمادة لها «جوهر وعرض»، فالجوهر حقيقة الشيء او هو ما يرادف ذاته، اما عرض الشيء فهي الخواص التي تلحق بالجوهر، وما تظهر به المادة و ما يلحق بها من خواص هي اعراض، والعرض هو كل شيء يلحق بجوهر المادة من ثقل وجاذبية وطول وكثافة ولون ووزن وغيرها، فإذا ازلت عن المادة هذه الاعراض بقي جوهرها، وقد يتصور البعض من الناحية الفلسفية ان هذا الجوهر بسيط، اي غير مُركب، اي احدي الماهية، واعتقد انه خطأ فكري وفلسفي باعتبار اننا لحد الان لم نتحقق منه علمياً فتكلم عنه فلسفياً لانه لا بسيط على الحقيقة الا الله وكل شيء دونه هو زوج تركيبى الا ان اجزاء هذا الجوهر لا تتجزء فلا وجود لهذه الاجزاء بشكل مفرد بل توجد بشكل مُركب مع بعضها ولا وجود للجوهر إلا باجتماع اجزائه، فيكون حكم هذه الاجزاء حكم تضاييفي واقصد بالتضاييف هو وجود اجزاء الشيء كلها دفعة واحدة ليس احدهما قبل الاخر، لان وجود احدهما يعتمد على الاخر،

فجوهر المادة هو مُركب لا يتجزء اجزائه متضايفة مع بعضها ومن هنا قال الإمام الصادق عليه السلام «مشيئة واردة واختراع هي واحدة واسماؤها ثلاثة» وهي حقيقة جوهر الاشياء ثلاثية لا تتجزء ولا يمكن لاي جزء منها ان يوجد منفردا وبمعزل عن بقية الاجزاء وهي كما اعتقد ايضا حقيقة النفس كونها كينونة ثلاثية الاجزاء ولا يمكن ان تكون احادية الجوهر فهي من الخارج واحد ائتلافي ومن الداخل مركب ثلاثي لا يتجزأ محكومة بحكم التضاييف وهو جوهر لا يمكن ان يتجزء الا بقدرة الله، ومن هنا فان الجواهر لا تتجزأ وان كانت مجزئة من الداخل وهو سر كينونتها وجودها وديمومتها كما في عبارة ابي عبد الله الصادق عليه السلام «ولا ينقل الشيء من جوهريته إلى جوهر اخر إلا الله، ولا ينقل الشيء من الوجود إلى العدم الا الله»، لذلك ربط

(١) التوحيد/ الشيخ الصدوق/ باب ٢٩/ ح ٦

(٢) الذاريات/ ٤٩

(٣) توحيد عيون اخبار الرضا/ ج ١/ باب ١١/ ح ٥١

مفهوم الجوهر مع العدم فإذا تفككت الأشياء انتفت جوهريتها وتنتقل من الوجود إلى العدم «ولا ينقل الشيء من الوجود إلى العدم إلا الله»، لذلك فوجود الشيء بتركيبه ولولا التركيب فهو معدوم.



## إبليس والفضاء ومقاعد السمع

الصراع بين الخير والشر هو قصة التاريخ والإنسان نفسه، ولطالما افتتحت الكتب المقدسة بالكلام عنه، وبدأ الصراع بعد ان رفضت جهات وبصراحة أمر الله بالسجود لآدم عليه السلام، واصبحت الأرض هي المكان المقرر لهذا الصراع الذي حُدد له اجل معلوم ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ومنذ ذلك الحين إلى اليوم والصراع قائم على قدم وساق بين آدم وذريته وإبليس وذريته، وقد استطاعت قوى الشر من الحصول على انتصارات كبيرة لولا رحمة الله عز وجلّ بارسال الرسل والأنبياء والاولياء والصالحين بعد ان جُهِز طرفي الصراع بكل الادوات والاسلحة لأدامة زخم الصراع وصولاً للغايات لكي لا يكون للناس على الله حجة من بعد الرسل بعد ان قضت العناية الإلهية ان يكون العدل هو الميزان في العطاء، والرحمة هي الميزان في القبول، ولا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين منزلتين.

ولا نريد هنا ان نكتب بحث مستقل عن إبليس وان كان الموضوع يستحق التفكير والمتابعة لان هذا المخلوق لم يأخذ حقة من البحث، فلو تابعت نتاج العقول المتدينة تجد فيها كم هائل من المؤلفات التي تتحدث عن الله وصفاته واسمائه وقدرته وكتبه المقدسة وعن انبيائه ورسله وحياتهم وبعثتهم وحكمتهم إلى اخره من المواضيع المرتبطة بعنوان الخير، إلا انك لا تجد ما يوازي هذه البحوث من حيث الكم والكيف في التعرف على جانب الشر وخصوصاً قائد هذا الطرف إبليس، فاغلب الكلام الذي يدور حول هذا المخلوق كونه ملعون والنظرة العامة لاغلب الناس حوله تتعلق بالتعوذ منه والتسفيه في اغلب الاحيان، ولا ادري لماذا يستبعد الناس ان يكون مخلوق ذكي وان كان ملعوناً وخارجاً عن رحمة الله، فلا زال الناس يعيشون حياتهم وكأن هذا الكائن غير موجود، لذلك تجد ان اغلب الناس عندما تصدر منه المعصية يسارع إلى «التعوذ من شر إبليس» لانه يتصور ان سبب هذه المعصية هو إبليس فقط وما يدري الإنسان انه سبب المعصية وإبليس اعانه عليها، والحقيقة عندما يذنب الإنسان ويتعوذ من إبليس فهو يضحك عليه ويقول له «انت فعلتها فلماذا ترمي بذنبك عليّ»، ولا نريد هنا ان ننزه ساحة إبليس بالمرة من ذنوب الإنسان ولكن المعادلة ليست بطرف واحد، بل المعادلة ذات طرفين طرف بيد

إبليس وطرف بيدنا، وانت واقف بينهما، وان كان الإنسان في بعض الاحيان يرتكب ذنوب لم يرتكبها إبليس نفسه، وفي هذه الحالة يكون الإنسان هو معلم لإبليس وليس العكس.

ولعل البعض اتهم إبليس بالغباء لانه يظن انه قد وقف بوجه الإله ورفض امر السجود لذلك اعتقدوا بانه غبي فمن ذا الذي يحاول ان يكون ند لله إلا الاغبياء.

ولكن الموضوع لا يجري وفق هذا التصور لان إبليس مخلوق ذو عمر طويل وعبادة طويلة ومعلومات اصلية، فهو على يقين بانه ليس هناك مساحة يمكن من خلالها ان يضع نفسه بالمباشر ندًا لله فهو لا يعدو طوره، فمن هو وما خطره حتى يكون في الصراع مقابل الله عز وجل، وهذه النقطة استفاد منها إبليس في تعظيم شأنه، لان المتدين يظن ان الصراع بين إبليس والله وهو خطأ فادح، بل الصراع بين إبليس والإنسان اي بين البشر والجن، والله عز وجل خارج الصراع لانه جهة حاکمة.

لذلك لم تكن ساحة عمل إبليس وملعبة هي ساحة الإله بل ملعبه هو الأرض والإنسان. ولكن الشيء الذي لا يعرفه الناس ان إبليس عندما نُعِن وطُرد وفقدن كرامته ومرتبته الملكوتية قد ظل محتفظاً بمواهبه التي اكتسبها نتيجة عبادة سابقة له.

وبالنتيجة فان الناس يعيشون على هذا الكوكب ناسين تواجد هذا الكائن وذريته معهم لانهم تعودوا بالتربية ان يمارسون حياتهم معتقدين بأنهم وحدهم على هذا الكوكب، بل هناك نسبة منهم تعتقد اننا وحدنا في الكون، وهو تصور ستكون له انتكاسات خطيرة في الزمن القريب القادم عندما يصحوا الإنسان في ايام قادمة فاتحاً عينيه على جملة من المخلوقات ستغزو حياته، لانها مثلنا مكلفة ولها غايات ولها مشروعها الخفي.

فالإنسان يعيش حياته وهو غير مُدرك ان الكوكب الذي نعيش فيه والفضاء الذي يغلفه مشحون شحناً بانواع مختلفة من الكائنات «ملائكة وجان»، والخطاب القرآني صريح بتواجد عالم الجن معنا بل لهم تكليف ويتحدون معنا في الغايات، اما عالم الملائكة فأكبر من ان يوصف وما من شاردة وواردة في هذا الكوكب بل في هذا الكون إلا وعليها ملك موكل بها، وفي الآيات والروايات الشيء الكثير من ذكر تفاصيلهم واحوالهم بما ليس بحاجة إلى بيان.

هذا من ناحية الجانب غير المرئي اما من ناحية الجانب المرئي فالأرض مكتظة بانواع المخلوقات من الحيوانات والطيور والاسماك والنباتات تحيط بنا ولها نظامها واغلب الناس يعيشن حياتهم ولا ينتبهون لها.

ان هذه الحالة الغير مُدرّكة من قبل اغلب الناس كونهم تعودوا ان يعيشوا تحت قناعة وشعور جمعي انهم لوحدهم على هذه لارض قد استثمرت من قبل جانب الشر الأستثمار الامثل، لانهم كانوا وما يزالون يركّزون هذا التصور في الذاكرة والسلوك الإنساني لكي لا ينصرف الناس للتفكير والتأمل والبحث عن العوالم الاخرى، فبحث الإنسان عن هذه العوالم سيقوده للتعرف عليها وعلى طبيعتها واهدافها وقد يصل به التفكير إلى معرفة المُحرّكات التي تحرك هذه الجهة بالخفاء وبالتالي معرفة حقيقة الجهات المتنفذة في هذا العالم التي قد يتصورهم البعض انهم مثلنا لكنهم في الحقيقة صنائع إبليس الذين لبسوا الابدان الادمية وذريته التي تنتمي اليه وتطيعه وتعطيه الولاء وهم على قسمين، الأول: منتمي إلى جهة الشر الا انه غير مُدرّك لهذا الانتماء فهو سائر بفعل الحركة الكلية للمجتمع والشعور الجمعي لعموم الناس فهم دُمى إبليس يُحرّكهم كيف يشاء بوسائل عديدة اقواها الاعلام ورغبات الإنسان من غريزة وطعام وملبس وهم سواد الناس وعمومهم ومساحة عمل إبليس المثالية، الثانية: هم المنتمين لطرف الشر عن وعي ودراية فهم مُدرّكون حقيقة هذا الانتماء وهم قيادات واتباع موالين يعملون ضمن منهج ولهم غاية وييدهم تجتمع كل الخيوط السياسية والاقتصادية والموارد البشرية وقنوات الاعلام والمصارف والتجارة العالمية وسوق الاموال وكل المرافق الحيوية على الأرض وهم يمارسون عملهم تحت غطاء السرية ويطرحون انفسهم كناس عاديين لهم مؤهلات كبيرة لانهم كسيدهم إبليس يعرفون كيف يخفون انفسهم في مجاميع الناس، فسيدهم إبليس استطاع ان يُخفي نفسه داخل مجاميع الملائكة سنين طويلة فلا بد وانه عندما بدأ صراعه مع الإنسان قد مارس نفس الدور وعلمه لاتباعه، لذلك فان مسألة تشخيص قيادات الشر والاتباع العاملين معنا في هذا الكوكب بحاجة إلى دقة نظر للفرز، وبما ان اغلب الناس بعيدين عن هذا التصور فقد انتصر إبليس واتباعه في هذه المعركة انتصاراً ساحقاً لاننا كلنا نتعامل مع هذه القوى وكأنها غير موجودة.

هذه مُقدمة بسيطة سقناها كمدخل للاجابة على تساؤل يتعلق بموضوع الكلام وهو «إبليس والفضاء»، فيا ترى ما هي غاية الدول الكبرى مثل أمريكا من مشروع كمشروع البحث في الفضاء؟ ولماذا هذا الانفاق المالي الكبير عليه؟ اما كان الأفضل من الجانب الإنساني والاقتصادي ان تُنق هذه الاموال على مشاريع أكثر اهمية لانقاذ البشرية من الجوع والمرض والفقير والجهل التي تفتك بالبشر؟

هذا المشروع وغيره الذي جعل أمريكا تشرّد شعوب وتفقر دول وتتسلط على حكومات من اجل مواردها وتحويلها إلى اسواق كبيرة لتجارتها ولادامة زخم حركة رأس المال من اجل

تمويل هكذا مشاريع عملاقة، وحتى تضيع حقيقة غايات مثل هكذا مشاريع فقد طرحت القوى المتنفذة هكذا مشاريع من خلال وسائلها الاعلامية الجبارة تحت شعار التكنولوجيا والتقدم العلمي.

ربما ستقول لي، ان رغبة الإنسان في تبني مشاريع عملاقة هو ديدن الإنسانية منذ بدء الخليقة وشواهد التاريخ والاثار تدل بشكل واضح على ان للإنسان محاولات كثيرة لعمل مشاريع ضخمة لعدة دوافع عقائدية او اقتصادية او سياسية كما في مشروع بناء الاهرامات مثلا الذي لا بد ان يكون في زمنه قد استهلك الكثير من جهد الإنسان وموارده وبالتالي فلا احد يستطيع ان يلوم الإنسان إذا سعى بهذا الاتجاه إذا كان له طموح علمي او رغبة في الاستكشاف، وخصوصت وان العقل البشري بطبيعته طموح وخلاق، فما المانع من اطلاق العنان لهذا العقل في سبر اغوار الكون ودقائق الاشياء وكشف القناع عما كان مُغيب لفهم ظواهر الاشياء، فما هو الضير من الانفاق على هكذا مشاريع إذا كانت الغايات المرجوة منها عظيمة ولها علاقة بالعلم ومصير الإنسان؟

والاشخاص الذين يتبنون هكذا طرح يُدعمون رأيهم بجملة الانجازات العلمية الراقية والمذهلة التي توصل اليها البحث العلمي نتيجة البحث المستمر ومن جملة الانجازات الضخمة التي صنعها الإنسان نتيجة تبنيه لمشروع البحث الفضائي والسفن الفضائية منها منظومة الاقمار الصناعية المحيطة بكل كوكب الأرض والتي من خلالها يتم رصد ونقل كل شاردة وواردة في حياتنا من برامج تلفزيونية واتصالات ومعاملات مالية وتجارية وملاحة بحرية وجوية والتي اصبحت من مُسلّمات هذا الزمن، وأصحاب هذه القناعة لهم حق في ذكر هذه المنجزات لانها كلها تدرج تحت عنوان «البحث العلمي»، لكنهم عندما يضعون امامك قائمة طويلة من هذه الانجازات والمُخترعات والاجهزة ينسون وربما يتناسون قائمة اخرى فيها جُملة من المواضيع كان العلم والتقدم سبباً في تشويهاها وخصوصاً ما يتعلق بالجوانب الروحية والإيمانية والأخلاقية، فالتطور العلمي والتكنولوجي رافقه انحدار سريع في الجوانب الأخلاقية بشكل لا يتناسب مع تطور العلم ناهيك عن جملة الاخطار الصحية والبيئية مثل الامراض الجديدة والاحتباس الحراري واستنزاف موارد الأرض التي رافقت هذا التطور العلمي.

فايهما افضل ان نخترع اجهزة وادوية تشافي الناس من الامراض ام ان نقذف إلى الحياة بالمبيدات والمواد الكيماوية الصناعية لتنتج لنا امراض جديدة، وإذا نظرت للتطور العلمي من هذا الجانب فهو عملية هدم وبناء في نفس الوقت.

هذه بعض اهداف وتفصيل ونتائج هذه المشاريع من الجانب المُعلن، اما الجانب غير المُعلن فهو مخفي يظهر إلى حيز الوجود بالتدرج لانني اعتقد ان إبليس وصنائع إبليس هم الذين وراء هذا التقدم العلمي والتكنولوجي الذي ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، وهم يسرون وفق اهداف كبيرة ونوايا خطيرة وخطط استراتيجية ويرصدون كل جهد علمي وكل عقل ذكي، وقد اجتمعت في هذه الجهات عدة مميزات فهم اذكياء ودهاء وخبثاء وعلماء ومغرورون على حد سواء.

فإبليس بعد ان لعن وطُرد وفقد مركزه الملكوتي ظل مع آدم محبوساً في افق الأرض التي اصبحت مركزاً للصراع، ونتيجة هذا الوضع الجديد فقد إبليس واعوانه قابلية الصعود للسماء وقابلية معرفة الاوامر لانه ملعون لا يستحق ان يكون واحد من اهل السماء وخصوصاً ان إبليس واعوانه من الجن قد تعرضوا لأمر ضيق عليهم الخناق جداً وقيد حركتهم اكثر وهو عملية نزول القرآن الكريم على الرسول الخاتم ﷺ فقد ذكرت المروييات انه بعد نزول القرآن اغلقت عليهم السماء بشكل كلي وانحصر عملهم على كوكب الأرض فمنعت اعينهم واسماعهم من استراق السمع والتي يتبعها بالضرورة ضيق افق في معرفة المستقبل وبطء في الحركة وقد شرحت سورة الجن احوال الجن وما سيؤول اليه امرهم وقابلياتهم بعد نزول القرآن

قوله تعالى ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾<sup>(١)</sup>، لاحظ انهم متواجدون في الأرض والا لقالوا «في الأرض والسماء»، وقوله تعالى ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾<sup>(٢)</sup>، لاحظ انهم هنا «يلمسون» السماء اي واقفون على اطرافها ولا يستطيعون الدخول اليها على الرغم من محاولاتهم، علماً انهم لديهم «مقاعد للسمع» اي مرصد للترصد على الاخبار إلا ان هذه المرصد اصبحت لها مقابل وهو «شهاب رصد» قوله تعالى ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾<sup>(٣)</sup>، فيما يذكر النص القرآني بوجود تعامل مستمر بين الجن والانس ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾<sup>(٤)</sup>، وهي دالة بشكل واضح على وجود تعاون مستمر بين جنس الإنسان وجنس الجان لا يقتصر على زمن مُعين بل مستمر باستمرار الصراع وهو تعاون يدل بوضوح على امكانية الاتصال مع بقية العوالم ونقل المعلومات.

(١) الجن/١٢

(٢) الجن/٨

(٣) الجن/٩

(٤) الجن/٦

وبما ان السماء قد اغلقت عليهم ومثلت حرساً شديداً وشهباً ومن يحاول الاختراق يجد له شهاباً رصداً، وبما ان هناك امكانية للاتصال والتعاون ما بين الإنسان والجان فما هو المانع إذا غلقت عليهم ابواب السماء ان يساعدوا الإنسان بمعلومات وان يتعاونوا معه لكي يقوم الإنسان بهذا الأمر بالنيابة عنهم للوصول إلى نفس الغاية وهي «استراق السمع» بشرط ان لا يعي الإنسان هذا الهدف، فهم علموا الإنسان كيف يصنع «المراصد» التي هي «مقاعد للسمع»، فاخذ الإنسان بدون وعي للاغلبية وبوعي من قبل الاتباع من تنفيذ خطة إبليس تحت غطاء التطور العلمي، وان اخفاء هذه الحقيقة عن ذهن الإنسان هو ما عبرت عنه آيات سورة الجن باوضح بيان بقوله ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، فالنتيجة الحتمية للتعاون بين الانس والجن لفك هذا الحصار او لغيره من المشاريع هو ان يُرهق الإنسان وهو ما نراه حالياً في كل مفاصل الحياة التي اصبحت مرهقة فعلا على الرغم من كل هذا التطور الذي طُرح في البداية تحت عنوان راحة الإنسان ورفاهيته.

فالإنسان له القابلية العقلية على فهم مديات اوسع تؤهله للوصول إلى هذه الآفاق المحجوبة عن الجن وعن إبليس، فلا بد من استثمار الإنسان بالشكل الامثل لكي يقوم بهذا الدور بدل إبليس وجنوده فيمارس دور ناقل الاخبار بطريقة يضمن فيها إبليس وصول الخبر اليه بدون استفادة الإنسان منه، فالإنسان يستفاد من المعلومات والصور والبيانات لمعرفة كيف يعمل النظام الشمسي ومما تتكون الكواكب وخصائصها وغيرها من المعلومات العلمية التي لا تمثل لإبليس واتباعه شيء، فهذه حصة الإنسان من العملية، اما ما موجود خلف هذه المعلومات من حقائق ترتبط باخبار السماء فهي حصة إبليس التي لا يعرفها الإنسان ولن يسمح إبليس له بمعرفتها.

ومن خلال التعاون بين الإنسان والجان تم تجنيد كل امكانيات الدول الكبرى لادامة زخم هكذا مشاريع من خلال مجموعة من النتائج حصلت عليها هذه الدول كالتفوق العسكري والتكنولوجي والصناعي والمصرفي، لان إبليس بحاجة لهؤلاء لكي ينفذ مشروعه، وعلى المستوى الشخصي لا استبعد بل متيقن بان إبليس هو الذي جهز هذه الدول بالمعلومات للوصول لهكذا غايات، فليس كل نتاج علمي هو عقلي خالص، فكما ان للرحمن وحي نزل على صفوة عباد الله وهم الأنبياء والمرسلين فيه معلومات فيها صالح البشرية، فالوحي ليس نتاج عقول الأنبياء بل هو معلومات جاهزة من الله للإنسان لكي تستقيم الحياة، كذلك هناك وحي للشيطان يتم من خلاله ايصال معلومات للإنسان الشرير لكي يستخدمها في تهديم

الحياة، قوله تعالى ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>

ومن خلال هذا الوحي الشيطاني يُسخر إبليس اعوانه من الانس وهم عادة رؤوس متنفذة في الواقع وأصحاب سلطة كان لابد لهم ان يدخلوا هذه الدائرة عن وعي كما ان الأنبياء يدخلون دائرة الرحمن عن وعي ويخدمون الله مولاهم، كذلك هؤلاء الناس الذين يدخلون ساحة إبليس عن وعي ودراية فهم في خدمة مولاهم مقابل مميزات اعطيت لهم من قبل إبليس كالسلطة والمال والنفوذ لكي ينفذوا مشاريع إبليس ومنها مشروع الفضاء والمراصد لتي اعدت للسمع.

ومن خلال هذا التقدم العلمي والمراصد الفلكية والمعدات الضخمة يستطيع إبليس رصد السماء ومنها رصد ظهور «المذنب الموعود» قبل ان تظهر طلائع انواره فالملعون يعرف ان لهذا الأمر توقيتات ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّوٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذه المعرفة توفر له وقت للاعداد المسبق لهكذا حدث اعلامياً وعسكرياً وفكرياً، وهذا ما يؤكد الواقع الحالي من خلال نشر مئات المراصد العملاقة على الأرض والمراصد المتقدمة الموضوعة على ارتفاعات عالية في الفضاء الخارجي والمسابير الفضائية التي تهبط على بقية الكواكب.... «وما خفي كان أعظم».

هذا واحد من مشاريع إبليس اما المشروع الاخر الاكثر خطورة فهو مشروع تخريب الطبيعة وبالتالي تخريب الكوكب وجعله غير صالح للحياة، فلا احد يُنكر الاخطار التي يواجهها كوكبنا ونظامنا الطبيعي من عدة ظواهر ومنها ظاهرة الاحتباس الحراري التي هي من نتائج التقدم الصناعي وبالتالي تسارع ذوبان الثلوج وتغير دورة الرياح والتصحر والتطرف المناخي بعد ان استهلك التقدم الصناعي موارد الأرض قاذفاً الى اجوائنا بكل سموم ودخان المصانع نتيجة عمليات الاحتراق ادت إلى ظهور معادلة غير متوازنة بين استهلاك موارد الطبيعة ومخلفات الصناعة مما دفع جملة من العلماء والدول ان تدق ناقوس الخطر بعد نتائج تم الحصول عليها من دراسات عديدة تنذر بحصول ازمة حقيقية على المدى القريب.

ربما ستقول لي ما هي الفائدة التي سيجنيها إبليس واعوانه من تخريب النظام الطبيعي؟ وربما يتوقع البعض ان الاجابة على هذا السؤال تحتاج إلى مقدمات طويلة وبحوث خاصة فالجواب بسيط. لان إبليس لا يعمل لله وكل عمل ليس لله لا ينمو فخراب هذا الكوكب نتيجة حتمية لعمل إبليس، وفعله هذا سيقوده إلى نهايته هو لانه نفسه سيوصل الامور إلى درجة انها «تملى ظلماً وجوراً»، فهو اراد ان يؤخر ظهور المنقذ ولكنه سرّع بحضوره، فهو واقع في تناقض

(١) الأنعام/١٢١

(٢) هود/١٠٤

كبير، فلو ان إبليس توقف ولم يغوي الناس وهذا محال لانه خلاف طبيعته لرجح مشروع الأنبياء وانتصر الخير، ولو انه عمل واغوى الناس حصل اعث بالنظام وبالطبيعة وهو المطلوب فهي «ستملى ظلماً وجوراً» وهو المطلوب وهو ما سيحققه إبليس نفسه ﴿وَمَكْرُوا مَكَرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فكل عمل ضد قوانين الله يوصل إلى نتيجة حتمية، فالقانون سيضرب عاجلاً أم آجلاً.

(١) آل عمران/٥٤



## ها هنا كانت الزوراء

بغداد - الزوراء - المزورة - ام البلاء - اخت العار - دار الفاسقين - طينة الجبارين، كل هذه عناوين جاءت في الأحاديث في سياق الكلام عن مدينة بغداد، وهي ارض موعودة بالخراب والخسف في آخر الزمان، وهذه جولة سريعة في متابعة هذا الموضوع لمعرفة تاريخ ومستقبل هذه المدينة.

### تاريخ بغداد قديماً:

المعروف من الدراسات الاثرية ومن جملة الاثار الشاخصة حول بغداد حالياً التي منها «المدائن - سلوقية - بابل - عكركوف»، ان بعض الشعوب قد عاشت في العراق ولها تواجد واضح في هذه البقعة كالبابليين والكيشيين، ومن هنا خلط بعض الباحثين بين بغداد وبابل وبين بغداد والمدائن، وهذا ما يؤكده المؤرخ «جاك ريسلر» بقوله «كانت بغداد مدينة قديمة بابلية على الشاطئ الغربي من نهر دجلة»<sup>(١)</sup>، وجهة الغرب من دجلة وهي الجهة التي ستذكرها الأحاديث، وهي نفسها الجهة التي بنا فيها المنصور العباسي مدينة بغداد كما سنذكر لاحقاً.

وذكر الخطيب البغدادي، وابن الجوزي، وياقوت الحموي، قولهم «ان اسم بغداد كان يُعرف قديماً قبل المنصور، وكانت بغداد ايام مملكة العجم قرية تقوم بها الفرس كل سنة سوقاً عظيمة».

وجولة سريعة في التاريخ تبين لك انه مدينة بغداد بنيت في ارض لها تاريخ قديم جداً، فقد قامت بغداد في موضع يقع إلى الجنوب من نهر الصراة يسمى «سوق بغداد»، يجتمع فيه التجار في رأس كل سنة، وتقوم للفرس فيه سوق عظيمة، مما جعلها مركزاً تجارياً عالمياً، وبقي الأمر كذلك إلى حين ما يسمونه بالفتح الإسلامي.

وهناك دلائل تاريخية كثيرة على تسمية هذه المنطقة باسم بغداد، فقد ورد اسم مدينة باسم «بكداد» من زمن حمورابي القرن «١٨ ق م»، وورد اسم اقليم باسم «بغداد» في لوح يرجع إلى زمن الملك الكيش «١٣١٦ ق م»، وهناك حجر حدوده من زمن الملك الكيشي «مردوخ بلادان الأول» يرجع تاريخه إلى القرن «١٢ ق.م» ورد فيه ذكر موضع «بكدادي».

وقال بعض المؤرخين ان اسم بغداد مُحرّف عن «بعل جاد»، ومعناها «معسكر بعل»، على اعتبار انها معسكر للجيش البابلي، وقال البعض انها تحريف «بعل داد» اي مدينة «الاله الشمس»، ولعلها بُنيت لعبادة «البعل» إله الشمس فسميت باسمه، ومنهم من يرى ان اسم بغداد لفظ كلداني في الاصل وهو «بلداد» مشتق من «بل» وهو اسم الاله الكلداني «داد»، وهي لفظة ارامية قديمة معناها «فتك»، وقال البعض ان اصل بناء بغداد قد يرتقي إلى عهد حمورابي، وقد اجمع عدد من المؤرخين المسلمين على ان لفظة بغداد فارسية الاصل واعطوها تفسيرات مختلفة، والبعض يرى ان «بغ» اسم لصنم فتكون «بغ داد» اي «الصنم اعطاني»، وقال البعض ان «بغ» هو البستان و«داد» اعطى، اما المستشرق «لسترانج» فيقول ان الاسم مشتق من الكلمتين الفارسييتين القديمتين «بغ» اي «الله» و «اذ» اي «تأسست» او «تأسيس»، فيكون لفظ بغداد «اسسها الله»، فيما فسر المؤرخين المسلمين القدماء والجغرافيين اسم بغداد بمعنى «عطية الصنم» او «عطية الشيطان» او «عطية الملك».

وبالجمله اذ احتكمتنا إلى أحاديث آل محمد ﷺ حول معنى الكلمة على اختلاف تفسيرات الباحثين والمؤرخين فان الأحاديث تدم هذه الأرض التي بنى فيها العباسيون مدينتهم اشدّ الذم، وتقول عنها انها ارض ملعونة، وموعودة بالخسف والخراب، ولا اعلم ما هي دلالة ان تكون الأرض ملعونة، فهل لانها مقر لعبادة الاوثان، ام هي مقر للشيطان، كما ان بعض الاماكن المقدسة المباركة مقر لاجساد الأولياء، فلا ندري من دفن في هذ الاراضي الملعونة، وكل هذه المؤشرات في الأحاديث تُرَجِّح كونها مكان شيطاني وهي بالاصل مقر لعبادة الاصنام او الشيطان، وعلمنا يبدووا انها من مراكز الشيطان المهمة، والتي ربما تعود لما قبل كل هذه التواريخ.

## أحاديث بغداد في مرويات آل محمد عليهم السلام

لم يكن العرب قبل الإسلام يعرفون شيء عن بغداد بل لا يعرفون عن العراق شيء الا كونه مستعمرة فارسية، ولم يكن احد يتوقع ان الرسالة المحمدية ﷺ ستصل إلى العراق وإلى العالم، واول معلومة عن بغداد في التاريخ الإسلامي هي المعلومة التي وردت في حديث رسول الله ﷺ.

عن الإمام علي عليه السلام قال «سمعت حبيبي محمداً ﷺ يقول: فيكون لبني عمي مدينة من قبل المشرق بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة، يشيد فيها بالخشب والآجر والجص والذهب، يسكنها شرار خلق الله وجبايرة امتي، اما ان هلاكها على يد السفيناني، كاني بها والله قد صارت خاوية على عروشها»<sup>(١)</sup>.

عن رسول الله ﷺ قال «تُبنى مدينة بين دجلة ودجيل والصراة وقطربل، تُجبا إليها كنوز الأرض، يخسف بها فلهي اسرع ذهاباً في الأرض من الحديدة المحماة في الأرض الخوارة»<sup>(٢)</sup>، عن مالك بن انس عن نافع عن ابي عمر قال هدم المنافقون مسجداً بالمدينة ليلاً فاستعظم أصحاب رسول الله ﷺ ذلك، فقال رسول الله ﷺ «لا تنكروا ذلك فان هذا المسجد يُعمر، ولكن إذا هدم مسجد برائاً بطل الحاج»، قيل له واين مسجد برائاً؟ قال «في غربي الزوراء من ارض العراق صلى فيه سبعون نبيا ووصيا واخر من يصلي فيه هذا واثار بيده إلى مولانا علي عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

اما المثابة الاساسية لتحديد موقع مدينة بغداد فقد اقترنت بمسجد برائاً، وهو المسجد الذي امر الإمام علي عليه السلام الراهب حباب ببنائه بعد رجوعه من قتاله اهل النهروان والأحاديث التالية تبين هذا الموضوع بالتفصيل.

عن جابر بن عبد الله الانصاري قال حدثنا انس بن مالك وكان خادم رسول الله ﷺ قال: لما رجع أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام من قتال اهل النهروان نزل برائاً، وكان بها راهب في قلايته وكان اسمه حباب، فلما سمع الراهب الصيحة والعسكر اشرف من قلايته إلى الأرض فنظر إلى عسكر أمير المؤمنين عليه السلام فاستفضع ذلك فنزل مبادراً، فقال: من هذا؟ ومن رئيس هذا العسكر؟ فقيل له: هذا أمير المؤمنين وقد رجع من قتال اهل النهروان، فجاء الحباب مبادراً

(١) معجم بلدان عصر الظهور/ عبد الرسول زين الدين ص ٦٥ نقلا عن تاريخ بغداد ج ١/ ٣٨

(٢) ملاحم ابن المنادي: ٤٣

(٣) الملاحم والفتن: ابن طاووس / الباب الثامن والاربعون / ص ١١٧

يتخطا الناس حتى وقف على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين حقاً حقاً، فقال: وما علمك بأني أمير المؤمنين حقاً حقاً، قال له: بذلك اخبرنا علماءنا واحبارنا، فقال له: يا حباب، فقال الراهب: وما علمك باسمي؟ فقال: اعلمني بذلك حبيبي رسول الله ﷺ، فقال له الحباب: مد يدك فأنا اشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ﷺ وانك علي بن ابي طالب وصيه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: واين تأوي؟ فقال: اكون في قلاية لي ها هنا، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بعد يومك هذا لا تسكن فيها ولكن ابن ها هنا مسجداً وسمه باسم بانيه، فبناه رجل اسمه براثا فسمي المسجد براثا باسم الباني له، ثم قال: ومن اين تشرب يا حباب؟ فقال: يا أمير المؤمنين من دجلة ههنا، قال: فلم لا تحفر ها هنا عينا او بئراً؟ فقال له: يا أمير المؤمنين كلما حفرنا بئراً وجدناها مالحه غير عذبة، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام احفر ها هنا بئراً فحفر فخرجت عليهم صخرة لم يستطيعوا قلعها، فقلعها أمير المؤمنين عليه السلام فانقلعت عن عين احلى من الشهد وألذ من الزبد، فقال له: يا حباب يكون شربك من هذه العين، اما انه يا حباب سئبني إلى جنب مسجدك هذا مدينة وتكثر الجبابة فيها ويعظم البلاء حتى انه ليركب فيها كل ليلة جمعة سبعون الف فرج حرام، فإذا عظم بلاهم سدوا على مسجدك بقنطرة<sup>(١)</sup> ثم بنوه مرتين، لا يهدمه الا كافر فإذا فعلوا ذلك منعوا الحج ثلاث سنين<sup>(٢)</sup>.

عن ابي جعفر عليه السلام قال «ان أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء، فقال للناس: انها الزوراء فسيروا وجنبوا عنها، ان الخسف اسرع اليها من الود في النخالة، فلما اتى موضعاً من ارضها قال: ما هذه الأرض؟ قيل: ارض نجرا، فقال: ارض سباح جنبوا ويمنوا، فلما اتى يمنة السواد إذا هو براهب في صومعة فقال له: يا راهب انزل ها هنا؟ فقال له الراهب: لا تنزل هذه الأرض بجيشك، فقال: ولم؟ قال: لانه لا ينزلها الا نبي او وصي نبي بجيشه يقاتل في سبيل الله عز وجل هكذا نجد في كتبنا، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنا ذلك، فنزل الراهب اليه فقال: خذ علي شرائع الإسلام إني وجدت في الإنجيل نعتك وانك تنزل ارض براثا بيت مريم وارض عيسى عليهما السلام، فقال أمير المؤمنين: قف ولا تخبرنا بشيء، ثم اتى موضعاً فقال الكزوا هذا فلكرهه برجله عليه السلام فانبجست عين خراة، فقال: هذه عين مريم التي انبعث لها، ثم قال: اكشفوا ها هنا عل سبعة عشر ذراع فإذا بصخرة بيضاء، فقال عليه السلام: على هذه وضعت مريم عيسى من عاتقها وصلت ها هنا، فنصب أمير المؤمنين عليه السلام الصخرة وصلّى اليها واقام هناك اربعة ايام يتم الصلاة وجعل الحرم في خيمة من الموضع على دعوة، ثم قال: ارض براثا هذا بيت مريم

(١) في مصدر اخر «فتوة»

(٢) بحار الأنوار/ج ٩٩ ص ٢٦

عليها السلام هذا الموضع المقدس صلى فيها الأنبياء، قال ابو جعفر محمد بن علي عليهما السلام ولقد وجدنا انه صلى فيه إبراهيم قبل عيسى عليهما السلام<sup>(١)</sup>.

الحديث يحدد ان أمير المؤمنين عليه السلام مر بهذه الأرض بعد ان انتهى من قتال الخوارج اي سنة (٣٨ هـ ٦٥٩ م)، وانه مر بارض سماها بالزوراء وحذر الناس منها لانها ارض سريعة الخسف، ثم التقى بعدها في موضع اخر بالراهب حباب وامره ان يبني مسجد سماه باسم بانيه برائا، والمهم في الحديث ان الإمام علي عليه السلام يحدد للراهب حباب انه «يا حباب سئبني إلى جنب مسجدك هذا مدينة وتكثر الجبابرة فيها ويعظم البلاء حتى انه ليركب فيها كل ليلة جمعة سبعون الف فرج حرام»، والواضح ان هناك مسافة ما بين موقع بناء المدينة وارض برائا، لان الإمام علي عليه السلام بعد ان اجتاز الزوراء مر بارض نجرا ثم يمين السواد ثم التقى بالراهب، والحديث يذكر ان الإمام علي قال «سئبني إلى جنب مسجدك هذا مدينة» ولم يقل «سئبني حول مسجدك مدينة»، فالمدينة سئبني في جانب من جوانب المسجد والذي سنتكلم عنه لاحقا، ثم يحدد الحديث انه إذا هدم المسجد منع الحاج ثلاث سنوات<sup>(٢)</sup>.

وعلى حد اطلاعي على المصادر التي تناولت موضوع بناء العباسيين لمدينة بغداد، فلم تذكر هذه المصادر المعلومات الواضحة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام حول موقع المدينة او من سببها التي قال عنها الحديث انهم «بني العباس» ولم تشر هذه المصادر لهذا الأمر من قريب ولا من بعيد، حتى الخبر المشهور الذي يتعلق ببناء جامع برائا بعد ان أمر الإمام علي عليه السلام الراهب حباب ببنائه وقال له انه سئبني جنب مسجده هذه المدينة، واغلب من كتب في هذا الموضوع يأخذ معلوماته من كتب التاريخ ولا يؤخذ بشيء من كلام آل محمد عليهم السلام، والراجع ان لهذا الأمر سبب كون اغلب من كتب عن بغداد ذو ميول للطائفة السنية، وخصوصاً الاكاديميين منهم الذين يعتمدون على كتب التاريخ فقط ولا يقيمون اي وزن لأحاديث آل محمد عليهم السلام حتى لو كان فيها معلومة تاريخية، وبما ان كتب التاريخ ومن نقل عنهم من مذهب السنة وهو مُسبقاً يعتبر بني العباس هم رعاة الدين والعلم واهل الحضارة الإسلامية فلا يمكن ان يتناول المعلومات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام حول بناء المدينة وخصوصاً ان الأحاديث تذكر انه سيسكنها الجبابرة

(١) بحار الأنوار/ج ٣٣ ص ٤٣٧

(٢) قال السليبي مصنف الكتاب فرايت مسجد برائا قد هدمه الحنبليون وحفروا واخذوا اقواما قد حفر لهم قبور فغلبوا اهل الميت ودفنوه في ارادة قبورا فيه تعطيل المسجد وتصير مقبرة وكان فيه نخل فقطع واحرق جذعه وسقوفه وذلك سنة ٣١٢ هـ فبطل تلك السنة الحج وقد كان خرج سلمان بن الحسين يعني القرامطة في اول هذه السنة فقطع على الحاج وقتلهم وعطل الحج ووقع الثلج ببغداد فاحترق نخلهم من البرد فهلك « الملاحم والفتن: ابن طاووس/ الباب الثامن والاربعون/ ص ١١٧

وفي حديث اخر يسميهم ملوك بني الشيبان ويقول عنها انها منخرج طينة الجبارين وهذا كله خلاف ما يقال حول تاريخ ومصير المدينة ومن بناها.

وحتى ان «بعض» الخرائط المختصة بمعالم بغداد قديماً وحديثاً تذكر كل معالم بغداد القديمة والحديثة باستثناء معلم واحد الا هو مسجد براثا فقد خلت بعض تلك الخرائط من اشارة اليه، وربما هناك تقصد بعدم ادراج موقع جامع براثا في هذه الخرائط لكي تضيع معه أحاديث آل محمد ﷺ حوله، ولو صحت ملاحظتي هذه فهي تشير إلى وجود ايادي خفيه لاضاعة الموقع الجغرافي الحقيقي لبغداد التي بناها العباسيين.

### بناء المدينة من قبل العباسيين

حكم بنو امية للفترة «٤١ - ١٣٢ هـ» اي «٦٢٢ - ٧٥٠ م»، وبدأ حكم بني العباس سنة «١٣٢ هـ»، وباستلام بني العباس السلطة شرع خليفتهم الثاني ابو جعفر المنصور ببناء عاصمته الجديدة «مدينة السلام» سنة «١٤٥ هـ»، اي بعد ١٣ سنة من استلامهم السلطة وقد اختلف المؤرخون في تحديد العوامل التي دفعت ابي جعفر المنصور لبناء بغداد لتكون حاضرة الدولة العباسية ويمكن اختصارها بثلاث نقاط.

١ - كان من المقرر على الدولة العباسية الناشئة اقامة عاصمة لهم تليق بدولتهم الجديدة مقابل عاصمة اعدائهم الامويين في الشام.

٢ - كراهة المنصور العباسي من الاقامة على مقربة من الكوفة مركز الشيعة المواليين لأهل البيت ﷺ والذين لهم موقف عدائي من العباسيين.

٣ - كراهة المنصور الاقامة في الهاشمية للحركات الخطيرة التي شهدها العصر العباسي الأول.

وقد بُنيت المدينة على الضفة الغربية من دجلة، وصممت على شكل قلعة مدورة، واحاطها بعدة اسوار، وجعل لها اربعة ابواب كبار، وكان كل مدخل نظير المدخل الاخر في تصميمه، واتم المنصور بنائها سنة «١٤٩ هـ - ٧٦٦ م» اي استمر بنائها لمدة اربعة سنوات، وهذه المدينة تحدها دجلة من الشرق ونهر الصراة من الجنوب والخندق الذي بنوه من الغرب والشمال.

وبعد ان أنشأت العاصمة الجديدة اقبل الناس على السكن في جوارها فاتسعت قرية الكرخ التي في جنوب المدينة وصارت تعرف باسم محلة الكرخ، وقد انشئ خلف المدينة من الجهة الشرقية سور وخذق للدفاع عن العمران الذي انتشر حول المدينة المدورة

ثم دخلت بغداد مرحلة جديدة في تطورها بعد ان انزل المنصور ابنه وولي عهده المهدي في الجانب الشرقي من نهر دجلة وجعل مقر جنده هناك وعرفت المحلة الجديدة اولاً باسم «عسكر المهدي» ثم سُميت «الرصافة»، واول بناء شيد فيها هو جامع الرصافة الكبير، ثم عقب بعدها بناء قصر المهدي، وقد انشئ حول المعسكر سور يدور حوله خندق عملاً بما تقتضيه الاحوال العسكرية.

وعندما بُنيت الرصافة بنيت مقابل مدينة المنصور المدورة من الجانب الاخر من نهر دجله على وجه التقريب وبدأ العمل بها سنة «١٥١ هـ - ٧٦٨ م» وانتهت سنة «١٥٧ هـ - ٧٧٣ م» اي استغرق بنائها ستة سنوات.

### مساحة المدينة

هناك عدة روايات لتحديد مساحة المدينة التي بناها المنصور

١ - رواية اليعقوبي<sup>(١)</sup> ان المساحة بين كل باب من الابواب الخارجية هي خمسة آلاف ذراع بالذراع السوداء، وبهذا يكون محيط المدينة عشرون الف ذراع، ولما كان الذراع السوداء تساوي «٤٩ - ٥٠ سنتمتر»، فيكون محيط المدينة قرابة «١٠ كيلو متر» والمسافة بين كل باب وباب قرابة «٣٠٠٠» متر اي ثلاث كيلو مترات، فتكون مساحة بغداد حسب هذه الأبعاد اكثر من سبعة كيلو مترات مربعة.

٢ - رواية الخطيب البغدادي<sup>(٢)</sup> يذكر ان مساحة المدينة وخذاقها وسورها «١٣٠» جريباً ويؤيد ابن الجوزي هذه الرواية ايضاً<sup>(٣)</sup>، والجريب يساوي «١٢٨٤ متر مربع» وبذلك تكون مساحة بغداد قرابة «١٨٠ الف متر مربع»،

٣ - بينما ذكر الخطيب البغدادي ان المنصور خط المدينة ميل في ميل<sup>(٤)</sup> والميل العربي حوالي «اربعة آلاف ذراع» اي ما يقارب الف متر فتكون مساحة المدينة المدورة اكثر من ثلاث كيلو مترات مربعة.

(١) كتاب البلدان: ص ٢٣٨

(٢) تاريخ بغداد/ ج ١ / ص ٦٩

(٣) مناقب بغداد / ص ٩

(٤) تاريخ بغداد: ج ١ / ص ٧٠

٤ - وللخطيب البغدادي رواية اخرى اذ يقول ان المدينة المدورة قطرها من باب خراسان إلى باب الكوفة الفا ذراع ومائتا ذراع ومن باب البصرة إلى باب الشام الفا ذراع ومائتا ذراع وهذه الرواية تشير إلى استدارة كاملة ومساحتها تكون «٧١٤ر٩٥٠» متر مربع.

### عوامل اختيار المكان:

يشارك الطبري<sup>(١)</sup> وابن الجوزي<sup>(٢)</sup> وابن طباطبا<sup>(٣)</sup> وياقوت الحموي<sup>(٤)</sup> في رواية تدور حول اختيار مكان بغداد، تقول الرواية «انه كان على مقربة من المكان الذي ارتاده المنصور دير وسأل راهب من رهبانه احد رجال المنصور وهو علي بن يقطين عن اسم الخليفة، فأجاب ان اسمه عبد الله، فسأل هل للخليفة اسم اخر؟ فأجاب بان كنيته ابو جعفر ولقبه المنصور، فقال الراهب ليس هذا الذي بينها، فتسائل علي بن يقطين عن السبب فاجاب الراهب لأنا قد وجدنا في كتاب عندنا نتواتره قرناً عن قرن ان الذي يبني هذا المكان رجل يقال له مقلاص، ونقل ابن يقطين هذا الحديث إلى المنصور فاستبشر المنصور وقال انه كان يطلق عليه وهو صبي اسم مقلاص وكان قد سرق غزل مربية له عجوز فاطلقت عليه العجوز هذا الاسم نسبة إلى لص اشتهر في ذلك العصر وكان اسمه مقلاص، وقال المنصور الان عرفت اين ابن هذه المدينة»<sup>(٥)</sup>.

ولقد حاول بعض الباحثين ان يستخف بهذه الرواية ويصفونها انها من نسج الخيال، علما ان الذي نقلها خيرة كتب التاريخ التي ينقلون منها معلوماتهم، واعتقد ان السبب واضح لان تصديقهم بهذه الرواية سيقودهم حتما إلى التصديق بحادثة مرور الإمام علي عليه السلام ولقائه بالراهب حباب وامره له ببناء مسجد في هذه الأرض وقوله عليه السلام «يا حباب سُبُنِي إلى جنب مسجدك هذا مدينة وتكثر الجبابرة فيها ويعظم البلاء حتى انه ليركب فيها كل ليلة جمعة سبعون الف فرج حرام» فلو اعتمدوا على هذه الرواية لثبت ان بني العباس هم جبابرة هذه الامة.

ومن غير المستبعد ان الإمام علي عليه السلام قد اخبر حباب الراهب بتفاصيل اكثر حول هذه المدينة، دليله ان الرواية التي تنقلها كتب التاريخ تقول ان هذا الراهب الذي التقى به المنصور

(١) تاريخ الطبري: ج٩/ ص ٢٣٩ - ٢٤٠

(٢) مناقب بغداد: ص ٧

(٣) الفهرس: ص ١١٧ - ١١٨

(٤) معجم البلدان: ص ٤٥٩

(٥) قال ابو جعفر كانت والله امي تلقيني في صغري مقلاصا «تاريخ بغداد: ١ / ٨٧»، مقلاص: اسم لص كانت تضرب به الامثال وكان ابو جعفر المنصور صبيا سرق غزلا لعجوز كانت تخدمه وباعه لينتق على اتراب له فلما علمت بفعلته سمته مقلاصا وغلّب عليه هذا اللقب «النهاية: ١٠ / ١٠٨»



لديه كتاب يتوارثونه قرناً عن قرن مكتوب فيه ان الذي يبني المدينة شخص اسمه «مقلاص»، والراهب يعلم ان هناك مدينة ستبنى قرب المكان الذي يسكن فيه، مما يدل انهم توارثوا هذه المعلومات قبل اكثر من مئة سنة، دليل ذلك ان الإمام علي مر بحباب سنة «٣٨ هـ» والمدينة بنيت سنة «١٤٥ هـ» والفرق بينهما تقريبا «١٠٧ سنوات»، فلا بد ان حباب وثق هذه الحادثة في كتاب توارثه من جاء بعده، والحديث التالي يؤيد مجمل الكلام كون الذي يبنيها هو «مقلاص».

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة قال فيما قال في اخرها «الواني ظاعن عن قريب ومنطلق إلى المغيب فارتقبوا الفتنة الاموية والمملكة الكسروية وامائة ما احياه الله واحياء ما اماته الله واتخذوا صوامعكم بيوتكم مثل جمر الغضا واذكروا الله كثيرا فذكره اكبر لو كنتم تعلمون، ثم قال: وتبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيل والفرات فلو رأيتموها مشيدة بالبحص والآجر مزخرفة بالذهب والفضة والازورد والمرمر والرخام وابواب العاج والابنوس والخيم والقباب والستائر وقد غلبت بالساج والعرعر والصنوبر وشيدت بالقصور وتوالت عليها ملك بني الشيبان اربعة وعشرون ملكاً فيهم السفاح والمقلاص والجموح والخدوع والمظفر والمؤنث والنظار والكبش والمهثور والمصطلم والمستصعب والعلام والرهبان والخليع والسيار والمترف والكديد والاكيب والتترف والاكلب والوسيم والظلام والغيوخ.....»<sup>(١)</sup>.

والحديث واضح كون مدينة الزوراء تُبنى بين دجلة والفرات ودجيل، وان من يبنيها هو «مقلاص» ثاني ملوك بني الشيبان<sup>(٢)</sup>.

ثم ان كتب التاريخ تقص لنا ان المنصور استشار هؤلاء الرهبان حول بناء المدينة ومن خلال النص الذي سنورده يتبين ان هؤلاء الرهبان على علم باحداثيات هذه المدينة، فيروي الطبري<sup>(٣)</sup> ان المنصور قصد هذا الدير<sup>(٤)</sup> الذي حدثه علي بن يقطين عن حواره مع راهبه ودعا صاحب الدير والبطريق وغيرهما فسألهم ن احوال المناخ في تلك المنطقة بل سألهم عما قد

(١) الخطبة اللؤلؤية، كفاية الاثر/ ٢١٣ المناقب: ٢ / ١٠٨

(٢) يقال ان الشيبان اسم من اسماء الشيطان او قبيلة من قبائل الجن ولعل ذلك يعيدنا إلى ما قلناه حول اسم بغداد كونها مدينة الشيطان وقد وردت عبارة بني الشيبان كاشارة إلى بني العباس في كلام ابن مهزيار مع الإمام المهدي عليه السلام فقال لي «اي الإمام المهدي عليه السلام يا ابن مهزيار كيف خلفت اخوانك في العراق؟ قلت: في صنك عيش وهناة قد تواترت عليهم سيوف بني الشيبان فقال: قاتلهم الله اني يؤفكون.....» كمال الدين وتمام النعمة/ الشيخ الصدوق/ ج ٢/ باب ٤٤ من شاهد القائم عليه السلام ورأه وكلمه/ ٢٣

(٣) تاريخ الطبري: ج ٦/ ص ٢٣٧ ٢٩٧٦

(٤) يسمى هذا الدير العتيق او دير «مابرقيتون» من الجانب الغربي من بغداد وقد اصبح فيما بعد محاذيا لقصر الخلد وهذا يدل على ان هؤلاء الرهبان كانوا في دير قريب جدا من موقع المدينة

يكون فيها من هوام وحشرات واستدعى المنصور اليه دهقان قرية مجاورة فطلب منه المشورة والرأي فقال الدهقان ان سألتني عن هذه الامكنة وطبيها وما يختار منها فالذي ارى يا أمير المؤمنين ان تنزل قرية طساسيج في الجانب الغربي طسوجين وهما «قطربل وبادوربا» وفي الجانب الشرقي طسوجين وهما نهر بوق - وكلواذين<sup>(١)</sup> فانت تكون بين نخل وقرب ماء فان اجذب طسوج وتاخرت عمارته كان في الطسوج الاخر العمارات وانت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة وتجيئك الميرة من ارمينية وما اتصل بها في «شامرا»<sup>(٢)</sup> حتى تصل الزاب وتجيئك الميرة من الروم والجزيرة والموصل في دجلة وانت بين انهار لا يصل اليك عدوك وانت بين دجلة والفرات لا يجيئك احد من الشرق والغرب الا احتاج العبور..... ثم قال هذا الدهقان ان دجلة والفرات خنادق لأمير المؤمنين».

وكما تلاحظ ان هذا الراهب قد ذكر مجموعة من الأحداثيات والمسميات تنطبق تماماً على ما جاء في الأحاديث حول موقع هذه المدينة منها قطربل ونهر الصراة الذي تجري فيه السفن وكذلك كون المدينة واقعة بين دجلة والفرات.

واغلب من بحث في اسم «الزوراء» ذهب إلى المعنى اللغوي كونها سُميت بالزوراء لازورار ابوابها، والراجع عندي حسب اجواء الأحاديث ان بغداد سُميت بالزوراء لانها بُنيت على ارض اسمها الزوراء بدلالة الحديث، عن ابي جعفر عليه السلام قال «ان أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء، فقال للناس: انها الزوراء فسيروا وجنبا عنها»، وانما اكتشفوا بعد بناء المدينة انها بُنيت على ارض اسمها الزوراء بسبب شياع الأحاديث حولها فقالوا انها سميت الزوراء لازورار ابوابها.

### تساؤل مهم :

لو تابعت موضوع بغداد تاريخياً لأبد انك تتسائل عن هذه المدينة الكبرى التي بناها بني العباس والذين كانوا من اكبر القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية في العالم واستمروا فيها لاكثر من خمسمائة سنة، والراجع ان هؤلاء لم يدمرها بالمرّة فلماذا يدمر مدينة بهذه العظمة ولا يجعلها مقراً له، ولو قرأت عن بغداد في زمن العباسيين وما تذكره كتب التاريخ عن معالم

(١) طوسج كلواذي : قال ياقوت في معجم البلدان ج ٤ ص ٣٠١ انها قرب مدينة السلام وناحية الجانب الشرقي من بغداد  
(٢) قال ياقوت في معجم البلدان ج ١ ص ٨١٢ - ٨١٣ وهو طوسج من سواد بغداد بالجانب الشرقي وله نهر واسع يحمل السفن ايام المرور

ال عمران الضخمة من قصور للخليفة وما يحيط بها من ملحقات ودواوين الدولة والقاعات والقباب والمسجد الكبير والزينة التي تحيط بالمدينة عند كل مناسبة والسور العظيم الذي كان يحيط بها والمفروض انه سور قد صمم لصدم اعتى الهجمات ولا بد ان بني العباس على طوال ٥٠٠ عام قد اضافوا عليها وخصوصا انها لم تتعرض لغزوا كبير الا ايام هولاءكو.

وبالتالي لو بحثنا الان عن اثر لبغداد المدورة هل نجد منها شيء، الحقيقة لا تجد الان اي دليل عمراني على وجود هكذا مدينة استمرت تحكم العالم الإسلامي اكثر من خمسة قرون، ونحن نعرف ان كل حضارة تنتهي لابد ان يبقى شيء من اثارها العمرانية وإذا لم يبقى منه شيء بقيت اسماء محتوياتها، وإذا لم تبقى الاسماء يبقى اساس السور او البنيان، والمتابع يلاحظ ان بغداد التي بناها المنصور لم يبقى منها شيء ولا حتى المسميات ولا حتى السور ولا حتى الاساسات والذي يدفعا للتساؤل مرة اخرى اين ذهبت هذه المدينة هكذا وبدون ان تترك اي اثر.

ومن هنا فاني اميل للقول بان بغداد حسب الواقع التاريخي والتنبؤ الديني لمستقبلها تمر بمراحل.

**المرحلة الأولى:** مرحلة مرت وهي الفترة الممتدة من يوم بنائها إلى يوم احتلالها من قبل هولاءكو سنة (٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م) والقول بان هولاءكو دمرها نهائيا امر غير متصور، والأحاديث تسميها قبل بنائها بالزوراء.

**المرحلة الثانية:** وهي الفترة الممتدة من يوم اجتياحها من قبل هولاءكو سنة (٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م) إلى يومنا هذا، وهولاءكو نهب واحرق ولكنه لم يُخربها كغيرها من المدن التي فتحها لانهم كانوا يريدون اتخاذها مقراً لهم وهو امر منطقي جداً فلماذا يخربها وهي صالحة لسكنه وسكن عسكره، وبقيت بغداد بعد هذه الحادثة تتقاذفها الحروب إلى ان احتلها السلطان مراد الرابع سنة (١٠٤٨ هـ - ١٦٣٨ م) فقد حكم فيها الالخانيون (٨٢) سنة ثم اعقبهم الجلائريون (٥٧) سنة واستولى تيمورلنك على بغداد سنة (١٣٩٣ م) ولم يلحق ضرر بالمدينة وفي سنة (١٥٠٨ م) غزا الشاه إسماعيل الصفوي بغداد وظلت بحوزة الصفويين حتى عام (١٥٣٤ م) حيث احتلها الاتراك بقيادة سليمان الأول، ثم استولى عليها عباس الصفوي سنة (١٦٢٣ م)، ثم استعادها الاتراك سنة (١٦٢٨ م) وبقيت بغداد بهذا الشكل من سيء إلى اسوء تتقاذفها الحروب والفيضانات وقد ذكر اخبارها وانها مبانيتها واسوارها جملة من الرحالة وقد تعرضت المدينة إلى فيضانات خطيرة في السنوات (١٨٨٤ - ١٨٩٤ - ١٨٩٦ - ١٩٠٧ -

١٩١٥م» ولكل هذه الاسباب وبسبب ضعف الادارة والاضطرابات الامنية المتواصلة تضرر جدا سور المدينة واستعملت حجارتها في بناء الابنية ودفن الخندق واكثر اجزائها تداخل مع الابنية الجديدة كما ان الغرق المتكرر من فيضان دجلة كان له الاثر الكبير في تخريب اكثر اقسامها اثناء الفيضانات، وبقي السد الترابي وصار يعرف بعد الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧ بسدة المدينة وبهذا لم يبق من بغداد واسوارها شي.

وحسب هذا الواقع التاريخي للمدينة عبر الزمن يمكن القول ان بغداد التي بناها المنصور اندثرت بالتدرج عبر الزمن واعتقد هي المعنية بعبارة الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام «ها هنا كانت الزوراء».

قال المفضل: يا سيدي كيف تكون دار الفاسقين في ذلك الوقت؟ قال عليه السلام «في لعنة الله وسخطه وبطشه تخربها الفتن وتتركها حمما<sup>(١)</sup> فالويل لها ولمن بها كل الويل من الرايات الصفرة ورايات المغرب ومن يجلب الجزيرة ومن الرايات التي تسير اليها من كل قريب وبعيد والله لينزلن بها من صنوف العذاب ما نزل بسائر الامم المتمردة من اول الدهر إلى اخره ولينزلن بها من العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بمثله ولا يكون طوفان اهلها الا بالسيف فالويل لمن اتخذ بها مسكنا فان المقيم بها يبقى بشقائه والخارج منها برحمة الله، والله ليبقى من اهلها في الدنيا حتى يقال هي الدنيا وان دورها وقصورها هي الجنة وان بناتها هن الحور العين وان ولدانها هم الولدان وليظنن ان الله لم يقسم رزق للعباد الا بها وليظهن من الأفتراء على الله وعلى رسوله ﷺ والحكم بغير كتاب الله ومن شهادات الزور وشرب الخمر واكل السحت وسفك الدماء ما لا يكون في الدنيا كلها الا دونه ثم ليخربها الله تعالى بتلك الفتن وتلك الرايات حتى لو مر عليها مار لقال ها هنا كانت الزوراء.....»<sup>(٢)</sup>

الاغلب يعتقد ان هذه مواصفات بغداد اخر الزمان، ولو تأملت في الحديث جيداً وحسب الواقع التاريخي لهذه المدينة كما ذكرناه لرأيت الحديث يشير إلى بغداد التي بناها المنصور، كما يذكر الحديث ان نسائها الحور العين وان ولدانها هم الولدان وانه يظن ان الله لا يقسم رزق للعباد الا بها لانها مركز العالم في زمان العباسيين بل يقال انها هي الدنيا، ونتيجة هذا الواقع سيطمخ بها كل الملوك ستُخرب نتيجة ما ينزل بها من صنوف العذاب لكثرة الرايات التي تسير اليها من قريب وبعيد، والحديث يحدد صراحة ان خراب بغداد من الفتن والرايات التي تمر

(١) في بعض النسخ جماء

(٢) مختصر البصائر/ الشيخ عز الدين الحسن بن سليمان الحلبي/ تمة ما تقدم من أحاديث الرجعة/ ٥/١٢

عليها ولم يذكر ان خرابها على يد السفيناني كما تشير اليه أحاديث اخرى مما يعزز كونها احداث مضت، ونتيجة هذه الفتن والرايات ستخرب ولن يبقى منها اثر حتى إذا مرّ عليها مار قال «ها هنا كانت الزوراء»، والحقيقة في زماننا هذا لو استطعت ان تحدد الموقع الجغرافي لمدينة بغداد التي بناها المنصور فلن تجد لها اي اثر وستجد فيها ابنية ومعالم حديثة فإذا سألك احد قل له «ها هنا كانت الزوراء»، وهي مصداق لقوله تعالى ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾<sup>(١)</sup>

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة المتعلقة بالنبؤات المستقبلية لهذه المدينة وما يجري عليها في اخر الزمان، لان بغداد كمدينة وبفعل العمران الذي جرى فيها بقيت اسمها بغداد وان اختلفت منها معالم بغداد المدورة التي بناه المنصور وهي بغداد التي نعرفها حالياً، وخراب بغداد في اخر الزمان يكون من جهتين جهة الخسف وجهة السفيناني لاقتران خرابها مع ظاهرة فلكية كبيرة وهي اقتراب جرم من الأرض.

عن ابي عبد الله عليه السلام «يُزجر الناس قبل قيام القائم عليه السلام عن معاصيهم بنار تظهر لهم في السماء وحمرة تجلج السماء وخسف ببغداد وخسف ببلدة البصرة....»<sup>(٢)</sup>

عن أمير المؤمنين عليه السلام من حديث طويل «لا يقوم القائم حتى تفتق عين الدنيا وتظهر الحمرة في السماء..... وخراب دار الفراعنة ومسكن الجبابرة ومأوى الولاة الظلمة وام البلاء واخت العار تلك ورب علي يا عمر بن سعد بغداد الا لعنة الله على العصاة من بني امية....»<sup>(٣)</sup>

بسند عن كعب الاحبار انه قال «ان القائم من ولد علي عليه السلام له غيبة كغيبة يوسف ورجعة كرجعة عيسى بن مريم ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الاحمر وخراب الزوراء وهي الري وخراب المزورة وهي بغداد وخروج السفيناني»<sup>(٤)</sup>.

والسنة التي تسبق ظهور القائم عليه السلام تسميها الأحاديث «سنة كثيرة الزلازل» والراجح علمياً ان كثرة الزلازل بسبب هذا الجرم الذي سيؤثر على طبيعة الأرض، والأحاديث ايضا تذكر ان بغداد مبنية على ارض رخوة

(١) الفرقان/٢٣

(٢) الارشاد/ ١٦١

(٣) غيبة النعماني / ١٤٧

(٤) غيبة النعماني/ ١٤٦ ح ٤

عن رسول الله ﷺ قال «تُبنى مدينة بين دجلة ودجيل والصراة وقطربل، تُجبا إليها كنوز الأرض، يخسف بها فلهي اسرع ذهابا في الأرض من الحديدية المحماة في الأرض الخوارة»<sup>(١)</sup>، عن أبا جعفر عليه السلام يقول «إن أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء، فقال للناس: إنها الزوراء فسيروا وجنبوا عنها، فان الخسف أسرع إليها من الودد في النخالة».

كم ان الأحاديث تشير إلى خرابها على يد السفيناني

عن الإمام علي عليه السلام قال «سمعت حبيبي محمداً ﷺ يقول: فيكون لبني عمي مدينة من قبل المشرق بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة، يشيد فيها بالخشب والأجر والجص والذهب، يسكنها شرار خلق الله وجبابرة امتي، اما ان هلاكها على يد السفيناني، كاني بها والله قد صارت خاوية على عروشها»<sup>(٢)</sup>

عن النبي ﷺ في ذكر احوال السفيناني «..... حتى ينزلوا بارض بابل وهي المدينة الملعونة يعني بغداد فيقتلون اكثر من ثلاثة آلاف ويفضحون بها اكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس»<sup>(٣)</sup>.

لاحظ انه ﷺ هنا يذكر خرابها على يد السفيناني وليس هو لآكو وهذا دليل على انها ستخرب في اخر الزمان.

وربما يتسائل البعض هل ان كل بغداد الحالية مشمولة بالخسف والخراب واللعن، الحقيقة ان هناك تعميم في اطلاق موضوع اللعن والخسف على كل بغداد الحالية، نعم قد تكون مُجمل بغداد الحالية معرضة للخطر في اخر الزمان من قبل السفيناني او غيره من اهل الرايات، الا ان موضوع اللعن والخسف يخص منطقة معينة فقط وهي المنطقة الجغرافية التي بنا فيها المنصور العباسي مدينته المدورة، دليل ذلك ان الإمام علي عليه السلام عندما مر بجيشه والتقى بالراهب حباب امره ان يبني مسجد في تلك المنطقة ولولا انها ارض مقدسة لما امره بذلك لانه صلى بها جملة من الأنبياء والاوصياء، علماً ان الإمام علي عليه السلام قال لحباب «ستبنى إلى جنب مسجدك مدينة» ولم يقل له ستبنى حول مسجدك مدينة، فلو قال له ستبنى حول مسجدك مدينة لكانت ربما الكثير من مناطق بغدا الحالية مشمولة باللعن والخسف، ولكنه قال ستبنى جنب مسجدك مدينة مما يدل على ان بغداد الملعونة والموعودة في الخسف هي فقط تلك البقعة الجغرافية

(١) ملاحم ابن المنادي: ٤٣

(٢) معجم بلدان عصر الظهور/ عبد الرسول زين الدين ص ٦٥ نقلا عن تاريخ بغداد ج ١/ ٣٨

(٣) بحار الأنوار: ٢/ ١٨٧ تاريخ الطبري: ١: ٤٨١

الموجودة على جنب مسجد برائا فبرائا ليس من حدود تلك لمدينة هذا بالاضافة إلى كون منطقة الكاظمية ارض مقدسة دفن فيها اثنان من الأئمة المعصومين عليه السلام وهي ارض مقدسة وطيبة.

وهنا ساجيب عن الموضوع بشكل ظني وحسب قناعتي التي توصلت اليها من خلال متابعة هذا الموضوع وهو القول ان المنطقة الموعودة بالخسف هي نفس المنطقة التي بنا عليها المنصور العباسي مدينته المدورة والتي اختفت معالمها نتيجة كثرة الفتن عليها وهي نفسها المنطقة التي بنا عليها البعثيون قصورهم، وهي نفسها مركز الحكومة الحالية او ما يسمونه بالمنطقة الخضراء وهي التي بنيت عليها حاليا السفارة الامريكية وهذا ما تؤكدته الأحاديث كون سيسكنها صنفان من الناس كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله «يسكنها شرار خلق الله وجابرة امتي»، فشرار خلق الله هم الأمريكان وجابرة الامة هم عموم من يحكم العراق كما ورد في أحاديث العامة قول رسول الله صلى الله عليه وآله «سيكون من بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء امراء، ومن بعد الامراء ملوك، ومن بعد الملوك جابرة، ثم يخرج رجل من اهل بيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا»، وهذه البقعة هي التي يسميها الإمام علي عليه السلام «دار الفراعنة ومسكن الجبابرة ومأوى الولاة الظلمة وام البلاء واخت العار»

فيمكن القول انه ليس كل بغداد المعروفة حاليا بكل امتداداتها هي المعنية بالخسف واللعن، بل المعنية باللعن والخسف هي المنطقة الجغرافية التي بنيت عليها المدينة المدورة، اما ما يُحيط بها فهي تتضرر نتيجة الحروب واحداث اخر الزمان كمنطقة فعاليات عسكرية.

## الشعارات المجفورة

وردت عدة أحاديث متعلقة باخبار عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام تحتوي على معلومات رقمية تشير إلى معلومات مجفورة تم اخفائها لاسباب عديدة.

### الحديث الأول:

عن ابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام قال «إذا ظهر القائم على نجف الكوفة خرج اليه قراء الكوفة وقد علّقوا المصاحف على اعناقهم وفي اطراف رماحهم شعارهم «يا ٢٢١٢١ يا ٢٤٧ تر»<sup>(١)</sup> ويقولون: لا حاجة لنا فيك يا ابن فاطمة قد جربناكم فما وجدنا عندكم خيراً ارجعوا من حيث جئتم حتى لا يبقى منهم مخبر»<sup>(٢)</sup>.

### الحديث الثاني:

عن اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله قال «إذا قدم القائم «الله ١٤٤»<sup>(٣)</sup> وهم ان يكسر الحائط الذي على القبر بعث الله ريحاً شديداً وصواعق ورعوداً حتى يقول الناس: انما ذا لذا فيتفرق أصحابه عنه حتى لا يبقى معه أحد فيأخذ المعول بيده فيكون أول من يضرب بالمعول ثم يرجع إليه أصحابه إذا رأوه يضرب بالمعول فيكون ذلك اليوم فضل بعضهم على بعض بقدر سبقهم اليه فيهدمون الحائط ثم يخرجهما غضين طريين فيلعنهما ويتبرأ منهما ويصلبهما ثم ينزلهما ويحرقهما ثم يذريهما في الريح»<sup>(٤)</sup>.

### الحديث الثالث:

عن ابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام قال «إذا قام القائم ودخل الكوفة امر بهدم المساجد الأربعة حتى يبلغ اساسها ويصيرها عريشاً كعريش موسى عليه السلام وتكون المساجد كلها جماء لا شُرْفَ

(١) في منتخب الأنوار المضيئة/ السيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم النبلي النجفي/الفصل الثاني عشر/ص١٩٣/ ورد الرقم كالآتي «٢٤٧٢١٢١ يا ٢٤٧»

(٢) سرور اهل الإيمان في علامات ظهور صاحب الزمان / للسيد بهاء الدين بن عبد الكريم النبلي النجفي /ح٤٧/ص٦٧  
(٣) في منتخب الأنوار المضيئة/للنبلي النجفي ورد الرقم هكذا «٥١٤٤٢١» وفي بعض نسخه «٥١٤٤٢١» وهي ليست في البحار

(٤) سرور اهل الإيمان/ للنبلي النجفي/ح٤٦/ ص٦٦ وكذلك في منتخب الأنوار المضيئة /للنبلي النجفي/الفصل الثاني عشر/ ص١٩٣



لها كما كانت على عهد رسول الله ﷺ ويوسع الطريق الاعظم فيصير ستين ذراعاً ويهدم كل مسجد على الطريق وكل جناح وكنيف وميزاب إلى الطريق..... ولا يلبث الا قليلاً حتى يخرج عليه مارقة الموالي برُميلة الدسكرة<sup>(١)</sup> عشرة آلاف شعارهم (يا ٧ ١٤٥)<sup>(٢)</sup> فيدعوا رجلاً من الموالي فيقلده سيفه ثم يخرجهم فيقتلهم حتى لا يبقى منهم احد.....»<sup>(٣)</sup>.

من خلال النظر في هذه الأحاديث الثلاثة يتضح انها لا تتحدث عن امور تقع في زمن ما قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام، بل في زمن مرافق لظهوره عليه السلام، فهذه رايات و فرق مشاركة في الأحداث، وان فهم هذه المعلومات «الرقمية» في الأحاديث يمكن النظر إليها من عدة احتمالات.

**الاحتمال الأول:** ان تكون هذه الأحاديث صدرت فعلاً من المعصومين بهذا الشكل اي فيها ارقام تشير إلى امور مجهولة وهذا الاسلوب لم نألفه في أحاديث آل محمد عليه السلام إلا اللهم في موارد قليلة جداً واسلوبها لا يشابه اسلوب الأحاديث السابقة مثل الأحاديث التي ذكرت الرقم «٣١٣» وهم عدة أصحاب القائم عليه السلام، بل ان هذا الرقم فُسر من قبل الأئمة عليه السلام بعدة أحاديث كونه يمثل عدد أصحاب القائم عليه السلام، فيما ذكرت مرويات اخرى اسمائهم واماكن سكناهم وهذا الأمر يدفعنا للاعتقاد بان هذا الاسلوب في وضع الارقام في الأحاديث ليس من اسلوب المعصومين عليه السلام بل من وضع الرواة<sup>(٤)</sup>.

(١) الدسكرة: الأرض المستوية، قرية كبيرة بناوحي نهر الملك غربي بغداد، وايضا قرية في طريق خراسان وايضا قرية بحوزستان والرميلة تصغير الرملية : منزل في طريق البصرة إلى مكة، وقرية في البحرين، وقرية في بيت المقدس \*

(٢) -في منتخب الأنوار المضئفة للنيلي النجفي/ الفصل الثاني عشر/ص ١٩٤ / ورد الرقم «٥١٤٥٧» وورد الحديث ايضاً في كتاب الغيبة للطوسي/ح ٤٩٨ - ص ٤٧٥

(٣) سرور اهل الإيمان/ للنيلي النجفي/ح ٤٩٩ / ص ٦٩

(٤) ولعل هذه الارقام تذكرنا بالرقم المهم الذي ورد في احاديث المعصومين عليه السلام حول عدد أصحاب الإمام المهدي عليه السلام وهو «٣١٣» فربما هو ايضاً اسلوب مجفور في نقل المعلومة، وربما تناول هذا الرقم من باب علم الجفر قد يقودنا إلى معلومات عنه، فمن صفات هذا الرقم انه غير قابل للقسمه الا على نفسه، فيما ذكرت مرويات مطوله عن أهل البيت تفاصيل كثيرة حول أسماء أصحاب القائم عليه السلام وبلدانهم واعدادهم، فيا ترى لماذا تصدر من المعصومين عليه السلام هكذا معلومات وهي عبارة عن وثائق مهمة فيها أسماء أصحاب القائم «عج» واعدادهم وبلدانهم مما يسهل على قوى الشر من متابعتهم والامساك بهم، ام ان في الموضوع أمر اخر، وربما في هذه الأحاديث أمر آخر كونها عبارة عن رسالة مجفورة تحتوي على أسماء وارقام، وهذه الرسالة مطروحة للبحث والتدقيق لان فيها مجموعة من المعلومات الرقمية والتاريخية والزمنية والمكانية لاحداث عصر الظهور، فلا بد من وجود مفتاح لفك هذه الرموز وهذه الرسالة كما اتوقع ستبقى على حالها إلى زمن معين، فهي ذات توقيت فعند حضور الوقت ستفك طلاسمها وتظهر مكنوناتها فعلياً ان لا نستعين بهذه المعلومات الواردة فيها فالكثير ينظرون لهذه الأحاديث بالذات نظرة اللامبالاة وهذه واحدة من موارد القوة في هذه الأحاديث وهي كونها مهملة،

الاحتمال الثاني: ان المعصوم عليه السلام ذكر الحديث كاملاً بدون تحويل المعلومة إلى رقم ولكنه اشار إلى الراوي بان يُبدل بعض العبارات بأرقام «حسب نظام الجفر» وهذا الاحتمال ضعيف جداً لان هناك امور جسيمة وعظيمة ذكرتها الأحاديث صراحةً فيها اسماء وتوقيعات وردت صراحةً ولم تحول إلى نظام الارقام.

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	
ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ	
٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠	

الاحتمال الثالث: وهو الاحتمال الراجح عندي، ان هذه الأحاديث فيها كلمات او عبارات قد حذفت من الحديث وتم تحويلها إلى ارقام حسب نظام الجفر وهي من اجتهادات الرواة، فراوي الحديث ربما لظروف سياسية او اجتماعية خاصة بزمنة خاف من ذكر هذه الكلمات او العبارات صراحةً فاستبدلها بما يساويها من نظام الارقام على امل ان يكون قارئ الحديث له المام بعلم الجفر فيقوم بتحويل هذه الارقام إلى كلمات او عبارات مرة اخرى لكي يعلم الحقيقية، ولكن الأمر هنا اصبح صعب جداً لأن تحويل الكلمات والعبارات من النظام الحروفي إلى النظام الرقمي حسب قواعد الجفر امر جداً سهل اما العملية المعكوسة اي تحويل الارقام إلى كلمات فالأمر صعب جداً هذا إذا كانت الارقام مكونه من «رقمين فقط» اما إذا كانت الارقام مكونة من «ثلاثة ارقام فما فوق» كما ورد في الأحاديث السابقة فالأمر ليس صعب بل مستحيل لان العملية هنا ستكون خاضعة لنظام احتمالات صعب جداً شرحه، وصعب جداً تطبيقه، وقد تبلغ فيه الاحتمالات إلى اكثر من مليون احتمال.

والذي دفع الرواة إلى هذا الاسلوب بالاضافة لما ذكرناه هو امر اخر تبينه الأحاديث مما شكّل لدى الراوي حرجة واضحة في ذكر هذه المعلومات وهو ان هذه المعلومات خاصة لوصف حال بعض الفئات «الشيعية» المعاندين للامام المهدي عليه السلام في اخر الزمان كما ذكره الحديث رقم «١» السابق بعبارة «خرج اليه قراء اهل الكوفة» شاكين سلاحهم عليه يقولون له ارجع من حيث اتيت، وكما هو معلوم فان الكوفة كانت وما تزال علوية التاريخ والانتماء.

اما المعلومات الواردة في الحديث الثاني فهي تشير إلى معلومات ربما تكون في زمن الراوي استفزازية للجانب الآخر، وخصوصا ان الحديث يشير من خلال معلومات واضحة فيه وبدلالة أحاديث أخرى ان القائم عليه السلام سوف ينبش قبور الأول والثاني مما دفع الراوي لجفر هذه المعلومة التي ربما تشكل له في زمانه مشكلة اجتماعية او عقائدية او سياسية.

فربما لم يستوعب الراوي او خاف او تحير او استثقل هذه المعلومات التي قد تشكل علامات استفهام محيرة لابناء طائفته، وبما ان الراوي كان حريص على ايصال الحقيقة وفي نفس الوقت لا يستطيع ان يهمل او يلغي الحديث لذلك اضطر لاستخدام هذه الطريقة لكي لا يتوصل إلى مراد الحديث كل شخص.

وهنا علينا ان نتابع زمنياً سلسلة المصادر والرواة الذين نقلوا هذه الأحاديث لكي نعرف من هو المسؤول عن هذا الترقيم.

عند المتابعة وجدنا ان الطوسي «٣٨٥-٤٦٠ هجري ذكر الحديث «الثالث» ولم يذكر الرقم ولكن بدل الرقم توجد عبارة «ياعثمان يا عثمان» اما في كتاب بحار الأنوار للمجلسي «١٠٣٧-١١١١» هجري فلا توجد هذه العبارات ولا الارقام المقابلة لها.

وبالنتيجة لم ينقل احد هذه الارقام الا «السيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد الحسيني النيلي النجفي - والذي كان حيا سنة ٨٠٣ هجري» في كتابه «منتخب الانور المضئية وكتاب سرور اهل الإيمان»، فيبقى اصل السؤال قائماً من اين نقل النيلي النجفي هذه الأحاديث؟ على اعتبار ان الطوسي قبله والمجلسي بعده.

عموما لم اجد لهذه الارقام وجود في المصادر التي تحت يدي بل كلها تذكر الأحاديث مجردة عن هذه الارقام، فتبرز لنا عدة اسئلة.

١- ما هي المصادر التي اعتمد عليها النيلي النجفي فينقل هذه الأحاديث فلم يذكرها في كتابه؟

٢- هل وصلت هذه الأحاديث للنيلي النجفي بهذا الشكل ام هو نفسه الذي قام بتحويلها إلى ارقام ربما لخطورة العبارة من وجهة نظره؟

٣- هل يحق لراوي الحديث ان يقوم بهكذا امر؟

٤- لماذا لم يذكر الطوسي في كتاب الغيبة هذه الارقام وهو المتاخر عن النجفي زمنياً  
«اكثر من ٣٠٠ سنة»؟

٥- لماذا لم يذكر المجلسي هذه الأرقام وهو المتقدم زمنياً عن النجيفي علماً انه في كتابه بحار الأنوار يعتمد على كتابي النجيفي «منتخب الأنوار المضيئة وسرور اهل الإيمان»؟  
والان نريد ان نعرف هل لهذه الأرقام معنى؟

لا يوجد لدينا حل الا من خلال التصور ان هذه الأرقام هي عبارة عن كلمات او عبارات مجفورة حسب نظام الجفر، فعلم الجفر هو العلم الخاص بتحويل الكلمات إلى ارقام من خلال جمع القيم العددية للحروف المكونة لكل كلمة.

فإذا اخذنا الحديث «الثاني» فلن نجد صعوبة في معرفة دلالة الرقم «١٤٤» بدون الرجوع إلى علم الجفر لان مجمل الحديث وبدلالة أحاديث اخرى تحمل نفس المعنى ان القائم عليه السلام سينبش قبر الأول والثاني الذين دفنا بجوار قبر جده رسول الله ﷺ فيكون الرقم «١٤٤» اما يعني «المدنية» او «طيبة» او «قبر جده» او «مسجد الرسول» او اي عبارة لها علاقة بالمسجد النبوي او قبر رسول الله ﷺ والعبارة تنتج معنى اساسي ليس غريب عن قراء الأحاديث فقد ذكرت هذه الواقعة مصادر اخرى تحمل نفس المضمون والمعنى<sup>(١)</sup>.

اما الحديثان الاخران «الأول والثالث» ففيهما ارقام كبيرة بحاجة إلى تفكيك وتحليل وهو امر كما ذكرنا مستحيل فكما هو معروف فان القيمة العددية للحرف «غ» تساوي «١٠٠٠» وهو اعلى قيمة عددية لكل الحروف، وهذا معناه انه من النادر ان يكون هناك كلمة واحدة جفرها اكثر من «٢٠٠٠»، وإذا اردنا الدقة فلا توجد كلمة واحدة جفرها اكثر من «٣٠٠٠» او اكثر، لانه من الصعوبة ان تتجمع الحروف ذات الجفر العالي بكلمة واحدة وهي «خ - ذ - ض - ط - غ».

وعليه يكون الرقم «٢٢١٢١» او «٦٤٢١٢١» عبارة عن جملة طويلة تحوي على اقل تقدير «١٠» كلمات وهذا شعار طويل جداً لان الرقم تسبقه لفظة «يا» وهذه اللفظة بصورة عامة ياتي بعدها اسم او صفة، لذلك يكون الشعار الطويل بهذه الكيفية وهو امر مستبعد، فاما ان تكون هذه الأرقام مخطوئه او انها تعني شيء اخر.

الحديث الثالث فيه الرقم «٧ و ١٤٥» وهو بهذه الكيفية اقرب للمعقول في نظام الجفر فيمكن حسب طريقة الاحتمالات معرفة ماذا يعني الرق «٧»، لان هناك احتمالات قليلة للكلمات التي جفرها «٧»، اما الرقم «١٤٥» فالاحتمالات كثيرة جداً وليس من السهولة بمكان حصرها

(١) وردت أحاديث حول هذه الواقعة في كتاب «مختصر البصائر» للشيخ عز الدين الحلبي /ص ٤٤٧ - ٤٥٠ وكذلك في كتاب «البحار» للمجلسي / ٣٨٦: ٥٢ ح ٢٠١» وكذلك في منتخب الأنوار المضيئة

لأنها مكونة من ثلاث ارقام، ولكن الرقم معقول ويمكن ان نخمن انه اسم او صفة او لقب. وهذا الرقم «١٤٥» ورد نفسه في كتاب منتخب الأنوار المضيئة كالاتي «٥١٤٥٧» وكما تلاحظ هناك تفارب بين «يا ٧ و١٤٥» وبين «٥١٤٥٧» مما يوحي إلى انه فعلاً هناك سوء نقل من قبل النساخ حصل فيه تجزئه لهذه الارقام مما يدفعنا للاعتقاد ان الارقام «٢٢١٢١» و«٦٤٢١٢١» الواردة في الأحاديث السابقة هي ايضا وقع عليها سوء النقل والتجزئه فيتحول مضمون الرقم من «عبارات» إلى «كلمات» وهو الاقرب للتصديق والفهم.

### النتائج النهائية للتحليل:

- ١- ان هذه الارقام في هذه الأحاديث هي عبارة عن كلمات تمثل شعارات لجهات ستقاتل الإمام المهدي عليه السلام عند ظهوره وهي شعارات لجهات شيعية كما يؤكد احد الأحاديث وربما لغير شيعية في أحاديث اخرى.
- ٢- ان الراوي قد اتخذ هذا الاسلوب في اخفاء بعض المعلومات التي اعتقد انها خطيره او غير مقبولة لجهات شيعية وجهات مخالفة ربما لوضع سياسي او اجتماعي او عقائدي فشكلت هذه الأحاديث حراجه للرواي فاتخذ هذا الاسلوب للسلامة وعدم اضاعة المعلومة.
- ٣- على الإنسان المؤمن المنتظر والمراقب للاحداث ان يقوم بعملية جفر لكل الكلمات التي يراها او يسمعها والتي تشكل شعارات او هتافات للرايات التي ستخرج في اخر الزمان إذا انطبق احد الارقام الموجودة في هذه الأحاديث على اي راية سيوفر له معلومة حقيقية في معرفة الرايات الضالة وما اكثرها في اخر الزمان.

## الفرات في آخر الزمان

عن النبي ﷺ قال «ينحسر الفرات عن جبل من ذهب وفضة فيقتل عليه من كل تسعة سبعة فأذا ادركتموه فلا تقربوه»<sup>(١)</sup>.

قال رسول الله ﷺ «الفتنة الرابعة ثمانية عشر عاماً ثم تجلي حين تجلي وقد حسر الفرات على جبل من ذهب تكب عليه الأمة فيقتل عليه من كل تسعة سبعة»<sup>(٢)</sup>.

عن رسول الله ﷺ «يوشك الفرات ان ينحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً»<sup>(٣)</sup>

عن أمير المؤمنين عليه السلام «وقد سئل ما اقرب الحوادث الدالة على ظهوره؟ فدمعت عيناه وقال «إذا فتق شق في الفرات فبلغ أزقة الكوفة فليتهياً شيعتنا للقاء القائم»<sup>(٤)</sup>.

عن الصادق عليه السلام «قدام القائم لسنة غيداقه تفسد التمر في النخل فلا تشكوا في ذلك وعام الفتح ينبثق الفرات حتى يدخل الماء على أزقة الكوفة»<sup>(٥)</sup>.

عن كعب قال: «يكون ناحية الفرات في ناحية الشام او بعدها بقليل مجتمع عظيم فيقتلون على الأموال فيقتل من كل تسعة سبعة وذلك بعد الهدة والواهية في شهر رمضان وبعد افتراق

(١) كفاية الاثر ص ٢١٣ بحار الأنوار ٢٦٨/٥٢ الكتاب المبين ٤/٣١٤.

(٢) ابن حماد: ح ٩٨٠ عقد الدرر ص ٥٨ ب: ٤ ف: ١

(٣) البخاري: ج ٩ ص ٧٣.

وفي روايات العامة أحاديث اخرى لها نفس المضمون

عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى ينحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون فيقول كل رجل منهم: لعلي اكون انا انجو». عن رسول الله ﷺ «يوشك الفرات ان ينحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً». عن ابي بن كعب قال: لا يزال الناس مختلفة اعناقهم في طلب الدنيا؟ قلت: اجل. قال: فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «يوشك الفرات ان ينحسر عن جبل من ذهب فإذا سمع به الناس ساروا اليه فيقول من عنده لئن تركنا الناس ياخذون منه ليذهبن به كله. قال: فيقتتلون عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون». عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لا تذهب الدنيا حتى ينجلي فرائكم عن جزيرة من ذهب فيقتتلون عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون»

(٤) الصراط المستقيم: ٢ : ٢٥٨

(٥) منتخب الأنوار المضية النبلي النجفي ص ٣٥ الانبثاق: بثق النهر اي انكسر حطه. كذلك غيبة الشيخ / ٢٧٣ الاسناد ٣٦١

ثلاث رايات يطلب كل واحد منهم الملك لنفسه فيهم رجل أسمه عبد الله<sup>(١)</sup>.

الفرات مثابة طبيعية وتاريخية حاضره في كل الارث الديني، وشاهد على كل وقائع التاريخ، والأحاديث تصفه كونه «من انهار الجنة» وهو من الانهار المهمة التي ذكرتها بعض الكتب المقدسة، ولا يخلو التراث الديني للديانات الكبيرة الثلاثة «اليهودية النصرانية الإسلامية» من ارتباطات لهذا النهر مع المسيرة التاريخية لهذه الديانات.

وبما ان هذا النهر يمر في ارض الرسالات والأنبياء والحضارات فلا بد وان شرب منه واغتسل فيه ودفن بجانبه اكثر الأنبياء والمرسلين وهو الشاهد الحي على مأساة كربلاء بعد أن قتل بجانبه ذراري رسول الله ﷺ.

والمتتبع لأحداث التاريخ يجد ان هناك علاقة ربط بين نهايات الظلمة وعبور هذا النهر فكم من طاغية انكسر ظهره وذاب ملكه بعد ان عبر هذا النهر ظلماً وعدواناً، حتى ان الأحاديث تذكر ان السفيناني في اخر الزمان إذا ظهر سيتكشف ويزهد ويعدل بين الناس حتى يقال «ما قيل عنه كذب» ولكنه عندما يدخل إلى العراق ويعبر الفرات «ينقلب إلى وحش كاسر» كما تذكر الأحاديث.

ولابد والحال هكذا ان يكون لهذا النهر علاقة بأحداث آخر الزمان، فليست المسألة ان يعبر هذا النهر فلان او فلان وليست المسألة ان يظهر فيه الكنز او لا ولكنه قام على سر سيفصح عنه الزمن القادم سيشكل نقطة مهمة في تسلسل الأحداث.

والأحاديث المتعلقة بأخر الزمان تذكر ان الفرات «سينحسر» ونتيجة هذا الانحسار سيظهر «كنز» يقتتل عليه الناس والناجون منهم قليل، ثم تذكر الأحاديث فعالية اخرى بعد «الانحسار» وهي كون الفرات «سينبتق» ويدخل ازقة الكوفة في نفس السنة التي يخرج بها القائم عليه السلام وهي سنة الفتح، فياترى ما هي اسباب هذا «الانحسار» وما هي نتائج هذا «الانبثاق». يمكن ان نضع عدة سيناريوهات او محاور متوقعة لعملية انحسار الفرات.

### المحور الأول: عوامل سياسية واقتصادية «حرب المياه»:

معلوم ان الفرات ينبع من تركيا ويمر بسوريا ويخترق العراق وهو قاسم مشترك بيئي بين هذه الدول الثلاثة وعليه الاعتماد كميها للشرب والزراعة، وهذا الوضع يُمكن احد الدولتين تركيا او سوريا بحجز مياه هذا النهر بالسدود من الوصول إلى العراق والسيطرة الاكثر في هذا الأمر لتركيا كما هو واضح.

(١) ابن حماد: ح ٩٧٩.

وبما ان المشهد السياسي الذي ترسمه لنا أحاديث اخر الزمان حول العلاقة بين هذه الدول الثلاثة هو مشهد مضطرب جداً وعدائي جداً حتى ان الأحاديث تذكران معركة قرقيسيا الكبيرة<sup>(١)</sup> ستحدث بين السفيناني الذي سيسيظ على بلاد الشام وبين الاتراك وستكون الغلبة للسفيناني، فربما تكون احد دوافع هذه الحرب هو محاولة قطع الماء عن الفرات من قبل الجانب التركي، والمشهد السياسي الحالي والمتوقع للسنين القادمة حسب معطيات هذا الزمن يشير بما لا يقبل الشك باندفاع الأحداث نحو هذا الصراع بين سوريا وتركيا، وبالنتيجة قد يكون الصراع السياسي والاقتصادي بين الدول المستفاده من الفرات هو الدافع الذي سيدفع احدهما «تركيا او سوريا» لقطع منابع الفرات للضغط على الدول الاخرى للحصول على تنازلات معينة وهذا ما يصطلح عليه حالياً «بحرب المياه».

وان عملية قطع مياه الفرات من قبل الجانب التركي ليست بالأمر اليسير فهي بحاجة إلى جوانب فنية كبيرة متعلقة بحجم السدود وبقرار سياسي يضمن لها مصلحة معينة. اما من قبل الجانب السوري فلا يزال هناك كلام وتخطيط من قبل دول بلاد الشام «سوريا - الاردن - إسرائيل» للاستفادة من تحويل مياه الفرات باتجاه الاردن وإسرائيل مقابل مكاسب سياسية ومالية كبيرة، والمشروع كما يتحدثون عنه يتلخص بأنشاء شبكة انابيب من مناطق معينة في سوريا لنقل مياه الفرات إلى الاردن وإسرائيل وحرمان العراق منه أو على اقل تقدير «بيع» الماء للعراق وهذا المشروع من الناحية الفنية هو الراجح لان عملية قطع مياه الفرات عن العراق بواسطة السدود أمر مكلف إذا لم يكن مستحيل، فالحل الاسلم للضغط على العراق أو للاستفادة مادياً منه هو قطع مياه الفرات عنه بتحويل مجرى النهر إلى دول اخرى والاستفادة واضحه لان كل الاطراف ستستفيد الا العراق<sup>(٢)</sup>.

(١) قرقيسيا مدينة صغيرة عند مصب نهر الخابور في نهر الفرات وهي حالياً قرب مدينة دير الزور السورية عند الحدود السورية العراقية وقريبة من الحدود السورية التركية

عن جابر الجعفي قال: قال لي ابو جعفر عليه السلام «من حديث طويل.... يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات راية الاصهب وراية الابقع وراية السفيناني فيلقى السفيناني الابقع فيقتله ومن معه ويقتل الاصهب ثم لا يكون همه الا الاقبال نحو العراق ويمر جيشه بقرقيسيا فيقتلون بها مائة الف رجل من الجبارين» «الاختصاص / المفيد / ٢٥٥»

(٢) شهد الزمان الذي نعيشه محاولة لسد نهر الفرات من قبل تنظيم داعش الارهابي. فقد قام هذا التنظيم بالقاء اطنان من الحصى في نهر الفرات في المناطق التي يسيطر عليها للضغط على العراق بسبب محاصرة الجيش العراقي للفلوجة وقد ارتفع منسوب المياه عند الفلوجة فيما تراجع منسوب المياه عند المسيب والحلة وباقي محافظات جنوب العراق والوسط والعملية بمجملتها تشير إلى امكانية تدخل عدة جهات من خلال ردم النهر وتحويل مجراه



وهذا السيناريو حالياً لا يمكن تطبيقه لوجود النزاع الداخلي والخارجي بين اطراف القضية ولكنه راجح التطبيق في بدايات زمن السفيناني في بلاد الشام حيث ذكرت الأحاديث انه سيسيطر على الكور الخمس «دمشق - حلب - قنسرين - الاردن - فلسطين»، فيكون تطبيق هذا المشروع من قبل هكذا شخص له هذه السيطرة أمر وارد وخصوصاً ان الأحاديث تذكر ان السفيناني سيظهر في نفس سنة ظهور القائم وان الفرات سينحسر أيضاً في هذه السنة وهي عام الفتح.

ولكن هذا التحليل يعترضه كون مدة مُلك السفيناني كما ذكرت الأحاديث هي «١٥» شهر منها ستة اشهر معارك في بلاد الشام لتصفية مناوئيه والتسعة الباقية يدخل فيها إلى العراق والحجاز وهذه المدة القصيره المليئة بالحروب والاضطرابات لا توفر له وقت لكي ينفذ هكذا مشروع إلا في حالة واحده كون مشروع تحويل مياه الفرات بواسطة الانابيب مُنفذ قبل ظهور السفيناني في بلاد الشام وما يقوم به السفيناني هو تفعيل وتطبيقه على ارض الواقع وخصوصاً ان السفيناني لابد وان يقوم بهكذا عمل قبل دخوله للعراق لانها اداة ضغط وتصفية للبنية الاقتصادية لمن يحكم العراق حينذاك وخصوصاً إذا عرفنا ان «الخرساني» عدو «السفيناني» يكون في هذه الفترة قد استعد لدخول العراق أيضاً وهذان الطرفان كما هو واضح على طرفي نقيض عقائدياً فالحديث المروي عن الأئمة عليهم السلام يقول «السفيناني والخرساني واليماني في سنة واحده في يوم واحد» وحديث اخر يقول «السفيناني والخرساني يتسابقون إلى الكوفه كفرسي رهان».

والذي يُرجح كون هذا المشروع سيتم تنفيذه قبل خروج السفيناني هو الوضع السياسي الحالي في بلاد الشام وكذلك الوضع الدولي الداعي لتغيير جملة من الحكومات العربية بالاضافة إلى الأحاديث الصريحة والمتواترة عن آل البيت عليهم السلام كون بلاد الشام ستشهد تغييرات جسيمة تنشئ على موجبها دولة تعادي العراق وشعبه ذو الميول والاعتقاد العلوي الشيعي.

### المحور الثاني: عوامل وكوارث بيئية:

يمكن ان تجف بعض الانهار ومنها الفرات نتيجة عوامل او كوارث بيئية منها:

أولاً: ظاهرة الاحتباس الحراري التي يعاني منها كوكب الأرض حالياً اذ ربما تتفاقم هذه الظاهرة في السنين القادمة والدراسات العلمية تشير بشكل خطير إلى هكذا احتمال وهذه تؤدي بدورها إلى حدوث ارتفاع شديد في درجات الحرارة تؤدي إلى ذوبان الجليد في الجبال التركية في موسم الشتاء على غير المعتاد مما يؤدي إلى جفاف منابع الفرات لموسم او لموسمين او اكثر حسب قوة هذه الظاهرة مما يدفع الجانب التركي والسوري للأحتفاظ بما لديه من مياه في هذا النهر ومنابعه بواسطة السدود خوفاً على وضعه الاقتصادي والحياتي مما يؤدي إلى عدم

وصول المياه إلى العراق وبالتالي جفاف الفرات.

والذي يؤيد هذا الاحتمال هو جملة من المرويات التي تؤكد انه قبل القائم «سنة شديدة الحر» «بيوح أو ييوح» يفسد فيها التمر.

ويعترض هذا التحليل كون هذه الظاهرة إذا حدثت ستكون سبباً في جفاف الكثير من الانهار ومنها دجلة أيضاً وليس الفرات لوحده فلا تبقى خصوصية لجفاف الفرات بهذه الحالة إذا عمّت هذه الظاهرة كل الأرض ولكن تبقى للفرات خصيصه واحده هو ظهور هذا الكنز فيه بعد انحساره.

ثانياً: ربما يكون سبب انحسار الفرات هو عامل جيولوجي متمثلاً بحدوث زلزال قد يسبب بحدوث صدع في الأرض قد تعترض مسير نهر الفرات في اي منطقة مما يؤدي إلى تسرب مياهه إلى باطن الأرض ويؤيد هذا الاحتمال وجود عدة هزات و زلازل في بلاد الشام قبل احداث الظهور ومنها الرجفة في الشام التي ستكون سببا في موت مئة الف ويؤيده أيضاً الأحاديث التي تقول ان السنة التي قبل القائم سنة كثيرة الزلازل.

ولكن يعترض هذا التحليل كون الفرات إذا انحسر نتيجة هذا الزلازل فإنه لن يعود للظهور ثانية بينما كل المرويات تشير إلى ان الفرات بعد انحساره سيرجع مرة اخرى كما في قولهم ﷺ «ينشق الفرات ويدخل اذقة الكوفة» بل ان المرويات الكثيرة تشير إلى استمرارية تواجد الماء في الفرات إلى ما بعد احداث عصر الظهور.

### المحور الثالث: تغيرات كونية.

ذكرت جملة من المرويات ان هناك مجموعة من الاجرام السماوية ستقترب من الأرض «كوكب - مذنب - نيزك» وستكون هذه الاجرام سبباً في حدوث جملة من الظواهر الطبيعية المتطرفة والكوارث البيئية والتغيرات السياسية والاجتماعية فمثلاً المرويات تشير إلى حدوث ظاهرة الكسوف والخسوف خلاف العادة وظهور نار من المشرق من ثلاث إلى سبعة ايام وصواعق وقذف بالشهب وغيرها<sup>(١)</sup>.

وهذه الاجرام على اختلاف انواعها واحجامها إذا اقتربت من الأرض ستؤدي إلى تغيرات بيئية واضحة فلا زالت المدونات العلمية والفلكية تذكر لنا الكثير من المشاهدات والتغيرات

(١) لقد ناقشنا هذه الاحتمالات والظواهر بشكل مفصل في كتابنا «نجم يتغلب في الآفاق» وشرحنا فيه لاجملة العلامات السماوية التي تسبق ظهور الإمام المهدي «عج» فراجع.

البيئية التي حدثت عام «١٩٠٥» عندما اصطدم جرم مجهول الهوية بالأرض في روسيا ومنها انه سبب في ارتفاع واضح لدرجات الحرارة بل ان بعض الانهار انحسرت منها المياه لمدة معينة ثم رجعت بعد فترة لما كانت عليه.

وبما ان القمر كجرم تابع للأرض هو السبب في حصول ظاهرة المد والجزر البحري فمن الراجح جداً ان أقترب اي جرم من الأرض يؤدي إلى انحسار ماء الانهار ثم رجوعها لما كانت عليه بعد ابتعاده، وهذا الأمر إذا حصل فلن يكون الفرات كنهر وحده المتأثر بل سيتأثر أيضاً كل انهار العالم، وهذه الحالة ربما تفسر لنا سبب غرق مجموعة من البلدان نتيجة ظواهر طبيعية قبل ظهور القائم (عليه السلام) بفترة قصيرة<sup>(١)</sup>.

وعليه فلا تبقى لكارثة جفاف الفرات خصوصية إذا شاركتها بقية الانهار وتبقى الخصوصيه هو لظهور الكنز فيه.

### أين مكان هذا الكنز

جاء في رواية ابن حماد عن كعب قال «يكون ناحية الفرات في ناحية الشام او بعدها بقليل مجمع عظيم فيقتلون على الاموال فيقتل من كل تسعة سبعة وذلك بعد الهدة والواهية في شهر رمضان وبعد افتراق ثلاث رايات يطلب كل واحد منه الملك لنفسه فيسم رجل اسمه عبد الله»<sup>(٢)</sup>

الخبر الذي يرويهِ كعب يذكر أمر مهم كون هناك اقتتال على الاموال قرب الفرات «بعد الهدة والواهية»، ولو ان الخبر لم يذكر انحسار الفرات الا ان المعلومات الموجوده فيه مقارنة مع أحاديث انحسار نهر الفرات تشير إلى أحاديث كنز الفرات لا غيره، والهدة والواهية حسب الأحاديث هي ظاهرة طبيعية سماوية ستصيب اهل الأرض مما يعزز كون انحسار الفرات نابع من هذه الظاهرة.

ولعل في هذا الخبر اشاره إلى مكان هذا الكنز كونه من ناحية دمشق اي داخل الاراضي السورية حالياً بقرينة ان يقتل من كل تسعة سبعة واختلاف ثلاث رايات التي تذكر الأحاديث انها ستبرز بعد الصراع في بلاد الشام ويضيف الخبر علامة مهمه كون الحديث يقع بعد الواهية في شهر رمضان وهي الهدة يوم ١٥ منه.

(١) «فقيل سألت علي بن محمد العسكري متى ينتظرون الفرج قال: إذا ظهر الماء على وجه الأرض» الكتاب المبين / الكرمانى / ج ٤ / ص ٣١٧ / ح ١٦

اقول: ربما الحديث يذهب إلى حدوث حالات فيضانات او مد مائي على بقاع كثيرة من الأرض نتيجة تغيرات مناخية او بيئية او خارجية عبر عنها بعبارة «إذا ظهر الماء على وجه الأرض»

ومستبعد ان يكون المكان الذي سيظهر فيه هذا الكنز في تركيا، فالحديث الذي يذكره كعب فيه عبارة «يكون ناحية الفرات في ناحية الشام او بعدها بقليل»، ولوجود عدة قرائن تفيد كون الاقتتال حول الملك من قبل ثلاث جهات في الشام بسبب ظهور الكنز فالحديث يحدد من طرف معين الموقع الجغرافي لهذا الكنز.

فإذا كان الكنز يظهر في الاراضي السورية التي يمر بها الفرات فالرايات الثلاثة المتصارعة عليه هي نفسها المتصارعة في بلاد الشام ايام السفيناني وهي «السفنياني والاصهب والابقع»، اي يكون الحدث في سوريا كلياً وبالتالي فأن جفاف الفرات سيحدث في فترة الصراع داخل بلاد الشام بين السفيناني ومناؤيه وهم الاصهب والابقع والأحاديث تؤكد ان الصراع بين رايات ثلاثة «افتراق ثلاث رايات يطلب كل واحد منهم الملك لنفسه» وهذا يؤدي بالضرورة إلى ان حادثة انحسار الفرات هي فعلاً ظاهرة طبيعية متطرفه وليست من فعل الإنسان بغلق مصدر الماء بالسدود او تحويل مجرى النهر كما ذكرنا.

او تكون هذه المنطقة التي يظهر فيها الكنز على خط سير الفرات هي في المنطقة الحدودية الفاصله بين العراق وسوريا اي منطقة دخول نهر الفرات للعراق، وبما ان سوريا والعراق في تلك الأحداث تعدد الجهات الحاكمة والمتنفذه فيها فمن غير المستبعد ان تتصارع ثلاث رايات في هذه المنطقة المشتركة النفوذ وكل منهم يطلب الملك لنفسه.

والاحتمال الاخير ان تكون هذه المنطقة التي يظهر بها هذا الكنز على خط سير الفرات في العراق عموماً وفي المنطقة الغربية خصوصاً بعد دخول الفرات إلى الحدود العراقية لاسباب سنذكرها في الفقرة اللاحقة وبما ان العراق في تلك الفترة فيه عدة قوى سياسية وعسكرية نافذة لوجود حالة الصراع السلطوي بين ابناء المنحدرين من عدة انتماءات طائفية فالصراع واقع بينهم لامحالة إذا ظهر الكنز داخل الاراضي العراقية.

### طبيعة هذا الكنز

الأحاديث تذكر صفة واحدة لهذا الكنز كونه «جبل من ذهب وفضة» وإذا اخذنا المعنى على ظاهره فهو واضح كون الفرات ان انحسر فسيظهر تحته في احد المناطق كمية كبيرة من معدن الذهب والفضة عبّر عنها الحديث كونها «جبل»، ولفظة جبل ربما لا تشير إلى نتوء عالي من الأرض بل ربما تشير إلى الكثرة، والمعروف ان معدن الذهب والفضة لا يوجد هكذا على سطح الأرض بل في اعماقها ويحتاج إلى عمليات تصفية واستخلاص للحصول عليه، اما ان يظهر على هيئة قطع كبيرة كالحجاره او الجبال فهو امر لم نسمع به، والحديث بهذا المعنى اما

ان يرجح كونه فعلاً جبل من ذهب وفضة اي كتلة كبيرة واحده من هذا المعدن بحجم الجبل، او هو عبارة عن مصوغات وقطع ذهبية ربما من الحضارات السابقة تم دفنها تحت الفرات ومن كثرتها فهي بحجم الجبل وكلا الاحتمالين راجح.

وبالنتيجة فأن ظهور هكذا كنز باي شكل كان سيؤدي إلى حالة اقتتال مميتة للحصول عليه وخصوصاً أنه سيظهر كما قلنا في منطقة ذات نفوذ مشترك لعدة جهات متصارعه ومختلفة في كل شيء مما يؤدي إلى ان تجري عملية قتل متسلسلة فكل من يحصل على شيء يأتي اخر ويقتله ويأخذ منه ما سلبه ويأتي ثالث ويقتل الثاني وهكذا وبالنتيجة لا ينجو من هذه العملية الا نسبة قليلة وهي كما تقول الأحاديث «فيقتل عليه من كل تسعة سبعة» فإذا شارك في العملية «٩٠٠» شخص سيبقى «٢٠٠» وإذا شارك «٩٠٠٠» سيبقى «٢٠٠٠» وهكذا ولكن الأحاديث لم تذكر لنا هل ان الناجين سيحصلون على الكنز ام لا فلم تذكر لنا الأحاديث شيء عن مصير الكنز ولا عن من سيحصل عليه.

ولكن الأحاديث تذكر امر واحد متكرر وهو تحذير بعدم الاقتراب من ذلك الكنز عند ظهوره وهذا الأمر فيه احتمالات:

١- ان هذه المنطقة منطقة قتل سريع لاقتتال الاطراف الثلاثة على هذا الكنز وبما انها اطراف قوية ومنتفذه فأن اقتراب اي شخص من منطقة الصراع لا بد وان يُعرض نفسه للهلاك لا محاله.

٢- ان يكون هذا الكنز بطبيعته «قاتل» فكل من يأخذ منه يموت لذلك وردت عبارة في الحديث تؤكد هذا المعنى «فمن حضره فلا يأخذ منه شيء» اي حتى لو قُدِّر لك ان تحصل على شيء من هذا الكنز فلا تأخذ منه لانه «قاتل».

وهذا الأمر يمكن ان نفسره من خلال كون هذا الذهب او الفضة هي عبارة عن مادة «مُشعَّة» فكل من يأخذ منه او يقترب منه سيصاب بخطر الاشعاع وهذا التحليل ربما يُرجح كون هذا الكنز سيظهر في العراق وفي المنطقة الغربية بالذات قريباً من الحدود السورية لان هذه الأرض غنية بمادة الفوسفات والاكتشافات التنقيبية دلت بشكل واضح ومؤكد على وجود نسبة من اليورانيوم في هذه المنطقة صالحة للانتاج التجاري فإذا كان هذا الكنز من الذهب والفضة مدفون تحت ارض الفرات في هذه المنطقة الغنية باليورانيوم فلا بد وانه على مر السنين قد تأثر بهذه المواد واكتسب منها صفة الاشعاع لان العناصر المشعة لا توجد في الطبيعة بشكل حر بل توجد وهي متحده مع غيرها من العناصر لشدة فعاليتها.

وبما ان الفرات يمر بهذه الأرض منذ الآلاف السنين فلا بد وانه جزء من هذه العناصر استقرت في قعره لانها عناصر ثقيلة فترسبت في قعره وهذه العملية هي بالضبط المعمول بها حالياً عند استخلاص اليورانيوم بواسطة اجهزة الطرد المركزي بانفصال العنصر الثقيل عن غيره بالحركة الدورانية للاجهزة، وبالتالي فان هذا الكنز ليس هو مادة اليورانيوم الخالص لان الكل يعرف انها مادة مميته فلا يقترب منها احد ولكنه فعلاً ذهب وفضة اصبح مشبعاً نتيجة تعامله مع المواد المشعة لآلاف السنين.

وهنا ربما يقول البعض إذا كانت هذه المادة المشعة موجودة تحت الفرات فلماذا لا تؤذي الناس وهي مادة خطيرة؟

هناك حقيقة علمية ربما يجهلها الكثير من الناس وهي ان الماء مادة توقف الاشعاع لذلك تُخزّن النفايات النووية تحت مياه البحار فإذا حصلت اي عملية تصفية للمواد المشعة او اثرت على غيرها من المواد المجاورة لها يبقى تأثيرها محدود تحت الماء فقط، فإذا انحسر الفرات وزال الماء المانع لظهور هذا الاشعاع وظهر كنز الذهب والفضة فهو يكون مادة قاتله لكل من اخذ منه، وبالنتيجة إذا كان هذا التحليل صحيح فلا يمكن السيطرة على هكذا امر الا بالابتعاد عنه ويكون الحل الحقيقي هو ان تغمر هذه المنطقة بالماء لايقاف تدفق الاشعاع وعلى ما يبدو ان هذا الأمر سيحصل لان الفرات بعد انحساره ستعود اليه المياه مما يؤدي إلى انبثاقه ودخوله ازقة الكوفه.

### انبثاق الفرات

انبثق السيل انفجر، وانبثق الجدار انشق، انبثق الكلام اندفع، وانبثق السيل اقبل فجأة، وانبثق الماء اندفع، وانبثق انثقب، وانبثق هو المكان الذي ينبثق منه الماء، وانبثق: هو كسر الشط اي تهدم جانب من جوانبه وخروج الماء منه، وعملية الانبثاق تجري بشكل سريع ومتدفق.

اما لماذا ينبثق الفرات في منطقة الكوفه بالذات فهذا امر نجهله لكن الراجح عندي ان الانحسار يكون اولاً ثم بعده بفترة تحدث حالة الانبثاق كون القرائن تؤكد ان الانحسار يحدث في زمن السفيناني والانبثاق في سنة ظهور القائم عليه السلام اي قبل القائم بقليل وهو ما يؤكد الحديث كون انبثاق الفرات ودخوله ازقة الكوفه في اخر علامة قبل القائم عليه السلام.

### الجفاف الانحسار

يقول البعض ان الفرات في اخر الزمان سيجف بينما تقول الأحاديث انه ينحسر فما هو الفرق بين الجفاف والانحسار.

الجفاف: هو اليباس، جفت الأرض يبست، وجفت البئر لم يعد فيها ماء، وجفت السماء لم تمطر، وجفت الثياب زال عنها الماء والرطوبة، وجفت الصحف انتهى الأمر، وجفاف النهر هو ذهاب ماء النهر نتيجة نضوب منبعه نتيجة عوامل بيئية او بتدخل انساني بخزن الماء في السدود او بتحويل مجرى النهر ومدته قد تكون قصيره او طويله.

الانحسار: انحسر البصر اي ضعف، وانحسار البحر تراجع تدريجي له ينتج بروز اليابسة، وانحسر الثلج تقلص، وانحسر يعني انكشف، وانحسار الماء تقلصه كما تقول انحسر الظلام بالانسحاب التدريجي، وانحسر مقدم شعر الراس إذا سقط، ويقال عن الرجل مكشوف الراس انه حاسر الرأس.

فيكون الانحسار هو انسحاب الماء من مجراه نتيجة تأثير طبيعي خارجي كما في حالة المد والجزر بالقمر عندما يقترب من الأرض تحدث حالة المد وعندما يبتعد تحدث حالة «الجزر» وهي اقرب لمعنى الانحسار، فإذا جف النهر لا نعرف بالضبط متى يعود الماء اليه اما إذا انحسر فلا بد وان الماء عائد اليه بعد مدة معلومة اي بعد انتهاء العامل المؤثر عليه.

وهذا الفهم لمعنى «الانحسار» يؤكد ان انحسار ماء الفرات وربما غيره من الانهار ناتج من اقتراب جرم من الأرض يؤثر على مستوى المياه في كل الأرض وبعد ذهاب هذا الجرم يعود الماء إلى مجراه كما في عملية المد والجزر، وبهذا يمكن ان نضع مقابلة للالفاظ بعضها مقابل بعض كالتالي:

«فيضان عكسه جفاف»

«انحسار عكسه انبثاق»

«مد عكس جزر»

وبهذا تكون عملية انحسار الفرات عملية قصيرة قد تدوم بضعة اشهر وربما لايام فقط وبعدها يعود الماء ونتيجة هذه العودة سيتدفق بشكل سريع مما يؤدي إلى انبثاق الفرات في منطقة تقع قريبة منها وهي الكوفة، اما لماذا الكوفة بالذات فلا بد من سبب.

وربما ينبثق الفرات في مناطق اخرى غير الكوفة ولكن ربما هناك ميزة خاصة بالكوفة بالذات هي سبب ذكرها في الأحاديث

ويمكن ان ننظر لمسألة دخول ماء الفرات على ازقة الكوفة بالذات من زاوية اخرى، فما دامت الأحاديث تذكر ان هذا الماء سيدخل ازقة الكوفة بالذات فلا بد وان يكون للموضوع معنى

او غاية، والراجح عندي ان الكوفة وهي «النجف وما بجوارها» وهي مدفن الأنبياء والصالحين والمؤمنين على طول التاريخ ودفن فيها آلاف الأنبياء والاصياء وهذا التقصد في الدفن في هذه المنطقة بالذات لابد وانه ناتج من خصوصية معينة منها كونها ارض مباركة، ولكن أحاديث الرجعة تعطينا صورة اخرى فأن كل الراجعين ممن محض الإيمان محضاً سيرجع ويُبْعَث من ارض الكوفة ورجوع الاموات هذا سيكون على شكل افواج ولعل دخول ماء الفرات إلى ازقة الكوفة هو عمل تمهيدي لهذا الحدث الجلل فالعملية هي اشبه بالسقي لنمو بذور ابدان الراجعين الذين سُحِنَتْ ارض الكوفة شحناً بأجسادهم.



## أمريكا في آخر الزمان

كان من نتائج أنتهاء الحرب العالمية الثانية عام «١٩٤٥» بروز قوتان أساسيتان تحكمان العالم هما أمريكا، والاتحاد، السوفيتي، وتقاسمت خمسة دول كبرى حق النقض «الفيتو» في مجلس الامن وهي «أمريكا الاتحاد السوفيتي، الصين، فرنسا، انكلترا».

وعند متابعة مجمل النشاط البحثي المتعلق بقراءة النصوص الدينية حول موضوع علامات واحداث عصر ظهور الإمام المهدي «عج» في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى تسعينات القرن العشرين لا تكاد تجد اهتمام في تناول هذا الموضوع بنوع من المتابعة والتحليل فقد عانت هذه الفترة الزمنية من خمول بحثي حول هذا الموضوع وكل متعلقاته ولم تنتج المؤسسة الدينية الشيعية والسنية نتاج ملحوظ على المستوى البحثي يمكن الاشارة له بنوع من الاهتمام بل اقتصرت كل الجهود على فهرست وتبويب أحداث آخر الزمان فتشابهت كل نتاجاتهم من جهة المادة والاخراج ولا تجد فيها شيء من جهة المضمون.

وهذا امر غريب جداً إذا نظرنا اليه من جانب متبنيات الطائفة الشيعية بالذات كونها تعتقد ان مستقبل الدين والحياة مرتبط بظهور شخص من اولاد النبي المصطفى ﷺ من الإمام علي عليه السلام بالذات يملئها قسطاً وعدلاً بعد ان رفع القرآن الكريم شعاراً واضحاً لاثبات الغاية النهائية من ارسال الرسل والأنبياء وهي قوله تعالى ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

اما الاشخاص المهتمين من خارج الوسط البحثي والذين نطلق عليهم عنوان «المؤمنين» فقد اقتصرت رؤيتهم على ما هو متداول بين الناس من الموروث الديني والثقافة الشعبية التي احتفظت لنفسها من خلال الشعائر الحسينية بكم هائل من الارث الروائي والعقائدي ولم ترتقي افكارهم في كل الاحوال للنظر إلى مشروع الإمام المهدي عليه السلام باتجاه عالمية الحدث فبقي عندهم يدور في خانة محلية الحدث وبمقدار ارتباطه بالمراسيم الدينية العاشورائية وبعض الشعائر الدينية.

(١) ويمكن ان يرصد المتابع نتاج فكري فيه تحليل للمشروع المهدي وهو كتاب موسوعة الإمام المهدي باربعة اجزاء للسيد محمد محمد صادق الصدر وفيه رؤية للمؤلف لمجمل المشروع المهدي وتفصيل تاريخي.

اما الصنف الاخر الذي يمكن ان نسميه «المؤمنون المثقفون او المتفقهون» فقد ظلوا ينظرون ويحللون الأحداث طيلة هذه الفترة وفق هذا الواقع السياسي الجديد، المقسوم بين معسكرين سياسيين وعسكريين واقتصاديين كبيرين هما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي وقد قرأوا المستقبل من خلال هذا الوضع القائم بوجود هاتين القوتين وبما ان قصور الرؤيا كان واضحاً جداً عند هؤلاء المؤمنين المثقفين للنقص الواضح في ثقافتهم الدينية وعدم وجود الرؤية الناضجة الكلية للنظر للمشروع السماوي ولسيادة الثقافة الفقهية على عقول ووجدان هذه الفئة ولعدم اختمار المنظومة الفكرية اللازمة للتعامل مع هكذا موضوع كبير فقد اصطدمت اذواقهم «الفقهية» مع جملة من المرويات والأحاديث التي تتناول مواضيع متعددة وغريبة وخطيرة خارج نطاق تفكير وذوق هذه الفئة من المتدينين شكلت لهم حرجة واضحة بالتعامل معها لانها تخالف وضع العالم الذي يعيشون فيه مما اضطرهم كما سنبين لاحقاً بان يتبنون ثقافة التفسير وفق «المنهج الرمزي» بتحويل كل علائق ومثابات ومواضيع احداث اخر الزمان إلى مفاهيم «رمزية» ذات بُعد حسي وليس واقعي لكي يتخلصوا من التناقض الواضح بين ارثهم الديني وما يرون على واقع الحياة لانهم حاولوا ان يفسروا المستقبل بآليات ومفاهيم الحاضر فكان مستقبل الدين عندهم مبهم جداً.

وقد تبلور هذا الفهم بشكل واضح على مر الزمن عند الجانب «السنني» بغلق الابواب واعلان نفسه حارساً للشريعة رافعاً شعار خاتمية الرسالة وبقيت نظرتهم للدين محصورة بيوم القيامة فليس للإنسان اي مستقبل الا يوم القيامة فاما إلى الجنة واما إلى النار فيما تجاوز الفكر والذوق الشيعي هذه الازمة من بواكير نشأته باعلانه فتح دائرة الامامة التي هي عنده مكتملة بل مطابقة للنسبة في كل مفرداتها.

وهذه النظرة بقيت مسيطرة على اذهان المتدينين والمثقفين طيلة هذه الفترة مما جعلهم كما ذكرت يتبنون المنهج الرمزي لتفسير الأحداث كونهم اعتقدوا ان هذا الواقع السياسي الكبير المتنازع بين هاتين القوتين باقي على طول خط الصراع وهي قناعة خاطئة جداً ناتجة من عدم فهم حركة التاريخ بكلا جانبيه «الواقعي» حسب قوانين التطور الاجتماعي و«الديني» حسب رؤية النصوص المقدسة.

ولم يتوقع أحد منهم ماذا ستؤول إليه الأحداث إذا اختفت او ضعفت احدى هاتين القوتين وهذا ما حدث بالفعل عام «١٩٩١» عند ضعف الاتحاد السوفيتي وانفصال عدد من دويلاته بعد ان أصابه الضعف سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

وهذا بدوره أدى إلى انتهاء الحرب الباردة وصراع التسلح المحموم بين هاتين القوتين، وظهور واقع سياسي جديد وبروز أمريكا كقطب سياسي واحد يحكم العالم وانفرادها بالهيمنة على كثير من مقدرات الشعوب والدول.

وفي الحقيقة كانت هناك مجموعة من الهواجس تدور في خلد المتدين المثقف المتفقه في التعامل مع الأحاديث والروايات في هذه الفترة الزمنية فهم عندما يقرؤن الروايات الواردة عن الرسول ﷺ وأهل البيت  يرون انها تتحدث عن ظهور راية اساسية في الصراع عند ظهور الإمام المهدي  من إيران وهي راية الخراساني ولكنهم عندما ينظرون إلى الساحة السياسية والواقع السياسي في فترة الستينات والسبعينات يرون إيران غير مؤهلة لهكذا دور كون سياسة الشاه واضحة بتبعيتها لأمريكا فكيف يمكن تغيير هذا الواقع بوجود أمريكا القوية والشاه الموالي لها ولم يتوقع احد انه في يوم من الايام ستتقلب الصورة رأسا على عقب بظهور ثورة السيد الخميني وانتهاء الشاه حاملة معها قراءة جديدة للواقع السياسي وقراءة جديدة للارث الديني.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي أخذ الباحثون يحللون احداث عصر الظهور وفق هذا الواقع الجديد بوجود أمريكا كقوه «عسكرية واقتصادية وسياسية» منفردة في العالم.

ولابد لنا من الاستفادة من دروس التاريخ ونظرة النص الديني للمستقبل ونسأل أنفسنا سؤال افتراضي وهو: ماذا سيحدث وكيف سنحلل أحداث عصر الظهور إذا أختفت أمريكا أو أنهارت او ضعفت نتيجة حدث معين؟

وقد يتهمنا البعض بأن هذه المحاولة هي عبارة عن خيال لا يعول عليه وأن الأمور تجري عادةً حسب الواقع الذي نلمسه وحسب المُعطيات التي نراها، وقد يرى اخرون بأن هذا الطرح هو مجرد افتراض قد يصح وقد لا يصح فأمریکا واقع سياسي وعسكري كبير واضح وقوي وأن هكذا افتراض لا بد له من مقدمات وأدلة لكي يصمد أمام النقد والتحليل.

واضح أن هذه الاعتراضات متوقعة وفيها الكثير من المنطق، ولكنني أسائل: الم تنتهي الدولة الاموية في يوم من الايام؟ الم تنتهي الدولة العباسية في يوم من الايام؟ الم تنتهي الدولة العثمانية في يوم من الايام؟ الم تنتهي المانيا النازية في يوم من الايام؟ هل كان ضعف الاتحاد السوفيتي خيال أم واقع؟ وهل كان يتوقع أحد من المُحللين والباحثين بل حتى المنجمين هذا التغيير الدراماتيكي السريع لهذه القوة التي تسلحت بفكرة وعقيدة أستمرت لأكثر من «٧٠» عام آمن بها نصف سكان الكرة الأرضية وكانت الدرع الواقية لكل الحركات التحررية والشعبية

في دول العالم الثالث. أما إذا اخذنا الأمر من وجهة النظر الدينية وحسب مُعْطِيَاتِ وقوانين النصوص المقدسة فهل كان غرق قوم نوح عليه السلام وغرق فرعون وجنوده وهلاك عاد وثمود وقوم لوط عليه السلام هل هذه الأحداث التاريخية خيالات ام حقائق واقعية أدت إلى تغير العالم وما يتصل به من حضارات ودول، علماً أن هكذا تغيرات سريعة وقوية ليست بمستبعده لكل من قرأ تاريخ الامم والشعوب والحضارات.

وعليه فإن ضعف أمريكا او انهيارها أو أختفائها من الساحة الدولية والسياسية نتيجة مقدمات واحداث سنذكرها ليس بامر مستبعد وليس نوع من الخيال بل هو واقع تفرضه علينا سنن الله وقوانين التاريخ العاملة على طول خط الزمن، علماً أن احداث آخر الزمان كما وردت في المرويات كلها من نمط الأحداث السريعة والغريبة والغير متصورة وهي أقرب إلى المعجزة منها إلى الواقع فكيف يمكن أن نُفسّر حدث فيه هذا الكم الهائل من المعطيات المعجزة والسريعة والغريبة بتحليلات يريد البعض ان تكون كلها واقعية.

أن تفسير احداث اخر الزمان ضمن إطار الواقع المعروف والمُعاش لدى كل باحث أدى إلى ارباك وعدم فهم تسلسل الأحداث، ودونك المحاولات التفسيرية التي حاولت تفسير أحداث آخر الزمان ضمن الواقع الملموس فكلها انتهت بالفشل ومنها المنهج الرمزي الذي حاول أن يفسر أحداث اخر الزمان برموز واقعية معاصرة كأن يكون «السفياي» هو أمريكا او هي الدجال، والاتحاد السوفيتي هو «ياجوج ومأجوج»، والنداء الذي هو صوت جبرئيل عليه السلام بأنه عبارة عن وسائل الاعلام المعروفة حالياً، وطلوع الشمس من مغربها هو كناية عن ظهور شخص الامام عليه السلام، وهي محاوله بارده جداً للايحاء إلى القواعد الشعبية بأن الظهور المبارك سيكون من الغرب وليس من الشرق وهكذا الحال مع جملة من علامات اخر الزمان.

وما ان دارت الايام حتى ضعف الاتحاد السوفيتي ولم يخرج يأجوج ومأجوج، ثم نحن لا ندري اين هذا السد «الردم» الذي تم حجز الاتحاد السوفيتي فيه وما علاقتهم بذي القرنين، بينما أكدت الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يا جوج ومأجوج من علامات الساعة وليس من علامات ظهور الإمام المهدي «عج» لان المهدي «عج» نفسه هو من علامات الساعة.

روى الشيخ الصدوق بسنده عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: كنا جلوساً في المدينة في ظل حائط، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرفة فأطلع علينا وقال «فيم انتم» فنقلنا: نتحدث، قال «عم». قلنا: عن الساعة فقال: «انكم لا ترون الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض وثلاث خسوفات في الأرض: خسف بالمشرق وخسف

بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وخروج عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج وتكون آخرها نار تخرج من اليمن»<sup>(١)</sup>

وكذلك وردت أحاديث أخرى بنفس المعنى تضيف علامات أخرى مثل خروج المهدي «عج» والدخان وتحذف بعض العلامات وكلها قبل الساعة، واستناداً لهذا الحديث المبارك فـ«يأجوج ومأجوج» واقع متقدم يظهر بعد ظهور الإمام الحجة «عج» بزم طويل بعد خروج الدجال ونزول السيد المسيح عليه السلام وبعد ان تستتب الامور في دولة الامام عليه السلام، وإذا صدقنا التحليل الذي يورده أصحاب المنهج الرمزي فان الاتحاد السوفيتي سيبقى إلى ما بعد ظهور الامام عليه السلام وهذا يخالف واقع دولة الامام عليه السلام التي ستملى قسطاً وعدلاً ولا تجد فيهل موضع على الأرض لا ينادي به بـ «لا إله إلا الله».

ان المنهج الرمزي في تفسير الأحداث قد اربك المنتظرين للمشروع المهدي من حيث قصد تكريمه فتحويل مجموعه العلائق والمكونات الخاصة بأحداث عصر الظهور إلى مجموعة رموز لها عدة مصاديق وتجريدها من حقيقتها يؤدي بالضرورة إلى سؤال حتمي لتطور هذا المنهج وهو لماذا لا يكون المهدي عليه السلام هو ايضاً رمزاً، اي ان المهدي عليه السلام حسب المنهج هو «عنوان» وليس «شخص» وبأمكان اي شخص أن يمارس هذا الدور إذا توفرت عناصر التغيير وهذا بالضبط ما تبناه الفكر الصوفي منذ بدايته.

هذا الفكر الذي يؤمن بأن المهدي هو «تنصيب» وليس «تشخيص» أي انه ليس بالضرورة ان يكون المهدي المنتظر عليه السلام الابن المباشر للإمام الحسن العسكري عليه السلام شخصياً، بل المهدوية هي «منصب» كل من يحقق شروطها في اي زمان يفوز ويرتقي هذا «المنصب»، فالبعض منهم يعتقد ان الإمام المهدي عليه السلام ليس هو الابن المباشر للإمام الحسن العسكري عليه السلام لان الإمام الحسن العسكري عليه السلام عندهم عقيم وليس له عقب، فالمهدي عليه السلام عندهم شخص يولد في آخر الزمان «قد يكون من نسل علوي فاطمي» وسوف «يصلحه الله في ليله»، فهو لا يعي دوره، ولا يعي شخصيته إلا بعد تلك الليلة الموعودة، وهذه واحدة من أساليب تجسيد فكرة الامامة وفكرة الإمام المهدي عليه السلام لمئات السنين وهي نفس الفكرة التي لعب عليها كل ادعاء المهدوية في زمن الغيبة الصغرى والكبرى فإذا سارت الامور بشكل جيد على يد احد ادعاء المهدوية قال «انا المهدي»، وإذا لم تسير الامور بما يشتهي قال «انا ممهد للمهدي» وهكذا.

وتاريخ الإسلام زاهر بهذه الأحداث والادعاءات التي هي واحدة من بُنات أفكار المنهج الرمزي والنتيجة الحتمية لهذا الفكر، وسيلاحظ القارئ المتابع لأحاديث آل البيت ﷺ الخاصة بأحداث آخر الزمان كثرة المرويات التي تتحدث عن خروج عدد من الكذابين والمدعين قبل خروج الإمام المهدي «عج» بل ان المرويات حددت خروج اكثر من «٧٠» كذاباً و«١٢» راية كلهم يدعوا لهذا الامر.

ولا يخفى عن بال القارئ البصير ان وجود هذا العدد الهائل من الكذابين ومُدعي المهديوية قبل خروج الإمام «عج» لهو دليل على وجود منظومة فكرية واطار عقائدي له بُعد تاريخي وفكري بحيث يستوعب هذا الكم الهائل من التناقضات والاكاذيب.

وسيلاحظ القارئ المتابع أيضاً تركيز أحاديث آل البيت ﷺ على نقطة جوهرية في موضوع الإمام المهدي ﷺ، فهم في كل مناسبة يؤكدون أن المهدي هو «تشخيص» اي هو شخص معين بذاته وهو الابن المباشر للإمام الحسن العسكري ﷺ، وهو سليل هذه الذرية الطاهرة حصراً، وانه ولد وأستمر به العمر إلى يومنا هذا، ولكن طول فترة الغيبة اوقعت اغلب الناس بعدة متاهات، بينما كان طول هذه الفترة هو سبب لتمحيص وغرلة المؤمنين وهو امر أكدت عليه أغلب مرويات أهل البيت ﷺ.

وهناك أمر جعل بعض الباحثين يميلون إلى تفسير احداث آخر الزمان من خلال فهم الواقع حسب قوانين التطور الاجتماعي مما حدى بهم إلى ان يهملوا ويتركوا من هذه الأحاديث كل غريب «من وجهة نظرهم» ولا يستطيعون تفسيره أو أنزاله إلى ارض الواقع، وهذا بالضرورة ادى إلى انكار جملة من الأحاديث الخاصة تحت عنوان انها خيالية او سفسطائية ومبالغ بها وكان الحل عندهم لاهمال هذه المرويات هو «ضعف السند»، فيما اتهم من يؤمن بها او يتحدث بها بالغلو.

ولعلي اجد عذر لمن لا يصدق هكذا أحاديث من عبارة الإمام أمير المؤمنين علي ﷺ بمقولته المشهورة «العجب كل العجب بين جمادي ورجب»، فلا الوم هؤلاء الباحثين لعدم أستيعابهم وتصديقهم لهذه الأحاديث التي يقول عنها أمير المؤمنين ﷺ انها عجب، فالمشروع الالهي يسير وفق قوانين ونواميس القرآن وليس وفق قوانين وضعية ناتجة عن الملاحظة والتجربة قد تكون صالحة في وقت وغير صالحة في وقت آخر كقوانين التطور الاجتماعي التي تجري على شعب او امة ولا تجري على أمة أخرى لأختلافات عرقية وفكرية واقتصادية، وحتى أصحاب الفكر المادي قد أقروا بان هذه القوانين لا تجري بوتيره واحده على كل المجتمعات بل هي دالة متغيرة حسب خصائص كل مجتمع.

وعليه فأن قوانين التطور الاجتماعي وحركة التاريخ ليست حتمية ولا يمكن ربط المشروع الالهي بها، فالمشروع المهدي مرتبط بالحكمة وله غايات تشمل كل التاريخ بل الحياة بل الغاية التي من اجلها خلق الإنسان وهو لا يعالج فترة محددة او يخاطب شعب أو أمة معينة فعنوانه يشمل التاريخ والإنسانية والحياة بكل مراحلها.

وهنا لا بد أن نذكر مثال بسيط لكي نوضح للقارئ الكريم طريقة تفكير هذه المجموعة من الباحثين وان كان هذا المثل سيخرجنا عن موضوعنا الاصيلي ولكن الشيء بالشيء يذكر.

فمن الملاحظ ان الزي العربي القديم المتمثل بالعمامة «كغطاء رأس» أخذ بالانقراض منذ بدايات القرن العشرين الا من قبل رجال الدين واستبدل عوضاً عنه «وان كان موجود بالاصل» العقل العربي وهو زي شائع في منطقة الخليج العربي وبعض دول بلاد الشام والعراق فقد ظل محافظاً على وضعه، لذلك اصطدم الكثير من الباحثين بالموضوع الخاص بلباس الإمام «عج»، إذ ان المرويات تشير إلى انه سيخرج مُعتمداً بعمامة رسول الله ﷺ وجبته وعلية ودرعه، بل ذكرت هذه المرويات بعض خصائص هذه المقتنيات بل حتى ذكرت لها أسماء خاصة بها مثل العمامة «صفراء خضراء بيضاء -» واسمها «السحاب»، والنعل المخصوف والدرع المسماه «السابعة» التي لا تستوي الا على جسده الشريف وسيفه «الصمصام» وهو من سيوف رسول الله ﷺ.

وبما ان هذا الزي المتمثل بالعمامة والعباءة والدرع والسيف قد أخذ بالاندثار وطغيان الملابس المدنية الحديثة من «بنطال وستره وقمصان» التي أصبحت شائعة ومتداوله لدى الاعم الاغلب من الناس فقد وجد هؤلاء الباحثين في فترة السبعينات والثمانينات والتسعينات من القرن العشرين حراجه في تخريج هكذا أحاديث لانهم ظنوا «حسب قوانين التطور الاجتماع» ان هذا اللباس لا يتناسب مع أحداث زمن الظهور الذي تصوروا بانه زمن تسود فيه الواقعيات وكيفيات معينة خاصة بأهل ذلك الزمان، وعليه فان خروج الإمام بهذه الهيئة من الملابس سوف لن يناسب روح ذلك العصر مما حدا بهم إلى الالتفاف على النصوص في محاولة لتحويل هذه المقتنيات إلى رموز كأن يكون السيف هو رمز للقوة، والعمامة دلالة على علمه وهكذا، لذلك سادت افكار خاصة بهؤلاء الباحثين والمتدينين مفادها، ان خروج الإمام الحجة «عج» سيكون ذو طابع يتناسب مع ايقاع زمن ظهوره فإذا كان أهل ذلك الزمان يرتدون «بنطال والستره» فهو أيضاً كذلك وإذا كانوا يرتدون «الجينز» فهو أيضاً كذلك لانه يمثل واقع ذلك العصر.

وما أن دار الزمن وسارت الأحداث حتى أثبتت الأيام خطأ هذا الاعتقاد فما ان أطلت علينا الالفية الثالثة والقرن الحادي والعشرون حتى زخت علينا الايام بمجموعة من رجال الدين ممن يرتدون العمامة والجبه وممن لهم سيطرة سياسية واقتصادية ودينية في كل بقاع الأرض واصبح هذا الزري لرجل الدين شائع ومعروف بعد ان ملئت صورهم واخبارهم كل وسائل الاعلام اكثر من الفنانين ولاعبي كرة القدم بل حتى اكثر من «قناني البيسي كولا» مما يدفعنا للأعتقاد جازمين بأن نوعية الملابس التي ذكرت للإمام الحجة «عج» هي نفسها لأن الأحاديث الواردة عن أهل بيت النبوه صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين تتعامل مع الأحداث بما ستؤول اليه وليس كما نريد.

وبعد هذه المقدمة التي كان لا بد منها نعود إلى نفس السؤال الذي طرحناه في بداية الكلام وهو: ماذا سيحدث وكيف سنحلل الأحداث في عصر الظهور إذا اختفت او انهارت او ضعفت الولايات المتحدة الامريكية نتيجة حدث معين.

في الحقيقة هناك عدة دلائل واستنتاجات وسيناريوهات لهذا التصور.

### الدلائل

١ - وجود حوادث تؤكد أختفاء وانهيار دول وحضارات بصورة مباشرة او غير مباشرة نتيجة مقدمات معينة قديماً وحديثاً، كما يذكر لنا التاريخ سقوط عدة ممالك وانظمة نتيجة صراعات داخلية وخارجية وسيجد قارئ التاريخ أمثله عديدة من هذا النمط، اما الامثله من النصوص الدينية فهو هلاك قوم نوح ﷺ وهلاك قوم فرعون وهلاك عاد وثمود وقوم لوط ﷺ وهذه كانت عبارة عن حضارات ودول تم هلاكها بواسطة ظواهر طبيعية مدمره بل ان واقع القرآن الكريم يشير إلى هلاكهم بصورة مباشرة وسريعة ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾<sup>(١)</sup>

٢ - لا يوجد في أحاديث الرسول ﷺ وأهل البيت ﷺ التي تناولت احداث آخر الزمان دليل على وجود قوة عسكرية وسياسية أسمها أمريكا حتى عن طريق الرمز فقد ذكرت هذه الأحاديث عدة جهات وعدة قوى اساسية وثانوية في صراع اخر الزمان ولا وجود لأمريكا من ضمنها وهي:

الروم: وهم أوروبا

الترك: وهو الاتراك وتركيا حالياً.

السروسي: والكلمة كما لا يخفى تصحيف لكلمة «الروسي».



الرايات الصفرة: تاتي من المغرب العربي

الديلم: القسم الجبلي شمال قزوين.

الاصهب والابقع: وهم من اعداء السفيناني في بلاد الشام.

«السفيناني، الخراساني، اليماني»: وهي القوى العسكرية الرئيسية على ساحة احداث عصر الظهور وهي الرايات الثلاثة التي حددها الأئمة عليهم السلام في كثير من احاديثهم.

فعن أبي جعفر عليه السلام انه قال «خروج السفيناني واليماني والخرساني في سنة واحده في شهر واحد في يوم واحد نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً فيكون البأس من كل وجه.....»<sup>(١)</sup>

وكما هو معلوم من خلال الأحاديث ان الروم «اوربا» هم من يدعم السفيناني وان الاتراك سيهزمون في معركة قرقيسيا كما ان السفيناني سيقضي على مناوئيه في بلاد الشام وهم الابقع والاصهب أما السروسي والديلم والرايات الاخرى فهي رايات ثانوية وذات تأثير محدد ولا تقاس برايات «الخرساني والسفيناني والإيماني» التي ستكون محور الصراع في بلاد الشام والعراق والحجاز وهذه المرويات التي ذكرت هذه الرايات والأحداث المتصله بها لم تذكر او تشير من قريب او من بعيد لوجود قوة اسمها «أمريكا» لها هذا النفوذ المعروف حالياً.

وعليه يجب التعامل في تحليل الأحداث حسب الواقع الذي ستؤول اليه وليس حسب الواقع السياسي والتاريخي القائم حالياً فإذا كانت أمريكا كقوة سياسية وعسكرية واقتصادية موجوده حالياً ومسيطره على الأحداث في العالم فليس من الانصاف أن نضل نتظر تسلسل الأحداث وكأن أمريكا باقية لانتزول.

وعليه فهناك عدة سيناريوهات سياسية ودينية وطبيعية يجب أن نأخذها بنظر الاعتبار لتقوية الافتراضات والسؤال الوارد في بداية البحث وكما ذكرت يجب ان ننظر إلى الامور بما ستؤول اليه لا كما نريدها.

وهذه السيناريوهات المتوقعة هي:

### السيناريو الأول:

انسحاب أمريكا عسكرياً من منطقة الشرق الاوسط وملئ الفراغ بأشياء حكومات منتخبة في هذه البلدان عن طريق الديمقراطية، لكي تثبت للعالم بأنها أستطاعت ان تحقق الديمقراطية في هذه الدول وان إدارة هذه الدول هو من شأن ابناءها طبعاً مع المحافظة على مصالح أمريكا

(١) الغيبة للطوسي

في هذه البلدان بترك بعض القواعد العسكرية للتدخل السريع.

وبعدها ستقوم بتحرك عملائها الموجودين في المنطقة وما اكثرهم بعد ان استطاعت ان تقسم هذه البلدان تقسيم عرقي وطائفي ولكل طائفة جيش «ميليشات» خاصة بها مما يؤدي إلى تناحر ابناء البلد الواحد فيما بينهم من جديد وتستمر أمريكا في تغذية هذا الصراع عن بعد في عملية حلب واستنزاف مستمره لكل الاطراف والفائز والمقرب من أمريكا من يحفظ مصالحها وينفذ اوامرها وهكذا دواليك.

وبالنظر لتعدد أطراف الصراع في هذه الدول واختلافها عقائدياً وفكرياً فهذا الصراع مقرر له أن يستمر إلى ما شاء الله، وان هذا الصراع الحاصل في هذه الدول التي ستسحب منها أمريكا ليس الهدف منه أضعاف تلك الدول وحدها بل الهدف منه تضخيم ظاهرة الارهاب من خلال تحويلها إلى بعبع يهدد كل دول العالم مما يضمن لأمريكا التدخل في اي مكان وفي كل زمان بحجة مطاردة الإرهاب، هذا الإرهاب الذي من المقرر له أن يصدر إلى كل دول المنطقة من خلال تقويته في مناطق الصراع «العراق - افغانستان - الشام - الحجاز» وزخه بطرق معينة إلى سوريا وإيران والسعودية ولبنان بل حتى بقية دول الخليج لأضعاف هذه المنطقة وزعزعتها فالكل مشمولون بهذا السيناريو تمهيداً لأضعاف كل المنطقة والسيطرة عليها فيما بعد، وان هذا التحليل هو الاقرب إلى الواقع، وحسب هذا السيناريو تكون أمريكا موجودة في فترة احداث الظهور إلا انها لا تشارك بصورة مباشرة بل تديم زخم الصراع بين الاطراف المتنازعة وتنتظر للتصادم مع الجهة التي ستفوز.

### السيناريو الثاني:

حدوث كارثة طبيعية تؤثر على ولايات أمريكا او «القارة الامريكيه» مثل حادثة الغرق الناتجة عن ذوبان ثلوج القطب الشمالي نتيجة ظاهرة الاحتباس الحراري حيث اكدت التقارير العلمية الخاصة بمتابعة ذوبان الثلوج في منطقة القطب الشمالي ودراسة اثار الاحتباس الحراري ان السنوات الـ«٥٠» القادمة كحد أعلى هو المعدل الزمني اللازم لتحويل هذا الأمر من ظاهرة غير محسوسة إلى ظاهرة مدمرة، وان كل دول العالم الصناعي المتقدم بدأت تعقد المؤتمرات الجادة للتوصل إلى حل يمكن من خلاله التقليل من أنبعاث الغازات الدفيئة المسببه لهذه الظاهرة، أذ أن التقارير الصادرة من المراكز العلمية المعتمدة تنذر بكارثة حقيقية لو استمرت عملية تدفق هذه الغازات بهذه المعدلات للسنوات القادمة علماً ان عملية ذوبان الثلوج في السنوات القادمة ستكون بمعدلات اسرع من معدلات السنوات الماضية، وبما ان أمريكا كقارة «تحيط بها المياه من كل جوانبها» فهي المنطقة رقم واحد المتضرره من هذه الكارثة إذا وقعت خصوصاً ان كل مدن أمريكا المتقدمة صناعياً وتجارياً تقع على السواحل مما قد يؤدي إلى

أضرار بالغة قد تُنهِي أمريكا كدولة عظمى وتبقي بعدها متفرغه للعق جراحها.

### السيناريو الثالث:

سقوط نيزك في البحر قرب أمريكا يؤدي إلى ارتفاع منسوب المياه بصورة سريعة ومفاجئة<sup>(١)</sup> وكما ذكرت ان أمريكا محاطة بالماء من كل الجوانب وبما ان مراكزها الصناعية والاقتصادية موجوده على الشواطى وبما ان أغلب قوة أمريكا العسكرية هي قوة بحرية وهي عبارة عن غواصات وفرقاطات وحاملات طائرات وقاذفات فمن شأن هكذا حادثة أن تقصم ظهر أمريكا إلى نصفين لا تقوم بعدها لهم قائمه، وهناك مرويات عن رسول الله ﷺ وعن أهل البيت عليه السلام وكذلك نصوص انجيلية تشير إلى هكذا حدث يقع في آخر الزمان سنذكر بعضها لأهميتها.

١ - عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال «إذا كانت صيحة في رمضان فإنه يكون معمه في شوال وتميز القبائل في ذي العقده وتسفك الدماء في ذي الحجة والمحرم وما المحرم يقولها ثلاث هيهات يقتل الناس فيها هرجاً هرجاً» قلنا وما الصيحة يا رسول الله ﷺ؟ قال: هذه في النصف من رمضان ليلة جمعة وتكون هذه توقض النائم وتقعّد القائم وتخرج العواتق من خدورهن في ليلة جمعة في سنة كثيرة الزلازل فإذا صليتم الفجر من يوم الجمعة فادخلوا بيوتكم واغلقوا ابوابكم وسدوا كوركم وذرثرو انفسكم وسدوا اذانكم فإذا أحسستم بالصيحة فخرؤا لله تعالى سجداً وقولوا سبحان القدوس فانه من فعل ذلك نجا ومن لم يفعل هلك»<sup>(٢)</sup>

والحديث المبارك يسمى هذه الظاهرة بـ«الصيحة» والصيحة مفردة قرآنية وردة في «١٣» مورد في القرآن الكريم وقد استخدمت لوصف هلاك الامم السابقة.

قوله تعالى ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾<sup>(٣)</sup> وهي تصف هلاك قوم صالح. وقوله تعالى ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وهي تصف هلاك قوم شعيب، وقوله تعالى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾<sup>(٥)</sup> تصف هلاك قوم لوط، وقوله تعالى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾<sup>(٦)</sup> تصف هلاك أصحاب الحجر.

(١) كما حدث في حادثة تسونامي «٢٠٠٦» وان كانت هذه الحادثة ناتجه عن ارتفاع وانخفاض الأرض تحت سطح البحر وليس بسبب نيزك ولكننا نذكرها هنا للتشبيه.

(٢) عقد الدرر

(٣) هود / ٦٧

(٤) هود / ٩٤

(٥) الحجر / ٧٣

(٦) -الحجر / ٨٣

ورسول الله ﷺ يوضح نوعية هذه الصيحة ويصفها بأنها «هده» وهذه المفردة تدل على سقوط شيء وارتطامه بالأرض فـ«الهده» هي التي تهد الأرض وتحركها ويصاحبها صوت غير مفهوم ومدوي وهذه الصفة لا تنطبق الا على جسم يرتطم بالأرض كما ان الحديث يشير اشارته واضحه إلى ان الكلام الموجه فيه ليس لعامة الناس بل للمسلمين فقط فهو يقول «إذا صليتم الفجر» وهذا الصلاة من خصائص المسلمين وحدهم بالاضافة إلى ان الحديث يحدد زمن هذه الظاهرة وهي ليلة الجمعة من النصف من رمضان مما يدل على ان هذا الجرم الساقط او هذه الظاهرة هي ظاهرة مرصودة ومعروفة قبل حدوثها فلو كانت تحدث بصورة مفاجئة وغير متوقعة فلا داعي لذكر الاجراءات الوقائية التي ذكرها الحديث، وبما انها ستحدث وتكون معلومة الزمن بل وحتى معروفة المكان لذلك صدرت من الرسول الاعظم ﷺ مجموعة من الاجراءات الوقائية للتوقي من هذه الظاهرة الكارثية فقال ﷺ «ادخلوا بيوتكم واغلقوا ابوابكم وسدوا كواكم وذرثوا انفسكم وسدوا اذانكم فإذا احسستم بالصيحة فقعوا لله تعالى سجداً وقولوا سبحان القدوس سبحان القدوس فإنه من فعل ذلك نجا ومن لم يفعل هلك».

هذه الامور تدفعنا للاعتقاد أن أرض المسلمين هي أرض غير مشموله بهذه الكارثة بل هي كارثة ستقع في الجانب الاخر من الأرض ولكن المسلمين سينالها بعض تأثيراتها، فأن سقوط هكذا جرم على الأرض بالقرب من أمريكا يؤدي إلى موجه من الهزات الارتدادية تشمل كل بقاع الأرض ومنها أرض المسلمين لذلك ذكر الحديث هذه التعليمات للتوقي من آثار هذه الظاهرة، ولو كانت هذه الهده تقع على أرض المسلمين لامرهم رسول الله ﷺ بترك ارضهم وكيف تقع هكذا كارثه على أرض فيها كل تراث الأنبياء والأولياء، كما ان الأحاديث تشير إلى ان العراق وبلاد الشام والحجاز وإيران هي مسرح احداث اخر الزمان ومنها يخرج المهدي وفيها عاصمته «اقصد العراق» فستكون هذه الأرض ببركة تواجد أهل البيت ﷺ عليها بمنى عن هكذا ظواهر مدمره، كما ان في هذا الحديث اشاره دقيقة لوقت حدوث هذه الكارثة وهي قوله ﷺ «إذا صليتم الفجر» وهذا يدل على ان هذه الكارثة ستقع بعد صلاة الفجر وهو ما نسميه بـ«الصباح» وهذا الوقت بالذات يتناغم ويتطابق مع الواقع القرآني الذي حدد في اكثر من مورد نزول العذاب في وقت الصباح، قوله تعالى ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ (١)، قوله تعالى ﴿فَأَخَذْنَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ﴾ (٢)

(١) الصافات/١٧٧

(٢) الحجر / ٨٣

كما ان هناك عدة أحاديث اخرى عن ائمة أهل البيت عليهم السلام تحدد الجانب الذي ستقع فيه هذه الكارثة وتسميه «غربي الأرض».

عن أمير المؤمنين أيضاً: قال عليه السلام: في ذكر علامات المهدي «عج» «... الا ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني وقبل ان تشغر برجلها فتنة شرقية تطأ في خطامها بعد موت وحياة أو تشب نار بالحطب الجزل غربي الأرض رافعةً ذيلها تدعوا يا ويلها بذحله او مثلها....»<sup>(١)</sup> وعنهم عليهم السلام عندما سئل من قبل اهل قم: متى ينتظرون الفرج قال عليهم السلام «إذا ظهر الماء على وجه الأرض»<sup>(٢)</sup>.

والذي استشفه من الحديث ان هذه النار نار مغربية تقع غربي الأرض وهي عبارة عن قصف سماوي بالشهب والنيازك والحجارة كما ان الحديث السابق يصف نتيجة هذا الحدث وهو ظهور الماء على وجه الأرض دلالة على غرق مناطق كبيرة، وان هذه الحادثه إذا وقعت بهذا الشكل لا تؤثر على أمريكا وحدها بل ستؤثر على غربي اوربا وافريقيا إذا حدثت شرقي أمريكا، وستؤثر على اليابان واستراليا إذا حدثت غربي أمريكا، وهذه الدول سيكون الضرر بها كبيراً لانها دول ذات سواحل طويلة والبحر يحيطها من كل جوانبها أما مناطق المسلمين وبالذات «العراق - بلاد الشام - الحجاز - إيران» فهي في مأمن من هذا الخطر لبعدها عن البحار اولاً ولبعدها عن مركز تأثير هذه «الهدّه» ثانياً، وهذا ربما يفسر لنا لماذا تندفع كل هذه القوى العسكرية في اخر الزمان إلى هذه المناطق وذلك لانها المناطق الوحيدة الغير متضرره من هذه الكارثة.

قال الإمام الصادق عليه السلام «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثي الناس فقيل له واين نكون نحن قال: أما ترضون ان تكونوا في الثلث الباقي»<sup>(٣)</sup>

وهذا الحديث فيه دلالة واضحة على حجم الدمار والضرر الناتج من هذه الظاهره وإلى عدم شمول ارض المسلمين بهذه الكارثة.

٢ - هناك ايضاً رؤية انجيلية لهذه الحادثة وهي ما وردت تفاصيله في رؤيا «يوحنا» وسنورد بعض المقاطع من هذه الرؤيه لانطباقها على تفاصيل هذه الظاهرة ومكانها.

(١) بشارة الإسلام.

(٢) الاختصاص / البحار

(٣) بشارة الإسلام.

«.....ورأيت بعد ذلك ملاكاً آخر نازلاً من السماء له سلطان عظيم فاستنارت الأرض من بهائه وصاح بأعلى صوته «سقطت سقطت بابل العظيمة» صارت مسكناً للشياطين ومأوى لجميع الأرواح النجسه وجميع الطيور النجسه البغيضة لان الامم كلها شربت من فورة خمرها زناها. وملوك الأرض زنوا بها وتجار العالم إغتنوا من كثرة نعيمها.... أفرحي أيتها السماء لخرابها أفرحوا ايها القديسون والرسل والأنبياء لأن الله عاقبها على ما فعلت بكم... وتناول ملاك جبار حجراً كحجر طاحونه عظيمه ورماه في البحر وقال «هكذا ترمى بابل العظيمة بعنف ولن توجد من بعد ابداً»<sup>(١)</sup>

وكما تلاحظ ان هذا النص الإنجيلي يحدد ان ملاك الرب سيرمي في البحر حجر عظيم كحجر الطاحونه وهذا يتناغم مع سقوط النيزك الذي هو حجر عظيم وسقوط هذا الحجر في البحر هو السبب في حدوث هذه الكارثة «الغرق»، بالإضافة إلى «الهدّة» وهو الصوت الناتج عن اختراق هذا الجرم للغلاف الجوي الأرضي وارتطامه بالبحر، ويبدو ان سرعة هذا الحجر ستؤهله كي يخترق ماء البحر ويضرب الأرض التي هي قعر البحر، أما «بابل العظيمة» الواردة في النص فهي ليست بابل الموجوده في العراق قطعاً لأنها ليست قريبة من الماء كما ان مفسروا الإنجيل أستبعدوا هذا الرأي فبابل المذكوره في النص لها هيمنه على شعوب العالم لان ملوك الأرض زنوا بها وصارت مسكناً للشياطين وان تجار العالم أگتنوا من نعيمها، كما انها قريبة من البحر وهذه الاوصاف لا تنطبق الا على أمريكا «بابل آخر الزمان».... العظيمة.... الزانية.

كما ان رؤيا يوحنا رؤيه طويله جداً لا نستطيع ان نذكرها كلها في هذا البحث ولكن إذا رجع إليها القارى الكريم سيجد هناك الكثير من الادله والقراءات الواضحه والمضمرة التي تؤكد له هوية «بابل العظيمة».

أن مسألة انتهاء أمريكا بظاهرة طبيعية ليست ضرباً من الخيال أو قراءة عابرة للنص السماوي فأن هذه النهايات الحتمية للشر والتكبر قد طرحها القرآن الكريم في اكثر من مورد وهي سنه الهية جرت على الامم السابقة وتجري على الامم اللاحقة كهلاك قوم نوح ﷺ وقوم فرعون وقوم ثمود وعاد، وقد وصفها القرآن الكريم ببيان شامل، قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الإنجيل / رؤيا يوحنا

(٢) العنكبوت / ٤٠

وهذا مصير كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، فهذه الأثام المتكدسه واذلال أمريكا لشعوب العالم والإنسانية سيواجه برد فعل للطبيعة ضمن قوانين الهية، فتصرفات الإنسان وأعماله يقابلها رد فعل للطبيعة في عملية جدل مترابطة بين فعل الإنسان وقوانين الطبيعة، فإن كان خيراً فخير وان كان شراً فشر، وهذا هو عين ما حصل في الامم السابقة التي تم هلاكها بظواهر طبيعية مدمره وردت في القرآن الكريم تحت عدة عناوين «الصيحة - الخسف - الغرق - مطر السوء -ريحاً صرصاً...».

### السيناريو الرابع:

هناك عدة ظواهر طبيعية تحدث بشكل دوري لا يتنبه لها أحد إلا اهل الاختصاص وهذه الظواهر تحدث وتمر ولا تسبب أي مشكلة ولكنها في ظروف معينة قد تؤدي إلى كوارث ضخمة، فمنها ظاهرة طبيعية تحدث في ايام معينة من السنة تسمى «ظاهرة زخات الشهب» وهي تؤدي إلى حدوث منظرًا جميل جداً إذا حدثت بنزول زخات من الشهب متتالية قد يصل عدد الشهب فيها لكل زخه اكثر من «١٠٠» شهاب وترتبط زخات الشهب بالمذنبات فخلال دوران الأرض حول الشمس تصادف أن تمر في الحزام الغباري لاحد المذنبات وبسبب الجاذبية الأرضيه تدخل الحبيبات الغبارية والحصى والجليد إلى الغلاف الجوي مما يسبب سقوط زخات من الشهب تعد بالمئات في كل زخه وقد تمر الأرض بمدار المذنب مره اخرى فيحدث بسبب ذلك المذنب زخه واحده تتفاوت شدتها من خلال قرب الأرض منها وفي حالة مرور الأرض مرتين بالحزام تحدث زختان كما هو الحال مع مذنب «هالي» حيث تحدث زخات «ايتا» «الدلويات» في «مايو/ايار» وزخه الجباريات في «اكتوبر/ تشرين اول».

بالأضافة إلى سبب اخر وهو أخطر من الأول هو احتمالية اقتراب مذنب أو ذيل المذنب من الغلاف الجوي الأرضي فهذه المذنبات ذات ذيول طويله جداً قد تصل إلى «١٥٠» مليون كيلومتر وذات سرعة عالية قد تصل إلى «٥٠» كيلو متر كل ثانية فإذا حدثت هذه الحالة في مسافة قريبة من المجال الجوي الأرضي فأن هذا الحدث سيعطل أو يدمر منظومه الاقمار الصناعيه الموجوده حول الأرض فيؤدي بدوره إلى حدوث فوضى معلوماتيه وسياسيه واجتماعيه واقتصادييه نتيجة لتعطل الاتصالات والنظام المصرفي والنظام الملاحي والبورصه واسواق المال وحركة المواصلات الجوية والبحرية بل كافة مرافق الحياة المدنية، وان عملية السيطرة على هكذا ضرر متوقع هو امر ليس بالسهولة التي يتوقعها البعض فإنه يوجد حالياً آلاف الاقمار الصناعيه تدور حول الأرض ترتبط بها كافة نواحي الحياة المدنية والاقتصادية وان عطل او تلف هذه الاقمار لاكثر من عدة أيام سيؤدي إلى نهاية سريعة ومهوله للنظام العالمي

وأمریکا هي اول المتضررين لان مصالحها في كل بقاع الأرض فيؤدي إلى تبعر قواها وانهارها السريع وخصوصاً أن هناك عدد لا يستهان به من أحاديث اخر الزمان التي تحدد بشكل صريح عن ظهور واقتراب عدد من الاجرام السماوية والتي ستكون سبباً في عدة ظواهر مدمره.

وبصورة عامة كل التقارير العلمية تحذر بشكل واضح من ظاهرة الاحتباس الحراري وتداعياتها وإذا كنا متفائلين فنتائجها ستظهر بعد خمسين عاما وإذا كنا متشائمين فالنتائج ستظهر خلال الثلاثين سنة القادمة وهذا معناه ان ابنائنا سيعيشون هذا الحدث الصعب وحتى لو فرضنا ان هناك مبالغة فيما يقول العلماء واستثنينا ظاهرة الاحتباس الحراري والعواصف الشمسية او سقوط نيزك او اقتراب مذنب وغيرها فلا احد ينكر ان هذا الكوكب بدأ يدق ناقوس الخطر معلنا نفاذ موارده الطبيعية من النفط والغاز الطبيعي والفحم الحجري التي هي مصادر الطاقة الأولى للصناعة ومجمل الحياة نتيجة الاستهلاك الغير مسيطر عليه من قبل الشركات المنتجة فالنتيجة المنطقية لنفاذ موارد لطاقة هو الحرب بين الاطراف الكبرى للسيطرة على ما تبقى منها لضمان الاستمرار وبالتالي فان العقود القادمة لا تخلو من حروب طاحنة للسيطرة على موارد الطاقة والتي تؤدي بالضرورة إلى فرز نظام اقتصادي وسياسي وعسكري جديد.

وهذا التحليل الذي يتبنى فكرة عدم وجود أمريكا كقوة عسكرية وسياسية في أحداث آخر الزمان وفق هذه السيناريوهات والدلائل التي ذكرناها، يفسر لنا عدد من جوانب وحشيات الصراع الذي يحدث في آخر الزمان ومنها:

١ - ان هذا التحليل يفسر لنا لماذا يساعد الروم «اوربا» السفيناني في معاركه في بلاد الشام. فقد رؤى الشيخ الطوسي بسنده عن بشر بن غالب قال «يقبل السفيناني من بلاد الروم مُتَنَصِراً في عنقه صليب وهو صاحب القوم»<sup>(١)</sup>.

وقد دلت المرويات انهم يعدونه لهذا الأمر ويدعمونه بالجند والسلاح في معاركه فهل من المعقول ان تقوم «اوربا» بهكذا عمل عسكري ضخم في بلاد الشام والعراق وبهذا المستوى الخطير بدون علم أمريكا وتدخلها.

وعليه يكون التصور الصحيح لهكذا تساؤل هو كما قلنا بعدم وجود أمريكا كطرف في صراع اخر الزمان لانفراد اوربا كقوة سياسية وعسكرية تدعم السفيناني للسيطرة على مناطق الثروات ناهيك عن الدوافع العقائدية للروم فهم مسيحيون اولاً و اخراً «هذا إذا لم يكن الصراع



بالاصل عقائدي بالدرجة الأولى وليس سياسي» فالمسيحيون لهم دوافع عقائدية لخوض هذا الصراع لا تقل اهمية عن الدوافع السياسية والاقتصادية والعسكرية.

٢ - هذا التحليل يفسر لنا امراً قد ذكرته مرويات أهل البيت عليهم السلام سنذكره اجمالاً وهو ان ظهور السفيناني في بلاد الشام مسنوداً من قبل الروم يمكنه من السيطرة على بلاد الشام خلال ستة اشهر بعد تصفية مناوئيه وهم «الاصهب والابقع» وخصوصاً بعد انتصاره في معركة قرقيسيا المشهورة وانكسار الترك واتباع المشرقي وهم اطراف هذه المعركة فتصفو للسفيناني بلاد الشام كلها.

فعن ابي منصور البجلي قال: سألت ابا عبد الله عليه السلام عن السفيناني، فقال: «وما تصنع بأسمه إذا ملك كور الشام الخمسة دمشق وحمص وفلسطين والاردن وقنسرين فتوقعوا عند ذلك الفرج»<sup>(١)</sup>.

هنا سيبرز لنا سؤال مهم وهو: كيف يستطيع السفيناني ان يسيطر على هذه الكور الخمسة ومن ضمنها فلسطين وهي لازالت تحت سيطرة اليهود وهم كما هو معروف ليسوا بقوة سهلة عسكريا وسياسيا واقتصاديا.

ان انهيار أمريكا سند إسرائيل القوي قبل احداث السفيناني هو السبب في ضعف إسرائيل وانكشاف غطائها الدولي بعد انهيار حليفها الكبيرة أمريكا او انهم يضطرون لعدم مواجهة السفيناني لأحتواء زخم الموقف مما يضطرهم إلى تبني فكرة التراجع إلى الخلف خطوتين والتربص لحين سنوح فرصة اخرى لاعادة امجادهم وخصوصاً ان اليهود كشعب تاريخياً لهم خبرة واسعة في التعامل مع هكذا مواقف فهم ملّة معروفة بطول تشردها في بقاع الأرض وقد كما وصفهم ماركس بقوله «ليس هناك يهودي تائه او يهودي متجول بل هناك يهودي متحول»، لذلك لا تجد في المرويات حدوث اي عمل عسكري للسفيناني في فلسطين، وان مسألة سيطرة السفيناني على فلسطين سيكون له الوقع الكبير على نفوس المسلمين باعتبار انه حقق لهم املمهم في تحرير فلسطين والمسجد الاقصى وهو في نفس الوقت يفسر لنا تكالب الناس واندفاعهم بالانضمام تحت راية السفيناني في بلاد الشام بل سيكون هذا الانتصار هو السبب الرئيسي لغزو العراق والحجاز ففي الحجاز «مكة» تكون حركة الإمام المهدي عليه السلام بداءت بالظهور بعد الانهيار السياسي الكبير لحكومة الحجاز.

عن الإمام الصادق عليه السلام «وهذا الملعون يظهر الزهد قبل خروجه ويتقشف ويتقنع بخبز الشعير والملح والجريش ويبدل الاموال فيجلب قلوب الجهال والاراذل ثم يدعي الخلافة فيبايعونه ويتبعهم العلماء الذين يكتمون الحق ويظهرون الباطل فيقولون: انه خير اهل الأرض»  
 وواضح من خلال الحديث انه سيتبنى مشروع «الخلافة» كزعامة سياسية ودينية موهماً الناس بالعمل على اعادة امجاد الإسلام وتحقيق الدولة الموحدة بالسيطرة على مكة باعتبارها المركز الديني لكل المسلمين.

## أسئلة واجوبة

هناك مقولة قديمة تقول «كرّر الكذبة أربعين مرة تصبح حقيقة»، وهذه بالضبط هي القاعدة التي أستاذ ولعب عليها كل المُحرّفين والمزورين وطامسوا الحقائق عبر التاريخ، فالعملية بالأساس لا تعتمد على أنتاج كذبة بل على إدامة زخم وجودها بالتكرار.

وتراكم المعلومات الكاذبة وتكرارها على مر الأيام يوّلّد شعور جماعي باتجاه تصديقها، حتى يأتي اليوم الذي يكون فيه محاولة تكذيب هذه الأكاذيب هو بدعة ومخالفة للواضحات، ولا نريد أن نذكر شواهد واضحة لهذه الحالة عبر تاريخ الأمم والشعوب فهي من الكثرة بمكان، حتى ليُخيّل إلى قارئ التاريخ أن التاريخ هو عبارة عن مجموعة من الأكاذيب التي أخذت قوتها نتيجة لتقدّم الزمن عليها وقد صدق من قال «رُبّ مشهور لا أصل له».

وما يخصنا هنا هو ما حدث في تاريخنا الإسلامي، وحسبنا أن نذكر مثل واضح لهذا الأمر في تاريخنا وهو قرار معاوية بن أبي سفيان بإصدار أمر عام على كافة الأمصار الإسلامية أثناء فترة حكمه بسب الإمام علي (عليه السلام) على المنابر حتى أن الخطباء كانوا يبدوون خطبهم بعبارتهم المشهورة «خير ما بدأ به خطبتنا هو شتم علياً وأولاده»، وعندما سُئل معاوية عن سبب هذا التصرف قال «أستمروا بشتم علياً حتى يشيب عليها الصغير ويهرم عليها الكبير»، وكما تلاحظ أن هذه العبارة تنطبق أنطباقاً واضحاً على المثل الذي أوردناه في بداية هذه السطور بتكرار هذا الأمر فما بالك إذا عرفت أن هذه الحالة لم يكررها معاوية أربعين مره بل كررها وأبواقه الإعلامية على مدى «٩١» سنة وهي وفترة حكم بني أمية، ولا تجد في الفكر السني من يُشير أو ينتقد هذا الأمر وكأنهم من طرف خفي يقولون «نحن موافقون.....نحن مستمرون».

وفي هذه الفقرة لن اناقش حوادث كاذبة أو شخصيات مختلفة، ولكن ساناقدش أسئلة كاذبة، وأسئلة غريبة طُرحت على مر التاريخ الإسلامي من جهة معاندة، فكانت الاجابات من جهة الموحدين.

وهذا الأمر لا يقتصر على التاريخ والحياة الاجتماعية عند الناس، بل عانت منه حتى العلوم التجريبية، فقد أجهد العلماء أنفسهم بالمحاولة للحصول على إجابات لأسئلة خاطئة، فمثلاً: الفكرة التي طرحت كسؤال في علم الفيزياء والكهرباء والميكانيكا وهي: هل يمكن اختراع آلة أو محرك يتحرك حركة أبدية بنفس الطاقة المتولدة منه، ولا بد أن هذا السؤال يذكرنا بالسؤال

القديم «هل البيضة من الدجاجة أم الدجاجة من البيضة»<sup>(١)</sup>.

وقد وصل الأمر بمناقشة هذا السؤال أن احد العلماء عندما عجز عن الإجابة طرح فكرة غريبة بقوله «أن الطبيعة تتأمر علينا»، والحقيقة ليس هناك تأمر بل هناك سؤال بحاجة إلى جواب، والجواب على هذا السؤال هو: أن السؤال نفسه أساساً خاطئ، فإذا كان السؤال خاطئ انتفى الجواب

ولنبداً الكلام حول الجهات المسؤولة عن صياغة هذه الأسئلة.

مما لا يخفى على بال أحد، أن كل الجهات المتصارعة فيما بينها فكرياً أو عقائدياً أو حتى عسكرياً يقوم كل طرف باستخدام أسلحة في هذا الصراع طمعاً بالنصر، وان نوع السلاح المُستخدم في هذه المعارك يكشف عن الخلفية الأخلاقية لمستخدم السلاح، فإذا تقابل جيشان لكلٍّ منهم أسلحة تقليدية أو حديثة معروفة ومستخدمه كالسيف والرمح أو الدروع والطائرات، فهذه معركة نستطيع أن نقول عنها بأنها معركة شريفة إذا جاز التعبير، فعندما حاربت أمريكا اليابان في الحرب العالمية الثانية كان لكلا الطرفين أسلحة معروفة ومعلومة ولكن استخدام أمريكا للسلاح النووي بضرب منطقتين تعجان بالمدينين راح ضحيتها أكثر من «٢٠٠» ألف شخص لهو دلالة على استخدام غير شريف للسلاح، فخرجت المعركة من الطابع التقليدي للصراع ودخلت في جانب الخساسة الأخلاقية.

أما جانب الخير فتجده دائماً يستخدم سلاحاً شريفاً، لأن الخير يؤمن بأن للرجال شرف وللمحارب شرف<sup>(٢)</sup>، لذلك تجد أن الإمام علي عليه السلام في معركة صفين قد سمح لجيوش خصمه أن تشرب من الماء على الرغم من سيطرته عليه لأنه عليه السلام يؤمن أن الماء ملك لكل الخلائق ولا يحق لأحد حتى عند المعركة من منع أعداءه منه، وهذا تصرف يدل على شرف الإنسان وشرف المُحارب، ولكن هذه الأمة قابلت أحسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالأساءة عندما حرمت الحسين عليه السلام وأولاده وذراري رسول الله ﷺ وحتى الأطفال من شربة ماء، فماتوا

(١) «ومنذ بدء التاريخ المدون كانت «آلة الحركة الدائمة» الأسطورية التي تدور للأبد من دون ضياع في الطاقة بمنزلة ألكاس المقدسة للمخترعين والعلماء والمحتالين والفنانين المخادعين أيضاً والنسخة الأفضل منها عبارة عن آلة تخلق طاقة أكثر مما تستهلك مثال المضخة الإلكترونية التي تخلق طاقة مجانية بلا حدود» فيزياء المستحيل / ميشو كاكو - ترجمة د. سعد الدين خرفان - سلسلة عالم المعرفة - العدد ٢٠١٣/٣٩٩ - الباب الثالث مستحيلات من الصنف الثالث

(٢) يعتقد الكثير من الناس أن مفهوم الشرف مرتبط فقط «بالأنثى» لكن في الحقيقة هذا المفهوم جدا واسع ويشمل مواضع كثيرة من مواقف وسلوك وتصرفات لذلك ورد عن الإمام الحسين عليه السلام قوله «شرف المؤمن صلته بالليل» فالشرف بهذا المعنى هو سلوك أيما مرتبط بعلاقة جدا خاصة بين المؤمن وخالقه.

عطشاً قبل أن يموتوا بالسيف، فهذا تصرف غير شريف بان يمنع جيش يزيد بن معاوية المؤلف من «٢٠» ألف مقاتل، سبعون نفرأ أو يزيدون من الماء في رمضاء كربلاء.

أما في الجانب الفكري والعقائدي فلا يخلو الصراع من استخدام هذه الأسلحة غير الشريفة، فعندما يتهمك الطرف الآخر بما ليس فيك وعندما يُعَيَّر المعلومة ويكذب ويزور لكي يخدع الآخرين فقد أستخدم سلاحاً غير شريف، ومن جُملة هذه الأسلحة غير الشريفة هو صياغة أسئلة ليس الهدف منها التفقه أو الفائدة بل الهدف منها التشويش وإثارة اللغظ لحرف موضوع معين عن وجهته، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام «سل تفقهاً ولا تسل تعتاً».

ومن الملاحظ أن هذا النوع من الأسلحة له ميزات معينة وأهداف خاصة وله عادةً صفة الذكاء ويرتكز على النقاط التالية :

أولاً: أن يكون السؤال له صفة الدور، أي ان أوله مثل آخره ليصبح ليس له جواب لكي يظمن صفة الاستمرار «كما في السؤال المعروف هل البيضة من ألدجاجة أم ألدجاجة من البيضة».

ثانياً: يجب أن تكون الإجابة على هذه الأسئلة ذات صفة مزدوجة فإذا قلت «نعم» فالجواب خاطئ وإذا قلت «لا» كان الجواب خاطئاً أيضاً.

ثالثاً: يجب أن يكون الهدف من الإجابة على هذه الأسئلة سواءً بـ «نعم» أم «لا» هو صياغة عقيدة مشوشة تترتب على هذه الإجابات.

أما الجهة المسؤولة عن إنتاج هكذا نوع من الأسئلة فهي دائماً جهة تمثل قيادات أو رؤوس متنفذه في أديان وملل كبيره، فمتابعة اولية لتاريخ الإسلام بصورة عامة وخصوصاً في بدايات الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم وبالذات فترة حُكم ابي بكر وعمر وعثمان وفترة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام تلاحظ أن هناك جهة مُعينة مخصوصة وهي اليهود دائماً تسأل وجهه مُعينة مخصوصة وهم أهل البيت عليهم السلام دائماً تعجيب.

ولا يوجد في تاريخ البشرية منذ ظهورها إلى فنائها جهة تعرضت لسيل من الاسئلة كما تعرض له ائمة آل محمد عليهم السلام، حتى ليُخيّل اليك ان حياتهم عبارة عن مجموعة اجوبة لمسائل غيرهم، وهو الشعار الخالد الذي رفعه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «سلوني قبل ان تفقدوني» دليل واضح على ذلك، وهذا حال القرآن ايضا الذي هو على الحقيقة في كل سوره وآياته عبارة عن اجوبة لما سأله وسيسأله الإنسان ولكن لا تبلغه عقول الرجال ولا يعرف كل اجوبته إلا من قال «سلوني قبل ان تفقدوني» فكان هو وآل بيته المترجمين والشركاء الفعلين للقرآن وهما لن

يفترقان حتى يردى على رسول الله ﷺ على الحوض.

اما الجهة اليهودية التي دائماً تسأل فلهم دوافعهم بلا شك باعتبار أنهم يعتقدون ويؤمنون بأنهم شعب الله المختار وهم المفضلون على أهل الأرض وأن النبوة قد انحصرت في ولد إسحاق بن إبراهيم ﷺ واستمرت في ذراري بني إسرائيل، ويعتقدون بعدم وجود نبوة أو رسالة يمكن أن تخرج من غير هذا الخط النبوي، لذلك ناصبوا العداء للدين الإسلامي منذ بداياته الأولى، وان خطورة هذه الملة بالذات تأتي من كونهم أصحاب كتاب سماوي، وتاريخهم حافل بعدد لا يستهان به من الأنبياء، فهم يمتلكون من المعلومات الدينية والعقائدية ما ليس لغيرهم، وهم بصورة عامة معروفين بتشددهم وكتمانهم لتعاليم عقيدتهم، حتى أن الفيلسوف اليهودي «كار ماركس» صاحب النظرية الاقتصادية المعروفة يقول «أبحث عن اليهودي في دينه» ويقول «ليس هناك يهودي تائه أو يهودي متجول بل هناك يهودي متحول»، بالإضافة لما تتمتع به رؤوس هذه الملة ويشهد لهم التاريخ من ذكاء ودهاء وخيانة وتربص.

وإذا دقت في نوع الأسئلة الموجهة من هذه الملة تجدها ذات طابع ديني فيه معلومات لا يستطيع الإجابة عليها إلا «الراسخون في العلم»، أما عامة الناس فلا ترتقي معارفهم للإجابة على هكذا نوع من الأسئلة، واليهود يعلمون بوجود جهة على درجة عالية من المعرفة في امة الإسلام وهم «أهل البيت ﷺ» وحدهم من يستطيع الإجابة على أسئلتهم ويكشف ألاعيبهم ولا سيما إمام وقائد وسيد هذه المجموعة المباركة الإمام علي بن ابي طالب ﷺ الذي ترك لنا وللزمن عبارة مدوية لا زالت تصرخ في أذان الأصدقاء والأعداء لم يقلها أحدٌ قبله ولا يدعيها أحدٌ بعده، هذه العبارة التي هي بمثابة التحدي الواضح والتي تثبت كذب كل من ادعى العلم والخلافة والإمامة غيرهم ﷺ وهي قوله ﷺ «سلوني قبل أن تفقدوني».

لهذا السبب بالذات اتخذت أسئلة اليهود منهجاً فيه الكثير من الدهاء المُبطن في صياغة أسئلتها، فهي تعلم أمكانية الجهة الأخرى التي سيقع على عاتقها الإجابة، فقد صاغت أسئلتها بطريقتين متغيرتين حسب الزمن الذي تتواجد فيه.

### أولاً: زمن الرسول والأئمة صلوات الله عليهم

وهي الفترة الزمنية التي تواجد بها رسول الله ﷺ وأهل بيته الأئمة الاثنا عشر المعصومين عليهم صلوات الله وسلامه والممتدة إلى ما يقارب سنة «٢٥٠ هـ» أي ابتداء الغيبة الصغرى، وكانت نوعية الأسئلة التي طرحت في هذه الفترة ليس القصد منها تشويش أو حرف موضوع معين لأنهم يعرفون أن هناك من يكشف ألاعيبهم، بل من جملة أهدافهم الحصول على أجوبة

خافية عنهم أنفسهم ولكنهم يصيغونها بطريقة يفهم منهم السامع أنهم يعرفون الجواب، وفي الحقيقة ان بعض هذه الأسئلة كان الجواب مجهول لهم أنفسهم، فتجدهم في حرج واضح عندما تتم الإجابة، لذلك تجد الإمام علي عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام قد اتخذوا أسلوباً آخر للكلام معهم وهو أن يضع السائل أمام اختيار وتحدي في نفس الوقت بأن يقول «عليه السلام» لهم «هل تسلمون إذا أجبتمكم»، فيكون قد حاصرهم من اتجاهين.

١- هو أنهم لا يعرفون الجواب وهم فعلاً بحاجة اليه.

٢- أن عدم رضاهم بشرط الإمام هو ضعف في عقيدتهم نفسها، فلو رفضوا شرط الإمام لأثبتوا على أنفسهم حقاً كونهم غير واثقين بعقيدتهم وبما لديهم.

وهذا الأسلوب الذي أتبعه الإمام علي عليه السلام مع هذه الفئة أشبه بأسلوب «التوريث» إذا جاز التعبير، لذلك تراهم في أكثر من مناسبة لا يسألون الإمام علي عليه السلام مباشرة، بل يسألون من يعرفون أنهم ليسوا أهلاً للإجابة، وهم الثلاثة الذين حكموا قبل الإمام علي عليه السلام لكي يحققوا عدة مآرب منها إثارة اللغط والتشويش حول هذه الأسئلة، فهؤلاء الحكام الثلاثة ليس عندهم جواب، فيثبتوا للمسلمين أنهم محكومين بمن لا علم له، ولكنهم في الحقيقة عندما أثبتوا عدم كفاءة الثلاثة فقد أثبتوا حقاً للإمام عليه السلام من حيث لا يدرون فوقعوا في شر أعمالهم.

ولا نريد هنا أن نذكر أمثله لمثل هذه الأسئلة في زمن الرسول ﷺ فهي معروفة لعامة المسلمين ومنها أسئلتهم حول «الروح - الإسراء والمعراج - ومعجز الأنبياء - والوحي - وذو القرنين.....» وغيرها الكثير<sup>(١)</sup>، ولكن ما يهمنا هنا هو مجموعة من الأسئلة التي وجهت للإمام علي عليه السلام سنناقشها لغرابتها.

### السؤال الأول: شيء لا يعلمه الله

سأل يهودياً واحداً ممن حكم المسلمين سؤال فهم هذا الحاكم أن يبطش باليهودي لان ظاهر سؤاله يوحي بالانتقاص من الله عز وجل «حاشاه»، لكن أنقذ الموقف أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

سأل نصراني الإمام علي عليه السلام قال: اخبرني ما هو الشيء الذي ليس لله، وليس عند الله، ولا يعلمه الله. فقال أمير المؤمنين عليه السلام «ما ليس لله فان الله تعالى ليس له صاحبة ولا ولدا، واما

(١) تجد جملة من هذه الأسئلة والأجوبة في كتاب الاحتجاج للطبرسي/ج ١/ وهو الفصل الخاص باحتجاجات الرسول الأكرم ﷺ على اليهود والنصارى والدهرية ومشركي العرب وقريش وهو من عيون الأخبار في هذا الباب.

قولك ولا من عند الله فليس من الله ظلم لاحد، واما قولك لا يعلمه الله فان الله لا يعلم له شريكا في الملك»<sup>(١)</sup>.

واضح من خلال السؤال انه أُعد لكي لا تتم الإجابة عليه، فما هو الشيء الذي ليس لله ولله كل شيء، وما هو الشيء الذي ليس عند الله والله عنده كل شيء، وما هو الشيء الذي لا يعلمه الله وهو يعلم كل شيء، يا ترى كم تحتاج هذه الأمة من وقت لكي تجيب على هكذا نوع من الأسئلة، ويا ترى ما هو حال المسلمين إذا لم يتم الجواب وادعى هذا اليهودي انه يعرف الجواب، ولكن الله قد منّ على هذه الأمة بنعمة الإمام علي ﷺ فليس هناك ما يعجزه.

فجزاك الله يا أبا الحسن عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، والله لقد كنت شديد القوى تقول فصلاً وتحكم عدلاً، والله ستبقى رغم أنف الأعداء حديث الدهر، وصدق من قال «والله لقد أتعتب بعدك»<sup>(٢)</sup>.

### السؤال الثاني: كلباً يطاءً شاة

سأل اعرابياً الإمام علي ﷺ فقال: يا أبا الحسن رأيت كلباً وطىء شاةً فاولده ولدا فما حكم ذلك في الحل، فقال الإمام ﷺ «اعتبره في الاكل، فان اكل لحما فهو كلب، وان رأيت ياكل علفا فهو شاة»، فقال الاعرابي: وجدته تارة ياكل هذا، وتارة ياكل هذا، فقال الإمام ﷺ «اعتبره في

(١) الاحتجاج/ الطبرسي: ١: ٤٨٤ ح ١١٨، البحار ١٠: ٥٢، عيون اخبار الرضا ﷺ ١: ١٤١، الفضائل ابن شاذان ١٣٢، امالي الطوسي المجلس العاشر: ٢٧٥ ح ٥٢٧

(٢) لا يصح تصور وجود شيء لا يتعلق به علم الله، ولا يمكن لاحد ان يتصور وجود شيء لا يعلمه الله، ومن هنا فالشريك متمتع لامتناع تصوره لعدم وجود اثر له في الخارج والذهن كامتناع تصور العدم المحض، او اللاشيء المحض، فلو كان هناك شريك لله لظهرت اثاره، ولو كان العدم المحض موجود لكان الشريك موجود وهو المُحال، فالله قطعاً ليس له شريك، وبما ان الله لا يُتصور في الوهم فوجود الشريك ايضا لا يتوهم ولا يتصور ولا يمكن وجوده، مع فارق ان الله لا يمكن تصوره ولكن له اثار يظهر بها، اما العدم المحض فهو لا يتصور وليس له اثار فلا ظهور له، ومن هنا انتفى الشريك الخارجي والذهني، فلا يمكن تصور مفهومين لا يمكن تصورها، فإذا كانت ذات الله لا تتصور فلا مفهوم يشترك معها بهذا المعنى، فالذات وحدها ليس لها شريك، ومن هنا فلفظة «البيسط» التي يصف بها الفلاسفة ذات الله ويقصدون بها عدم التركيب، هي عندي بمعنى انتفاء الشريك له سبحانه، فيكون كل شيء دونه مُركَّب والمُركَّب يقتضي التشريك لكي يظهر، ويبقى الذات وحده لا شريك له، ومن هنا نفهم شيء من كلام أمير المؤمنين ﷺ في وصف الذات البحث بقوله «دليله آياته ووجوده اثباته»، فاثباته دليل على وجوده، وما لا يمكن اثباته لا وجود له، لذلك امتنع الشريك لامتناع الاثبات، والله ثبت وجوده باياته لقوله ﷺ «دليله آياته»، اما الشريك او العدم المحض فلا دليل له لانه ليس له آيات فلا يمكن وجوده.

وعبرة «لا يعلم له شريكا» دالة بشكل واضح على استحالة وجود الشريك لان الشريك لو كان متعلق بعلم الله لظهر ومن هنا قال «لا يعلم» اي لا يمكن ان يكون في علم الله ان له شريك.



الشرب فان كرع فهو شاة، وان ولغ فهو كلب»، قال الاعرابي وجدته يلغ مرة ويكرع اخرى، فقال الإمام عليه السلام «اعتبره في المشي مع الماشية، فان تاخر عنها فهو كلب. وان تقدم او توسط فهو شاة»، قال الاعرابي: وجدته مرة هكذا ومرة هكذا، فقال الإمام عليه السلام «اعتبره في الجلوس، فان برك فهو شاة، وان وجدت اقعى فهو كلب»، فقال الاعرابي ان هذا مرة وهذا مرة، فقال الإمام عليه السلام «اذبحه فان وجدت له كرشا فهو شاة، وان وجدت له امعاء فهو كلب»<sup>(١)</sup>.

أن أهمية هذا السؤال وهذا الجواب تكمن في اتجاهين. الأول: هو إتجاه السؤال نفسه. والثاني: هو اتجاه الجواب.

فمن ناحية إتجاه السؤال فهو كما ترى على درجة عالية من الذكاء بل هو سؤال شخص محترف، لأنه ببساطه سؤال «افتراضي»، فلا يوجد في نظام الطبيعة حالة تجامع بين الكلب والشاة ينتج عنها ولادة لكائن آخر، وهنا قد يقول البعض أنه ربما تكون هذه الحالة فعلاً موجودة وحدثت كما قال الاعرابي فلطالما كانت هناك قفزات وراثية أو جينية بين الكائنات أنتجت هكذا مخلوقات.

وهذا الكلام غير صحيح لأن القفزات الوراثية والجينية تحدث في مخلوقات الصنف الواحد، أي يمكن أن يتجامع حمار مع حصان لإنتاج البغل، أو يتجامع الكلب مع الذئب أو الثعلب لإنتاج كائن يحمل صفات الكلاب والذئاب والثعالب، أو يمكن في حالات نادرة تجامع أنواع معينة من صنف القطط كالأسد والنمر والكوجر، أما أن يتجامع نوعان من الكائنات كل واحد تنتمي إلى نوع معين وصنف معين يختلف عن الآخر كلياً في كل شيء وتكون لهذه المجموعة نتيجة فهذا أمر غير وارد أصلاً ولا تقره قوانين الطبيعة والوراثة أيضاً، وإذا حدث فان الناتج يكون ميتاً أصلاً ولا تكتب له الحياة، وحتى لو سلّمنا من باب الفرض بوجود هكذا أمر فلن يضر بالسؤال ولا بالجواب كما سنبين.

أن صياغة هذا السؤال ذكية، لأنه كما ذكرت يعتمد على محور «الأفترض» الذي من الممكن أن تشعب منه عدة إجابات تؤدي إلى التناقض وهو مطلب صاحب السؤال، فاخترع السائل كائناً ليس له وجود أصلاً، فالسؤال وضع بالأساس لغرض الأعجاز، وخصوصاً انه سيوجه لشخص أعلن مراراً وتكراراً مقولته المشهورة «سلوني قبل أن تفقدوني»، فصياغة هكذا سؤال

(١) قضاء أمير المؤمنين عليه السلام: ٥٢ الكشكول. البحراني ٣: ١١١. الحق المبين في قضاء أمير المؤمنين عليه السلام. ذبح الله محلاتي:

افتراضي يضع صاحب الجواب في وضع مُخرج، ولكن هيهات أن يعجز «باب مدينة العلم»<sup>(١)</sup>. لذلك فقد ضمن السائل أن عدم الإجابة أو الإجابة الخاطئة ستؤدي في كل الأحوال إلى الهدف الذي وضع من أجله السؤال وهو عدم الإجابة عنه، ولكن السائل لم يحسبها بطريقة صحيحة، لأنه لا يعلم أن الجواب سوف يُسقط السؤال نفسه.

والجانب الآخر الذي يؤكد ذكاء السائل هو أنه قد ألزم صاحب الجواب بما ألزم به نفسه عندما قال «سلوني قبل أن تفقدوني»، فعدم الجواب عن هذا السؤال الافتراضي هو سقوط لهذه المقولة.

أما من ناحية إتجاه الجواب فأهميته لا تكمن بالإجابة فقط، بل بطريقة الإجابة، فالإمام علي عليه السلام قد استخدم طريقة علمية منطقية في الجواب لأن هكذا إجابة يجب أن تكون متناسبة مع هكذا سؤال «افتراضي»، فكانت عظمة الإجابة كونها جاءت متدرجة وليس مباشرة، فلو أجابه الإمام عليه السلام بطريقة مباشرة وقال للسائل «اذبحه فان ودت له كرشا فهو شاة»، وان وجدت له امعاء فهو كلب» وهو آخر احتمال، لقال السائل أن هذا المخلوق مات منذ زمن ودفنته وهو ألان لا يستطيع أن يقوم بعملية ذبحه واستخراج كرشه، فتبقى الإجابة مُعلّقة مما يستتبعها بقاء السؤال نفسه على مر الزمن فما دام هذا المخلوق مات فقد مات الجواب معه.

لذلك أغلق الإمام عليه السلام هذا الباب أمام السائل بعدم ذكر الجواب مباشرة بل أدخله في خانة «الاحتمالات»، وهي الطريقة العلمية المعمول بها في كل العلوم التطبيقية وأشهرها علوم الرياضيات، وذلك من خلال ذكر كافة الاحتمالات المتعلقة بالموضوع ثم اسقاطها واحداً تلو الآخر ليثبت الحل النهائي.

وعلى الرغم من ذكاء واضع السؤال إلا انه لم ينتبه لهذا الأمر، فقد وقع في هذا «المطب» من أول إجابة عندما قال الإمام عليه السلام في بداية الجواب «اعتبره في الاكل، فان اكل لحما فهو كلب، وان رأيتنه ياكل علفا فهو شاة» فمجرد أن قال السائل «رأيتنه يفعل كذا وكذا» يكون قد سقط الاحتمال الأول وسقط معه السائل أيضاً وهكذا تدريجياً لبقية أجزاء المسألة.

وبهذا يكون السائل قد أقر على نفسه بهذه الاجوبة أن هذا المخلوق موجود وانه صاحبه ولاحظه في كافة تفاصيل حياته ورصد حركاته وتابع تصرفاته وقد أصبح بحكم المعلوم من حيث لا يدري انه أقر بوجود هذا المخلوق لديه حالياً، فكانت الإجابة الأخيرة كالصاعقة على

(١) قال رسول الله ﷺ «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»

رأس السائل عندما قال له الإمام عليه السلام «اذبحه فان ودت له كرشا فهو شاة، وان وجدت له امعاء فهو كلب»، فهذا الأمر ليس فيه احتمال أن يكون له كرش وفي نفس الوقت ليس له كرش فلا يستطيع السائل أن يقول له «كذا وكذا» وفي الحالتين سواءً أكان له كرش أو لم يكن يكون قد تم الإجابة على السؤال

### فرض المُحال ليس بمحال:

وهذا يقودنا لمناقشة بعض المقولات السائدة في علم المنطق، اذ ربما كان منشئها من سؤال خاطئ أو إجابة خاطئة ومنها مقولة أهل المنطق «فرض المحال ليس بمحال».

أي بما معناه انك لو فرضت فرضاً مُحالاً لإثبات أمر تريد أثباته فعملية فرض المُحال بنفسها ليست نافية لأصل الفرض، لان «فرض المُحال ليس بمُحال». ونحن نرى أن هذه المقولة خاطئة لأن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام عندما يسألهم البعض عن أمر مُحال يقولون «ليس للمُحال جواب».

من سؤال الزنديق الذي سأل أبا عبد الله الصادق عليه السلام في مسائل كثيرة. قال: كيف يعبد الله الخلق ولم يروه؟ قال عليه السلام «رأته القلوب بنور الأيمان وأثبتته العقول بيقظتها أثبات العيان وأبصرته الأبصار بما رأته من حُسن التركيب وأحكام التأليف ثم الرسل وآياتها والكتب ومُحكّماتها واقتصرتم العلماء على ما رأتم من عظمته دون رؤيته». قال الزنديق: أليس هو قادر أن يظهر لهم حتى يروه فيعرفونه على اليقين؟ قال عليه السلام «ليس للمُحال جواب»<sup>(١)</sup>.

وكما تلاحظ أن الزنديق عندما سأل حول أمكانية رؤية الله من قبل الخلق أجابه الإمام عليه السلام كما في الحديث، ولكن الزنديق حاول أن يصرف الموضوع باتجاه آخر وهو «هل يمكن للخالق أن يُرى نفسه للمخلوق؟» ظناً منه أن الإمام عليه السلام سيجيبه «بنعم» أو «بلا». فإذا أجاب «بلا» أي لا يمكن لله أن يُرى نفسه للمخلوق فقد حدّ القدرة كون أن هناك شيء لا يستطيع أن يفعله الله، وان أجاب «بنعم» فما الذي يمنعه من ذلك ويكون قد ناقض جوابه الأول وسيؤدي ذلك إلى خلل في الحكمة، وبالنتيجة يحصل التناقض مهما كان الجواب. ولكن الإمام عليه السلام قطع الطريق على الزنديق بقوله «ليس للمحال جواب» أي أن سؤالك هو محال أصلاً وليس له جواب، فإذا كان السؤال خاطئ انتفى الجواب مباشرة.

(١) الاحتجاج / الطبرسي / ج ٢ / احتجاجات الإمام الصادق عليه السلام / ح ٢٢٣ / ص ١١٢

فلو كانت مقولة «فرض المُحال ليس بمحال» صحيحة لصح سؤال الزنديق باعتباره يفرض شيء مُحال، وقد ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) كلمة جامعة وكاملة في هذا المجال يجب أن يؤسس عليها في علوم الفلسفة والكلام والحكميات وهي قوله (عليه السلام) «ليس في مُحال القول حجة ولا في المسألة عنه جواب ولا في معناه لله تعظيم»<sup>(١)</sup>.

وفقرات هذا الحديث كما افهم تعني التالي:

أولاً: «ليس في مُحال القول حجة» أي أن فرض المُحال لأثبت شيء ليس بحجة.

ثانياً: «ولا في المسألة عنه جواب» أي أن السؤال عن المُحال ليس له جواب.

ثالثاً: «ولا في معناه لله تعظيم» أي أن المعنى الناتج من فرض المُحال ليس فيه لله تعظيم.

لان كل شيء مُحال تفرضه ليس له تصور في الذهن ولا في الخارج لا تتعلق به القدرة ولا العلم، وكل شيء ليس بممكن لا يمكن للممكن ادراكه، لان كل شيء يدرك ما هو من سنخ جنسه، لذلك لا يمكن لاحد ان يفترض امكانية رؤية الله لانه يعتقد ان فرض المُحال ليس بمُحال، لان افتراض رؤية الله خارج حدود الوهم والتصور في الذهن وفي الخارج، لانها خارج حدود امكانية البشر والعلم والتصور، فهي مُحال من باب عدم القابلية في تصورها ذهنياً وخارجياً، ولاجله كان الله لا شريك له حسب هذا التصور، لان استحالة تصور الله يستتبعه بالضرورة استحالة تصور الشريك، وإذا كان الله مُحال ان يُدرك، فهو محال ان يكون له شريك ايضاً.

وقد لاحظ بعض الاذكياء ممن يعتقد بمقولات المنطق ان هذه العبارة «فرض المحال ليس بمحال» هي عبارة خاطئة، فحاول ان يزيل التناقض من خلال طرح عبارة اخرى مرادفة لها وهي «الفرض المحال محال»، اي ان عبارة «فرض المحال ليس بمحال» صحيحة وعبارة «الفرض المحال محال» هي الخاطئة، وبتأمل بسيط في العبارتين ستجدهما خاطئتين، والحق ان كلام الصادقين (عليهم السلام) هو الصحيح «ليس في محال القول حجة»

فعبارة الامام (عليه السلام) «ليس للمحال جواب» نفهم منها انه ليس كل الاسئلة التي تطرح صحيحة، فهناك اسئلة خاطئة لا جواب لها، وهذا الاسلوب في اختيار الاسئلة الخاطئة هو من الاساليب التي يتبعها الشيطان لاضلال الناس، وحتى الملحدين يتبعون نفس الطريقة فهم دائماً يوجهون نفس السؤال للمتدين وهو «من خلق الله»، والمتدين إذا حاول ان يجيب على هذا السؤال سيقع

(١) عيون اخبار الرضا/ باب ١١/ ح ٥١

في تناقضات كبيرة، والجواب هو «ان السؤال خاطئ»، لانه ببساطة لو اني من باب الفرض اثبت لك من الذي خلق الله فستواجهني بنفس السؤال وهوان هذا الاله الجديد الذي خلق الله من الذي خلقه، فالسؤال خاطئ لانه يعتمد على الدور والدور عقلاً باطل.

ولا تتصور ان آل محمد ﷺ دائماً يعلّقون الجواب على المحال، بل هو تعليق بأسئلة خاصة فقط، ودليل ذلك ان بعض الاسئلة التي وجهت اليهم كانت جداً غريبة وربما البعض يصرفها باتجاه المُحال ولكنهم ﷺ اجابوا عليها ومنها سؤال الكلب والشاة السابق ولم يعلّقه الإمام علي ﷺ على المُحال واليك الحديث التالي.

سال معاوية بن ابي سفيان الإمام الحسن بن علي عليهما السلام قال له: يا ابا محمد تزعمون انه «ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين» فاين لحيتي ولحيتك من كتاب الله؟ وكانت لحية الإمام الحسن ﷺ مستديرة حسنة ولحية معاوية كوساء مشوهة، فاجابه الإمام الحسن ﷺ بقوله «اما لحيتي فقوله سبحانه» والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه» فاما لحيتك فقوله سبحانه «والذي خبث لا يخرج الا نكدا»<sup>(١)</sup>

والإمام الحسن ﷺ هنا لا يقول لمعاوية ان ذلك مُحال، اي لا يمكن استخراج هكذا امور من القرآن، بل اجابه بالاستنباط لقوله تعالى ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وهكذا اجابات تجدها كثيرة في سيرة آل محمد ﷺ مع خصومهم الذين يسأولون تعنتاً وليس تفقهاً.

فآل محمد ﷺ لا يعلّقون كل شيء على المحال، بل المحال يجري على امر خاص، والملاحظ ان خصوم الأئمة ﷺ يحاولون ايجاد اسئلة شيطانية لغرض احراج الأئمة ﷺ ولكن الأئمة ﷺ دائماً يجيبون بشكل يسكت المقابل، فالمخالف بهذه الاسئلة يبرز فضائل آل محمد ﷺ المخفية وعلمهم الواسع، وصدق رسول الله ﷺ عندما قال «ان الله إذا اراد ان يظهر امرا سلط عليه شرار خلقه»

### طريقة عكس السؤال بسؤال

من جملة الطرق التي اتبعها ائمة آل محمد ﷺ في الجواب هي طريقة عكس سؤال السائل بجواب على شكل سؤال يجعل الخصم يتوقف مباشرة

(١) الاصول الاصيلية/ ص ٣٤

(٢) النساء/ ٨٣

عن ابي حمزة قال: سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر عليه السلام فقال: اخبرني عن الله متى كان؟ فقال عليه السلام «متى لم يكن حتى اخبرك متى كان سبحانه من لم يزل ولا يزال فردا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا»<sup>(١)</sup>

عن عمر ابن الفرج الرخجي، قال: قلت لابي جعفر يعني الجواد عليه السلام: ان شيعتك تدعي أنك تعلم كل ماء دجلة ووزنه، وكنا على شاطئ دجلة. فقال عليه السلام لي «يقدر الله على ان يفوض علم ذلك إلى بعوضة من خلقه ام لا؟»، قلت: نعم يقدر. فقال عليه السلام «انا اكرم على الله من بعوضة ومن اكثر خلقه»<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: زمن الغيبة الكبرى

وهي الفترة الزمنية الممتدة بعد غيبة الإمام الثاني عشر المهدي «عج» إلى يومنا هذا، غياب شخص المعصوم عليه السلام هو نقطة أصبحت لصالح أعداء الله، فلا أحد يستطيع تحمل عبء الإجابة على هكذا نوع من الأسئلة، فالسؤال الكاذب إذا ظل بدون أجابه سوف تنطلي خدعته على الناس ويحقق نتائجه سريعاً في التضليل والتحريف، وقد أثبتت في هذه الفترة كم كبير من الأسئلة سنقتصر على سؤال واحد منها، وهو «هل يستطيع الله أن يخلق إلهاً»<sup>(٣)</sup>

هناك صيغتان واضحتان للجواب. أما أن تقول «نعم» يستطيع وبهذه الحالة يكون هناك الاهان وهذا يخالف صريح القرآن الكريم وعقيدة التوحيد، وإذا قلت «كلا» فهذا معناه أنك قد حددت قدرة الله سبحانه بوجود شيء لا يستطيع أن يفعله الله، علماً أن هناك الكثير من المرويات والأحاديث للإمام علي عليه السلام تحوي على أجابه ضمنيه لهذا السؤال.

فعندما قال أحد الأشخاص في زمن «عمر بن الخطاب» مقولة غريبة وهي «أن لي في الأرض ما ليس لله في السماء» أراد عمر أن يبطش به لولا تدخل الإمام علي عليه السلام عندما قال عليه السلام «لقد أصاب الرجل لأنه له زوجه وأولاد والله ليس له زوجه ولا أولاد»، فالله سبحانه قادر على كل شيء ولكن في نفس الوقت قدرته هي حكمته فلا نتصور ولا يمكن أن نتصور أن هناك أفعال ناتجة عن قدرة الله ليست حكيمة، فعندما لا يكون لله زوجه وولداً تعالى ربنا علواً كبيراً فإن القدرة والحكمة هي التي اقتضت هذا الأمر وليس عدم القابلية.

(١) الكافي / كتاب التوحيد / باب ٢٨ / ح ٢٣٤

(٢) بحار الأنوار: ١٠٠/٥٠

(٣) لقد ناقش المرحوم العلامة «عالم سبيط النبلي» هذا السؤال في أحد مؤلفاته ووضع إجابة صحية له

وبالنظر لابتعاد هذه الأمة عن المنبع الأصيل للعلم والمعرفة وهم محمد وآل محمد ﷺ فقد دخلت هذه الأمة بصراع فكري طويل حول هذا السؤال وكل طرف من هذه الأطراف طرف الـ «نعم» وطرف الـ «لا» يأتي بادلته وبراهين على صدق دعواه، وكما ترى أن هدف هذا السؤال واضح ونتائجه واضحة، فقد تم تأسيس أفكار ورؤى فلسفيه وعقائدية على هذه الإجابات وبإمكانك أن تقدر حجم الفوضى الفكرية الناتجة عن هكذا نوع من الأسئلة والإجابات المترتبة عليها، ولكن كما يقول المرحوم العلامة النيلي أن الإجابة على هذا السؤال هي: «أن هذا السؤال نفسه خاطئ» لان الله لو خلق إله آخر فهذا معناه أن الاله «الأخر» هو مخلوق وليس خالق فتسقط عنه صفة الالهية..... وانتهى الأمر.

وهناك سؤال آخر يترتب على أصل السؤال ربما أثير هنا وهناك بين الحين والآخر وهو: عندما خلق الله أول شيء لابد وانه خلقه على تمام الصنع والاستقامة والكمال وهو الذي تذكره أحاديث آل محمد ﷺ وتسمية «نور النبي ﷺ» أو «المشيئة» لقول رسول الله ﷺ «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ومنه خلق كل شيء»<sup>(١)</sup> عن ابي عبد الله ﷺ «خلق الله الاشياء بالمشيئة وخلق المشيئة بنفسها»<sup>(٢)</sup>، والذي يسميه الفلاسفة بالصادر الأول، فهو أول ظاهر بأول ظهور وهو مخلوق حادث وليس فوقة شيء إلا الله عز وجل. فيكون السؤال المترتب على هذا الموضوع للتشكيك فيه هو «هل يستطيع الله أن يخلق شيء أرقى وأكمل من الحقيقة المحمدية عليه وعلى آله الصلاة والسلام»؟

ربما هذا السؤال يقابل السؤال الأقدم وهو «هل يستطيع الله أن يخلق إله اخر»؟ فإذا قلت لا يستطيع أن يخلق شيء أعظم وأكمل من الحقيقة المحمدية فقد حددت القدرة، وان قلت يستطيع فلماذا لم يفعل ذلك وهكذا تتداخل الأسئلة والاحتمالات للوصول إلى حالة شك واضطراب كاملة.

وربما كان هذا السؤال يجول في خواطر الفلاسفة والمتكلمين على مر التاريخ، والحق ان الله عندما خلق الأشياء خلقها على ما هي عليه وليس على ما هو عليه، فلو خلقها على ما هو عليه لأصبحت هي هو، لذلك امتنع في الحكمة أن يفعل الله كل ما هو قادر عليه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الأنوار / ج ٥ / ص ٢٤ / ح ٤٣

(٢) اصول الكافي / كتاب التوحيد / باب ٣٦ / ح ٣٠٠

(٣) الأنعام / ٩١

اذن «القدرة والحكمة» موضوعان متلازمان في العمل والظهور فإذا فصلت أحدهما عن الآخر حصل التناقض وهي النتيجة التي تفرزها هكذا أسئلة، وإذا دمجتهما حصل التآلف، فكل شيء بقدره الله ولكن حكمته تعمل حسب ما عليه الأشياء حسب المصلحة وليس على ما هو عليه.

نعم لو أن الله عز وجل خلق الخلق وأعطاهم ما به قوامهم ورفع يده عن مدده للمخلوقات لصح أن يُقال ان هناك إله آخر، ولكن الفيض لم ينقطع ويد الله لم ترفع والخلق كلهم فقراء اليه ولو انقطع فيضه طرفه عين لانعدمت الأشياء لذلك كانت رحمة نازلة متدفقة بدون انقطاع لان الخلق قائم بالله قيام صدور وليس قيام استقلال فلو استقل الخلق لانعدم، فعليه يكون الفيض والمدد مستمر لقوله تعالى ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾<sup>(١)</sup>.

فليس من الحكمة أن يفعل الله كل ما هو قادر عليه لان الأشياء من المخلوقات مهما علت وترقت لا تستطيع ان تتحمل كامل القدرة وكامل العظمة، لذلك ورد حديث عن الرسول الأعظم عليه وعلى اله الصلاة والسلام قوله «ما عرفناك حق معرفتك».

وكذلك الحال مع الحقيقة المحمدية ﷺ باعتبارها أول ما خلق الله فليس من الحكمة أن تظهر هذه الحقيقة كل قدرتها لان كل ما دونها لا يتحمل كمالها، لذلك قال الإمام علي عليه السلام في وصف عقل رسول الله ﷺ بقوله «ما تكلم رسول الله مع احد بعقله كله» لأنه لا احد مؤهل للكلام معه بكل عقل الحقيقة المحمدية، وكذلك الحال مع الحقيقة العلوية فلا يستطيع احد أن يبلغ غاية كمالها لذلك قال رسول الله ﷺ «يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا».

هذا من جهة أما من الجهة الأخرى فان الذات عز وجل لا يحتاج في عمله إلى التكرار ولا يجري عليه بل التكرار هو فعل مخلوقاته وبما ان الله خلق المشيئة وخلق الأشياء بالمشيئة فيكون التكرار من فعل المشيئة التي هي مخلوقة، فالذات «تمد» والمشيئة «تخلق» ولو كان التكرار من فعل الذات لأصبح الذات حادثاً فالتكرار من صفات الحوادث لقول الإمام الرضا عليه السلام «لا يجري عليه ما هو أجراه»<sup>(٢)</sup>، لذلك كان فعل الله واحد لا يتكرر كما في قوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وما يحدث بعدها بالتكرار فهو من نتاج المخلوق.

(١) النحل/٩٦

(٢) عيون اخبار الرضا

(٣) القمر/٥٠



وهكذا الحال بكل الرتب الوجودية فكل رتبة دنيا لا ترتقي لمعرفة الرتبة العليا بل تأخذ ما يرشح منها ولا تدركها بالكلية، فلو صح أن العوام يرتقون لمرتبة الأنبياء لصح للأنبياء أن يرتقوا إلى مرتبة الحقيقة المحمدية، ولصح للحقيقة المحمدية أن ترتقي إلى مستوى الواجب، وهذا كله محال لأنه لا احد في الوجود يتجاوز مبدأه وكل شيء يدور في سنخ مادة وجوده وهو قوله تعالى ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾<sup>(١)</sup>.

#### (١) الصفات/١٦٤

ولقد شاع في المسلك الصوفي اعتقاد ان الله كتب على نفسه الرحمة، وبرحمته الواسعة التي وسعت كل شيء سيغفر لإبليس في نهاية المطاف لانه شيء، ومن هنا قالوا بعدم خلود اهل النار، وإذا قلت لهم ان الله حكيم وعادل فلا بد وانه يحاسب الخلق ليعطي كل مخلوق حقه والرحمة هي للمقصرين وليس للملعونين، لقالوا لك ومن انت حتى تفرض على الله ما إذا يفعل، والحقيقة السؤال نفسه موجه اليهم، من انتم حتى تقترحون على الله ان يغفر لإبليس وهو القائل عز وجل «ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين» «السجدة/١٣» وحسب فلسفتهم ان الله لو اراد ان يدخل إبليس لفعل لانه قادر على كل شيء، نعم بلا شك الله قادر بالقدرة ولكنه عمل ممتنع بالحكمة

والحق ان هذا الكلام تأسست عليه فلسفة كاملة، فلا تزال تجد عبر التاريخ من يدافع عن إبليس وعن افتراض نهايته السعيدة بل البعض يعتبره سيد الموحدين ولكن علينا ان لا ننسى إذا كان الله قادر فان قدرته مرتبطة بالحكمة وان هناك كثير من الخلق يريد الله ان يرحمهم لانه رحيم الا ان قابلياتهم دائما ترفض الرحمة وقد امر الله إبليس بالسجود كمظهر من مظاهر الرحمة ورفض لانه غير كامل الاستعداد فيما سجد غيره، فالله قادر الا ان إبليس نفسه غير مستعد، فليس الخلل في الرحمة بل الخلل في القوابل نفسها، ولو تأملت في اصل السؤال لوجدته يفتح علينا ابواب لاسئلة عديدة يمكن ان يسألها كل انسان إذا كان الأمر بالشكل الذي يقول به المتصوفه، ومنها هل الله قادر على ان يدخل الأنبياء النار؟ هل الله قادر على ان يكذب؟ هل الله قادر على ان يجعل للإنسان الف يد وغيرها الكثير وقد قال عز من قال «فلو شاء الله لهدى الناس جميعا» لكنه لم يشأ لانه خلاف الحكمة.

## تأملات أولية في موضوع بواطن القرآن

عن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ «إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَهْرًا وَبَطْنَ، وَبَطْنُهُ بَطْنًا إِلَى سَبْعَةِ أَبْطُنٍ» وفي رواية «إلى سبعين بطنًا» وفي أخرى «سبعين ألف بطن»<sup>(١)</sup>.

عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألت ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كُنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم، «فقال لي يا جابر ان للقرآن بطنًا وللبطن بطن وظهرًا وللظهر ظهرًا، يا جابر وليس شيء أبعد عن عقول الرجال من تفسير القرآن ان الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل ينصرف على وجوه»<sup>(٢)</sup>.

عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع، ما يعني بقوله لها ظهر وبطن؟ قال: «ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يجيء بعد، يجري كما تجري الشمس والقمر لكل ما جاء منه شيء وقع، قال الله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ نحن نعلمه»<sup>(٣)</sup>.

سُئِلَ الإمام الصادق عليه السلام «ما بال القرآن لا يزداد عن النشر والدرس الا غضاضة»؟ قال عليه السلام: «لأن الله لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غرض إلى يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>.

عن عبد الرحيم القصير، عن أبي جعفر عليه السلام انه قال: في قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، «ان القرآن حي لا يموت والآية حية لا تموت فلو كانت الآية إذا نزلت في الاقوام وماتوا ماتت الآية

(١) عن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: «ليس من القرآن آية إلا ولها ظهرٌ وبطنٌ، وما من حرف إلا وله تأويل». وفي رواية أخرى: «وما منه حرف إلا وله حدٌ ومطلع على ظهر القرآن وبطنه وتأويله» وعن الإمام الحسن عليه السلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حدٌ، ولكل حد مطلع». عن الصادق عليه السلام قال: «ان للقرآن ظهر وبطن وللبطن بطن حتى سبعة ابطن».

(٢) تفسير العياشي / ج ١ / ص ٢٣ / ح ٨

(٣) تفسير العياشي / ج ١ / ص ٢٢ / ح ٥

(٤) امالي الطوسي / ٨٥٠، بحار الأنوار / ٣٨ / ٢، ميزان الحكمة: ٣ / ٣٥١٩

لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقي كما جرت في الماضين». وقال عبد الرحيم قال ابو عبد الله عليه السلام «ان القرآن حي لم يموت وانه يجري كما يجري الليل والنهار وكما تجري الشمس والقمر ويجري على اخرا كما يجري على اولنا»<sup>(١)</sup>

وأحاديث آل محمد عليهم السلام اوضحت بما لا يقبل الشك ان على المسلم ان يؤمن بظاهر القرآن وباطنه ولا يترك احدهما ويعتمد كلياً على الآخر.

عن الهيثم بن عمرو التميمي، قال: قال ابو عبد الله عليه السلام «يا هيثم التميمي ان قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء، وجاء قوم من بعدهم فأمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيء، ولا ايمان ظاهر إلا بباطن، ولا باطن إلا بظاهر»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأحاديث كلها يُصدقها قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وموضوع الباطن موضوع مُشكل وليس بهين ويجب الولوج اليه برفق، فالفهم الخاطيء للباطن يستوجب فهم خاطيء للعقيدة ومستقبل الدين، ويمكن القول بشكل اولي ان الباطن هو أظهار معنى خفي للفظ، أو الآية، أو الموضوع، من خلال قرينة قرآنية، أو روائية، أو قرينة عقلية لا يختلف عليها اثنان، ولهُ عدة مستويات وهدفه التبيين، فالباطن هو معرفة الدليل، والذي يحصل على الدليل يحصل على الباطن.

وعملية الانتقال لفهم النص من ظاهره إلى باطنه عملية دقيقة جداً وبحاجة إلى أدوات وفهم خاص، منها ان تكون معرفة الظاهر مُقدمة على معرفة الباطن فلا معرفة للباطن بدون فهم الظاهر، ويجب ان تكون عملية الانتقال بشكل تدريجي وبدون قطع الصلة بين الظاهر والباطن، فلا بد من وجود جنس الملازمة بين الموضوعين، وهذه الانتقالة تحتاج إلى مشعر قلبي خاص، وهذا المشعر إذا لم يكن موجود عند البعض تكون عملية توضيح واظهار الباطن لهم امر

(١) تفسير العياشي/ج٢/ص٢١٨/ح٦

(٢) مختصر البصائر/ باب في نوار مختلفة/ ح ٣/٢٤٦

(٣) لقمان/ ٢٧

(٤) الكهف/ ١٠٩

عن ابي عبد الله عليه السلام في قوله «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدد» قال «قد اخبرتك ان كلام الله ليس له اخر ولا غاية ولا ينقطع ابدا» تفسير البرهان/ البحراني/ ج٥/ ص ١٥/ ح ١

مُحال، لذلك لا يفهم من يتكلم بالباطن إلا شخص مثله يشترك معه في امتلاك هذا المشعر. والباطن ليس الغاء للظاهر بل هو نظرة اعمق للظاهر، وقد فهمت جملة من الفرق الباطنية موضوع الباطن بشكل مغلوط اذ اعتبروا الباطن يلغي الظاهر، والحق ان الباطن يحمل معنى التغيير اكثر من كونه الغاء، فانت عندما تعرف باطن امر من الامور يكون الفهم الناتج ان تفكيرك ونظرتك قد تغيرت وليس معناه انك الغيت اصل الموضوع، ومن هنا حصل لبس عند البعض في فهم الباطن لانه يظن انه الغاء للظاهر.

وبما ان الأحاديث تذكر ان للقرآن عدة بواطن فمن المنطقي ان يبحث الإنسان عن الكيفية او المائز الذي من خلاله يمكن التمييز بين هذه البواطن، لان ايماننا بان لكل آية درجات يستتبع وجود عدة طرق واليات للفهم، مما يجعلنا في البداية نضع أمام انفسنا عدة اسئلة للتأمل منها، «هل الباطن يلغي الظاهر؟»، «هل الباطن مختلف عن الظاهر؟»، «هل الباطن عكس الظاهر؟»، «هل الباطن امتداد للظاهر؟»، «هل الباطن صورة اعمق للظاهر؟»، وهذه كلها ستقودنا لقول أمير المؤمنين عليه السلام عن القرآن «ظاهرة انيق وباطنه عميق»،

ولابد من ذكر بعض الأحاديث المباركة التي اظهرت بعض بواطن الآيات كمدخل مهم للموضوع.

في قوله تعالى ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾. عن أبي عبد الله عليه السلام قال «يوم الحج الاكبر يوم النحر، والحج الاصغر العمرة»<sup>(١)</sup>.

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق وعن الإمام ابي جعفر عليهما السلام «في قول الله ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ قالوا: «خروج القائم عليه السلام وأذان دعوته إلى نفسه»<sup>(٢)</sup>.

عن عبد الله بن سنان قال أتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: جُعِلت فداك ما معنى قول الله عز وجل ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> قال «اخذ الشارب وقص الاظفار وما اشبه ذلك» قال: قلت: جُعِلت فداك فان ذريحاً المحاربي حدثني عنك بحديث انك قلت ﴿لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ لقاء الامام، ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ تلك المناسك؟ قال عليه السلام «صدق ذريح وصدقت، ان القرآن له ظاهر

(١) تفسير العياشي/ ج ٢/ ص ٨٢/ ح ١٦

(٢) تفسير العياشي/ ج ٢/ ص ٨٢/ ح ١٥

(٣) الحج/ ٢٩

وباطن ومن يحتمل ما يحتمل ذريح<sup>(١)</sup>.

عن فضيل بن يسار قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(٢)</sup>، قال «من حرق او غرق»، قلت: فمن اخرجها من ضلال إلى هدى؟ قال «ذلك تأويلها الاعظم»<sup>(٣)</sup>.

والأحاديث اعلاه تُعطينا باطن للنص، ولكن هل يستطيع احد ان يحدد ان هذا الباطن هو الأول ام الثاني ام الثالث..... ام السابع؟ ومن هنا يترتب سؤال اخر، هل يوجد في الارث الروائي آية ظهرت بواطنها السبعة؟

حسب تصوري يمكن فهم موضوع البواطن من خلال النقاط التالية:

١ - ان النص دالة متعلقة بالزمن نفسه، وله صفة دورية في اظهار معانيه، ففي كل زمان له وجه ومعنى وباطن، وهذا ما اكدته الروايات التي ذكرناها، قوله عليه السلام «يجري كما تجري الشمس والقمر لكل ما جاء منه شيء وقع»، وقوله عليه السلام «فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة»، وقد ورد «ان القرآن يفسره الزمن».

٢ - يمكن ان يكون باطن النص دالة متعلقة بذات المتلقي نفسه والحال الذي يجري عليه في كل مكان وزمان «اي متعلق بالحركة العرضية للإنسان»، بمعنى ان الإنسان إذا صفت نفسه وارتقى روحياً يمكن ان يفهم من النص ما لا يفهمه غيره المشتركون معه في نفس الزمان والمكان، وبهذا يكون الباطن هنا موضوع ذاتي صرف خاص بحال هذا الشخص المترقي وليس على الناس ان يؤمنوا به او ياخذوا به لانه حال خاص وليس عام، فيمكن للإنسان المترقي ان يرى احوال البرزخ والحشر والاخرة ويفهم منها بواطن خاصة بالقرآن تتعلق بسلوكه ورحلته الشخصية.

٣ - يمكن ان يكون باطن النص متعلق بالحركة الكلية للموجودات «اي بالحركة الطولية للموجودات»، فإذا كانت الحركة العرضية حركة ذاتية للإنسان تنكشف فيها له البواطن لوحده، فان هناك حركة كلية عامة للنظام طولية تشترك بها كل الخلائق، وكلما وصل النظام في حركته إلى نقطة معينة ظهر فيها باطن معين يُبين ويشرح حال هذه النقطة وهذا الفهم سيشارك به الكل بدون استثناء لانه سيكون تكليفهم في تلك النقطة من النظام، فالإنسان المترقي بحركته العرضية

(١) من لا يحضره الفقيه/ ج ٢/ ص ٢٩٠/ ح ١٤٣٧

(٢) المائدة/ ٣٢

(٣) الكافي/ ج ٢/ ص ١٦٨/ ح ٢ كذلك تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٢/ ص ٤٣٨/ ح ٤

يرى مثلاً أحداث الظهور أو أهوال القيامة وهي حالة ذاتية خاصة لا تستوجب أي تكليف، أما إذا وصلت المخلوقات بحركة النظام الطولية القهرية إلى يوم الظهور أو يوم القيامة فالبواطن التي ستظهر ستكون هي عين تكليفهم والكل مشمولين بها، فالحركة العرضية حركة وجدان يستتبعها فهم خاص، وحركة الطول حركة وجود يستتبعها فهم عام، والأول متعلق بالرحلة الاختيارية للإنسان، والثاني متعلق بالرحلة القهرية للنظام، واقصد بالحركة القهرية للنظام هو وصول الإنسان إلى عوالم أخرى نتيجة حركة النظام نفسه، فمثلاً أنا في الدنيا اعرف ظاهر النص وربما شيء عن باطنه الأول كما هو موجود في الروايات، فانا في الدنيا اعرف البرزخ وجداناً، ولكنني عندما اموت سيكون الموت هو حركة قهرية للنظام سأرى فيه قهراً باطناً جديداً، وسأرى البرزخ وجوداً فاعرف الباطن الثاني أو الثالث وهكذا كلما تحل في عالم يظهر لك باطن أي فهم جديد متعلق بطبيعة العالم الذي تحل فيه، ومنطقياً وحكماً على الإنسان الذي يعرف الباطن الثالث أو الرابع ان لا يعمل به في الدنيا ولا يامر الآخرين بالعمل به، لان لكل باطن عالم خاص لا يظهر الا بظهور ذلك العالم، ففي الدنيا تدرك البواطن وجداناً أما في رحلتك الكونية فستدركها وجوداً.

٤ - يمكن ان يكون باطن النص متعلق بطبيعة موقع الشخص من نفس الحدث أو الفكرة مقارنة بما عاشه أشخاص آخرون لنفس الحدث، مثال ذلك ان هناك معركة حدثت في مكان معين في زمان معين، فيمكن لهذه القصة ان تروى لك بعدة صيغ وعدة تصورات حسب طبيعة الشخص الناقل لها وعلاقته بها كالتالي:

أولاً: شخص يروى لنا المعركة وهو مُشارك فيها كجندي اعتيادي يعرف من المعركة بمقدار موقعه هو فقط.

ثانياً: شخص يروي لنا المعركة وهو مُشارك فيها كقائد يعرف حيثيات واسباب المعركة والكثير من تفاصيلها المخفية.

ثالثاً: شخص يروي لنا المعركة بعد ان رآها وهو جالس على جبل ولم يشارك فيها.

رابعاً: شخص يروي لنا المعركة بعد ان سمعها من شخص شارك في المعركة.

خامساً: شخص يروي لنا المعركة بعد ان قرأها في كتب التاريخ.

سادساً: شخص يروي لنا الكثير من اسباب المعركة قبل وقوعها ولكننا بعد ان سمعنا نتائج المعركة عرفنا اهمية كلامه.

سابعاً: شخص يروي لنا الكثير من نتائج وتداعيات المعركة بعد وقوعها وبالجمع بينها وبين اسباب المعركة نفهم الكثير من حشيات المعركة.

وهكذا يمكن ان تكون لهذه المعركة عدة روايات تختلف من جهة الاجمال والتفصيل والسرد والعمق حسب طبيعة الاشخاص المشاركين او الراوين، فإذا انكشف الباطن الثاني او الثالث لعدة اشخاص فلا تتصور انهم كلهم سينقلون اليك نفس المعنى وان كان الحدث واحداً، لذلك ترى الكثير ممن تحدث لهم مكاشفات عن عالم البرزخ يختلفون في ذكر تفاصيله، فلكل شخص قصته الخاصة وحسب ما يفهم وربما يختلف عن غيره في فهم الكثير من التفاصيل، لان عالم البرزخ مثل قصة المعركة كل شخص سرويها حسب موقعه، وعالم البرزخ واسع وله جهات عديدة وكل يروي من جهته.

٥ - عن الإمام ابي عبد الله (عليه السلام) انه قال «لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة، بمشيئة، واردة، وقدر، وقضاء، وأذن، وكتاب، وأجل، فمن زعم على انه يقدر على نقض واحدة فقد كفر»<sup>(١)</sup>

هذا الحديث المبارك يبين لنا خط سير نزول الأمر الالهي من المشيئة إلى الاجل في سبعة مراحل، ومنه يمكن ان نستشف ان كل مرحلة تمثل باطن من بواطن القرآن الكريم حسب تعلقها بسير الأمر حسب هذه المراتب السبعة، من «المشيئة إلى الارادة إلى القدر إلى القضاء إلى الامضاء إلى الاجل إلى الكتاب»، فكل مرحلة من مراحل الأمر هو باطن من بواطن القرآن، فإذا عرفت معنى الأمر في مرحلة الكتاب تكون قد عرفت الباطن الأول. وإذا عرفت معنى الأمر في مرحلة الاجل تكون قد عرفت الباطن الثاني. وإذا عرفت معنى الأمر في مرحلة الامضاء تكون قد عرفت الباطن الثالث «وهو ما يجري في ليلة القدر».

وإذا عرفت معنى الأمر في مرحلة القضاء تكون عرفت الباطن الرابع  
وإذا عرفت معنى الأمر في مرحلة القدر تكون عرفت الباطن الخامس  
وإذا عرفت معنى الأمر في مرحلة الارادة تكون عرفت الباطن السادس  
وإذا عرفت معنى الأمر في مرحلة المشيئة تكون عرفت الباطن السابع

٦ - هناك تسلسل شائع عن الحكماء والفلاسفة يتعلق بتسلسل المقامات الوجودية السبعة للاشياء وهي تنازلياً كالتالي مقام «العقل، الروح، النفس، الطبيعة، المادة، المثال، الجسم»،

والإنسان سائر في هذه المقامات السبعة الكلية وحسب استعداده.

فمن كان في مقام الجسم فيفهم من النص باطنه الأول «المعنى الجسمي»

ومن كان في مقام المثال فيفهم من النص باطنه الثاني «المعنى المثالي»

ومن كان في مقام المادة فيفهم من النص باطنه الثالث «المعنى المادي»

ومن كان في مقام الطبيعة فيفهم من النص باطنه الرابع «المعنى الطبيعي»

ومن كان في مقام النفس فيفهم من النص باطنه الخامس «المعنى النفسي»

ومن كان في مقام الروح فيفهم من النص باطنه السادس «المعنى الروحي»

ومن كان في مقام العقل فيفهم من النص باطنه السابع «المعنى العقلي»

وبالتالي فان كل من عرف الباطن السابع فهو كائن عقلي، ومن عرف الباطن السادس هو

كائن روحي، ومن عرف الباطن الخامس هو كائن نفسي وهكذا

٧ - بما ان السماوات سبعة فيمكن القول ان اهل كل سماء يعيشون باطن من بواطن القرآن

ويتنعمون به ويفهمونه وهو تكليفهم ﷻ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ

الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ ﴿١﴾

فاهل السماء الأولى تكليفهم متعلق بفهمهم للباطن الأول

واهل السماء الثانية تكليفهم متعلق بفهمهم للباطن الثاني

واهل السماء الثالثة تكليفهم متعلق بفهمهم للباطن الثالث

واهل السماء الرابعة تكليفهم متعلق بفهمهم للباطن الرابع

واهل السماء الخامسة تكليفهم متعلق بفهمهم للباطن الخامس

واهل السماء السادسة تكليفهم متعلق بفهمهم للباطن السادس

واهل السماء السابعة تكليفهم متعلق بفهمهم للباطن السابع

وعلما يبدو ان اهل كل سماء لا يعرفون إلا مستوى باطنهم المتعلق به تكليفهم ونعيمهم

ويدركون باطنهم وجوداً وما فوقهم وجداناً، ومن هنا ورد في الأحاديث عن اهل جابلسا وجابلقا

انهم لا يدرون خُلِقَ آدم ام لا، وهذه قاعدة عامة يجب ان نعمل عليها في الدنيا ايضاً بأن نسعى

لادراك والتعلم ممن هم فوقنا، ونستغفر ونرحم من هم دوننا وقد قال الصادق عليه السلام «ان شيعتنا



مراتب مرقاة بعده مرقاة فلا تُسْقَط من هو دونك فيُسْقَطُك الذي هو فوقك»، وعملية انكشاف الباطن بشكل مُفاجئ تؤدي إلى رُعب واططراب وربما إلى كفر، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) عن اهل جابلسا وجابلقا «يتلون كتاب الله عزّ وجلّ كما علمناهم وان فيما نعلمهم ما لو تلي على الناس لكفروا به ولا نكروه»، لذلك وجب التسلسل في الوصول، والطفرة في الوجود باطلة.

٨ - يمكن ان يكون باطن القرآن مُتعلق بطبيعة ظهورات اثار الفعل في المراتب الوجودية، فامر الله واحد ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، ولكن هذا الأمر ياخذ صور متعددة حسب طبيعة العالم الذي يظهر فيه، فمثلا إذا نظرت إلى شخص يكتب شيء بالقلم على ورقة في كتاب فيمكن ان تفهم من مُجمل هذا الفعل الامور التالية:

اولاً: مرة تنظر إلى الكتاب كون فيه استقر الفعل وهو وقت ظهور الأمر في الواقع.

ثانياً: ومرة تنظر للكلمات على ورقة الكتاب لتفهم معنى ما كتبه الكاتب وهو وقت الأمر نفسه.

ثالثاً: ومرة تنظر للكلمات لترى براعة خط الكاتب وهو وقت ظهور الأمر مشروح الاسباب مفصل العلل.

رابعاً: ومرة تنظر لرشاقة وجمال حركة القلم على الورقة وهو اثر فعل الكاتب.

خامساً: ومرة تنظر لحركة يد الكاتب وظهور الحرف وهو مقام تقدير الحرف.

سادساً: ومرة تنظر لشخص الكاتب كونه الفاعل ومظهر الارادة واول التفصيل.

سابعاً: ومرة تنظر لذات الكاتب كونه الفاعل ومصدر المشيئة ومقام الاجمال.

الفاعل	ذات الكاتب	مداد	مشيئة	الباطن ٧
الفعل	شخص الكاتب	قلم	ارادة	الباطن ٦
القدرة	يد الكاتب	حروف	قدر	الباطن ٥
المنفعل	اثر فعل الكاتب	لوح	قضاء	الباطن ٤
جهوزية	ظهور الامر	كلمة	امضاء	الباطن ٣
استحقاق	وقت الامر	آية	اجل	الباطن ٢
تحقق	تنفيذ الامر	كتاب	كتاب	الباطن ١

وبالجمع بين كل هذه المفاهيم يمكن ان نرسم المخطط التالي

الباطن ٧	السماء ٧	مشيئة	عقل	مداد	ذات الكاتب	الفاعل
الباطن ٦	السماء ٦	ارادة	روح	قلم	شخص الكاتب	الفعل
الباطن ٥	السماء ٥	قدر	نفس	حروف	يد الكاتب	القدرة
الباطن ٤	السماء ٤	قضاء	طبيعة	لوح	اثر فعل الكاتب	المنفعل
الباطن ٣	السماء ٣	امضاء	مادة	كلمة	ظهور الامر	جهوزية
الباطن ٢	السماء ٢	اجل	مثال	آية	وقت الامر	استحقاق
الباطن ١	السماء ١	كتاب	جسم	كتاب	تنفيذ الامر	تحقق

ومن هنا نستطيع ان نفهم لماذا تختلف احوال الناس وايمانهم وعباداتهم وتوحيدهم ومعرفتهم لانهم مراتب.

فمن كان يعيش او يستشعر الباطن السابع فمقامه مقام العقل، فتوحيده عقلي، وعبادته عقلية، وايمانه عقلي، وهم يفهمون مقام الاجمال وجهة المشيئة، وهم رواق مدينة العلم، والشرفاء الذين سجدوا لآدم ﷺ والمعنيين بعبارة الزيارة الجامعة «طأطأ كل شريف لشرفكم»، وهم أصحاب أمير المؤمنين ﷺ حقا، وقد قالوا ﷺ «سلمان منا أهل البيت» واين الكلام من هذا المقام.

ومن كان يعيش او يستشعر الباطن السادس فمقامه مقام الروح، فتوحيدة روحي، وعبادته روحية، وايمانه روحي، وهم يفهمون اول مقام التفصيل، وجهة الارادة، ومقام الفعل، وهم الواقفون على باب مدينة العلم واللائذون بجنابه آفخم ومقامه المُعظَّم، وهم المرابطون في الثغر الذي يلي إبليس<sup>(١)</sup>، وهم الذين سيصمدون حينما يقرأ القائم ﷺ ذلك الكتاب المختم بخاتم السيد الاكبر.

ومن كان يعيش او يستشعر الباطن الخامس فمقامه مقام النفس، ومعرفة الرب «من عرف نفسه عرف ربه»، فكان توحيده نفسي، وعبادته نفسية، وايمانه نفسي، وهو متوجه إلى جهة القدرة ومقام «كلتا يديه يمين»، وهم المرابطون والماسكين بازمة قلوب الشيعة كما يمسك الربان بسكّان السفينة<sup>(٢)</sup>.

(١) الإمام الصادق ﷺ «علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته يمنعونهم من الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن ان يسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب...» تفسير الإمام الحسن العسكري ﷺ كذلك الاحتجاج للطبرسي ٨/١،

(٢) عن الإمام علي بن محمد الهادي ﷺ «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم ﷺ من العلماء الداعين اليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي احد الا ارتد عن

ومن كان يعيش او يستشعر الباطن الرابع فمقامه مقام الطبيعة، وهو الذي اعتدل مزاجه، وصفت طبائعه، فكان مثل اللوح يظهر فيه اثر فعل الكاتب، فكان في مقام المنفعل وهو مقام «اطعني تكن مثلي» فكانت عبادته وتوحيده وايمانه انعكاس لنور الكاتب، وهم القرى الظاهرة التي هي انعكاس لانوار القرى التي باركنا فيها<sup>(١)</sup>.

اما من كان يعيش او يستشعر الباطن الثالث فهو الذي عرف مفصوله من موصوله لانه الواقف في عالم الذر وارض المحشر، وعرف سر كلمة «بلى» عندما جائهم الأمر ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ وهم الواصلين إلى ذلك العالم الذي يرون الرب فيه مُعَايَنَةً، وهم الذين بهم تمطرون وبهم ترزقون<sup>(٢)</sup>.

اما من كان يعيش او يستشعر الباطن الثاني فهم العلماء الفقهاء ممن روى الاخبار وجاس خلال الديار، وهم السياحون في الأرض الحرام الذين لا يقر لهم قرار، وهم عموم الراجعين ممن محض الإيمان محضا والذي يسميهم الحديث الشيعة الكاملين<sup>(٣)</sup>.

دين الله ولكنهم الذين يمسون ازمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسون صاحب السفينة سكانها اولئك آفضلون عند الله» تفسير الإمام الحسن العسكري كذلك الاحتجاج للطبرسي كذلك بحار الأنوار ج ٢ ص ٦

(١) قوله تعالى ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واباما امنين﴾

النور/ ٣٥، عن الإمام الحجة (عليه السلام) قال: «فنحن والله القرى التي بارك الله فيها وانتم القرى الظاهرة» تفسير البرهان/ ج ٦/ ص ٥٣٣٢ ح ٥

(٢) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال «خلقت الأرض لسبعة بهم يرزقون وبهم ينصرون وبهم يمطرون عبد الله بن مسعود، وابو ذر، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الاسود، وحذيفة، وانا امامهم السابع، قال تعالى «واما بنعمة ربك فحدث» هؤلاء الذين صلوا على فاطمة الزهراء» تفسير فوات ٥٧٠: ح ٧٣٢ كذلك بحار الأنوار ٢٢: ٣٤٥ ح ٥٧

يقول الحاج الميرزا حسين النوري الطبرسي «قال الصدوق: خلقت الأرض لسبعة نفر ليس يعني من ابتدائها إلى انتهائها وانما يعني بذلك ان الفائدة في الأرض قدرت في ذلك الوقت لمن شهد الصلاة على فاطمة عليها السلام وهذا خلق تقدير لا خلق تكوين» نفس الرحمان في فضائل سلمان/الباب العاشر/ ص ٣٩٧

(٣) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال «ولو لم يكن في الأرض مؤمنين كاملين إذا لرفعنا الله اليه» الاصول الستة عشر ١٢٧ ح ٢٠ كذلك بحار الأنوار: ٦٤ : ٣٥٠ ح ٥٤ عن ابي عبد الله (عليه السلام) من حديث طويل «ولو لم يكن في الأرض مؤمنين كاملين إذا لرفعنا الله اليه وانكروتموا الأرض وانكروتموا السماء بل والذي نفسي بيده ان في الأرض في اطرافها مؤمنين ما قدر الدنيا كلها عندهم يعدل جناح بعوضة» الكتاب المبين/ محمد خان الكرمانى/ ج ٣/ باب ١٢٥٢/ ح ٢/ ص ١٩٠

اما من كان يعيش او يستشعر الباطن الأول فهم عموم اهل المكاشفات واول غبار الطريق.  
 بقي هنا شيء اذ ربما يسأل البعض ويقول ان الأحاديث تذكر ان للقرآن «سبعين او سبعمائة  
 او سبعة آلاف بطن» فيما تقتصر هنا على شرح وبيان بواطن سبعة فقط؟  
 الذي يجول في خاطري القاصر تصورين لهذا السؤال:

**التصور الأول:** ان حركة البواطن من الأول إلى السابع حركة طولية، اما حركة البواطن من  
 «سبعين إلى سبعمائة إلى سبعة آلاف» فهي حركة عرضية، بمعنى ان الباطن الأول فيه عشرة  
 اوجه عرضيه وهكذا إلى السابع فيكون المجموع سبعين بطناً، او ان الباطن الأول فيه مئة وجه  
 عرضي وهكذا إلى السابع فيكون المجموع سبعمائة وكذلك الحال بالنسبة إلى سبعة آلاف.

**التصور الثاني:** وهو التصور المرتبط بتعدد العوالم والاكوان التي خلقها الله التي لا يعلم  
 عدده الا هو، فيكون لكل عالم او كون سبعة بواطن فتصل البواطن إلى سبعة آلاف باطن او إلى  
 ما هو اكثر على موجب كثرة العوالم.

## لتركبن سنن الذي من قبلكم

الحديث الشائع عن رسول الله ﷺ عند الفريقين الذي ورد بعدة طرق وعدة صياغات والذي يؤكد سريان السنن في هذه الامة كما جرى في بني إسرائيل.

عن رسول الله ﷺ «يكون في هذه الأمة كما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة»، وقوله ﷺ «كل ما كان في الأمم السابقة يكون مثله في هذه الأمة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة»، وقوله ﷺ «لتركبن سنن الذين من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة. قيل يا رسول الله ﷺ من. قال: وهل غير بني إسرائيل هؤلاء».

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لا تُخطئوا طريقهم ولا تُخطئكم سنن بني إسرائيل»<sup>(١)</sup>.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿ لتركبن طبقاً عن طبق ﴾ قال: يقول: حالاً بعد حال. قال ﷺ «لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ولا تخطئون طريقهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع حتى أن كان من قبلكم دخل جحر ضب لدخلموه». قال: قالوا: اليهود والنصارى تعني يا رسول الله ﷺ؟ قال: «ومن أعني - لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فيكون أول ما تنقضون من دينكم الإمامة وآخره الصلاة»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الأعلى ابن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام «حديث يرويه الناس أن رسول الله ﷺ قال: «حَدَّثَ عن بني إسرائيل ولا حرج». قال: «نعم». قلت: فنحدث عن بني إسرائيل ولا حرج علينا؟ قال: «أما سمعت ما قال، كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع». قلت: كيف هذا؟ قال: «ما كان من الكتاب أنه كان في بني إسرائيل مُحدث أنه كائن في هذه الأمة ولا حرج»<sup>(٣)</sup>.

عن الإمام الصادق عليه السلام من حديث طويل «... فقد عرفت ان السنن والامثال كائنة قائمة» لم يكن شيء فيما مضى الا سيكون مثله حتى لو كانت «هناك» شاة برشاء كان هنا مثله...»<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير البرهان/ البحراني / ج ٢ / ص ٤٢٢ / ج ٣.

(٢) تفسير القمي/ ج ٢ / ص ٤٠٧، كذلك تفسير البرهان/ للبحراني/ ج ٨ / ص ٢٤٥ / ج ٢.

(٣) قصص الأنبياء/ نعمة الله الجزائري.

(٤) مختصر البصائر

بل حديث رسول الله ﷺ يشير إلى ان القرآن والتوراة كتبت بقلم واحد.

عن رسول الله ﷺ «التركن امتي سنة بني إسرائيل حذو النعل بالنعل وحذو القذة بالقذة، شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع، حتى لو دخلوا جُحر لدخلوا فيه معه، ان التوراة والقرآن كتبه ملك واحد في رق واحد بقلم واحد، وجرت الامثال والسنن سواء»<sup>(١)</sup>.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ومصداقها القرآني واضح هو قوله تعالى ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

هذا الموضوع في الحقيقة بحاجة إلى بحث مُفرد، بل بحاجة إلى عمل جماعي وبحث مؤسساتي لمتابعة تشعباته، لانه يفتح على قراءة تاريخ كل الديانات الرئيسية الثلاثة «اليهودية والمسيحية والإسلامية»، بل يوفر لنا دعائم اساسية لفهم مستقبل كل هذه الديانات والغاية المرتبطة بمشروع خلافة الله على الأرض، فهو باب من العلم يُفتح منه الف باب، فطبيعته كطبيعة القرآن دوّار يجري كما يجري الشمس والقمر، اذ من خلاله يمكن قراءة تاريخ الإسلام بدلالة تاريخ بني إسرائيل، ويُمكن الإنسان المتأمل ليس من معرفة تاريخ هذه الامة فقط بل يفتح له افق لمعرفة مستقبلها ايضا، وهذا الباب لو تم التأصيل له بشكل معرفي صحيح لتمكّننا من قراءة الماضي بدلالة الماضي، ومن قراءة الحاضر بدلالة الماضي، وقراءة المستقبل بدلالة الماضي ايضا، وقد قال رسول الله ﷺ عن القرآن «فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم»، فالطبيعة الدورية للاحداث عبر تاريخ الديانات التي تطرحها هذه الروايات تجعلنا نتوقع ما سيحدث نتيجة الإيمان بامكانية تكرار الحوادث، وبما ان الموضوع كبير جداً ولا يمكن ان يحيط به بحث واحد فاني هنا ساقصر على ايراد بعض الملاحظات والاستنتاجات الأولية التي ربما تكون نواة لبحث مُفصل.

والمفارقة الغريبة في هذا الحديث ان كلا الفريقين الشيعة والسنة يرفضون جُملة من الاخبار بحجة انها اسرائيليات، والحديث يقول «حدّث عن بني إسرائيل ولا حرج»، وان كانت العبارة مُقيدة بما تليها بحدوث ما ورد في القرآن بدلالة عبارة الإمام الصادق عليه السلام في الحديث «ما كان من الكتاب أنه كان في بني إسرائيل مُحدّث أنه كائن في هذه الامة ولا حرج».

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي/ ١٦٣ ص ١٦٣

(٢) الانشاق/ ١٩.

(٣) الاحزاب/ ٤٢.

ويجب اولاً معرفة دلالة عبارة «بني إسرائيل» في الحديث لاني اعتقد انها مقصودة وفيها معنى يجب مراعاته، فقد قال «حدث عن بني إسرائيل» ولم يقل «حدث عن اليهود»، لان عبارة «بني إسرائيل» تشمل الامتداد التاريخي من ايام نبي الله يعقوب عليه السلام إلى يوم رفع المسيح عليه السلام، اما لو قال «حدث عن اليهود» لكانت امتداد تاريخي من موسى عليه السلام إلى المسيح عليه السلام، لانهم سموا باليهود بعد موسى عليه السلام، فبني إسرائيل عُلقة نسبية، اما اليهود فرابطة دينية، اي بني إسرائيل أصحاب البطن الواحد، واليهود أصحاب الدين الواحد، فبني إسرائيل الامتداد النسبي ليعقوب واولاده، واليهود الامتداد التاريخي للديانة الموسوية، وحسب هذا المعنى فكل بني إسرائيل يهود، وليس كل اليهود بني إسرائيل.

والراجع من هذا التصور ان ما جرى على بني إسرائيل كامتداد نسبي هو المقصود بالحديث بشكل خاص، اما ما جرى على اليهود فهو مشمول بالحديث بقدر تعلق الحوادث ببني إسرائيل، بل يوجد في الحديث تحديد واضح «ما كان من الكتاب أنه كان في بني إسرائيل مُحَدَّث أنه كائن في هذه الأمة ولا حرج»، فكل ما قصّه علينا القرآن عن بني إسرائيل واقع لا محالة في هذه الامة على النحو الخاص، وربما من باب انطباق السنن يجري علينا ما وقع على اليهود كما قلت بقدر تعلق الحوادث ببني إسرائيل.

والاستنتاج الأولي من اجواء هذه الأحاديث يُعطينا جواب عن سؤال لطالما تكرر في اذهان الناس وهم يقرؤون القرآن وهو لماذا يذكر القرآن الكريم احوال بني إسرائيل بهذه الكثرة وهذا التفصيل، والجواب تجده في صُلب هذه الأحاديث وهو ان القرآن كتاب له اساليبه في ايصال المعلومات ومنها التاريخية والمستقبلية بشكل غير مباشر، فالله عزّ وجلّ يعرف ان هذه الامة ستدهور اوضاعها ويضيع تاريخها وتكثر ظلمتها، فكان هذا اسلوب قرآني لا يصال المعلومة وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنا يا ايها المسلمون إذا ضاع عليكم شيء من تاريخكم وارتدت معرفة حقيقة ما جرى وحقيقة ما سيجري في هذه الامة فتابعوا احوال بني إسرائيل الموجودة في القرآن وهي من الكثرة بمكان، فالقرآن بهذا الشكل قد قصّ علينا ماضيها وحاضرنا ومستقبلنا بطريقة «آياك اعني واسمعي يا جارة»، ولو دقت في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستلاحظ انها تشير إلى انطباق احوال واحداث بني إسرائيل ليس على مستوى العموميات او الرئيسية فقط بل تشير إلى انطباق على ادق المسائل وادق الفرعيات وحتى الامور الثانوية منها كما تؤكد عبارات الأحاديث «حذو النعل بالنعل» «حذو القذة بالقذة» «ذراع بذراع» «باع بباع» «حدث عن بني إسرائيل ولا حرج».

وربما السؤال الأول والمهم الذي يجول في ذهن اي باحث عندما يتأمل في هذا الموضوع هو، هل ان هذه الأحاديث تشير إلى انطباق السُنن التي جرت على بني إسرائيل ستنتطبق على هذه الامة بشكل حرفي لقوله «حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة» ام ستنتطبق بمستوى ادنى من الحرفية؟ الحقيقة ان القول بانطباق هذه السُنن بشكل حرفي مشكلة بحد ذاتها اذ لا يمكن لاي شخص ان يدعي بانه يستطيع ايجاد انطباقات كاملة في تاريخ هذه الامة مع كل ما جرى في بني إسرائيل، فهذه معرفة لا يمتلكها الا المعصوم (عليه السلام)، والتصور الاسلام بالنسبة لي هو القول بان السُنن جارية على كل الامم بمعناها العام ولكن التفاصيل قد تختلف هنا وهناك ولكن المعنى العام واحد، مثلا تحريف الكتب المقدسة جرى في كل الامم ولكن الكيفية تختلف من دين لآخر فتكون السنة جارية والاليات تختلف، فالتحريف واقع في هذه الامة كسنة وليس شرط ان يقع بكل تفاصيله لان التفاصيل هنا تحصيل حاصل.

والحقيقة ان هذا الكلام ربما لا يوافق عليه البعض لان صريح الأحاديث تُشير إلى انطباق حرفي «حذو النعل بالنعل - والقذة بالقذة - ذراع بذراع - وباع بباع وشبر بشبر»

اما السؤال الثاني فهو، هل ان ما جرى في بني إسرائيل فقط يجري على هذه الامة ام ان ما جرى في الديانات السابقة مثل قوم نوح (عليه السلام) وعاد وثمرود ايضا وخصوصاً ان الحديث يقول «سُنن الذين من قبلكم»؟ الحقيقة لو تأملت في الأحاديث مورد الكلام اعلاه لوجدت انه يخص بني إسرائيل بالذات، فيمكن ان يكون انطباق ما جرى في الامم السابقة بالمعنى العام على هذه الامة، واما ما يجري في بني إسرائيل فينتطبق بالمعنى الخاص والمخصوص في هذه الامة.

وهذه كلها تجعلنا نقرأ التاريخ بشكل دوري تصاعدي، وبما ان آل محمد (عليهم السلام) قالوا «ان في كلامنا مُحكم كُمُحكم القرآن ومتشابه كمتشابهه فردوا متشابهه إلى مُحكمه» وقالوا «ان في القرآن ظاهر وباطن وعام وخاص ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ ومطلق ومقيد» وقالوا «ان للقران ظهر وبطن وللبطن بطن حتى سبعة ابطن»، فلو جمعت كل هذه الدول في بوتقة واحدة ستخرج بتصوير واضح ان عملية التطابق بحاجة إلى جهد معرفي مستقل تدخل فيه كل هذه الدول، وهو يعود بنا لاصل التساؤل ان مسألة التطابق الدقيق بين الامتين حاصل ولكن بعضه ظهر في الماضي وبعضه لا يظهر الا في المستقبل وبعضه بحاجة لدقة نظر وبعضه مخفي لاسباب تتعلق بموضوع الغيبة حصراً.

فالقرآن صحيح، والأحاديث صحيحة، والانطباق يجب ان يكون حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، ولكن حجم التشويه والتزوير والاكاذيب كبير خصوصاً في تاريخ بني إسرائيل، مما



يجعل الكل لا يستطيعون ايجاد انطباقات إلا بالنزر اليسير، وبالتالي فان تقارير وأحاديث السادة المعصومين (عليهم السلام) هي الكاشف الرئيسي لهذه الانطباقات، اما ما لا نجد له انطباق حاليا بما هو متيسر في ايدينا من ماد تاريخية وروائية فتتوقف فيه لحين ظهور امامنا الغائب (عليه السلام) فهو العارف بخفايا الامور وعند ظهوره ستجد حتما ان ما جرى على بني إسرائيل هو نفسه ما جرى على هذه الامة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة بل كما يقول الحديث ذراع بذراع وباع بباع.

### السُّنَّة - النعل - القذة - الباع - الشبر

متابعة معاني هذه الألفاظ ومعرفة مدلولاتها ربما يوفر لنا فهم عام لمعنى هذه الأحاديث، السُّنَّة: القول الشائع في معنى هذه اللفظة انها تعني القانون، والقانون هو امر الله وحكمه على الموجودات، ولو كانت لفظه «سُنَّة» في الحديث تعني القانون لكان معناها الاجبار ويقع الاضطرار في التكليف، والعدل الالهي هو سريان امره بدون الجاء واضطرار، والحقيقة ان السُّنَّة بمعنى القانون صحيح كما تقول سُنَّة الموت، او سُنَّة المزايلة، بمعنى قانون الموت وقانون المزايلة، ولكن معنى السُّنَّة هنا في الأحاديث تعني الطريقة او النهج، فمعنى قوله «لتركبن سُنَّة من كان قبلكم» اي لتسيرن على نفس طريقتهم ونهجهم بدون الجاء وجبر.

ويمكن القول بشكل ابتدائي ان هناك سُنَّة حاكمة وسُنَّة محكومة فالحاكمة بمعنى القانون، والمحكومة بمعنى الطريقة والنهج وهذه بحاجة لتأمل خاص.

النعل بالنعل: عندما تسير خلف شخص بحيث يكون وقع قدمك على نفس اثر قدم ذلك الشخص تكون قد تبعته حذو النعل بالنعل، فالعبارة تشير إلى انطباق نفس الحوادث خطوة بخطوة كتسلسل تاريخي، والعبارة بهذا الشكل تشير إلى تسلسل.

القذة بالقذة: القذة عن اهل اللغة هي «ريشة الطائر التي توضع في نهاية السهم»، ووضع الريشة في نهاية السهم لغرض التوازن والسير المستقيم عند الانطلاق، وهي إذا كانت بهذا المعنى فهي تشير إلى التفاصيل والاستعدادات والاليات والوسائل التي تسبق وتهيئ للحدث، والقذة ايضا في اللغة اذن الإنسان، وربما هذا المعنى يشير إلى ان كل ما قيل وُسْمِع في بني إسرائيل سيقال ويُسمع في هذه الامة، كما ورد في الحديث ان رسول الله ﷺ «لما خرج إلى حُنين مر بشجرة للمشركين يُقال لها ذات انواط يُعلقون عليها اسلحتهم فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال النبي ﷺ سبحان الله كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة والذي نفسي بيده لتركبن سُنَّة من كان قبلكم».

شبراً بشبر وذراع بذراع: الشائع ان الذراع جزء من اليد وهو وحدة قياس للطول، والشبر هو المسافة بين نهاية الخنصر إلى نهاية الابهام عندما يفتح الإنسان كفه على اخرها ويستخدم ايضاً كوحدة قياس للطول، فيمكن القول ان عبارة «ولا تخطئون، طريقهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع» تعني وقوع لاحداث بمسافات مكانية متساوية، اي إذا جرى الحدث في بني إسرائيل في مكان ضيق سيجري نفس الحدث في هذه الامة بمكان ضيق لذلك انهى الحديث بعبارة «حتى أن كان من قبلكم دخل جحر ضبّ لدخلموه» لهذا المعنى،

باع بباع: كلمة باع في اللغة تستخدم لوصف خصيصة عند الإنسان «الباع المسافة ما بين الكتفين - طويل الباع طويل الجسم - ضيق الباع عاجز - رحب الباع سمح» فالعبارة كما ارى تشير إلى تكرار نفس الشخوص وادوارهم.

وبصورة عامة كل العبارات في الأحاديث تشير إلى معنى الترتيب والتوالي شيء بعد شيء

السنة	الطريقة والمنهاج	حدث
النعل بالنعل	الاتباع والتسلسل	تسلسل
القذة بالقذة	تفاصيل استعدادات الاليات وسائل تسبق تهيئ	تفاصيل للحدث
شبرا بشبر وذراع بذراع	وقوع لاحداث بمسافات مكانية متساوية	مكان
باع بباع	تكرار نفس الشخوص وادوارهم	شخوص

ولو اجريت نظرة عامة على تاريخ اليهود والمسلمين وتأملت بشكل هادئ لايجاد انطباقات ستجد انها متواجدة بعدة مستويات كالتالي:

### ١- الانطباق العام:

جملة من الحوادث انطبقت بشكل عام وواضح على امة المسلمين كما حدث في بني إسرائيل، مثل اختلاف هذه الامة بعد نبيها، الاختلاف على الوصي بعد رحيل النبي، التلاعب بالنصوص، كتم الاخبار الصحيحة وغيرها.

### ٢- الانطباق الدقيق

بعض الحوادث في بني إسرائيل انطبقت بشكل حرفي وغريب في هذه الامة وخصوصاً

فيما يتعلق بعدد الاوصياء وموضوع الوصي، كما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾<sup>(١)</sup>، عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ «الخلفاء من بعدي اثنا عشر خليفة كعدة بني إسرائيل»<sup>(٢)</sup>، والمعلوم ان خلفاء رسول الله ﷺ هم اثنا عشر اولهم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ واخرهم المهدي ﷺ.

اما موضوع الوصي، فتجد احوال كثيرة جرت على يوشع بن نون ﷺ وصي موسى ﷺ انطبقت بشكل واضح على احوال الإمام علي ﷺ، ومنها موضوع البيعة في «١٨ ذي الحجة»<sup>(٣)</sup>، وموضوع الثلاثة الذين حكموا بعد موت موسى ﷺ وقبل يوشع بن نون ﷺ، والثلاثة الذين حكموا بعد وفاة رسول الله ﷺ قبل أمير المؤمنين ﷺ<sup>(٤)</sup>، وموضوع قتال الصفيراء زوجة موسى ﷺ ليوشع بن نون ﷺ، فهذه كانت تركب زرافة وهذه كانت تركب جمل<sup>(٥)</sup>، ويوم ضرب ووفاة يوشع بن نون ﷺ في نفس يوم ضرب ووفاة الإمام علي ﷺ<sup>(٦)</sup>، وان الإمام علي ﷺ عاش بعد رسول الله ﷺ ثلاثين سنة كما عاش يوشع بن نون ﷺ ثلاثين سنة بعد موسى ﷺ<sup>(٧)</sup>، وان الشمس قد ردت ليوشع بن نون ﷺ وهو يقاتل اعداءه، كما ردت لأمر المؤمنين ﷺ وهو يقاتل اعداءه<sup>(٨)</sup>، وكما

(١) المائدة/ ١٢

(٢) البرهان/ البحراني/ ج ٢/ ص ٤١٧/ ح ٤

(٣) ويوم الثامن عشر من ذي الحجة وهو يوم الغدير نصب فيه رسول الله ﷺ علياً أمير المؤمنين ﷺ اماماً للانام.... وفيه نصب موسى يوشع بن نون ونطق بفضله على رؤوس الاشهاد، وفيه اظهر عيسى وصيه شمعون الصفا..... السرائر لابن ادريس الحلبي ج ١/ ص ٤١٨

(٤) عن الصادق ﷺ «ان يوشع بن نون قام بالأمر بعد موسى ﷺ صابراً من الطواغيت على الأواء والضراء والجهد والبلاء حتى مضى منهم ثلاثة طواغيت فقوي بعدهم امره فخرج عليه رجلا من منافقي قوم موسى بصفراء بنت شعيب امرأة موسى في مائة الف رجل..... فاستتر الأئمة بعد يوشع إلى زمان داود ﷺ اربعمائة سنة وكانوا احد عشر وكان قوم كل واحد منهم يختلفون اليه في وقته وياخذون عنه معالم دينهم حتى انتهى الأمر إلى اخرهم فعاب عنهم.....» البحار/ ج ١٣/ ص ٣٦٦ و ٤٤٥

(٥) عن ابي جعفر ﷺ قال «ان امرأة موسى ﷺ خرجت على يوشع بن نون راكبة زرافة فكان لها اول النهار وله اخر النهار فظفر بها...» البحار/ ج ١٣/ ص ٣٦٩

(٦) عن الإمام علي ﷺ انه قال ان الليلة التي ضربه فيها ابن ملجم «اما والله انها الليلة التي ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة وقبض ليلة احدى وعشرين» مروج الذهب ج ٢ ص ٤١٤ عنهم ﷺ «ليلة احدى وعشرين اي من شهر رمضان وهي الليلة التي اصيب فيها اوصياء الأنبياء وفيها رفع عيسى بن مريم ﷺ وقبض موسى ﷺ» تهذيب الطوسي ج ١ ص ٣٢ البحار ج ١٣/ ص ٣٦٥ عندما توفي أمير المؤمنين ﷺ قام الحسن ﷺ خطيباً فقال «ايها الناس في هذه الليلة رفع عيسى بن مريم وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون» البحار ج ١٣/ ص ٣٧٦

(٧) عن رسول الله ﷺ «... قلت فمن صيبك يا رسول الله؟ قال علي بن ابي طالب، فقلت كم يعيش من بعدك يا رسول الله.

قال: ثلاثين سنة فان يوشع بن نون وصي موسى عاش من بعده ثلاثين سنة» البحار/ ج ١٣/ ص ٣٦٧

(٨) قدم يوشع بن نون إلى اريحا في بني إسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين وبقيت منهم بنية وقد قاربت الشمس الغروب فخشى ان يدرکهم الليل فيعجزوه فدعا الله تعالى ان يحبس عليه الشمس ففعل وحبسها حتى استاصلهم» البحار/ ج ١٣/

ترى ان التطابق واضح ان هارون عليه السلام له ولدان هما شبر وشبير على غرار الحسن والحسين عليه السلام، كما يمكنك ايجاد انطباق قرآني من خلال لفظة فتى اذ سمى الله سبحانه وتعالى يوشع بن نون عليه السلام به ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾<sup>(١)</sup>، وقد اشتهر في الأحاديث عبارة «لا فتى الا علي»، ويمكن للمتابع والمدقق ان يجد انطباقات كثيرة من هذا النوع خصوصا فيما يتعلق بموضوع الوصي.

### ٣ - «الانطباق ما قبل الحدث»

إذا اردنا ان نتابع تاريخ بني إسرائيل يجب ان لا نبدأ من نبي الله موسى عليه السلام، لان تاريخ بني إسرائيل ممتد قبل ظهور موسى عليه السلام بكثير، ومصطلح بني إسرائيل يُطلق على كل ابناء نبي الله يعقوب عليه السلام إلى السيد المسيح عليه السلام وهي فترة زمنية تمتد لاكثر من الفين سنة، فهو يشمل يعقوب عليه السلام واولاده الاثنا عشر، ويوسف عليه السلام وموسى عليه السلام وهارون عليه السلام وداود عليه السلام وسليمان عليه السلام وكل أنبياء وذراري بني إسرائيل لغاية عمران عليه السلام وزكريا عليه السلام ومريم عليه السلام ويحيى عليه السلام وعيسى عليه السلام، وان الفترة التاريخية الممتدة من يعقوب عليه السلام إلى موسى عليه السلام تشغل مساحة زمنية لا تقل عن «٥٠٠» عام، وبالتالي فان لدينا تاريخ لبني إسرائيل مدته «٥٠٠» عام قبل ظهور موسى عليه السلام، وهذه الفترة داخله في مضمون الأحاديث مورد البحث كما اعتقد، فتصبح لدينا حقتان زمنيتان مهمتان في متابعة تاريخ بني إسرائيل، الأولى قبل ظهور موسى عليه السلام، والثانية بعد ظهوره إلى يوم رفع المسيح عليه السلام، وهنا يأتي السؤال، إذا كانت الأحداث المرتبطة بموسى وهارون عليه السلام لها انطباقات على ما حصل في هذه الامة بفترة رسول الله ﷺ والإمام علي عليه السلام وما بعدها، فهل نجد في هذه الامة انطباقات لما حدث في فترة ما قبل موسى عليه السلام مع فترة ما قبل رسول الله ﷺ؟

وهذا بحد ذاته موضوع دقيق ويجب ان يُبحث بشكل مفرد لانه يستوجب منا ان نجد انطباقات تاريخية وعقائدية وشخصية بين احوال أنبياء الله إبراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف عليه السلام وابنائهم وتاريخهم مع شخصيات هاشم وعبد المطلب وابو طالب وعبد الله ﷺ اجداد رسول الله ﷺ اي نبحت عن تاريخ ما قبل ظهور رسول الله ﷺ بخمسائة عام، مروراً ببناء الكعبة من قبل إبراهيم وسدانة هذا البيت من قبل بني هاشم عليه السلام، وقصة ذبح إسماعيل عليه السلام مقارنة بقصة ذبح عبد الله ﷺ واولاد يعقوب الاثنا عشر واولاد عبد المطلب وغيرها التي تستوجب منا دراسة تاريخ وعقيدة وشخصيات إبراهيم عليه السلام واولاده لغاية موسى عليه السلام واولاد هاشم إلى رسول الله ﷺ.

## ٣ - الانطباق التصحيحي:

هناك احداث حدثت في بني إسرائيل تجد لها انطباق في هذه الامة، وهناك احداث حدثت في هذه الامة لا تجد لها مثل في تاريخ بني إسرائيل المعروف، وبما ان اليهود ملّة معروفة في التاريخ باخفاء تاريخها وعقائدها، فهنا نقترح الية ساندة لمعرفة ما أُخفي من تاريخ بني إسرائيل أُطلق عليها الانطباق التصحيحي، وبما ان الأحاديث تشير إلى ان دالة التطابق تسير من احداث في بني إسرائيل وستقع في هذه الامة مثلها اي ان التاريخ يسير من اليمين إلى اليسار إذا جاز التعبير، فاقصد بالانطباق التصحيحي هو الاخذ بسير المعادلة من اليسار إلى اليمين، فيمكن القول ان هناك امكانية لقراءة ما ضاع او ما عُيّب من تاريخ بني إسرائيل من خلال ما وقع وثبت في هذه الامة، فتكون لدينا طريقتان للتطابق.

الأولى: معرفة تاريخ امة الإسلام بدلالة تاريخ بني إسرائيل.

الثانية: معرفة تاريخ بني إسرائيل بدلالة تاريخ المسلمين.

فيمكن استخراج التاريخ الضائع في بني إسرائيل من خلال ما معروف في تاريخ هذه الامة، فيكون حديث «لتركبن سنن الذين من قبلكم» بمعناه العام ذو اتجاهين، ما خُفي في هذه الامة يُعرف بما ظهر من تاريخ بني إسرائيل، وما خُفي من تاريخ بني إسرائيل يُعرف بما ظهر من تاريخ هذه الامة.

واعتقد ان هذه النقطة جديدة في المبحث التاريخي لانها تفتح لنا الباب لاجراء مقاربات تاريخية وعقائدية كثيرة تجعلنا نعيد قراءة تاريخ بني إسرائيل بشكل مختلف عما هو متعارف عليه.

ويمكن ان اضرب بعض الامثلة الأولية على موجب مضمون هذه الطريقة.

## مثال «١»:

تذكر الأحاديث ان الصفيراء بنت شعيب زوجة موسى عليه السلام هي التي قاتلت يوشع بن نون عليه السلام وصي موسى عليه السلام بعد رحيل موسى عليه السلام، وكذلك قاتلت الحميراء بنت ابي بكر زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام علي عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة الجمل، وبحكم الانطباق بين الحادثتين يجب ان تكون الحميراء ابنة نبي لان الصفيراء بنت شعيب ابنة نبي، وشتان ما بين نبي الله شعيب عليه السلام وابي بكر، وهو في كل الاحوال لا يرتقي ان يكون في خانة الأنبياء ولا الاوصياء ولا المؤمنين ولا حتى ادنى من ذلك، والاشكال هذا سيزول إذا عرفت ان زوجة موسى عليه السلام بنت شعيب وصفها القرآن الكريم بوصف ادبي رفيع اذ قال عنها ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴿١﴾، ومن كانت بتلك المواصفات ويشهد لها القرآن لا تخرج على وصي زوجها بعد وفاته، فلا بد من القول ان موسى ﷺ له عدة زوجات كما كان لرسول الله ﷺ عدة زوجات منهن الصالحات ومنهن الطالحات، فزوجة موسى ﷺ ابنة شعيب ﷺ باعتبارها من بنات الأنبياء يمكن ان تتطابق شخصيتها مع خديجة ﷺ زوجة رسول الله ﷺ باعتبار ان بنت شعيب اول زوجة لموسى ﷺ، وخديجة ﷺ اول زوجة لرسول الله ﷺ، هذا من جانب القول بتعدد زوجات موسى ﷺ مقارنة بتاريخ رسول الله ﷺ، اما من جانب اخر فان ما يؤكد البياضي قوله «كان وصي موسى يوشع بن نون فخرجت عليه صافوراء، وهي غير صفراء بنت شعيب امرأة موسى»<sup>(٢)</sup>، وقيل ان اسم الكبرى من بنات شعيب صفراء واسم الصغرى صفيراء<sup>(٣)</sup>، وعلمنا يبدوا ان اسم صفراء ومجانساته كان شائعا في تلك الفترة كما هو الحال في كل زمان ومكان من شياع اسماء متقاربة في كل ملّة او امة، وبالتالي فان لموسى ﷺ عدة زوجات منهن ممدوحات واخرى مذمومة هي «صافوراء» وهي التي خرجت على يوشع بن نون ﷺ، وقد ورد ان صفراء بنت شعيب من جملة النسوة الأربعة اللاتي دخلن على خديجة عند ولادتها مولاتنا الزهراء ﷺ، والصحيح هو ما ذكره الصدوق كون النساء الداخلات على خديجة هن «سارة، آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وكلثم اخت موسى بنت عمران»، وكما تلاحظ ان هذه الطريقة تمكنا من التفقه في المرويات وترجيح الصحيح بمرجحات قوية.

### مثال «٢»:

المعروف ان لكل نبي وصي، والواضح ان هناك شخصيتان ارتبطت بموسى ﷺ نالت هذا اللقب وهما هارون ويوشع عليهما السلام، وهارون ﷺ مات قبل موسى ﷺ وهو اخوه وهو نبي ووصي ووزير، ويوشع بن نون ﷺ هو الوصي بعد موت موسى ﷺ، فكيف يصح انطباق ما جرى على هارون ويوشع على شخص الإمام علي ﷺ فهاتان شخصيتان والإمام علي ﷺ شخص واحد؟

الحديث التالي الذي سنورده يحل الاشكال كون الإمام علي ﷺ خليفة رسول الله ﷺ ووصيه في حياته وبعد مماته، فما يجري على هارون ﷺ في حياة موسى ﷺ يجري على الإمام علي ﷺ في حياة رسول الله ﷺ، وما يجري على يوشع بن نون ﷺ بعد وفاة موسى ﷺ ينطبق على الإمام علي ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ.

(١) القصص / ٢٥

(٢) الصراط المستقيم / علي بن يونس العاملي / ج ٢ / ص ٤٥

(٣) راجع البحار ج ١٣ / ص ٢١ / كذلك مجمع البيان ج ٧ / ص ٤٣٠

عن سلمان الفارسي والبراء بن عازب قال: قالت ام سليم: كنت امرأة قد قرأت التوراة والإنجيل فعرفت اوصياء الأنبياء، واحببت ان اعلم وصي محمد ﷺ وخلفت الركاب معنضي المجي، فقلت له: يا رسول الله ﷺ ما من نبي إلا وكان له خليفان خليفة يموت قبله وخليفة يبقى بعده، وكان خليفة موسى في حياته هارون فقبض قبل موسى، ثم كان وصيه بعد موته يوشع بن نون، وكان وصي عيسى في حياته كالب بن يوحنا فتوفي كالب في حياة عيسى، ووصيه بعد وفاته شمعون بن حمون الصفا ابن عمه مريم، وقد نظرت في الكتب الأولى فما وجدت لك إلا وصياً واحداً في حياتك وبعد وفاتك فيبين لي انت يا رسول الله من وصيك، فقال رسول الله ﷺ «ان لي وصياً واحداً في حياتي وبعد وفاتي»، فقلت له: من هو؟.....»<sup>(١)</sup> والحديث طويل يبين فيه ان وصيه هو الإمام علي عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

وبهذا إذا عرفنا ان لكل نبي خليفان من خلال ما جرى في هذه الامة، فهل نستطيع ان نقرأ تاريخ هارون ويوشع في بني إسرائيل لقللة المُعطيات عنهم على موجب المُعطيات الكثيرة التي عندنا عن شخص الإمام علي عليه السلام؟ والحقيقة هذا سؤال لو اطلقت له العنان في تفكيرك لخرجت بتصورات كثيرة جداً بحاجة لمتابعة ما قيل عنهما في تاريخ بني إسرائيل، ولكن نقتصر هنا على اشارات اولية، فهارون وزير موسى عليه السلام في حياته كما في قوله تعالى ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيْرًا مِّنْ اَهْلِ بَنِي إِسْرَائِيْلَ يَتَّبِعُنِي بِرِضْوَانٍ مِّنْ رَبِّيْ وَيُخْرِجُنِي مِّنْ اَرْضِ مِصْرَ اذْ جَاءُنِي مِنَ الْقَدْرِ﴾، ورسول الله ﷺ في حياته يقول للإمام علي عليه السلام «انت مني بمنزلة هارون من موسى» فهو قبل موته وزيره، ويوشع بن نون عليه السلام بعد موت موسى عليه السلام هو الخليفة فر بما منصب الوزير لا يكون للوصي إلا بوجود النبي، اما عند رحيل النبي فيكون الوصي هو الخليفة والله العالم، او يمكن القول ان كل ما جرى على هارون عليه السلام في ايام حياة موسى عليه السلام تجد له انطباق على ما جرى على الإمام علي عليه السلام اثناء حياة رسول الله ﷺ، وكل ما جرى على يوشع عليه السلام بعد وفاة موسى عليه السلام تجد له انطباق على ما جرى على الإمام علي عليه السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ.

والمعروف ان أمير المؤمنين عليه السلام هو ابن عم رسول الله ﷺ نسبياً، وهو اخوه بقول رسول الله ﷺ «انت مني بمنزلة هارون من موسى» وقوله ﷺ «انت اخي» والذي تؤيده حادثة المؤخاة اذ اخى رسول الله ﷺ بينه وبين الإمام علي عليه السلام، فبحكم التقابل بين كل هذه الشخصيات يكون السؤال، ماهي العلاقة النسبية بين موسى عليه السلام ويوشع بن نون عليه السلام هل هما ابنا عم؟

### مثال «٣»:

في تاريخ المسلمين حادثة عظيمة وهي حادثة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وبما ان الإمامين

(١) صحيفة الأبرار/ العلامة الميرزا محمد تقي / الجزء الرابع القسم الأول/ ح ٤٩ بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ١٨٦

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ١٨٦

الحسن والحسين عليهما السلام قد تسميا بهذه الاسماء كما سمي هارون ابناه «شبر وشبير»، وبما اننا لا نملك اي معلومات عن شبر وشبير فهل يمكن ان نعرف شيء عن ابني هارون في بني إسرائيل على موجب ما جرى على الحسن والحسين (عليه السلام) في هذه الامة؟

#### مثال «٤»:

يمكن الاستفادة من جُملة الاخبار التي نقلها علماء واحبار اليهود الذين اسلموا لمعرفة ما خفي من تاريخ بني إسرائيل وما يمكن الاستفادة منه في انطباقات على هذه الامة واليك المثل التالي:

روى الطبري ان كعب جاء إلى عمر بن الخطاب قبل مقتله بثلاث ايام وقال له: اعهد فانك ميت في ثلاث ايام، قال: وما يدريك؟ قال: اجده في كتاب الله عز وجل وفي التوراة، قال عمر: انك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكنني اجد صفتك وانه فني اجلك<sup>(١)</sup>.

وكل الباحثين والمتفقيين المعتمدين على آية علم الرجال يعتبرون هكذا خبر مدسوس او مبالغ فيه او من الإسرائيليات، ولكنه في الحقيقة حسب قانونية «لتركبن سنن الذين من قبلكم» صحيح، لان الأحاديث التي ذكرناها تقول ان يوشع (عليه السلام) مات في نفس الليلة التي مات بها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وانه حكم قبل يوشع (عليه السلام) ثلاثة من الطواغيت كما حكم قبل الإمام علي (عليه السلام) ثلاثة من الطواغيت، فمن غير المستغرب ان كعب وهو من علماء اليهود يعرف تواريخ واعمار الطواغيت الثلاثة الذين حكموا بعد موسى (عليه السلام)، فهو لم يتكهن بموت عمر بل هو متيقن منه، لانه يعتمد على مصدرين كتاب الله والتوراة، وكل الباحثين والمتفقيين ينظرون لهذه الاخبار التي يسمونها بالإسرائيليات كونه نتاج مؤامرة، حتى انهم قالوا ان هذا الكلام من كعب اشارة على اشتراكه في قتل عمر، والحقيقة انا ارى في كلام كعب تلميح ذكية تتناسق مع مضمون الأحاديث.

وبما ان هناك جملة من احبار اليهود وعلمائهم مثل كعب الاحبار وعبدالله بن سلام وتميم الداري قد اسلموا وهم عند الناس من «بني إسرائيل»، فمن غير المستبعد ان تكون عبارة «حدث عن بني إسرائيل ولا حرج» لها معنى عام واخر خاص، فالخاص هو حدثوا عن هؤلاء اليهود من بني إسرائيل الذين اسلموا ولا حرج عليكم لانهم مسلمين وخصوصا عبد الله بن سلام الذي قيل عنه انه من نسل يوسف (عليه السلام) وكان اليهود يقولون عنه انه «سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا» فهو من الناحية النسبية من بني إسرائيل وينطبق عليه معنى عبارة الحديث بمعنى معين كما اتصور، هذا إذا احذنا بنظر الاعتبار ان بعض الشخصيات اليهودية كان لها نشاط منبري

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك/ج ٤/ ص ١٩١



في المدينة يتحدثون فيه عن نبي اخر الزمان ولا بد ان كلامهم مستقى من التوراة وهؤلاء كانوا يتحدثون بروايات بالمعنى التاريخي والمستقبلي فيما يصبر المسلمون بوصفها روايات ذات طابع مؤسساتي.

#### ٤ - انطباقات لم تقع

هناك جملة من الحوادث حدثت في بني إسرائيل لا تجد لها انطباق على امة الإسلام، وهناك حوادث في امة الإسلام لا تجد لها انطباق في بني إسرائيل بشكل كلي او جزئي، مثل ولادة المسيح ﷺ بدون اب، انفلاق البحر لموسى ﷺ او حادثة الإسراء والمعراج، وان كانت المرويات تشير إلى ان كل ما جرى على الأنبياء سيجري على رسول الله ﷺ وما كان لرسول الله ﷺ فهو لآل بيته والمرويات من الكثرة بمكان والتي ذكرت جملة من معاجز الأنبياء ظهرت على يد رسول الله وآل بيته صلوات الله عليهم اجمعين، ومن هنا فيمكن بيان هذا الأمر بنقطتين الأولى: ان هناك جملة من الحوادث جرت في تاريخ بني إسرائيل ولم تقع في حياة رسول الله ﷺ او احد اوصيائه، ولكنها ستقع في المستقبل على يد الإمام الحجة ابن الحسن ﷺ في الظهور المقدس وخصوصاً أن يوم الرجعة يوم طويل جدا ستظهر فيه عجائب اكبر مما حدث في الامم السابقة، عن ابي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ «ما من معجزة من معجزات الأنبياء والاوصياء الا يظهر الله تبارك وتعالى مثلها على يد قائمنا لأتمام الحجة على الاعداء»<sup>(١)</sup>

الثاني: ربما عبارة «لتركبن سنن الذين من قبلكم» الخطاب فيها موجه لعامة الامة ولا يشمل الخطاب الأنبياء والاوصياء اي ان ما جرى في بني إسرائيل سيقع فيكم بقدر تعلق هذا الحدث بالنبي او بالوصي او بعموم الناس اما الأحداث الخاصة بالأنبياء والاوصياء لوحدهم فهي غير مشمولة بهذا التصور مثل الإسراء والمعراج او رحلات أمير المؤمنين في العوالم لان آل محمد ﷺ لهم ما للأنبياء وزيادة، والزيادة الواقعة في هذه الامة لا تجدها في تاريخ بني إسرائيل، وبالنتيجة ما يجري في هذه الامة يغطي كل تاريخ بني إسرائيل الا ان ما يجري في بني إسرائيل لا يغطي كل ما سيقع في هذه الامة من هذا الجانب، دليله الأحداث الجسيمة التي ستقع في الرجعة، وهذه النقطة تكون غير كاملة الاستقراء إذا اعترفنا بان احداث الظهور والرجعة هو حدث خاص بكل الديانات وتاريخه تاريخ كل الديانات.

#### ٥ - الانطباق المستقبلي

ليس كل ما حدث في امة موسى ﷺ في حياة موسى ﷺ قد وقع في امة رسول الله ﷺ في حياة رسول الله ﷺ، وليس كل ما حدث في امة موسى بعد رحيل موسى ﷺ قد وقع في امة

رسول الله ﷺ بعد وفاة رسول الله، وبالتالي فإن جملة منها سيقع في المستقبل.

وكل ما جرى في بني إسرائيل وهذه الامة يمكن متابعته من خلال تاريخ امتد من يوم دعوة موسى ﷺ إلى يومنا هذا، ومنها فترة الغيبة الكبرى باعتبار كل هذا تاريخ حدث ومضى ويمكن المقارنة بين احداثه، اما هنا فنحن نبحت عن انطباق مستقبلي، اي انطباق ما جرى في بني إسرائيل على ما سيجري على هذه الامة في المستقبل ومنها علامات الظهور واحداث ظهور الإمام المهدي ﷺ، فيمكن الاستفادة من تاريخ بني إسرائيل بعد موسى ﷺ لمعرفة احوال الغيبة واحوال الظهور.

وما جرى في بني إسرائيل ولم يتحقق في هذه الامة الان ربما سيحدث في قادم الزمان، فلا زال بطل اخر الزمان في غيبته، وعند ظهوره ستجري الكثير من الأحداث التي جرت في بني إسرائيل ولا نجد لها انطباق في هذه الامة، ومنها «قصة طالوت وجالوت وعبور النهر»، وأحاديث آل محمد ﷺ تقول بان هذا الحدث سيجري مثله على أصحاب القائم ﷺ، وموسى ﷺ شق البحر لقومه ولم يقع في هذه الامة مثله، ونحن نكون غير مجانيين للصواب إذا قلنا ان مثل هذا الأمر قد يقع في زمن الإمام المهدي ﷺ وبالتالي فان بعض الأحداث دالتها الزمن المستقبلي، هذا على المعنى العام اما على المعنى الخاص بالإمام المهدي ﷺ فالأحاديث تذكر ان له من الأنبياء سنن وسيجري عليه احوال جرت على جملة من الأنبياء<sup>(١)</sup>.

والنقطة الاساسية لمتابعة هذا الموضوع تجدها في القرآن الكريم ابتداء من قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ ائْتِنَا بِآيَاتٍ كَمَا آتَيْتَ بِآيَاتِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.....﴾<sup>(٢)</sup> وهي الآيات التي تكلمت عن احوال طالوت وجالوت وكيفية قتل جالوت من قبل داود ﷺ ثم استخلاف الأرض لبني إسرائيل في زمن سليمان ﷺ، ومتابعة احوال ملك سليمان ﷺ وكيف حشر الله له جنوده من الجن والانس والطير والريح وغيرها تعطينا افق لفهم احوال القائم ﷺ ودولته، علماً ان الاستخلاف الذي جرى في زمن سليمان ﷺ هو استخلاف جزئي ونودج مُصغَّر من دولة خلافة الله على الأرض في زمن الإمام المهدي ﷺ

(١) عن الإمام زين العابدين ﷺ «في القائم سنن من سبعة أنبياء، سمة من ابينا آدم وسنة من نوح وسنة من إبراهيم وسنة من موسى وسنة من عيسى وسنة من ايوب وسنة من محمد صلوات الله عليهم، فاما من آدم ونوح فطول العمر، واما من ابراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، واما من موسى فالخوف والغيبة، واما من عيسى فاختلف الناس فيه، واما من ايوب فالفرج بعد البلوى واما من محمد فالخروج بالسيف» منتخب الاثر/ ج ٢/ الفصل ٣٩/ ج ١/ ٦٨٦

(٢) البقرة/ ٢٤٦ - ٢٥١

## حباية الوالبية وحصاتها

اغلب القصص التي عرفناها وقرأناها لها بداية ونهاية، وعادة ما تظهر الغاية منها في نهاياتها، اذ تظهر الفكرة او الحكمة المزبورة في احداثها، ولكن قليلة هي تلك القصص التي تظل نهاياتها مفتوحة، فغاياتها وحكمتها موضوع متعلق باحداث المستقبل الذي سيحدث فيه التغيير الكبير، فهي قد صيغت لتكون جزء من ذلك الحدث الكبير، وهكذا قصص بحكم سير احداثها مع الزمن تصاعدياً تظل مرتبطة بموضوع الانتظار حصراً، والأحداث والحكمة المتعلقة بها تظل بانتظار ذلك الحدث، وقصة حباية الوالبية وحصاتها العجيبة من هذا النوع، فهي لم تفني حياتها لتحمل حصة، بل هي فنت حياتها حاملة معها جزء من مشروع الانتظار نفسه، اذ بقيت حباية تسأل سؤال واحد «من هو الوصي بعدك»، فقد مسكت حباية حصاتها كالمؤمن القابض على دينه، فحباية سألت عن محور الدين الذي هو الإمامة، وحصاتها كانت الدليل على شخوص الأئمة عليهم السلام، وستكون دليل من جملة الادلة لمعرفة صاحب الزمان عليه السلام.

هي حباية الوالبية من بني اسد من اليمن، وهي من المعمرات وادركت ثمانية من الأئمة المعصومين عليهم السلام وماتت في ايام الرضا عليه السلام، عدها أصحاب الرجال من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام ومن أصحاب الباقر عليه السلام وممن روى عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن ابي جعفر عليه السلام، وقيل انها ام هاني، وام غانم، وام الندى، وام سليم، وام اسلم.

ولحباية وحصاتها قصة عجيبة استمرت اكثر من مئة سنة وعاصرت جملة من المعصومين عليهم السلام، ولمعرفة شخصية حباية وقصة حصاتها لابد من متابعتها بشكل متسلسل حسب تواجدها مع المعصومين عليهم السلام.

### مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

عن سلمان والبراء قالا: قالت ام سليم: كنت امرأة قد قرأت التوراة والإنجيل فعرفت اوصياء الأنبياء، واحببت ان اعلم وصي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلما قدمت ركبنا المدينة اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحلفت الركاب مع الحي، فقلت: يا رسول الله ما من نبي إلا وكان له خليفة يموت قبله وخليفة يبقى بعده، وكان خليفة موسى في حياته هارون عليه السلام ثم كان وصيه بعد موته يوشع بن نون عليه السلام، وكان وصي عيسى عليه السلام في حياته كالب بن يوفنا فتوفي كالب في حياة عيسى ووصيه

بعد وفاته شمعون بن حمون الصفا ابن عمه مريم، وقد نظرت في الكتب الأولى فما وجدت لك إلا وصي واحد في حياتك وبعد وفاتك، فبين لي بنفسي انت يا رسول الله من وصيك؟ فقال رسول الله ﷺ: ان لي وصياً واحداً في حياتي وبعد وفاتي. قلت له: من هو؟ فقال: ايتيني بحصاة، فرفعت اليه حصاة من الأرض فوضعها بين كفيه ثم فركها بيده كسحق الدقيق ثم عجنها فجعلها ياقوتة حمراء ختمها بخاتمه فبدا النقش فيها للناظرين، ثم اعطانيها وقال: من استطاع مثل هذا فهو وصيي. قالت: ثم قال لي: يا ام سليم وصيي من يستغني بنفسه في جميع حالاته كما انا مستغن، فنظرت إلى رسول الله وقد ضرب بيده اليمنى إلى السقف وبيده اليسرى إلى الأرض قائماً لا ينحني في حالة واحدة إلى الأرض ولا يرفع نفسه بطرف قدميه. قالت: فخرجت فرأيت سلمان يكنف<sup>(١)</sup> علياً ويلوذ بعقوته دون من سواه من اسرة محمد وصحابته على حداثة سنه، فقلت في نفسي هذا سلمان صاحب الكتب الأولى قبلي، صاحب الاوصياء وعنده من العلم ما لم يبلغني فيوشك ان يكون صاحبي، فاتيت علياً ﷺ فقلت: انت وصي محمد ﷺ؟ قال: نعم، ما تريدان؟ قلت: ما علامة ذلك؟ فقال ايتيني بحصاه. قالت: فرفعت اليه حصاة من الأرض فوضعها بين كفيه ثم فركها بيده فجعلها كسحق الدقيق ثم عجنها فجعلها ياقوتة حمراء ثم ختمها، فبدا النقش فيها للناظرين ثم مشى نحو بيته فاتبعته لاساله عن الذي صنعه رسول الله ﷺ فالتفت الي ففعل مثل الذي فعله. فقلت: من وصيك يا ابا الحسن؟ فقال: من يفعل مثل هذا. فقالت ام سليم: فلقيت الحسن بن علي ﷺ فقلت: انت وصي ابيك هذا؟ وانا اعجب من صغره وسؤالي اياه مع اني كنت عرفت صفتهم الاثنا عشر إماماً وابوهم سيدهم وافضلهم فوجدت ذلك في الكتب الأولى. فقال لي: نعم انا وصي ابي. فقلت: ما علامة ذلك؟ فقال: ايتيني بحصاه. قلت: فرفعت اليه حصاه فوضعها بين كفيه ثم سحقها كسحق الدقيق ثم عجنها فجعلها ياقوتة حمراء ثم ختمها فبدا النقش فيها ثم دفعها اليّ، قلت له: فمن وصيك؟ قال: من يفعل مثل هذا الذي فعلت، ثم مد يده اليمنى حتى جازت سطوح المدينة وهو قائم ثم طأطأ يده اليسرى فضرب بها الأرض من غير ان ينحني او يتصعد، فقلت: في نفسي: من يرى وصيه؟ فخرجت من عنده فلقيت الحسين ﷺ وكنت عرفت نعته من الكتب السالفة بصفته وتسعة من ولده اوصياء بصفاتهم غير اني انكرت حليته لصغر سنه فدنوت منه وهو على كسرة رحبة المسجد، فقلت له: من انت يا سيدي؟ قال: انا طلبتك يا ام سليم، انا وصي الاوصياء وانا ابو التسعة الأئمة الهادية، وانا وصي اخي الحسن، واخي وصي ابي علي، وعلي وصي جدي رسول الله ﷺ. فعجبت من قوله فقلت: ما علامة ذلك؟ فقال: ايتيني بحصاة. فرفعت اليه

(١) كنف الشيء صانه وحفضه

حصاة من الأرض. قالت ام سليم: فلقد نظرت اليه فوضعها بين كفيه فجعلها كهيئة السحيق من الدقيق ثم عجنها فجعلها ياقوتة حمراء فختمها بخاتمه فثبت النقش فيها ثم دفعها إلي وقال لي: انظري فيها يا ام سليم فهل ترين فيها شيئاً؟ قالت ام سليم: فنظرت فإذا فيها رسول الله ﷺ وعلي الحسن والحسين وتسعة من الأئمة صلوات الله عليهم اوصياء من ولد الحسين ﷺ قد تواطتت اسمائهم الا اثنين منهم، احدهما جعفر والاخر موسى، وهكذا قرأت في الإنجيل، فعجبت وقلت في نفسي: قد اعطاني الله الدلائل ولم يعطها من كان قبلي، فقلت: يا سيدي اعد علي علامة اخرى. قال: فتبسم وهو قاعد ثم قام فمد يده اليمنى إلى السماء فوالله لكأنها عمود من نار تخرق الهواء حتى توارى عن عيني وهو قائم لا يعبى بذلك ولا يتحفز، فاسقطت وصعقت فما افقت الا ورايت في يده طاقة من آس يضرب بها منخري. فقلت في نفسي: ماذا اقول له بعد هذا؟ وقمت وانا والله اجد إلى ساعتى رائحة هذه الطاقة من الآس، وهي والله عندي لم تذو ولم تذب ولما انتقص من ريحها شيء، واوصيت اهلي ان يضعوها في كفني، فقلت: يا سيدي من وصيك؟ قال: من فعل مثل فعلي، قالت: فعشت إلى ايام علي بن الحسين ﷺ<sup>(١)</sup>.

لم تكن حباية امرأة عادية بل هي عالمة بالكتب، قرأت التوراة والإنجيل، او كما تسميها الكتب الأولى، ولعل هذه الكتب الأولى غير التوراة والإنجيل، وهذه المعرفة مكتتها من معرفة شخص الرسول واوصيائه صلوات الله عليهم اجمعين، وجعلتها تسأل عن قانون خاص بالأنبياء والديانات كون لكل نبي وصي، وبما ان الكتب ذكرت اسماء الأنبياء واوصيائهم فلا بد ان النبي الخاتم ﷺ له وصي، بل هي تؤكد ان لكل نبي وصيان احدهما يموت في حياته والاخر يموت بعد مماته الا انها وجدت ان اخر الأنبياء له وصي واحد، وحباية امرأة ذكية لانها عرفت ان مستقبل اي دين مرتبط بشخص الوصي فكان السؤال عن الوصي هو محور حياتها.

واول لقاء لها مع رسول الله ﷺ كان في المدينة، وعلموا يبدو انها لم تدرك فترة تواجد الرسول ﷺ في مكة، فكان سؤال حباية سؤال واحد لا غير، من هو وصيك يا رسول الله ﷺ؟ وكان بإمكان رسول الله ﷺ ان يقول لها ان وصيي علي ﷺ وهو مكتوب عندها في الكتب الأولى، الا انه وضعها أمام اثبات عملي بسحق الحصاة وعجنها بيديه وتحويلها إلى ياقوت احمر ثم ختمها حتى تبين النقش في الحصاة، وبين لها ان من يقوم بنفس هذا العمل هو الوصي لكي لا يدعي احد وصاية رسول الله ﷺ الا بهذا الاختبار الاعجازي.

ثم يذكر الحديث حركة قام بها رسول الله ﷺ وهي «فنظرت إلى رسول الله وقد ضرب بيده اليمنى إلى السقف وبيده اليسرى إلى الأرض قائماً لا ينحني في حالة واحدة إلى الأرض ولا يرفع نفسه بطرف قدميه» والحقيقة لم افهم بالضبط معنى هذه الحركة لكن الواضح انها تشير إلى امر اعجازي، ثم يذكر الحديث ان حباة اهدت إلى ان الإمام علي عليه السلام هو وصي رسول الله ﷺ ففعل لها بحصاة كما فعل رسول الله ﷺ، ثم فعل لها الإمام الحسن عليه السلام كذلك، ثم فعل لها الإمام الحسين عليه السلام كذلك، والظاهر ان حباة ادركتهم جميعاً في نفس الوقت وربما في نفس اليوم، وهم جميعاً قاموا بنفس الحركة التي قام بها رسول الله ﷺ لاثبات كونهم اوصياء.

وفي الحديث امر مهم وهو ان كل هذه الاختتام والنقوشات لم تجري على حصاة واحدة بل النبي وكل امام صلوات الله عليهم ختم لها على حصاة مفردة مما يشير إلى وجود اربع حصيات جرى عليها النقش، وستكلم عن هذا الأمر في حديث لقاء حباة مع الإمام علي عليه السلام وبقية الأئمة كونهم كلهم طبعوا لها على حصاة واحدة وليس حصيات متعددة، والغريب ان حباة تقول انها عرفت ان الحسن والحسين عليهما السلام وصيان على الرغم من صغر سنهما مما يشير إلى ان للاوصياء علامات مميزة حتى في صباهم، ويذكر الحديث ان الحصاة التي ختم فيها الإمام الحسين عليه السلام رأته فيها صور واسماء رسول الله ﷺ والأئمة الاثنا عشر صلوات الله عليهم اجمعين.

### مع أمير المؤمنين عليه السلام:

روى محمد بن يعقوب باسناده عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي عن حباة الوالبية، قالت: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس ومعه درة لها سبابتان يضرب بها بياعي الجري والمارماهي والزمار ويقول لهم يا بياعي مسوخ بني إسرائيل وجند بني مروان، فقام اليه فرات بن احنف فقال: يا أمير المؤمنين وما جند بني مروان؟ قال: فقال له: اقوام حلقوا اللحي وقتلوا الشوارب فمسحوا فلم ار ناطقاً احسن نطقاً منه، ثم اتبعته فلم ازل اقفو اثره حتى قعد في رحبة المسجد فقلت له: يا أمير المؤمنين ما دلالة الامامة يرحمك الله؟ قالت: فقال عليه السلام: أتيني بتلك الحصاة، وأشار بيده إلى حصاة، فطبع لي فيها بخاتمه، ثم قال لي: يا حباة اذا أدعى مدع الامامة فقدر أن يطبع كما رأيت فأعلمي أنه إمام مفترض الطاعة، والإمام لا يعزب عنه شيء يريد، قالت: ثم انصرفت حتى قبض أمير المؤمنين عليه السلام، فجئت إلى الحسن عليه السلام وهو في مجلس أمير المؤمنين والناس يسألونه عليه السلام، فقال لي: يا حباة. فقلت: نعم يا مولاي، قال: هاتي ما معك. قالت: فاعطيته الحصاة، فطبع لي فيها كما طبع أمير المؤمنين عليه السلام، ثم أتيت الحسين عليه السلام وهو في مسجد الرسول ﷺ فقرب ورحب ثم قال لي اتريدين دلالة الإمام؟ فقلت: نعم يا سيدي. قال: هاتي ما معك، فناولته الحصاة فطبع لي فيها. قالت: ثم أتيت علي بن الحسين عليه السلام وقد بلغ

بي الكبر إلى أن أرعشت، وأنا أعد يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيت راعياً ساجداً ومشغولاً بالعبادة، فيئست من الدلالة، فأوماً ألي بالسبابة فعاد إلي شبابي، قالت: فقلت: ياسيدي كم مضى من الدنيا وكم بقي؟ فقال: اما ما مضى فنعم، وأما ما بقي فلا، قالت: ثم قال لي: هاتي ما معك فأعطيته الحصاة فطبع لي فيها، ثم أتيت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام فطبع لي فيها، ثم أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فطبع لي فيها ثم أتيت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فطبع لي فيها، ثم أتيت الرضا عليه السلام فطبع لي فيها<sup>(١)</sup>

الراجح ان لقاء حباية مع أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة مقر حكم أمير المؤمنين عليه السلام في خلافته بدلالة موضوع شرطة الخميس في الحديث<sup>(٢)</sup>، كما ان الحديث يذكر ان أمير المؤمنين عليه السلام كان يضرب بياعي الجري وتؤكد أحاديث أخرى تحمل نفس المعنى ان هكذا امر حدث في اسواق الكوفة وليس في المدينة.

وعلمنا يبدو ان هذا اللقاء الذي يذكره الحديث مع أمير المؤمنين عليه السلام وبقية الأئمة عليهم السلام يختلف عن اللقاء الذي ذكرناه في الحديث السابق عندما التقت حباية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسألته عن الوصي من بعده.

قال القطب الراوندي: وصاحبات الحصى ثلاث احداهن هي وتكنى ام غانم، والثانية ام الهدى حباية بن جعفر الوالبية، والأولى اسمها سعاد من بني سعد بن ابي بكر بن عبد مناف، والثالثة تدعى ام سليم كانت قارئة الكتب ولكل واحدة خبر<sup>(٣)</sup>.

قال ابو عبد الله بن عياش: هذه ام غانم صاحبة الحصاة غير تلك صاحبة الحصاة وهي ام الندى حباية بنت جعفر الوالبية الاسدية وهي غير صاحبة الحصاة الأولى التي طبع فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام فانها ام سليم وكانت وارثة الكتب فهم ثلاث ولكل واحدة منهن<sup>(٤)</sup>.

ولا ادري على وجه الدقة هل هناك فعلا عدة شخصيات بهذا الاسم، ام الفروقات بين الحديثين هي التي جعلتهم يذهبون إلى تعدد هذه الشخصية والقول بوجود ثلاث نساء صاحبات الحصى، ففي حديث لقائها مع رسول الله صلى الله عليه وآله كما ذكرت انها لم تكن حصاة واحدة

(١) مدينة المعاجز/العلامة هاشم البحراني، الكافي: ج ١/ ص ٣٤٦، كمال الدين وتمام النعمة  
(٢) شرطة الخميس هم مجموعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام عددهم ستة آلاف وكان بينهم وبين أمير المؤمنين شرط اذ ضمن لهم أمير المؤمنين عليه السلام الجنة ان هم شارطوه على الموت وهم مستعدين للموت في كل حين تحت رايته وهم صفوة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام

(٣) الخرائج/ القطب الراوندي: ١/ ٤٢٨

(٤) بحار الأنوار/ ح ٢٥/ ص ١٨٠

بل كل من رسول الله ﷺ والإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم افضل الصلاة والسلام طبع لها بحصاة مفردة بينما حديث لقائها مع الإمام علي ﷺ تذكر ان كل الأئمة طبعوا لها على حصاة واحدة، فيما حديث لقائها مع رسول الله ﷺ يذكر انها عاشت إلى ايام الإمام علي بن الحسين السجاد ﷺ، فيما حديث لقائها مع الإمام علي ﷺ تذكر فيه انها ادركت الإمام الرضا ﷺ، كما ان لقاء حبابة في المدينة مع الإمام الحسن والإمام الحسين ﷺ كانا فيه صغيرين اما في حديث لقائها مع الإمام علي ﷺ فلم يطبع لها الا بعد استشهاد أمير المؤمنين ﷺ وهما كبيرين كل في زمانه، وهذا ربما دفعهم للقول بتعدد الشخصيات، ولكن يمكن القول بشكل ظني بوحدة الشخصية على فرض انها روت حديث لقائها مع رسول الله ﷺ في زمن الإمام السجاد ﷺ، وانها روت حديث لقائها مع أمير المؤمنين في زمن الإمام الرضا ﷺ، وفي كل الاحوال نحن نقصد حبابة التي اعاد لها الإمام السجاد ﷺ شبابها والتي ادركت الإمام الرضا ﷺ وماتت في زمانه، ونقصد تلك الحصاة الوحيدة التي طبع بل كل هؤلاء الأئمة عليهم افضل الصلاة والسلام، وعلمنا يبدو ان هذه الحصاة التي اول من طبع بها أمير المؤمنين ﷺ لم يكن فيها لرسول الله ﷺ طبع، فكل حالات تحويل الحصاة إلى عجيب وتحويلها إلى ياقوت كانت في زمن رسول الله ﷺ وفي وقت واحد، اما الحصاة التي طبع لها أمير المؤمنين ﷺ فهي واحدة انتقلت إلى كل الأئمة ﷺ، وكان الفارق بين كل عملية طبع لسنوات عديدة لان كل إمام طبع لها في حياته وبعد موته تذهب حبابة للإمام الذي يليه ليطلع لها لكي تعرف انه إمام.

ولعل ما يستوقفنا في الحديثين انه في حديث لقائها مع رسول الله ﷺ كانت تجري على الحصاة عدة فعاليات «فوضعها بين كفيه ثم فركها بيده كسحيق الدقيق ثم عجنها فجعلها ياقوتة حمراء ختمها بخاتمه فبدا النقش فيها للناظرين» بينما في حديث لقائها مع الإمام علي ﷺ كانت عبارة «طبع لها»، فهل هناك فرق بين «الختم» و«الطبع» ام اللفظتين من المترادفات

طبع على الشيء وضع عليه علامة مميزة، او ترك فيه اثر، وطبع الشيء رسمه ونقشه، وطبع النقود سكها، وطبع على الورق اي كتب عليه، وختم بالشمع الاحمر اغلق بصورة محكمة، وختم «بفتح الخاء»، هو قطعة صغيرة من المعدن او الحجر او غيرها منقوش عليها رسم او كتابة او صورة او رمز إذا ما وضعتها على الشمع او الحبر ثم ضربت بها الورقة ظهرت صورة ذلك النقش في الورقة او الشمع، وورد معنى الختم في الأحاديث بعبارات مثل «مختوم بخاتم السيد الاكبر»<sup>(١)</sup>.

(١) عن ابي الحسن الرضا ﷺ في ذكر قصة الخضر وقتل الغلام قال «واما الغلام فكان ابواه مؤمنين وطُبع كافراً» كذا نزلت فنظرت إلى جبينه وعليه مكتوب طُبع كافراً تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٥/ ص ٥١/ ح ٤



ووردت لفظة «طبع» في القرآن في عدة موارد اغلبها مربوط بالقلب مثل قوله تعالى ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ولم يرد لفظ الطبع مع السمع والبصر، اما لفظة «ختم» فقد وردت في القرآن بعدة موارد مرتبطة بالقلب والسمع والبصر والأفواه، كما في قوله تعالى ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، واللفظتين بحاجة لبحث مفرد يخرجنا عن اصل موضوعنا.

وبما ان اللفظتين في الأحاديث السابقة استخدمت لترك اثر على الحصاة، فيمكن القول بشكل اولي ان الختم هو ترك اثر لصورة او رمز او حتى كتابة كما ورد في حديث لقائها مع رسول الله ﷺ عبارة «ختمها بخاتمه فبدا النقش فيها للناظرين»، وفي نفس الحديث عندما التقت مع الإمام الحسين عليه السلام كانت العبارة «ثم دفعها إلي وقال لي: انظري فيها يا ام سليم فهل ترين فيها شيئا؟ قالت ام سليم: فنظرت فإذا فيها رسول الله ﷺ وعلي والحسن والحسين وتسعة من الأئمة صلوات الله عليهم اوصيائه من ولد الحسين عليه السلام قد تواطأت اسمائهم الا اثنين منهم، احدهما جعفر والاخر موسى» فهي هنا رأّت اشياء مصورة،

اما الطبع فهو ترك اثر كتابة، فيكون الختم اقرب للمفهوم الرمزي والطبع اقرب لمفهوم الكتابة.

### مع الإمام الحسن عليه السلام:

راجع الأحاديث السابقة ستجد ان حباية التقت بالإمام الحسن عليه السلام مرتين الأولى على عهد رسول الله ﷺ والثانية بعد ان قبض أمير المؤمنين عليه السلام

### مع الإمام الحسين عليه السلام:

راجع الأحاديث السابقة ستجد ان حباية التقت بالإمام الحسين عليه السلام مرتين، الأولى على عهد رسول الله ﷺ والثانية في مسجد رسول الله ﷺ والراجح انها التقت به عليه السلام بعد رحيل الإمام الحسن عليه السلام لانها تبحث عن دلالة الامامة.

وعلما ما يبداوا ان علاقة حباية مع الإمام الحسين عليه السلام فيها خصوصية، ففي حديث لقائها مع رسول الله ﷺ عندما التقت بالحسين عليه السلام كان صغيرا في العمر واعطاها في حصاتها شيء

(١) التوبة/٩٣

(٢) البقرة/٧

(٣) يس/٦٥

مميز وهو انها رأت فيها صور الأئمة عليهم السلام كما انه منحها طاقة آس لم تذو ولم تذبل ولا انتقص من ريحها شيء حتى انها طلبت ان توضع في كفنها عند موتها، اما حديث لقائها مع الإمام الحسين عليه السلام بعد رحيل أمير المؤمنين عليه السلام فوردت فيه عبارة «ثم أتيت الحسين عليه السلام وهو في مسجد الرسول ﷺ فقرب ورحب» اي قربني اليه ورحب بمقدمي، والحديث التالي يؤكد علاقتها الخاصة مع الإمام الحسين عليه السلام

عن صالح بن ميثم الاسدي قال: دخلت عليّ امرأة من بني والبة قد احترق وجهها من السجود يُقال لها حبابة، قالت: يا ابن أخ الا احديثك، كنت زوارة لابي عبد الله الحسين عليه السلام فحدث بين عيني وضح<sup>(١)</sup> فشق ذلك عليّ واحتبست عليه اياماً فسأل عليّ، فقال: يا حبابة ما ابطأ بك عليّ؟ فقلت: يا بن رسول الله ﷺ حدث بي هذا وكشفت القناع، فتفل عليه السلام وقال: يا حبابة احديثي لله شكراً فان الله قد درأه عنك. قالت: فخررت ساجده لله، فقال: يا حبابة ارفعي رأسك وانظري في مرآتك، فرفعت رأسي ونظرت في المرأة فلم احس منه شيئاً، قالت: فحمدت الله فنظر إليّ وقال: يا حبابة نحن وشيعتنا على الفطرة وسائر الناس منها براء<sup>(٢)</sup>.

واضح من الحديث ان حبابة دائمة التردد على ابي عبد الله الحسين عليه السلام لقولها انها كانت «زوارة لابي عبد الله عليه السلام» ولعل حبابة قد سمعت من الأئمة عليهم السلام فضل زيارة الحسين عليه السلام، ولما تاخرت عن زيارتها عن الإمام الحسين عليه السلام سأله عنها فاخبرته ان فيها «وضح او برص بين عينيها» فتفل الإمام عليه فبرئت فامرها ان تحدث شكراً، بل بلغ الأمر بقربها منهم عليهم السلام انها تطلب طلبات خاصة، والحديث التالي انها طلبت معرفة مصير ابن اخيها.

عن حبابة الوالبية قالت: قلت لابي عبد الله عليه السلام ان لي ابن اخ وهو يعرف فضلكم واني احب ان تعلمني امن شيعتكم؟ قال: وما اسمه قالت: قلت فلان بن فلان، قالت فقال: يا فلانة هات الناموس فجئت بصحيفة تحملها كبيرة فنشرها ثم نظر فيها فقال: نعم ذا اسمه واسم ابيه هيهنا<sup>(٣)</sup>

(١) وفي حديث اخر انه برص

(٢) الدعوات / الراوندي / ص ٦٥

(٣) بصائر الدرجات / ج ٤ / باب ٣ / ح ١

الناموس هو ديوان عند آل محمد ﷺ فيه اسماء الشيعة. عن داود الرقي قال: قلت لابي الحسن الماضي عليه السلام اسمي عندكم في السفط التي فيها اسماء شيعتكم؟ فقال: اي والله في الناموس «بصائر الدرجات / ج ٤ / باب ٣ / ح ٧

مع الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام:

العلامة المميّزة في حياة حباية الوالدية بعد حصاتها هي مسألة إعادة الإمام السجاد عليه السلام شبابها لها، وهي تذكرنا بحادثة رد شباب زليخة من قبل نبي الله يوسف عليه السلام.

كما ورد في الحديث «..... ثم أتيت علي بن الحسين عليه السلام وقد بلغ بي الكبر إلى أن أرعشت، وأنا أعد يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيتته راعياً ساجداً ومشغولاً بالعبادة، فيئست من الدلالة، فأوماً ألي بالسبابة فعاد إلي شبابي»

محمد بن إسماعيل بن موسى بن جعفر عليه السلام قال: حدثني ابي عن ابيه موسى بن جعفر عن ابيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عليه السلام: ان حباية الوالدية دعا لها علي بن الحسين فرد الله عليها شبابها فاشار اليها باصبغه فحاضت لوقتها ولها يومئذ مائة سنة وثلاث عشرة سنة<sup>(١)</sup>.

ومسألة إعادة شببها تدل على ان حباية صاحبة مشروع سيستمر إلى ايام الإمام الرضا عليه السلام وبما انها كبرت وبلغت مائة وثلاث عشرة سنة فاعادة الشباب لها لم يكن لاسباب شخصية بل لاسباب تتعلق بمهمتها مع حصاتها.

قالت: فجئت إلى علي بن الحسين عليهما السلام وهو في منوله قائماً يصلي وكان يطول فيها ولا يتحوز فيها وكان يصلي الف ركعة في اليوم والليلة، فجلست ملياً فلم ينصرف من صلاته فاردت القيام فلما هممت به حانت مني التفاتة إلى خاتم في اصبغه عليه فص حبشي فإذا هو مكتوب: مكانك يا ام سليم آتيك بما جئت له، قلت فاسرع في صلاته فلما سلم قال لي: يا ام سليم ايتيني بحصاة من غير ان اساله عما جئت له، فدفعت له حصاة من الأرض فاخذها فجعلها بين كفيه فجعلها كهية الدقيق ثم عجنها فجعلها ياقوتة حمراء ثم ختمها فثبت فيها النقش فنظرت والله إلى القوم باعيانهم كما كنت رأيتهم يوم الحسين عليه السلام، فقلت له: فمن وصيك جعلني الله فداك، قال: الذي يفعل مثل ما فعلت ولا تدركين من بعدي مثلي<sup>(٢)</sup>. قالت ام سليم: فأنسيت ان اساله ان يفعل مثل ما كان قبله من رسول الله وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فلما خرجت من البيت ومشيت شوطاً ناداني: يا ام سليم، قلت: لبيك، قال: ارجعي، فرجعت فإذا هو واقف في صرحه<sup>(٣)</sup> داره وسطاً، ثم مشى فدخل البيت وهو يتبسم ثم قال:

(١) كمال الدين وتمام النعمة/ الشيخ الصدوق/ ص ٥٣٧ ومثله في بحار الأنوار/ ج ٢٥/ ص ١٧٨

(٢) هذه العبارة محل تأمل عندي وربما معنى العبارة انك لن تدركي شخص من بعدي مثلي كوني الابن المباشر للإمام

الحسين عليه السلام والله العالم

(٣) الصرحه : الدار ساحتها

اجلسي يا ام سليم، فجلست فمد يده اليمنى فانخرقت الدور والحيطان وسكك المدينة وغابت يده عني، ثم قال: خذي ام سليم، فناولني واللّه كيساً فيه دنانير وقرط من ذهب وفصوص كانت لي من جزع في حق لي في منزلي، فقلت: اما الحق فاعرفه، واما ما فيه فلا ادري ما فيه غير اني اجدها ثقيلًا، قال: خذوها وامضي لسبيك، قلت: فخرجت من عنده ودخلت منزلي وقصدت الحق فلم اجد الحق في موضعه فإذا الحق حقي قالت: فعرفتهم حق معرفتهم بالبصيرة والهداية فيهم من ذلك اليوم والحمد لله رب العالمين<sup>(١)</sup>.

والحديث يذكر انها ادركت الإمام السجاد عليه السلام وعمرها مئة وثلاث عشر سنة فاعاد لها الإمام السجاد شبابها، والواضح ان لقاءها مع الإمام السجاد كان بعد واقعة الطف فبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام اصبح السجاد عليه السلام إماماً، وبما ان واقعة الطف حدثت سنة «٦١» هجري، فنستكشف ان عمرها يوم لقاءها مع رسول الله ﷺ في المدينة ما بين الاربعين والخمسين سنة.

ولكن الحديث هنا يذكر ان الإمام السجاد قال لها «فلما سلم قال لي: يا ام سليم ايتيني بحصاة من غير ان اساله عما جئت له، فدفعت له حصاة من الأرض فاخذها فجعلها بين كفيه فجعلها كهية الدقيق ثم عجنها فجعلها ياقوتة حمراء ثم ختمها فثبت فيها النقش فنظرت واللّه إلى القوم باعيانهم كما كنت رأيتهم يوم الحسين عليه السلام»

بينما حديثها لقاءها مع الإمام علي عليه السلام فيه العبارة التالية «ثم أتيت علي بن الحسين عليه السلام وقد بلغ بي الكبر إلى أن أرعشت، وانا أعد يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيت راعياً ساجداً ومشغولاً بالعبادة، فيئست من الدلالة، فأومأ ألي بالسبابة فعاد إلي شبابي، قالت: فقلت: ياسيدي كم مضى من الدنيا وكم بقي؟ فقال: اما ما مضى فنعم، وأما ما بقي فلا، قالت: ثم قال لي: هاتي ما معك فأعطيته الحصاة فطبع لي فيها»

مما يشير إلى لقاءين لحبابة مع الإمام السجاد عليه السلام، الأول فعل بالحصاة كما فعل رسول الله والأئمة عليهم الصلاة والسلام «فجعلها بين كفيه فجعلها كهية الدقيق ثم عجنها فجعلها ياقوتة حمراء ثم ختمها»، اما اللقاء الثاني فقد طالبها بنفس الحصاة التي عندها «ثم قال لي: هاتي ما معك فأعطيته الحصاة فطبع لي فيها»، فعملية تحويل الحصاة إلى ياقوت هو اللقاء الأول على حصيات متعددة اما اللقاء الثاني فهو طبع على حصاة واحدة كلهم عليهم السلام طبعوا فيها، والذي سيؤكد الحديث اللاحق الذي سنذكره ان هذه الحصاة وصلت إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام فطبع لها.

(١) بحار الأنوار/ج ٢٥/ص ١٩٠

**مع الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام:**

كما ورد في حديث لقاء حباية مع الإمام علي عليه السلام «ثم أتيت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام فطبع لي فيها».

دخلت حباية الوالبية على أبي جعفر عليه السلام محمد بن علي عليهما السلام، قال يا حباية ما الذي ابطأك؟ قالت: قلت بياض عرض لي في مفرق رأسي كثرت له همومي، فقال: يا حباية ادنيه، قال: فدنوت منه، فوضع يده في مفرق رأسي ثم قال أتتوا لها بالمرأة، فنظرت فإذا شعر مفرق رأسي قد اسود فسررت بذلك وسر أبو جعفر عليه السلام بسروري<sup>(١)</sup>

على ما يبدو انها كانت «زواره» لكل الأئمة عليهم السلام وهم يقولون لها دائما ما الذي ابطاء بك عنًا، وكما تلاحظ ان حباية ابطأت عن الإمام الحسين عليه السلام «لوضح بين عينها» وهنا تتأخر عن الإمام الباقر عليه السلام «لبياض عرض لها في مفرق رأسها»، والحقيقة ان الإمام السجاد عليه السلام قد اعاد لها شبابها لكن فترة امامة الإمام السجاد كانت طويلة مما ادى ان يظهر الشيب ثانية في راس حباية فقالت «كثرت له همومي» اذ ربما اعاد لها هذا الشيب هموم الكبر في السن، والواضح ان حباية تعود لآل البيت في كل شاردة وواردة

**مع الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:**

كما ورد في حديث لقاء حباية مع الإمام علي عليه السلام «ثم أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فطبع لي فيها»

**مع الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام:**

كما ورد في حديث لقاء حباية مع الإمام علي عليه السلام «ثم أتيت ابا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فطبع لي فيها»

**مع الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:**

كما ورد في حديث لقاء حباية مع الإمام علي عليه السلام «ثم أتيت الرضا عليه السلام فطبع لي فيها»  
لما وصلت حباية إلى الإمام الرضا عليه السلام ورأت شخصه ضحكت، فقالوا قد خرفت يا حباية ونقص عقلك، فقال الإمام الرضا عليه السلام «ما خرفت حبابه ولا نقص من عقلها ولكن جدي أمير المؤمنين عليه السلام اخبرها بانها عند لقائي تكون منيتها، وانها تكون من المكوررات مع المهدي عليه السلام من

(١) بصائر الدرجات/ الصفار/ ص ٢٠٠

ولدي فضحكت شوقا لذلك وسرورا به وفرحا بقربها منه»

ووصولها إلى الإمام الرضا ﷺ هو مسك الختام لحياتها وتوفيت في زمن الإمام الرضا ﷺ وقد كفنها بثوبه ﷺ ودفنت في البقيع بالمدينة المنورة بعد ان صلى الإمام الرضا ﷺ على جثمانها الطاهر، وبهذا يكون عمرها اكثر من مئتي سنة على اقل تقدير

### مع الإمام محمد الجواد ﷺ:

بعد وفاة حباة في زمن الإمام الرضا ﷺ لا ندرى ماذا حصل بعدها بحصاتها، والمفروض ان الحصة هذه ستمر على بقية الأئمة ويطبعون عليها، والذي يؤكد هذا الكلام حديث سنذكره لاحقا حول لقاء احد احفاد حباة بالإمام الحسن العسكري ﷺ مما يدل ان اولاد واحفاد حباة قاموا بهذه المهمة بعد موتها في زمن الإمام الرضا ﷺ ولا بد وانهم قد تابعوا نفس المسير بالبحث عن الوصي ولا بد وانهم وصلوا إلى الإمام الجواد والإمام الهادي عليهما السلام

### مع الإمام علي الهادي ﷺ:

نفس الكلام السابق

### مع الإمام الحسن العسكري ﷺ:

عن داود بن القاسم قال : كنت عند ابي محمد ﷺ فاستؤذن لرجل من اهل اليمن فدخل عليه رجل جميل طويل جسيم فسلم عليه بالولاية فرد عليه بالقبول، وامره بالجلوس إلى جنبي فقلت في نفسي ليت شعري من هذا؟ فقال ابو محمد ﷺ هذا من ولد الاعرابية صاحبة الحصة التي طبع آبائي فيها بخواتيمهم فانطبع، ثم قال فاخرج حصة وفي جانب منها موضع املس فاخذها واخرج خاتمه فطبع فيها فانطبع وكأني اقرأ الخاتم الساعة، الحسن بن علي، فقلت لليمانى: رأيت قط قبل هذا؟ فقال: لا والله واني منذ دهر لحريص على رؤيته حتى كان الساعة أتاني شاب لست اراه فقال: قم فادخل فدخلت ثم نهض وهو يقول: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ذرية بعضها من بعض اشهد ان حقك لواجب كوجوب حق أمير المؤمنين واليك انتهت الحكمة والامامة، وانك ولي الله الذي لا عذر لاحد في الجهل به فسألت عن اسمه فقال: اسمي مهجع بن الصلت بن عقبة بن سمعان بن غانم بن ام غانم وهي الاعرابية صاحبة الحصة التي ختم فيها أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام»<sup>(١)</sup>.

واضح من الحديث المبارك ان مشروع حباية وحصاتها قد توارثه ابنائها واحفادها بعد وفاتها في زمن الإمام الرضا عليه السلام، وما وصلت تلك الحصاة إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام الا وقد مرت على الإمام الجواد والإمام الهادي عليهما السلام، وقد اورد الإمام الحسن العسكري هذا المعنى بقوله «التي طبع آبائي فيها بخواتيمهم فانطبعت»، والمعنى العام لتوارث ابناء واحفاد حباية لهذه الحصاة يدل على ان الحصاة مشروع تظهر اثاره ومعناه في المستقبل، وهؤلاء الاشخاص أصحاب تكليف خاص سيستمر إلى يوم ظهور صاحب الأمر عليه السلام.

### مع الإمام المهدي الحجة ابن الحسن عليه السلام:

عن المفضل بن عمر قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول «يكون مع القائم ثلاثة عشرة امرأة». قلت: وما يصنع بهن؟ قال عليه السلام «يداوين الجرحى ويقمن على المرضى كما كنّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله». قلت: فسمهن لي. قال «القنواء بنت رشيد، وأم أيمن، وحباية الوالبية، وسمية أم عمار بن ياسر، وزبيدة، وأم خالد الأحمسية، وأم سعيد الحنفية، وصبانة الماشطة، وأم خالد الجهنية»<sup>(١)</sup>

عن الإمام الرضا عليه السلام «وانا مبشرك بأنك من المكرورات من المؤمنات مع الإمام المهدي عليه السلام من ذريتي إذا اظهر الله امره».

حباية من المكرورات ومن المشمولات بالرجعة مع الإمام المهدي عليه السلام حين ظهوره، ولا بد ان حباية ستعرض حصاتها على الإمام المهدي عليه السلام لكي تتأكد انه الوصي، والراجح حسب هذا الواقع الذي تذكره الأحاديث ان ابناء حباية نسلهم سيستمر طيلة فترة الغيبة الكبرى وهم يتوارثون هذه الحصاة من ايام الإمام الرضا عليه السلام إلى يوم ظهور القائم عليه السلام وربما سيسلمونها إلى حباية يوم رجعتها، وهذا بحد ذاته مشروع سري لا يمكن متابعته عبر التاريخ لعدم وجود معطيات عنه الا ان واقع الأحاديث كما قلت يشير إلى هكذا امر، ولا بد وان ختم الإمام المهدي عليه السلام على هذه الحصاة يوم ظهوره سيظهر الغاية والمعنى من كل هذه القصة التي حتما ستكون دليلاً على انه وارث الأنبياء والاوصياء، وخصوصاً ان هذه الحصاة فيها صور جميع الأئمة عليهم السلام ومن ضمنها صورة الإمام المهدي عليه السلام نفسه فتكون هذه الصورة وختم الإمام المهدي عليه السلام عليها دال بشكل واضح على انتسابه لآل محمد عليهم السلام، واليقين الذي عندي ان لهذه الحصاة شان سيظهر مع ظهور الحجة ابن الحسن عليه السلام إذا لا بد ان يختم القائم عليه السلام عليها لان الختم على هذه الحصاة علماً يبدو مشروع له غاية ستظهر في اخر الزمان فإذا ختم عليها خاتم الاوصياء ظهر سرها المكنون، فمشروع حباية يُحسم برحلة الحصاة نفسها لانها تكشف ان الختم عليها حقيقة لا

تجري الا على يد معصوم، والموضوع في اخر الزمان سيكون فيه فرج وطمأنينة لقلوب شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) فهي معجزة لمعرفة شخص الإمام في زمن يكثر فيه الفتن والمدعين.

ولو تابعت التاريخ الديني ستجد جملة من القصص حول اشياء تركها الأنبياء والاوصياء السابقين لمن سيأتي بعدهم من اللاحقين والتي تفصل بينهم سنوات قد تصل لاكثر من الف سنة.

من حديث طويل «فلما كان من امر علي (عليه السلام) ما كان توجهنا معه فلما رجعنا من صفين نزلنا ارضا فقرا ليس بها ماء، فشكونا ذلك إلى علي (عليه السلام)، فانطلق يمشي على قدميه حتى انتهينا إلى موضع كان يعرفه فقال: احفروا ههنا. فحفرنا إذا بصخرة صماء عظيمة، قال: اقلعوها. قال: فجهدنا ان نقلعها فما استطعنا. قال: فتبسم أمير المؤمنين صلوات الله عليه من عجزنا عنها، ثم اهوى اليها بيديه جميعا كأنما كانت في يده كرة، فإذا تحتها عين بيضاء كأنها من شدة بياضها اللجين المجلو، فقال: دونكم فاشربوا واسقوا وتزودوا ثم آذنوني بها. قال: ففعلنا ثم اتيناه. فاقبل يمشي اليها بغير رداء ولا حذاء فتناول الصخرة بيده ثم دحى بها في فم العين فالقمها إياها ثم حثا بيده التراب عليها وكان ذلك بعين الديراني وكان بالقرب منها ومنا يرانا ويسمع كلامنا. قال: فنزل فقال: اين صاحبكم؟ فانطلقنا به إلى علي (عليه السلام) فقال: اشهد ان لا اله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله ﷺ وانك وصي محمد ﷺ ولقد كنت ارسلت بالسلام عني وعن صاحب لي مات كان اوصاني بذلك مع جيش لكم منذ كذا وكذا من السنين، قال سهل: فقلت يا أمير المؤمنين هذا الديراني الذي كنت ابلغتك عنه وعن صاحبه السلام. قال: وذكر الحديث يوم مررنا مع خالد فقال له علي (عليه السلام): وكيف علمت اني وصي رسول الله ﷺ؟ قال: اخبرني ابي وكان قد اتى عليه من العمر مثل ما اتى علي، عن ابيه عن جده عمن قاتل مع يوشع بن نون وصي موسى حين توجه فقاتل الجبارين بعد موسى باربعين سنة انه مر بهذا المكان وأصحابه عطشوا فشكوا اليه العطش، فقال: اما ان بقربكم عيناً نزلت من الجنة استخرجها آدم، فقام اليها يوشع بن نون فنزع عنها الصخرة ثم شرب وشرب أصحابه وسقوا، ثم قلب الصخرة وقال لأصحابه لا يقلبها إلا نبي او وصي نبي قال: فتخلف نفر من أصحاب يوشع بعد ما مضى فجهدوا الجهد على ان يجدوا موضعها فلم يجدوا وانما بني هذا الدير على هذه العين وعلى بركتها وطلبتها فعلمت حين استخرجتها انك وصي رسول الله احمد الذي كنت اطلب»<sup>(١)</sup>



واضح من الحديث ان هناك امور يتوارثها بعض الناس تتعلق بتاريخ الأنبياء والاولياء لاكثر من الف سنة فلم يتحقق كلام ابو هذا الراهب الا بعد اكثر من الفي سنة بين يوشع عليه السلام والإمام علي عليه السلام، وهذه الصخرة لا يقلبها إلا وصي، وتلك الحصاة لا يختم عليها إلا وصي، فالاولياء السابقين يتركون اثر للاوصياء اللاحقين وهناك اشخاص يتابعون الموضوع إلى حين ظهور الوصي اللاحق، فنحن نكون غير مجانبين للصواب إذا قلنا ان هناك من يتوارث هذه الحصاة إلى يوم ظهور القائم لتكون دلالة على وصايته.

ولا تستغرب ان يكون لحباية حجر يسير مع التاريخ بشكل سري إلى ان يصل إلى قائم آل محمد عليه السلام وقد ذكر القرآن الكريم ان لموسى عليه السلام حجر ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup>، وقد ذكرت المرويات عن آل محمد عليه السلام ان هذا الحجر سيظهر مع القائم عليه السلام.

عن ابي جعفر عليه السلام «ان القائم إذا قام بمكة واراد ان يتوجه إلى الكوفة نادى مناديه الا يحمل احد منكم ماءً ولا شراباً ويحمل حجر موسى بن عمران عليه السلام وهو وقر بغير فلا ينزل منزلاً الا انبعث منه عين، فمن كان جائعاً شبع، ومن كان ظامئاً روي، فهو زادهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الأعراف/١٦٠

(٢) الكافي: ج ١/ ص ١٨٠/ ح ٣

## مفهوم الحركة البُعدية للسموات والأرضين

عالمنا الذي نعيش فيه ثلاثي الأبعاد، وهي «الطول، والعرض، والارتفاع» وهي التي يسمونها في الهندسة «الأحداثيات الديكارتية»، والنظريات العلمية الحديثة ومنها النظرية النسبية ونظرية الكم وغيرها تؤكد وجود ابعاد اخرى قد تصل إلى «١١» بُعد، وقد تبنت النظرية النسبية مفهوم البُعد الرابع الذي هو الزمن، والزمن بُعد ليس له واقع هندسي كما هو حال الأبعاد الثلاثة، بل هو بُعد من نوع آخر، وان عملية شرح او توصيل فكرة مفهومة وواضحة عن البُعد الرابع مسألة ليست سهلة، كما هو الحال لو رأيت موضوع في احد احلامك فانك تقول للناس اني رأيت الموضوع الفلاني وتشرحه للناس، ولكن لا يمكنك في كل الاحوال ومهما بلغت من التعبير ان تصف لهم حلمك بما هو عليه إلا في حالة واحدة وهي انك تُدخل الاخرين في احلامك وهذا شُبّه مُحال، فموضوع البُعد الرابع اشبه بهذا الامر، فهو بحاجة إلى خيال خصب للتصور وفهم دقيق لبعض مفاهيم المعادلات الرياضية المعقدة، ولا يوجد لحد الان تصور عملي يمكن الاعتماد عليه في توضيح معنى البُعد الرابع او الأبعاد المتعددة، فكل هذه الأبعاد يتم البرهنة عليها رياضياً، ويستشعرها الفيزيائيون والفلاسفة وغيرهم حسيّاً، إلا ان انطباقها على ارض الواقع لم يحصل بعد ولم يحن اوانه بعد، ولكن هناك مثل يمكن من خلاله تقريب المعنى.

افرض ان هناك نملة تعيش على خيط رفيع، وهي بموجب تواجدها في هذا العالم ذو البُعد الواحد فهي تستطيع الحركة للامام والخلف فقط، وهي مُتكيفة حسب الواقع الهندسي الذي تعيش فيه، والان تصور ان الله ارسل إلى هذه النملة نبي ليقول لها ان هناك عالم اخر من بُعدين، طبعاً النملة لا تستطيع ان تتخيل وجود هكذا عالم لانها لا تعرف ولا تحس إلا بما تراه حواسها، وعندما سألت النملة هذا النبي وقالت له ما معنى البُعدين؟ قال لها النبي معناه امكانية الحركة إلى الامام وإلى الخلف وإلى اليمين وإلى اليسار، طبعاً النملة استغربت الموضوع ومهما قلنا لها من ادلة فانها ربما تصدق من باب الإيمان بكون هذا النبي ليس بكاذب، إلا انها على المستوى اليقيني لا يمكن ان تتصور عالم ببعدين، فكان الحل النهائي ان يقوم هذا النبي بنقل هذه النملة من عالمها ذو البُعد الواحد إلى عالم جديد فيه بُعدين، وهنا ادركت النملة يقيناً ماذا يعني البُعد الثاني، لانها تعاملت معه وعرفت ماذا يعني يمين وماذا يعني يسار، وهكذا بقيت النملة تعيش في هذا العالم لمئات السنين وتعلمت كل الاجيال التي جاءت بعدها بان تعيش

في عالم ذو بعدين ولا تعرف غيره، وبعد مئات السنين جاء نبي لمجتمع النمل الذي يعيش في بُعدين وقال لهم ان هناك بُعد ثالث، طبعاً العملية ستتكرر وهؤلاء لا يفهمون ما هو البعد الثالث، فقالوا للنبي وما هو البُعد الثالث؟ فقال لهم ان الاشكال فيه مُجسمة وتستطيعون الحركة إلى الامام والخلف، واليمين واليسار، والفوق والتحت، فقالوا له وما هو الفوق والتحت؟ ولم تنفع كل وسائل الايضاح لفهامهم المعنى، فلم يبقى الا حل واحد وهو ان ياخذ النبي النمل إلى عالم الأبعاد الثلاثة وعندها اصبح لديهم يقيناً ما هو البُعد الثالث.

والان نحن نعيش في عالم ثلاثي الأبعاد وجائنا من يقول لنا ان هناك بُعد رابع، هنا سيأتي نفس السؤال، وما هو البُعد الرابع؟ طبعاً سيقوم الأنبياء والصالحين بايضاح المفاهيم الحكمية لهذا الموضوع، وسيقوم العلماء التجريبيين من اجراء التجارب ووضع المعادلات الرياضية في محاولة لفهام الناس هذا المعنى، ولكن في الحقيقة المعنى كبير وهو بحاجة لمعرفة يقينية للتفهم، ومن هنا وضع الله الاحلام في تركيبة وطبيعة الإنسان لكي يُعطيه معنى عن البُعد الرابع<sup>(١)</sup>، كون الاحلام فيها اشياء يراها ويفعلها الإنسان كالطيران والخوارق مما لا يمكنه من فعلها في عالم الأبعاد الثلاثة، وفي الحقيقة ان كل الناس في يوم من الايام سيرون البُعد الرابع عند الموت عندما يدخلون للافق البرزخي، والخواص منهم من ماحضي الإيمان سيرونه في «عالم الرجعة» عالم الجنة البرزخية<sup>(٢)</sup>.

فعلية يكون «الطول والعرض والارتفاع» هو المكان، اما البُعد الرابع فهو الزمان، فتكون عبارة «الزمان والمكان» تعني «الأبعاد الأربعة»، وفي عالم الأبعاد الأربعة يمكن رؤية الشكل

(١) عن ابي الحسن عليه السلام قال «ان الاحلام لم تكن فيما مضى في اول الخلق وانما حدثت، فقلت: وما العلة في ذلك؟ فقال: ان الله عز ذكره بعث رسولا إلى اهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته فقالوا: ان فعلنا ذلك فما لنا، فوالله ما انت باكثرنا مالا ولا باعزنا عشيرة. فقال: ان اطعموني ادخلكم الله الجنة وان عصيتوني ادخلكم الله النار. فقالوا: وما الجنة وما النار؟ فوصف لهم ذلك فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متم. فقالوا: لقد رأينا امواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً، فزادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فحدث الله عز وجل فيهم الاحلام فاتوه فاخبروه بما رأوا وما انكروا من ذلك. فقال: ان الله عز وجل اراد ان يحتج عليكم بهذا، وهكذا تكون ارواحكم إذا متم وان بليت ابدانكم تصير الارواح إلى عقاب حتى تبعث الابدان» الكافي/الروضة/ح ١٧٩٨

والحديث صريح كون الاحلام موضوع استحدث واضيف إلى البشر وهو اشبه بالبرنامج الذي يمكن ان تضيفه للحاسبة فتظهر خصائص جديدة ومن غير المستبعد في اخر الزمان ان تضاف للإنسان برامج خارجية تجعله يعي ويفهم الكثير من شؤونات الكون بشكل لا تتخيله الان.

(٢) ولو تخيلت نفسك سمكة تعيش في الماء تسير وفق ابعاد ثلاثة وهي لا تعلم ان هناك عالم اخر خارج الماء وقال لها احدهم ان خارج الماء عالم كامل فيه ابعاد اخرى لم تصدقه ولكنها إذا خرجت من الماء سنرى ذلك العالم ولكنها ستتموت فلن يظهر البعد الرابع الا عند الموت اما الان فنحن نتصوره ولكن لا ندرکه.

الهندسي الواحد بعدة اشكال.

والأبعاد الثلاثة مستقيمة، اما البعد الرابع فهو مُنحني كما يقول انشتاين، ويقول بعض الفيزيائيون ان البعد الرابع ينتج من «انحناء الأبعاد المكانية الثلاثة»، اي إذا فقدت الأبعاد الثلاثة «الطول والعرض والارتفاع» حالتها المستقيمة وانحنت نتج من الانحناء البعد الرابع، ومن هنا استطاع انشتاين ان يفسر موضوع الجاذبية كونها قوة تنتج من انحناء نسيج الزمان والمكان بفعل ضغط كتلة الكواكب.

واذ كان البعد الرابع «منحني» بهذا الفهم فهم يعتقدون ان البعد الخامس «ملتوي»، ويمكن تعميم هذا التصور على طبيعة العوالم فيمكن القول ان الأبعاد الثلاثة تكوّن عالم الزمان، والأبعاد الأربعة تكوّن عالم البرزخ، والأبعاد الخمسة تكوّن عالم الدهر وهكذا تنتج العوالم بتعدد الأبعاد.

وبهذا المعنى قد يكون مفهوم السماوات السبع والأرضين السبع تعني تعدد الأبعاد، ولكل سماء وارضها بحد ذاتها نوعين من الأبعاد، نوع ايجابي «جهة ايجابية»، مادة ايجابية نورانية، وهو الجنة وهو تلك السماء، وبُعد سلبي «مادة سلبية ظلمانية جهة سلبية»، هي النار وهي تلك الأرض، ويمكن ان تجد لهذا التصور مدخل من خلال فهم موضوع «المادة النقيضة»<sup>(١)</sup>.

وبهذا المعنى تكون السماوات متسلسلة<sup>(٢)</sup> كما هو في الحديث، عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له اخبرني عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾ فقال: «هي محبوبكة إلى الأرض»، وشبك بين اصابعه، فقلت: كيف تكون محبوبكة إلى الأرض والله تعالى يقول ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾<sup>(٣)</sup>، فقال «سبحان الله اليس الله يقول ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾»، قلت بلى، قال: «فشم عمد ولكن لا ترونها»، فقلت: وكيف ذلك جعلني الله فداك؟ قال: فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها، فقال: «هذه ارض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبة، والأرض الثانية فوق سماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة، والأرض الثالثة فوق

(١) يعتقد العلماء ان هناك جسم مضاد او نقيض للالكترون يسمى البوزيترون مساوي له في الكتلة ويختلف معه في الشحنة، فإذا كان الالكترون سالب الشحنة فالبوزيترون موجب الشحنة، وهناك نقيض للبروتون الموجب هو بروتون سالب الشحنة، وبما ان المادة العادية تتكون من تجمع الذرات وهذه الذرات تتكون من البروتونات والالكترونات التي يسمونها الجسيمات الأولية فمنطقيا يمكن ان تكون هناك ذرة نقيضة تتكون من الالكترون النقيض والبروتون النقيض وبالتالي تتكون المادة النقيضة من تجمع الذرات النقيضة، وإذا وجدت المادة النقيضة يتكون العالم النقيض وبالتالي الكون النقيض.

(٢) ربما متسلسلة ومتداخلة في نفس الوقت

(٣) الرعد/ ٢

السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة.....والأرض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة، وعرش الرحمن تبارك وتعالى فوق السماء السابعة وهو قوله عز وجل ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ طباقاً ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾، فاما صاحب الأمر فهو رسول الله ﷺ والوصي بعد رسول الله ﷺ قائم على وجه الأرض، فانما يتنزل الأمر اليه من فوق السماء من بين السماوات والأرضين». قلت: فما تحتنا الا ارض واحدة؟ فقال: «ما تحتنا إلا ارض واحدة وان الست لهن فوقنا»<sup>(١)</sup>

فكلما دخلت بُعد جديدة رأيت سماء وجنة وارض ونار، فيكون مفهوم السماوات السبع مفهوم ليس مكاني صرف، بل هو مفهوم بعدي متعلق بتغير الأحداثيات وتعددتها، فيمكن لاهل اي سماء ان يروا ما فوقهم وما تحتهم في الجنة، ولكن الانتقال يحتاج إلى معرفة بالأبعاد، فيبقى كل في درجته ولكن يستطيع ان ينظر لغيره<sup>(٢)</sup>.

وكل بُعد من هذه الأبعاد يمكن الدخول اليه من مداخل سماها القرآن ابواب ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾<sup>(٣)</sup>، ومن هنا قال عن السماء انها مبنية ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾<sup>(٤)</sup>، وربما مفهوم البناء لا يعني هيكلها الخارجي بل ما موجود فيها من بناء، كما تقول بنيت البلد اي جعلت فيه مساكن وابنية وغيرها، لان كل مجموعة ابعاد بالبداية تبني اشكال، فهناك اشكال رباعية الأبعاد، واخرى خماسية وهكذا، وتكون الابواب هي مداخل الانتقال من بُعد لآخر.

ومن هنا افهم ان عملية الانتقال من سماء إلى اخرى لا بد ان ترتبط بلفظ خاص وهو لفظ «العروج»، الذي يوحي لي انه في بعض معانيه الانتقال من بُعد لآخر، وقد ارتبطت لفظة

(١) تفسير البرهان/ج/٤/ح/٢ ص ٢٤٣ كذلك تفسير القمي /ج/٢/٣٠٤

(٢) قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ «نوح/١٦-١٧» هذه

الآية الكريمة تدل على أن نوح ﷺ وقومه كانوا يرون هذه «السماوات السبع» اذ لو لم يكن لهم هذه القابلية على رؤية هذه السماوات السبع لاعترضوا عليه ولقالوا له أننا لا نرى إلا سماء واحدة، فلو عكسنا هذا الأمر على واقعنا الحالي وجاءنا من يقول «انظروا إلى هذه السماوات السبع» لأنكرنا عليه ذلك وقلنا أننا لا نرى إلا هذه السماء الدنيا.

فظاهر الآية يوحي ان هناك سبع سماوات مرئية في فترة نوح ﷺ لان هذه الحقيقة متعلقة بنوع النظام الفلكي الذي كان سائداً على الأرض قبل الطوفان، لذلك ذكرهم بهذه النعمة عليهم، ثم أكدت الآية التي تليها هذا المعنى وهي قوله تعالى «وجعلنا القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراج» فعبارة «القمر فيهن» يدل على أن القمر موجود في هذه السماوات السبع أو على اقل تقدير هو متحرك ضمن السماوات السبع بالتتابع.

(٣) القمر/١٤ ووردت لفظة الابواب مقترنة مع الجنة ومع النار في القرآن الكريم

(٤) الشمس/٥

العروج مع لفظة الباب في احد الموارد القرآنية كما في قوله تعالى ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فالعروج ليس حركة في مكان صرف، بل هو حركة بُعدية لدخول العوالم، لذلك ارتبطت لفظة العروج في القرآن مع الملائكة والسماء، فالملائكة كائنات لها القابلية على الحركة «البعدية» اي العروج ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup>، والسماء هو الحيز الذي تتم فيه الحركة البعدية ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾<sup>(٣)</sup>، لاحظ عبارة «يعرج فيها» الدالة بشكل واضح على ان العروج حركة في السماء، وإذا توخينا الدقة فان الحركة في السماء من الاعلى إلى الاسفل «نزول»، والحركة في السماء من الاسفل إلى الاعلى «عروج»، لاني اتصور ان حركة النزول حركة مستقيمة الشكل، اما العروج فهي حركة «موجية».

فيكون البعد الرابع هو البعد الملائكي المرتبط بحركة العروج، فكل مخلوق انسان او جان يصل إلى هذا البعد بجانبه الايجابي فهو «ملك»، وكل انسان او جان يصل إلى هذا البعد بجانبه السلبي فهو «مسوخ»، فيكون البعد الرابع هو اول ابواب السماء، وهو باب الجنة وباب النار، وعليه يمكن القول افتراضا التالي:

السماء الأولى: هي سماء الجسم النوراني والأبعاد الأربعة  
السماء الثانية: هي سماء المثل اللطيف والأبعاد الخمسة  
السماء الثالثة: هي سماء المادة<sup>(٤)</sup> والأبعاد الستة  
السماء الرابعة: هي سماء الطبائع<sup>(٥)</sup> والأبعاد السبعة  
السماء الخامسة: هي سماء النفس والأبعاد الثمانية  
السماء السادسة: هي سماء الروح والأبعاد التسعة  
السماء السابعة: هي سماء العقل والأبعاد العشرة

وبهذه الحالة تكون ارضنا ذات «الأبعاد الثلاثة» كما هو واضح، وعلى فرض ان قصة الخليقة قد حدثت في واقع برزخي اي في حالة «بعدية» ما بين البعد الرابع السماوي والأبعاد الثلاثية الأرضية، فتكون عملية الهبوط من السماء إلى الأرض والتي يتحدث عنها القرآن الكريم

(١) الحجر/١٤

(٢) المعارج/٤

(٣) سبأ/٢

(٤) نفصد بالمادة مادة التخليق الأولى «نار هواء ماء تراب»

(٥) نفصد بالطبائع «الحرارة البرودة اليبوسة الرطوبة»

بنزول ادم وإبليس هي عملية الانتقال من البعد الرابع إلى الأبعاد الثلاثية، وربما لهذا السبب قال لهم «اهبطوا»، فهم بهبوطهم لا بد ان يلبسوا جسم ثلاثي يتناسب مع الواقع الجديد<sup>(١)</sup>.

(١) يقول الحاج عبد الرضا خان الإبراهيمي «..... والجسد البرزخي موجود في محله في عالم البرزخ الذي هو باطن هذا العالم الظاهر ولا يتحول من هذه الامكنة العرضية ولا يذهب إلى جهة من هذه الجهات الستة الا ان الشخص إذا مات انعدم ظهوره في هذه الدنيا وبقي جسمه وجسده البرزخي في البرزخ على حاله كما كان وما يقال ان روحه صعدت إلى السماء لان لطافة عالم البرزخ بالنسبة إلى العالم الظاهر مثل لطافة السماء بالنسبة إلى الأرض بل الطف وإذا وجد بدن في الدنيا مرة اخرى ظهرت فيه الروح وقيل انها هبطت إلى الأرض وهذا معنى هبوط آدم ﷺ إلى الأرض لا كما يزعمه العوام مثل الحجر النازل من السماء او من احد الكرات إلى الأرض فمعنى الإسراء او الذهاب إلى السماء هو هذا يعني انعدام ظهوره في الأرض لا انه صار مثل الصواريخ التي يطلقونها في هذه الايام إلى الهواء وتسير إلى جهة من الجهات الستة وإن اردنا ان نضع اصطلاحا لذلك فلا بد من ان نقول ان الروح صعدت إلى الاعلى في الجهة السابعة وهذا هو طريق وارتباط الجسد الدنياوي بالجسد البرزخي الذي ليس في أي جهة من الجهات الستة وإذا اردنا التعبير باصطلاح الرياضيات قلنا انه عمود على الجهات الستة ومن الذي قال ان الجهات منحصرة في هذه الجهات الستة المعروفة نعم هذه الجمادات جهاتها منحصرة بهذه الجهات الستة فإذا ارتفعت عن الجمادية صارت لها جهة سابعة تفسر فيها والسموات واقعة في طول هذا الطريق والعرش في نهايته ورزقنا يصل الينا من هذا الطريق ونحن اولاد ادم ﷺ جننا من هذا الطريق ونرجع من هذا الطريق ولكن العوام واهل الظاهر يزعمون ان الجهات منحصرة بهذه الجهات الستة وكل ما يسمعون يحملونه على متفاهمهم ويتورون في فهم معاني الاخبار وكلمات الحكماء والاخبار» رسالة مسائل طهران/ ص ١٠/ مطبعة الغدير

## الجان والجن

قبل الولوج في معنى لفظتي الجان والجن لابد من متابعة هاتين اللفظتين ومدلولهما قرآنياً، فقد وردت لفظة «الجان» في سبعة موارد منها ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾<sup>(٣)</sup>، وكما تلاحظ ان النصوص تذكر ان منشأ «الجان» من «نار السموم، مارج من نار» فهم من النار، اما «الجن» فلم يذكر القرآن منشأهم، والكثير يعتقدون ان منشأ إبليس من النار لانهم لا يفرقون بين الجن والجان، لذلك قال الحديث عن إبليس الجني انه كاذب حينما قال ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، لانه مخلوق من طين، فهو من الجن وليس من الجان.

عن اسحاق بن جرير، قال: قال ابو عبد الله ﷺ «أَيُّ شَيْءٍ يَقُولُ أَصْحَابُكَ فِي قَوْلِ إِبْلِيسَ ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾». قلت: جُعِلَتْ فِدَاكَ قَدْ قَالَ ذَلِكَ وَذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ. فقال: «كُذِبَ إِبْلِيسَ لَعْنَةُ اللَّهِ، يَا اسْحَاقُ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ إِلَّا مِنَ الطِّينِ» ثم قال: قال الله ﷻ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ خلقه الله من تلك النار، والنار من تلك الشجرة، والشجرة اصلها من طين»<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا التصور يكون «الجن» فرع من «الجان» ويؤيده الأحاديث التالية:

عن الإمام الرضا ﷺ عن آبائه ﷺ قال: سأل الشامي أمير المؤمنين ﷺ عن اسم ابي الجان، فقال: «شومان، وهو الذي خلق من مارج من نار»، وسأله هل بعث الله نبياً إلى الجن؟ فقال: «نعم، بعث اليهم نبيا يقال له يوسف فدعاهم إلى الله عز وجل فقتلوه»<sup>(٥)</sup>.

عن ابي بصير، عن الصادق جعفر بن محمد ﷺ انه قال: اخبرني عن خلق آدم كيف خلقه الله تعالى؟ قال: «ان الله تعالى لما خلق نار السموم وهي نار لا حر لها ولا دخان فخلق منها الجان فذلك معنى قوله تعالى ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ وسماه مارجاً وخلق

(١) الحجر/ ٢٧

(٢) الرحمن/ ١٥

(٣) الرحمن/ ٣٩

(٤) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٦/ ص ٥١٩/ ح ٣

(٥) علل الشرائع: ١٩٨ كذلك عيون اخبار الرضا ﷺ: ١٣٤



منه وزوجه وسماها مارجة فواقعها فولدت الجان ثم ولد الجان ولداً سماه لجن ومنه تفرعت قبائل الجان ومنهم إبليس اللعين.....»<sup>(١)</sup>.

والحديث يذكر معلومة مهمة وهي ان ابو الجان هو شومان وخلق منه زوجته مارجة، وهذا يذكرنا بخلق حواء من آدم، والموضوع يشير إلى ان بداية كل خلق زوجته تُخلق منه، فبداية خلق الجان من شومان ومنه خلقت زوجته مارجة، وبداية البشرية هي من آدم ومنه خلقت زوجته حواء، فعلى ما يبدو ان هذه نقطة تاسيسية لكل بداية خلق.

فيكون «الجان» الذي إبليس منهم هم فرع من «الجان»، فالجان اصل مستقل خلقوا من النار كما آدم اصل مستقل خلق من الطين، فالجان اقدم من الجان لان الجان اصل والجان فرع، فيكون الجان فرع من اصل وليسوا اصل مستقل وإبليس من مواليدهم، او يمكن القول ان «الجان» هو لقب عام لهذا الجنس كما ان آدم اسم عام لهذا الجنس، فيكون الجان بنوا الجان كما تقول الناس بنو آدم.

ولا ندري بالضبط كيف خرج الجان من الجان، ولكن يمكن القول بالنظر لشؤون ادم، ان آدم من طين وابنائهم من نطفة، فيكون الجان من النار وابنائهم من نطفهم، لذلك قيل في الأحاديث «الجان بنو الجان»، فالمستشف ان الجان هو الجيل الثاني من الجان<sup>(٢)</sup>. والحديث التالي يبين الكثير من احوال الجان والجان.

قال الإمام عليه السلام من حديث طويل «..... حين قال ربك للملائكة الذين كانوا في الأرض مع إبليس وقد طردوا عنها الجان بني الجان وحقت<sup>(٣)</sup> العبادة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ﴿١﴾ بدلا

(١) بيان العارفين في احوال الجن والشياطين/ عبد الرسول زين الدين/ ح/ ٣٩٧/ ص ٢٦٣/ نقلا عن تفسير البرهان: ٣٢٩/٢ عن تحفة الاخوان

(٢) او ربما من خلال تعاقب الاجيال فيهم اصبح الجن نوع ادنى من الجان كما ان اولاد آدم العاديين اقل منه مرتبة، او ربما من انتكس من دورة الجان اصبح جن، كما ان الذي ينتكس من بني آدم من دورتنا يصبح مسخ فيكون الجن مسوخات عالم الجان، وربما من انتكس منهم واصبح جن اضيف إلى عالمنا بهيئات آدمية او حيوانية وخصوصا ان الحديث يحدد انهم خمس انواع حيات وعقارب وكلاب وآدميين وعلى موجب هذا التصور بقي الجان معنا في هذه الأرض اما الجان فهم في اقليمهم الخاص، او يمكن القول ان من بقي منهم على ايمانه وصلاحه وحافظ على العهد والميثاق بقي على اصله «جان» اما من سفك الدماء وخالف العهد والميثاق اصبح «جن»، كما ان ابناء آدم من الأنبياء والأولياء والصالحين الذين بقوا على ايمانهم بقوا بشر انعم الله عليهم، اما من كان من بني آدم وفسد فهو في اسفل سافلين فهو بشر بالصورة ومسوخ بالحقيقة

(٣) في مصادر اخرى خفت

منكم ورافعكم منها.....»<sup>(١)</sup>، والحديث واضح الدلالة كون الجن ينحدرون من الجان لقوله «الجن بني الجان»، وانهم افسدوا في الأرض فتم طردهم من قبل الملائكة ومن ضمنهم إبليس، وفي الحديث معلومة مهمة جداً كونهم بعد هذا الحدث تم رفعهم من الأرض مما يؤكد ان حادثة خلق آدم سماوية وان الذين اعترضوا هبطوا إلى الأرض وهذا يفسر لنا تواجد إبليس على الأرض وفي السماء في قصة الخليفة<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري كذلك بحار الأنوار / ١١ / ١١٨

(٢) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه «من حديث طويل عن احوال إبليس..... فقل لهم «اي إبليس» اسمعوا مني معاشر الناكثين والقاسطين والمارقين عبدت الله عز وجل في الجان اثنتي عشرة الف سنة فلما اهلك الله الجان شكوت إلى الله عز وجل الوحدة فخرج بي إلى السماء الدنيا فعبدت الله في السماء الدنيا اثني عشر الف سنة اخرى في جملة الملائكة.....» صحيفة الأبرار / ج ١ / الزء الأول من القسم الأول / ح ١٨

## ضلع آدم

الرأي الشائع عند اتباع المؤسسات الدينية وعامة الناس ان حواء خلقت من احد اضلاع آدم ﷺ، وترتب على هذا الاعتقاد ان اضلاع الرجل ناقصة، والواقع التشريحي لجسم الإنسان يبين بما لا يقبل الشك ان عدد اضلاع الرجل تساوي عدد اضلاع المرأة والبالغة اثنا عشر زوج من الأضلاع.

وهم يستشهدون بالحادثة التي حكم فيها الإمام علي ﷺ على ذلك المخلوق «المُختلط» لتحديد نوع جنسه كونه ذكر ام وأنثى من خلال عد اضلاعه، فإذا كان ناقص الأضلاع فهو رجل وان كان كامل الأضلاع فهي انثى.

عن أبي جعفر ﷺ قال: «ان شريحاً القاضي بينما هو في مجلس القضاء، إذ أتته امرأة فقالت: أيها القاضي، اقض بيني وبين خصمي. فقال لها ومن خصمك؟ قالت: أنت، قال: افرجوا لها، فافرجوا لها، فدخلت، فقال لها: وما ظلامتك؟ قال: إن لي ما للرجال وما للنساء. قال شريح: فان أمير المؤمنين يقضي على المبال. قالت: فأني ابول بهما جميعاً ويسكنان معاً. قال شريح: واللّه ما سمعت بأعجب من هذا؟ قالت: واعجب من هذا. قال: وما هو؟ قالت: جامعني زوجي فولدت منه، وجامعت جاريتي فولدت مني. فضرب شريح احدى يديه على الاخرى متعجباً، ثم جاء إلى أمير المؤمنين ﷺ، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد ورد عليّ شيء ما سمعت باعجب منه، ثم قصّ عليه قصة المرأة. فسألها أمير المؤمنين ﷺ عن ذلك؟ فقالت: هو كما ذكر، فقال أمير المؤمنين ﷺ لها: من زوجك؟ فقالت: فلان، فبعث اليه فدعاه، فقال: اتعرف هذه؟ قال؟ نعم، هي زوجتي، فسأله عما قالت، فقال: هو كذلك.

فقال له أمير المؤمنين ﷺ: أنت أجزأ من خاص الأسد، حيث تقدم عليها بهذا الحال. ثم قال: يا قنبر أدخلها بيتاً مع امرأة تعدّ أضلاعها، فقال زوجها: يا أمير المؤمنين، لا آمن عليها رجلاً، ولا آمن عليها امرأة. فقال علي ﷺ عليّ بدينار الخصي، وكان من صالحه أهل الكوفة، وكان يثق به، فقال له: يا دينار أدخلها بيتاً وعرفها من ثيابها ومرها أن تشدّ مئزراً وعدّ أضلاعها ففعل دينار ذلك، وكان أضلاعها سبعة عشر، تسعة في اليمين وثمانية في اليسار، فألبسها ﷺ ثياب الرجال والقلنسوة والنعلين والقى عليه الرداء والحقه بالرجال. فقال زوجها: يا أمير المؤمنين ابنة عمي، وقد ولدت مني تلحقها بالرجال. فقال: أني حكمت عليها بحكم الله، إن الله تبارك

وتعالى خلق حواء من ضلع آدم الايسر الاقصى واضلاع الرجال تنقص واضلاع النساء تمام»<sup>(١)</sup>.

هذا الموضوع ننظر اليه من خلال النقاط التالية:

اولاً: الحديث لا يتحدث عن آدم وحواء بل يتحدث عن مخلوق من عموم الناس وان كان الحكم مُتعلقاً باحوال آدم وحواء.

ثانياً: هذا المخلوق ليس كامل الاعضاء بل فيه تشوهات اخرى وهو كونه له سبعة عشر ضلع فيما الإنسان العادي المكتمل له اربعة وعشرون ضلعاً، فهو حالة شاذة والحكم فيه يكون خاص.

ثالثاً: ان الإمام علي عليه السلام عندما حكم بكون هذا المخلوق رجل استناداً إلى ان آدم عليه السلام ناقص للضلع، فهو عليه السلام احتكم لاحوال آدم ولم يحتكم لاحوال عامة الناس، لان آدم يختلف عن عامة الناس بخصائص كثيرة لا نعرفها نحن بل يعرفها الاوصياء، فطبيعة آدم عليه السلام كونه مخلوق اصل ربما فيها نقص في الأضلاع عندما خُلقت منه حواء ولا يجري هذا التصور على عموم الناس.

رابعاً: هذه الحالة التي حكم بها أمير المؤمنين عليه السلام حالة شاذة والحالة الشاذة لا تقاس بالعموميات بل تقاس بالاصل، فادم اصل تقاس من خلاله هذه الحالات.

خامساً: هذا المخلوق تساوت فيه الرجولة والانوثة والحكم في هذه الحالة على عدة امور منها «المبال - الاحتلام ام الحيض - ظهور الثديين»

عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام «من حديث طويل انه سُئل عن «المؤنث»... قال عليه السلام «واما المؤنث فهو الذي لا يدري أذكر أم أنثى، فانه ينتظر به فان كان ذكراً احتلم وان كانت وأنثى حاضت وبدا ثدييها والا قيل له بل على الحائط»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيفة الأبرار/ الميرزا محمد تقي/ ج ١/ الجزء الخامس من القسم الأول/ ح ٢٣

(٢) الاحتجاج/ الطبرسي: ٢٦٢/١

الخنثى او ثنائية الجنس هو كائن حي له اعضاء تكاثرية اثنوية وذكرية وتكثر هذه الحالة في الكائنات التي ليس لها جنس منفصل اي ليست مخصصه إلى ذكر وأنثى فهي تنتج الحيوانات المنوية والبويضات في نفس الجسم ولكن الحيوانات المنوية والبويضات تنتج في فترات مختلفة لا تتصادف مع بعضها لذلك لا بد من وجود حيوان اخر من نفس النوع لاتمام عملية التكاثر ومن ابرز الامثلة على ذلك دودة الأرض.

والمعروف لدينا حالياً ان الذي لا يُعرف كونه ذكر ام وأنثى يسمى «خنثى»، والذي يهمننا من الحديث ان هناك فرق بين مدلول لفظة «انثى» ومدلول لفظة «مؤنث»، وبالنتيجة يكون هناك فرق بالمدلول بين لفظة «ذكر» ولفظة «مذكر»، فالوأنثى اسم نوع انساني مقابل الذكر يتم التفریق بينهما بواسطة الاعضاء التناسلية، اما المؤنث بدلالة الحديث فموضوع «مختلط»،

والواضح ان هذا المخلوق تساوت فيه الرجولة والانوثة لانه يمتلك العضوين، بل انه يلد ويولد له، فهو له رحم، وهو يحتلم ويحيض، وهو يبول بهما جميعا، فلا بد من الاحتكام إلى دالة اخرى للفصل بين الموضوعين وهي الأضلاع، واختاره أمير المؤمنين (عليه السلام) كحل نهائي، فهذا حكم لحالة شاذة وليس لعموم الناس.

وهذه حالة بايولوجية نادرة ولا ندري هل يوجد في تراث الشعوب او المدونات الطبية حالة شبيه لها، نعم نحن نسمع عن وجود بعض الناس لهم العضوين التناسليين الذكري والانثوي، ولكننا لم نسمع ان احدهم ولد واولد.

بقي هنا امر ان هذا المخلوق عندما جاء إلى شريح القاضي قال له «انت خصمي» ولا ندري ما وجه ظلامته عند شريح، فهي بالاصل موضوع مُختلط من ذكر وأنثى فما علاقة شريح بهذا، والملاحظ في الحديث انها لم تشتكي من احد، ولماذا وهي بهذا الشكل ولها زوج واولاد تعرض نفسها على احد، فالموضوع اساسا ليس فيه احد متهم، وهل تعتقد ان شريح القاضي سيحل لها مشكلتها البايولوجية، هذه كلها تجعلنا نذهب إلى ان هذا موضوع مقصود، ولا ادري لماذا يجول في خاطري القاصر ان هذا المخلوق ليس من جنس الإنسان، وربما هو صنعة من صنائع إبليس او هو إبليس نفسه الذي تقول عنه الأحاديث انه يلد ويبيض، فربما هذه لعبة من الاعيبه اراد بها ان يخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) بسؤال ليس له مثيل، ولكن هيهات ان يعجز باب مدينة العلم.

والإنسان ككائن بايولوجي قابل للانتكاس دليلا الآيات القرآنية التي تذكر مسخ اقوام إلى قردة وخنازير، ولا بد ان حالة المخلوق المختلط حالة شديدة الانتكاس حالها حال إبليس الذي يلد ويبيض وربما والله العالم كثير من هذه الكائنات ينكحون ويُنكحون وقد ورد في جملة من المرويات تم تحويل بعضهم من ذكور إلى اناث على يد الولي بل ان بعضهم تزوج وانجب.

هنا ستقول لي هل ان آدم (عليه السلام) ناقص الأضلاع؟

والواضح ان الحديث يسميه «مؤنث» ونحن نسميه حاليا باصطلاحنا «خنثى»، ولكن في النهاية يجب ان يكون هناك مائز من خلاله يمكن تصنيف هكذا مخلوق ضمن خانة الذكور او الاناث ومنها اتجاه البول وعدد الأضلاع والحيظ والاحتلام، ولا نستطيع متابعة مفهوم «المؤنث والمذكر» قرآنيًا لعدم وجود هاتين اللفظتين بل ورد في القرآن «ذكر وانثى».

ولفظه «مؤنث ومذكر» حاليا تستخدم في وصف اشياء وكائنات اخرى غير الإنسان والحيوان فمثلاً يُقال «الشمس مؤنث والقمر مذكر» ولا يقال «الشمس ذكر والقمر انثى» ويقال «الجبل مذكر والصخرة مؤنث» ولا يقال «الجبل ذكر والصخرة انثى» لان مفهوم «الذكر والانثى» مفهوم له علاقة بالجانب الجنسي والفسولوجي حصراً اما مفهوم الذكورة والانوثة فله علاقة بتصنيف الكائنات في بعض العلوم ومنها اللغة كما تقول «جمع مذكر سالم» او «جمع مؤنث سالم» وهكذا.

إذا افترضنا ان آدم ﷺ ناقص الأضلاع فهذا ليس شيء معيب لان آدم اصل وما يجري عليه لا يجري على التكرار من ذريته فهو له احوال خاصة تتعلق بمادة منشأة ونوع العالم الذي كان يعيش فيه والاحوال التي تجري عليه، والأحاديث حول موضوع الضلع وردت بعدة صيغ.

منها ما يشير إلى عموم مسألة خلق حواء من آدم ومنها، عن الصادق ﷺ «سميت حواء لانها خلقت من حي يعني آدم ﷺ»<sup>(١)</sup>، عنهم ﷺ «سميت المرأة امرأة لانها خلقت من المرء يعني خلقت من ادم»<sup>(٢)</sup>.

ومنها ما يشير إلى خلق حواء من الضلع، عن أمير المؤمنين ﷺ قال «خلقت حواء من قَصِيرِي جنب آدم»<sup>(٣)</sup> والقصيري هو الضلع الاصغر» وابدل الله مكانه لحما»<sup>(٤)</sup>.

ومنها ما يشير إلى المكان المخصص من آدم الذي خلقت منه حواء، عن ابي عبد الله ﷺ «وخلق زوجته من سنخه فبرأها من اسفل اضلاعه»<sup>(٥)</sup>، عنهم ﷺ «خلقت حواء من جنب ادم وهو راقد»<sup>(٥)</sup>.

ومنها ما يشير إلى كون حواء خلقت من فاضل طينة ادم مما يدل على وحدة المنشأ، عن الإمام الباقر ﷺ «انها خلقت من فضل طينة آدم ﷺ عند دخوله الجنة»<sup>(٦)</sup>

عن عمرو بن ابي المقدام عن ابيه قال: سألت ابا جعفر ﷺ من اي شيء خلق الله حواء؟ فقال: «اي شيء يقولون هذا الخلق؟» قلت: يقولون ان الله خلقها من ضلع من اضلاع آدم، فقال: «كذبوا كان يعجزه ان يخلقها من غير ضلعه». فقلت: جعلت فداك يا ابن رسول الله من اي شيء خلقها؟ قال: «اخبرني ابي عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ ان الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه وكلتا يديه يمين فخلق منها آدم وفضلت من الطين فضلة فخلق منها حواء»<sup>(٧)</sup>.

وبالتالي يمكن الجمع بين كل هذه الأحاديث بالقول ان لفظة الضلع قد تطلق ويُراد منها الطينة او بالعكس فتكون عبارة «خلقت من ضلع آدم تعني من طينته» لان الضلع هو جزء من

(١) قصص الأنبياء/ نعمة الله الجزائري/ الباب الأول/ الفصل الأول/ ص ٣٨

(٢) قصص الأنبياء/ نعمة الله الجزائري/ الباب الأول/ الفصل الأول/ ص ٤٢

(٣) تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٢/ ص ١٥٤/ ح ٥

(٤) قصص الأنبياء/ نعمة الله الجزائري/ الباب الأول/ الفصل الأول/ ص ٤٥

(٥) تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٢/ ص ١٥٤/ ح ٦

(٦) تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٢/ ص ١٥٣/ ح ٤

(٧) قصص الأنبياء/ نعمة الله الجزائري/ الباب الأول/ الفصل الأول/ ص ٤٦

الشيء كما ان طينة حواء جزء من طينة آدم وإذا قال الحديث «فبرأها من اسفل اضلاعه» ربما تعني من اسفل طينته.

ودليله الحديث التالي.

عن رسول الله ﷺ «... اذ اقبل الحسن بن علي عليه السلام يمشي على هدوء ووقار فنظر اليه رسول الله ﷺ وقال: «ان جبرئيل يهديه وميكائيل يسدده وهو ولدي والظاهر من نفسي وضلع من اضلاعي هذا سبطي وقره عيني بابي هو...»<sup>(١)</sup>

فيكون معنى الضلع هو «الجزء» فهو ضلع من اضلاعي اي جزء من اجزائي وينطبق الحديث على الإمام الحسين عليه السلام ايضا لقول الرسول الكريم ﷺ «حسين مني وانا من حسين».

وفي هذه الفقرة عموما احاول الوصول فيها إلى فهم يتعلق بموضوع تعارض الأحاديث، فكلنا يعلم ان في الأحاديث متعارضات، وهناك اساليب عديدة وردت في أحاديث آل محمد عليه السلام لفهم التعارض، حتى عدّو سلام الله عليهم فهم التعارض من اعلى مراتب التفقه لقولهم عليه السلام «انتم افقه الناس إذا عرفتم معارض كلامنا» او معاني كلامنا، والتعارض عندي ليس في كلامهم عليه السلام بل في عقولنا لاننا جعلنا عقولنا ميزان قبل كلامهم، فإذا لم نفهم الحديث قلنا عنه متعارض، وهنا ساخذ نموذج كثر فيه الكلام، وهو موضوع خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام، فهناك في الأحاديث ما يشير إلى انها خلقت من ضلعه، وهناك ما يشير إلى انها خلقت من فاضل طينته، وملخص ما اريد قوله اننا إذا بقينا نفكر بالمعنى اللغوي العام للالفاظ وبالتبادر الذهني للمعاني بموضوع الضلع كونه موضوع بايولوجي ربما لن نصل إلى نتيجة واضحة، وليس هناك تعارض في الأحاديث بل كل حديث يشرح جانب من جوانب الموضوع ويستدل عليه بطريقة مختلفة، على سبيل المثال هناك حديثان متعارضان يمكن فهم التعارض بالقول ان الأول يفهم فلسفياً والثاني يفهم علمياً او رياضياً او اي دليل معرفي، وفي هذه الفقرة يمكن ان يكون موضوع خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام له عدة طرق للشرح والبيان، منها طريقة بايولوجية كما يفهم البعض، ومنها طريقة رقمية عديدة كما نحاول اثباته.

المعروف في النص الديني الإسلامي ان حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام، والمتبادر الذهني لمعنى الضلع هو ذلك العظم الموجود في صدر الإنسان، وتؤيد هذا المعنى بعض النصوص الروائية، وبعض النصوص تشير إلى ان حواء خلقت من بقية طينة آدم عليه السلام فيكون الضلع هنا

بمعنى الجزء او المتبقي من الشيء، وبعض المعاني تشير إلى ان الضلع هو ركن من اركان الشيء كما تقول اضلاع المربع كشكل هندسي. وقد تكلم الشيخ احمد الاحسائي في بعض مؤلفاته كون مفهوم الضلع في آدم ﷺ هو نظام رقمي له اضلاع، مما يفتح افق جديد لفهم بعض النصوص الدينية وفق مبادئ رياضية، فهو هنا لا يتعامل مع آدم ككائن عضوي بل كمنظومة رقمية عديدة تجعلك تنظر للنص الروائي نظرة اخرى.

يقول الشيخ الاحسائي «اقول اعلم ان المثلث اول الاشكال واعظمها وهو شكل ابينا ادم ﷺ لان آدم ﷺ ابو البشر واولها وهذا ابو الاشكال واولها ولان السطح اقل ما يتركب من ثلاث نقط وانما قيل انه شكل آدم ﷺ لان بسايطه خمسة واربعون وهذا مثاله

٦	١	٨
٧	٥	٣
٢	٩	٤

ثلاثة اضلاع كل ضلع خمسة عشر ومجموعها خمسة واربعون وهو مجموع آدم ﷺ وينسب إلى شيث ﷺ لانه ابن آدم وحواء واسم حواء خمسة عشر وذلك ضلع واحد من المثلث الذي مجموع آدم ﷺ فحواء من ضلع آدم الا ان حوا من ضلع المثلث المائي لان طبع الذكر حار يابس وطبع الوأنثى بارد رطب والمثلث له اربع صور كما ذكرنا..... فحواء من الشكل المائي من الضلع الايسر الذي في وسطه الواحد..... انتهى كلامه<sup>(١)</sup>

ويقصد الشيخ الاحسائي بعبارته «لان بسايطه خمسة واربعون»، بمعنى انك لو جمعت الاعداد «١ + ٢ + ٣ + ٤ + ٥ + ٦ + ٧ + ٨ + ٩» لكان الناتج «٤٥»، واسم ادم في علم الجفر يساوي «٤٥» كالتالي:

$$\text{ادم «١ + ٢ + ٣ + ٤ + ٥ + ٦ + ٧ + ٨ + ٩» «٤٥»}$$

والرقم «٤٥» في علم الاوافق يرسم هكذا

٦	١	٨
٧	٥	٣
٢	٩	٤

(١) جوامع الكلم/ الشيخ احمد الاحسائي/ ج٨/ الرسالة الرشتية/ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ /مطبعة الغدير



ولما كانت عناصر التخليق اربعة، فيكون كل ضلع عنصر من عناصر التخليق الأربعة، النار والهواء والماء والتراب، يتبعها اربعة اضلاع، الضلع الناري، والضلع الهوائي، والضلع المائي، والضلع الترابي، وحواء خلقت من الضلع الايسر المائي كما في الرسم التوضيحي ادناه.

	الضلع الناري اعلى			
الضلع المائي ايسر	٨	٣	٤	الضلع الهوائي ايمن
	١	٥	٩	
	٦	٧	٢	
	الضلع الترابي اسفل			

ولو دقت النظر في هذه الارقام لوجدت ان كل عملية جمع لهذه الارقام من اليسار إلى اليمين او من اليمين إلى اليسار او من الاعلى إلى الاسفل او من الاسفل إلى الاعلى او حتى بشكل متعرج ستجد الناتج دائما هو «١٥» وحواء في علم الجفر تساوي «١٥».

$$\text{حواء «ح + و + ا» «١ + ٦ + ٨» «١٥»}$$

لاحظ ان الضلع الايسر المائي تسلسل ارقامه هي «٨ + ١ + ٦» وهي مطابقة لحروف كلمة حواء لذلك قال انها خلقت من الضلع الايسر المائي.

وللشيخ الاحسائي كلام اخر في مورد اخر فيه شيء من الصعوبة والابهام ولكن معناه العام كما فهمته هو كما شرحت لك اعلاه<sup>(١)</sup>.

ويمكن ان نستثمر هذا التصور الذي يقول به الشيخ الاحسائي لاستخراج معاني اخرى حول آدم وحواء والطبيعة البشرية عموماً، من خلال القول ان آدم عليه السلام وقصة الخليفة يمكن فهمها من جوانب اخرى متعلقة بآدم كصورة وشكل هندسي ونظام رقمي، فادم بالاصل منظومة رقمية على هيئة وفق اضلاعة الطابع الأربعة، فآدم عليه السلام خلق من تراب الا ان ذلك التراب قد استجنت فيه النار والماء والهواء ولكن الغلبة كانت لعنصر التراب، فآدم كمعنى اخر منظومة رقمية وهندسية حواء احد اضلاعها، وهذا ما يؤكد الشيخ الاحسائي بقوله «..... نقص منه الضلع الايسر اشعارا بانها انما اخذت من ظاهره اي من صفته لا من جسده كما يقول الجاهلون...»<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع جوامع الكلم/ الشيخ احمد الاحسائي/ ج٨/ الرسالة الرشتية/ ص ٦٢٦-٦٢٧-٦٢٨ /مطبعة الغدير

(٢) جوامع الكلم/ الشيخ احمد الاحسائي/ ج٨/ الرسالة الرشتية/ ص ٦٢٨ / مطبعة الغدير

ووبما ان مجموع الارقام في كل ضلع يساوي «١٥»، فكل ضلع يعطي حواء، الا ان الشيخ الاحسائي يقول «والمائي مفتاحه البيت الاوسط من الضلع الايسر»<sup>(١)</sup>، اي الرقم «١»، اي ان حواء المائية مفتاح ظلها هو الرقم «١»، ويمكن من خلال النظر للجدول اعلاه القول ان حواء النارية اي الضلع الاعلى مفتاحها الرقم «٣»، وحواء الهوائية اي الضلع الايمن مفتاحها الرقم «٩»، وحواء الترابية اي الضلع الاسفل مفتاحها الرقم «٧»، فربما تكون لهذه الارقام دلالات خاصة في علم الجفر نستطيع ان نفهم منها شيء، ولكن الملاحظ ان هذه الارقام التي هي مفاتيح الأضلاع كلها ارقام فردية، مما يشير إلى ان آدم بالاصل زوجي وحواء فردية، وربما فيه دلالة لقوله تعالى ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾<sup>(٢)</sup>، او قوله ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَهُنَّ دَرَجَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>، اي ان الذكر ياخذ حصة مضاعفة من حصة الانثى، وبالتالي دائماً سهم الرجل زوجي وسهم المرأة فردية، مما يؤكد ان للاحكام الشرعية اصل رياضي هندسي تخليقي تابع لطبيعة المخلوق نفسه، وربما في كلام الشيخ الاحسائي اشارة إلى معنى اخر اذ قال «ولما خلق آدم ﷺ كان لقربه من النور فيه الوجود والعقل اكثر من حواء لبعدها بالنسبة اليه عن النور فكان فيه ثلثان من العقل وثلث من النفس قال تعالى ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فكان قد خلق حواء من نفس آدم ﷺ لا من عقله فكان فيها ثلثان من النفس وثلث من العقل فالخلق من آدم ﷺ من النوع والمقدار والوضع لا من الذات والمثال الجامع لذلك شكل المثلث وهو باعتبار وضعه اربعة اقسام ناري وترابي وهوائي ومائي»<sup>(٤)</sup>

وعليه يمكن القول ان كل ضلع له مواصفات خاصة تابعة للتسلسل الرقمي في ذلك الضلع،

فالضلع الناري تسلسله الرقمي هو «٨+٣+٤»

والضلع الهوائي تسلسله الرقمي «٢+٩+٤»

والضلع المائي الايسر تسلسله الرقمي هو «٦+١+٨»

والضلع الترابي الاسفل تسلسله الرقمي هو «٦+٧+٢»

وهذه ارقام وان كان مجموعها واحد وهو «١٥» لكل ضلع الا انك لو حذفتم علامة الجمع

(١) جوامع الكلم/ الشيخ احمد الاحسائي/ ج٨/ الرسالة الرشتية/ ص ٦٢٧/ مطبعة الغدير

(٢) النساء/ ١١

(٣) البقرة/ ٢٢٨

(٤) جوامع الكلم/ الشيخ احمد الاحسائي/ ج٨/ الرسالة الرشتية/ ص ٦٢٧/ مطبعة الغدير

لكانت الارقام هكذا «٤٣٨» «٤٩٢» «١٦٨» «٢٧٦» وهذه قيم مختلفة كما ترى يتبعها اختلاف في طبيعة كل حواء فحواء المائية لا تشبه الترابية والترابية لا تشبه النارية وهكذا لان هذا نظام هندسي رقمي، وهذا التصور تجد له مطابق في النظام الحروفي، فكما انه يمكن تشكيل عدة ارقام من ثلاث اعداد كما في الأضلاع كذلك يمكن تشكيل عدة الفاظ من ثلاث حروف، مثل الحروف الثلاثة «ق - ر - ب»، فيمكن ان تكون «قبر»، ويمكن ان تكون «بقر»، ويمكن ان تكون «برق»، وكما ترى الحروف نفسها إلا ان اختلاف ترتيبها يعطي مفاهيم مختلفة جداً، وكذلك المرأة الترابية والنارية والهوائية والمائية كل واحدة لها خصيصة ومعنى حسب تسلسلها في عالمها الرقمي الذي اسمه الضلع.

وهذا معنى ان حواء خلقت من ضلع ادم ﷺ على موجب الفهم الرقمي والمنظومة الهندسية لخلق الاشياء، ومن هنا افهم بشكل ذوقي لماذا حلل الله للرجل اربعة نساء ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾<sup>(١)</sup>. لان ادم في اصل تخليقه من اربعة اضلاع يمكن ان تكون له زوجة من ظله الناري او الترابي او المائي او الهوائي، لذلك ورد في الأحاديث على ما اذكر ان المؤمن لا يدخل إلى الجنة إلا إذا عقد له على اربعة نساء، لان هذا هو استحقاقه التخليقي، ولكنه في الدنيا في عالم الخلط والمزج لا تعادل طباعه لذلك لا يستطيع ان يعدل بين النساء ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، لكن المؤمن في الجنة تعادل طباعه وتصفوا امزجته ويعود لاصل منشأه، فيستطيع ان يعدل بين اربعة نساء وكل واحدة منهن تمثل جزء من اصله التخليقي.

وحواء خلقت من الضلع المائي لادم ﷺ كما يقول الشيخ احمد الاحسائي «لان طبع الذكر حار يابس وطبع الانثى بارد رطب»، والذي اضنه ان حواء خلقت من الضلع المائي بالذات لغلبة عنصر التراب على ادم ﷺ وهو طبع الحار اليابس، والتراب يميل للماء اكثر من بقية العناصر لانه بارد رطب، فبه يمتزج التراب متحولاً إلى طين، فحواء ادم من الماء لا تخلق من ضلع النار او الهواء او التراب لعدم امكانية امتزاج هذه العناصر مع التراب، وقوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، اي غلبة عنصر التراب عليه واستجنان بقية العناصر فيه، كما قال الرسول الكريم ﷺ «ما بعث نبياً إلا وهو صاحب مرة سوداء»، والذي افهمه ان المرة السوداء من الاخلاط الأربعة التي تغلب على الإنسان الذي فيه نسبة التراب اكثر،

(١) النساء/٣

(٢) النساء/١٢٩

(٣) الروم/٢٠

لذلك كان الأنبياء اعقل الناس فمن زاد فيه التراب زاد فيه العقل.

ومن هنا لا يستطيع الإنسان في الدنيا ان يعدل مع اربعة نساء لان الإنسان في الدنيا عناصره ليست صافية ولا معتدلة، اما في الجنة فتعتدل الطبائع ويستطيع ذلك بان تخلق له من كل ضلع زوجة، فهو باعتداله يستطيع الامتزاج مع الترابية والنارية والهوائية والمائية.

واقصد بالترابيات هي التي مكوناتها يغلب عليها عنصر التراب<sup>(١)</sup>، واقصد بالمائيات هي التي مكوناتها يغلب عليها عنصر الماء، والهوائيات هي التي مكوناتها يغلب عليها عنصر الهواء،

فالتى تُخلق من التراب «ادمية»، اي يغلب عليها عنصر التراب

والتي تُخلق من النار «جنية»، اي يغلب عليها عنصر النار

التي تُخلق من الهواء «ملكية» حورية، اي يغلب عليها عنصر الهواء

والتي تُخلق من الماء «انسية»، اي يغلب عليها عنصر الماء

وحسب هذا التصور الرقمي الهندسي القانوني تكون امهات الأنبياء والاولياء مائيات، اي يغلب عليهن العنصر المائي كما هو حال حواء، فهنّ حسب هذا التصور لا يُطلق عليهن اسم ادميات بل «انسيات»، والتي تخلق من الضلع الناري لابد ان تكون «جنية»، وقد ورد في الحديث زواج ابن آدم ﷺ من الجنية<sup>(٢)</sup>، وهذا النظام الرقمي القانوني بهذا الشكل يشير إلى امكانية زواج البشر من الجنيات، قوله تعالى ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ اِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾<sup>(٣)</sup>، والتي تُخلق من الضلع الهوائي هي الملكية اي «الحورية» وهنّ من سكان الجنة حصراً، والتي تخلق من الضلع الترابي هي «الادمية» وهنّ عموم النساء الادميات، اما امهات

(١) ربما ستقول لي انك قلت ان الأنبياء اصبحوا أنبياء لان في اصل تخليقهم نسبة التراب اكثر وانت هنا تقول ان النساء في الدنيا ترابيات لغلبة عنصر التراب عليهن فهن بهذه الحالة مع الأنبياء سواء؟ اقول: كلنا في هذه الدنيا ترابين سواء أنبياء ام رجال ام اناث لغلبة عنصر التراب على كل صنف الإنسان ولكن هذه النسبة تختلف من مخلوق لآخر ففي الأنبياء عالية جدا وفي المؤمنين اقل وفي الرجال اقل وفي النساء اقل واقصد بالغلبة انها لا تسمح لاحد العناصر الاخرى ان تغلب عليها على سبيل المثال لو كان في الأنبياء اربعة عناصر كما في كل البشر «نار هواء ما تراب» فهم ترابين مثلا لكون «٩٠٪» من تركيبهم ترابي والمؤمن «٨٠٪» من تركيبه ترابي والرجل «٧٠٪» من تركيبه ترابي والمرأة «٦٠٪» من تركيبها ترابي فكلهم غلب على تركيبهم عنصر التراب باعتباره لم ينقص عن نسبة «٥٠٪» الا انهم يختلفون في كمية التراب

(٢) عن ابي عبد الله ﷺ «... من حديث طويل في احوال آدم... قال: ثم ولد له اثر عنقا قاييل فلما ادرك أظهر الله عز وجل جنية من ولد الجان يقال لها جهانة في صورة انسية فلما رآها قاييل أحبها فأوحى الله إلى آدم ان يزوج جهانه من قاييل...»

قصص الأنبياء/ نعمة الله الجزائري / في قصص ادم وحواء واولادهما/ ص ٧٥

الاصبياء فهنّ «موضع سر الله» لانهنّ من الماء، لذلك كانت احوالهن تختلف عن بقية النساء من حيث طهارة المنيع وطهارة الأرحام حتى ورد في الحديث «ان بنات الأنبياء لا يطمشن ولا يجري عليهن ما يجري على النساء» وبالتالي فان هذه الخصائص المائية ستعكس على المواليذ الذين يخرجون منهم، وقد ذكرت الأحاديث ان الإمام علي واولاده من الماء، قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾<sup>(١)</sup>

عن الإمام الباقر عليه السلام «في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾، قال «هو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام» وفي رواية «البشر الرسول والنسب فاطمة والصحير علي صلوات الله عليهم اجمعين»<sup>(٢)</sup>.

والذي يجول في خاطري القاصر ان الأئمة عليهم السلام في الدنيا إذا ارادوا ان يُنجبوا الاصبياء تزوجوا بالمائيات اي الانسيات وهم يعرفونهن لعلم خاص عندهم، وإذا ارادوا ان ينجبوا من هو دون الوصي تزوجوا من الترابيات اي الادميات، وربما والله العالم يكون لهذه القانونية ظهورات اخرى حسب هذا التصور، فان امهات ابناء الأئمة عليهم السلام الذين هم دون مرتبة الامامة والوصاية، تلاحظ لامهاتهم شأن خاص، ولاولادهن ايضا شأن خاص، فهنّ اعلى من الادميات وادنى من الانسيات مثل ام البنين واولادها عليهم سلام الله اجمعين.

والراجع والله العالم اما ان تكون مولاتنا الزهراء عليها السلام من الضلع المائي فقط وهو عندي غير صحيح لانها ستتساوى مع الانسيات وهذا محال لكونها «سيدة نساء العالمين»، واما ان تكون من المائي والهوائي معا فتكون هي «حوراء انسية» كما ورد في الدعاء «السلام على الحوراء الانسية»، او هي فيها كل خواص الأضلاع الأربعة فتكون هي «الحجة عليهم» كما ورد في الحديث عن الإمام العسكري عليه السلام «وجدتني فاطمة حُجَّة علينا»، وهذا هو مقام حُجيتها عليهم صلوات الله عليهم اجمعين، ومن هنا لم يكن لها عليها السلام كفؤ حتى من الأنبياء إلا الإمام علي عليه السلام، فلا احد من الأنبياء يمكن ان تجتمع فيه العلة الأربعة للتخليق، لان الأنبياء ليسوا علة بل معلولين، وآل محمد عليهم السلام هم علة كل شيء، فالعلة ليس لها كفؤ إلا علة مثلها، فلا يمكن ان تتساوى العلة مع المعلوم، ولا الموصوف مع الصفة، ولا المؤثر مع الاثر، والشرفية دائما للعلة، والتبعية دائما للمعلوم، لان العلة خالق والمعلوم مخلوق، ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام كونها علة ليست علة للاشياء بل هي علة للعلة، فهي ينبوع علة الأئمة عليهم السلام ومنها الصورة، والإمام علي عليه السلام

(١) الفرقان/ ٥٤

(٢) تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٥/ ص ٤٦٨/ ح ٨

هو علة كل شيء ومنه المادة، فكان هو العصا وهي الحجر ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ﴾ (١).

ومن مقامها كعلة لهم صلوات الله عليهم نعرف لماذا اقترنت ليلة القدر بها كون الاوامر تنزل على الأئمة في تلك الليلة لسنة كاملة، عن ابي عبد الله عليه السلام من حديث «.....» واما قوله تعالى ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٢) يعني فاطمة سلام الله عليها «.....» (٣)

ومن هنا كانت عليها السلام سيدة نساء العالمين لعدم وجود هذه الخصيصة التخليقية في غيرها كونها علة، فمريم عليها السلام اصطفيت لانها الوحيدة في زمانها من الضلع المائي ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤)، ومن هنا نستنتج ان طهارة بنات الأنبياء وامهات الأنبياء والاصياء لها اصل قانوني كونهن من منشأ مائي، فكانت مريم عليها السلام في زمانها سيدة المعلولات، لذلك قال عنها ﴿عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ في زمانها، اما الزهراء عليها السلام فاصطفائها كونها علة، فهي اما من ضلعين او من اربعة اضلاع، والراجح ان لكل حال مقام، فاجتماع الأضلاع الأربعة فيها عليها السلام في مقام كونها علة للأئمة عليها السلام وهو مقام دهرى، اما في مقامها الزماني فهي من ضلعين مائي وهوائي، اما من كانت علة لكل زمان فهي «سيدة نساء العالمين»، ولفظة «العالمين» لا تخص عالم واحد بل كل ما خلق الله مما يرجح كونها عليها السلام والصلاة والسلام حاوية للأضلاع الأربعة، وليس لها كفوا الا الذي فيه الأضلاع الأربعة والله العالم.

ومن هنا لا يمكن ان يكون لمولاتنا الزهراء عليها السلام كفؤ إلا الإمام علي عليه السلام لان اضلاعة الأربعة كلها زهراء، ولا يمكن لاي نبي ان يصل إلى مرتبتها لانها على قمة الاعتدال والصفاء فلا يتزوجها الا من كان على قمة الاعتدال والصفاء، فلم يجمع الإمام علي عليه السلام مع الزهراء زوجة في حياتها لانها لا يعادلها احد من النساء.

ومن هنا نعرف ان طهارة الانسيات المائيات لها دلالة اخرى كون الشيطان لا يستطيع الاقتراب منهن لهذه الخصيصة الموجودة في اصل طبيعتهن، فالشيطان ناري واقتربه من الماء

(١) الأعراف / ١٦٠

(٢) القدر / ٣

(٣) تفسير البرهان/ البحراني / ج ٨ / ص ٣٢٤ / ح ٢٧

(٤) آل عمران / ٤٢

ينهى وجوده، ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَدُرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(١)</sup>، وهذه الخصيصة ايضا تشمل ذريتها بنص الآية، بينما يستطيع الشيطان ان يشارك الإنسان بالادميات الترابيات ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾<sup>(٢)</sup>،

ومن هنا يمكن ان نفهم ان امهات الاوصياء في اصل تخليقهن يختلفن عن بقية النساء<sup>(٣)</sup>.

ومن جانب اخر فلفظة آدم كما افهم ليست اسم علم، بل هي رتبة وتعني «الاصل في كل شيء»، فاصل كل شيء ادمه، وبالتالي يتعدد مفهوم آدم حسب طبيعة كل مفهوم، فهناك آدم كبير وهو الاصل لكل الاوادم كرتبة وهو حقيقة الرسول المصطفى ﷺ، وهناك آدم وسيط وهو خليفة آدم الكبير في كل العوالم وهو حقيقة الإمام علي عليه السلام، وهناك آدم الصغير الذي هو آدم دورتنا الذي انحدر منه النوع الإنساني، وهناك آدم الذي هو كل افراد النوع، وبالتالي فان حواء كمفهوم بتعدد الاوادم ايضاً، فحواء آدم الكبير السيد الاكبر يجب ان تكون هي حواء الكبرى، وحواء الكبرى هنا لا تحمل مفهوم الزوجة بل تحمل مفهوم «البضعة»، كما قال رسول الله ﷺ «فاطمة بضعة مني»، وحواء آدم الوسيط هي حواء الوسيطة «سيدة نساء العالمين» ليس لها كفوء إلا آدم الوسيط، فاولادها من علي عليه السلام وابوهم الرسول محمد ﷺ لهذه الخصيصة العجيبة التي تشترك بها مع ادم الكبير وادم الوسيط، ومن هنا قال الإمام الصادق عليه السلام «انما سميت

(١) آل عمران/ ٣٩

(٢) الإسراء/ ٦٤

عن ابي بصير قال: قال ابو عبد الله عليه السلام «يا أبا محمد أي شيعي يقول الرجل منكم اذا دخلت عليه امرأته؟ قلت: جُعِلت فداك أيستطيع الرجل ان يقول شيئاً؟ قال «الأعلمك ما تقول؟ قلت: بلى. قال: تقول «بكلمات الله أستحللت فرجها وفي امان الله أخذتها اللهم أن قضيت لي في رحمها شيئاً فأجعله باراً تقياً واجعله مسلماً سوياً ولا تجعل فيه شركاً للشيطان» قلت: وبأي شيعي يعرف ذلك؟ قال: «أما تقرأ كتاب الله عز وجل. ثم ابتداء هو ﴿وشاركهم في الاموال والأولاد﴾ فإن الشيطان يجيء حتى يقعد من المرأة كما يقعد الرجل منها ويحدث كما يحدث الرجل ويُنكح كما ينكح». قلت: بأي شيعي يعرف ذلك؟ قال «بحبنا وبغضنا فمن أحبنا كان من نطفه العبد ومن أبغضنا كان من نطفه الشيطان» الكافي/ الكليني/ ج ٥ / ص ٥٠٢ / ج ٢ نقلاً عن البرهان/ ج ٤ / ص ٥٧٧/ ح ٣

راجع كتابنا المزبلة فقد فصلنا فيه الكلام حول هذا الموضوع

(٣) ان اختلاف نسب مكونات الادميات الترابيات من امراة إلى اخرى ربما يقودنا إلى استنتاجات كثيرة فكل الادميات يتساوين بنسبة التراب الا ان بقية العناصر ربما تزيد وتنقص من واحدة إلى اخرى فعلى سبيل المثال إذا افترضنا ان كل امراة متكونة من «١٠٠» جزء «٧٠» جزئ ترابي و «٢٠» ماء و «٥٥» هواة و «٥» نار، ومن خلال هذ النسبة تكون الادميات ترابيات لغلبة عنصر التراب ولو زادت نسبة الماء في احدهن بحيث اصبحت اعلى من المقرر بان تكون «٣٥» ماء وقلت فيها نسبة الهواء والنار فهي اقرب للطهارة من بقية النساء الادميات وهكذا وربما من زادن فيها نسبة النار عن المقرر كانت عرضة لمس الجان مثلا والله العالم

فاطمة فاطمة لان الخلق فُطِمُوا عن معرفتها»، اما حواء آدم الصغير هي ام البشرية المخلوقة من ضلعه المائي، وربما كل امهات الأنبياء والاصياء حواء بهذا المعنى، اما حواء الترابية فهي حواء كل انسان، اي حواء النوع الإنساني، وهي متعددة بتعدد افراد النوع، وهي عموم نساء الاوادم.

ولفظه الضلع يمكن ان تجري على ادم الكبير كون اضلاعه الأربعة هم أهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين ويؤيده الحديث التالي.

عن رسول الله ﷺ «... اذ اقبل الحسن بن علي عليه السلام يمشي على هدوء ووقار فنظر اليه رسول الله ﷺ وقال «ان جبرئيل يهديه وميكائيل يسدده وهو ولدي والظاهر من نفسي وضلع من اضلاعي هذا سبطي وقررة عيني بابي هو...»<sup>(١)</sup>.

فلا بد ان اضلاع رسول الله الأربعة هي «علي وفاطمة والحسن والحسين» صلوات الله عليهم اجمعين، فهو العلة السرمدية لهم وهم العلة الدهرية للاشياء.

ويمكن القول بمعنى اخر ان حواء الكبرى «الصديقة الكبرى» حواء ادم الكبير كونها علة وجودية فيها الأضلاع الأربعة للتخليق، اما حواء ادم الوسيط فهي من ضلعين وهي «الحواء الانسية» ام الحسينين صلوات الله عليهم اجمعين، ومن هنا نفهم إذا تزوج النور من النور ولد اللؤلؤ والمرجان ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ • بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ • فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ • يُخْرَجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾<sup>(٢)</sup>، لان الإمام علي وفاطمة عليهما السلام في قمة اعتدال الطبائع واصفى العناصر، فالعصى والحجر هم من اعتدل طبائعهم وتوحدت طبيعتهم فما خرج منهم ليس بالولادة بل بالانجاس ﴿فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، فالعصى ادم الدهري ورب الكرسي، والحجر حواء الدهرية وام النجوم ﴿فَلَا

(١) صحيفة الأبرار/ ج ٢ / ح ٤٣ / ص ١٦٤

(٢) الرحمن/ ١٩-٢٢

عن ابي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل «مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان» قال: علي وفاطمة عليهما السلام، بحران عميقان لا يبغي احدهما على صاحبه، «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» الحسن والحسين عليهما السلام» تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٧/ ص ٣٨٦/ ح ١

عن ابن عباس في قوله عز وجل «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان» قال «مرج البحرين» علي وفاطمة عليهما السلام «بينهما برزخ لا يبغيان» قال: النبي ﷺ «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» قال: الحسن والحسين عليهما السلام» تاويل الايات/ ج ٢/ ص ٦٣٦/ ح ١٣، كذلك تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٧/ ص ٣٧٨/ ح ٥

(٣) الأعراف / ١٦٠



أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ التُّجُومِ»<sup>(١)</sup>، اما ما دون ذلك اي حواء ادم الصغير فلا ترتقي لما فوقها ابداً لان تلك مقامات التي فُطم الخلق عن معرفتها والتي على معرفتها دارت القرون الأولى.

### محاولة لشرح عبارة الحاج الكرمانى

وللتوسع اكثر يمكن ان نستفاد من كلام الحاج محمد كريم خان الكرمانى في هذا الموضوع في معرض شرحه عن مقطع من حديث النورانية للإمام علي عليه السلام وهي عبارة الحديث «وصار محمد طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى».

يقول «فاعلم ان «طا» قواه تسعة وهي تمام الأحاد ومبادئ الاعداد عليه يدور رحى جميع المراتب وكل الاعداد من تنزلاته وتنزلات بيناته وهكذا، و«هاء» تنزل الالف بعد حركته، وقواه خمسة، وهي مع التسعة اربعة عشر، والهاء قطب التسعة يدور رحاها، وإذا ضرب «الطاء» في «الهاء» حصل «مه»، وإذا ضرب «الطاء» في نفسه حصل «فا»، فإذا تطرفا «الطا» حصل «فاطمة» وهي مجمع الأربعة عشر، و«الطا» بزيره وبيناته عشرة، و«الهاء» ستة فإذا ضرب العشرة في الستة حصل ستون، وهي «س» كما مر انه اسم محمد ﷺ، وإذا ضرب عشرة في خمسة حصل «نون» وهو ايضا محمد ﷺ، فعلى اي حال «طه» هو مجموع الأربعة عشر وهو محمد في مقام الجمع وقوله ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ هو علي عليه السلام انزله الله عليه لينعم لا ليشقى لانه نعمة الله عليه وهو الكتاب الناطق الذي انزله الله على محمد ﷺ الذي احصى كل شيء فيه كما قال ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ وهو ناصره ومعينه ويده وسيفه ونعيمه وجنته وروحه وريحانه» انتهى كلامه<sup>(٢)</sup>.

والعبارة بمجملها تحتاج إلى شرح تفصيلي، وفيها دليل من خلال علم الجفر والرياضيات على المفاهيم التي يتحدث عنها القرآن والأحاديث والزيارات، ولها واقع هندسي رياضي يمكن من خلالها معرفة قانونية عمل الاشياء، وقانونية العلاقة بين الأنوار الأربعة عشر، وقانونية ظهوراتهم في العوالم والرتب، وصفات مراتبهم صلوات الله عليهم، وهو كما ارى باب من العلم لا ينفد.

ولكي يكون معنا القارئ في الصورة فعلم الجفر هو علم يتم فيه تحويل الحروف إلى ارقام من خلال معرفة القيمة العددية لكل حرف كما في الجدول ادناه.

(١) الواقعة/ ٧٥

(٢) مكارم الأبرار/ الحاج محمد كريم خان الكرمانى/ شرح حديث المعرفة بالنورانية/ ج٣/ ص ١٢٨ - ١٢٩

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	
ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ	
٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠	

فكلمة «الله» مثلا في النظام الرقمي هكذا «ا+ل+ل+ه+» «١+٣٠+٣٠+٥»

ومحمد ٩٢، علي ١١٠، طه ١٤ وهكذا

فقول الحاج الكرمانى «فاعلم «طا» قواه تسعة وهي تمام الأحاد ومبادئ الاعداد عليه يدور رحي جميع المراتب وكل الاعداد من تنزلاته وتنزلات تنزلاته وهكذا»، معناه ان حرف «ط» حسب علم الجفر هو «٩» وهو تمام الأحاد اي هو نهاية اعداد الاحاد من «١» إلى «٩» لان بعده تاتي «العشرات» الذي اوله «ي» فتنزلات الاعداد من «١» إلى «٩» هي التنزل الأول من «١٠» إلى «٩٠» والتنزل الثاني من «١٠٠» إلى «٩٠٠».

وقوله «و«الهاء» تنزل الالف بعد حركته، وقواه خمسة، وهي مع التسعة اربعة عشر، والهاء قطب التسعة يدور رحاها»، يعني ان «الهاء» قواه خمسة لانه حركة «الالف» خمسة مرات اي «الهاء» هو ناتج من جمع خمسة «الف»، وبما ان «الالف» قواه «١» فحركة «الالف» خمسة مرات ينتج «الهاء» وهو جاري في كل الحروف، وهو يقول ذلك لخصيصة موجوده في حرف «الهاء» بالنسبة لمقام الأحاد لان «الهاء» هي وسط الأحاد، اي هي وسط بن «١» و «٩»، فيكون «١»، «٢»، «٣»، «٤» على يمينها و «٩»، «٨»، «٧»، «٦» على يسارها فهو القطب الذي تودر عليه مراتب الأحاد وهذه واحدة من اسرار «الهاء» في كلمة «هو»، وربما انتهاء اسم «فاطمة» بحرف الهاء فيه دلالة على قطبيتها سلام الله عليها في عالم «الأحاد» لانه عالم الاجمال والاصل الأول وعلل الاعداد، اما إذا نظرنا لعبارة «هي فاطمة» حسب هذا التصور فهي الزيتون ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾<sup>(١)</sup> التي هي قطب لنفسها وقطب لما سواها وهو مقام «السر المقنع بسر» ومقام «الكلمة التي انزجر لها العمق الاكبر» ومقام «اسم الله الاعظم الذي لم يخرج منه الا اليه» فإذا جمعت «الطاء» مع «الهاء» كان «طه»، وعدده «٩+٥=١٤» وهو مقام الظلة الخضراء بقول

الصادق عليه السلام «كنا نعبد الله في ظلة خضراء قبل ان يخلق الخلق» حيث مقام الأحاد حيث لا سماء مبنية ولا ارض مدحية ولا شمس تنير ولا قمر سار ولا نجم يلمع صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، فهي هناك صلوات الله عليها قطبهم وسرهم الخاص الذي يدورون عليه وهو السر المستودع فيها، والذي سيبقى سر تدور عليه رحي القرون.

وقوله «وإذا ضرب «الطاء» في «الهاء» حصل «مه»، وإذا ضرب «الطاء» في نفسه حصل «فا»، فإذا تطرفا «الطا» حصل «فاطمة» وهي مجمع الأربعة عشر».

يعني إذا ضرب «ط x هـ» «٤٥ = ٥ x ٩»

لان «م + هـ» «٤٥ = ٥ + ٤٠» فيكون «طه مه»

وإذا ضرب «الطاء» في نفسه اي «٩x٩ = ٨١»

و«فا» هي «ف+ا» «٨١ = ١ + ٨٠»

وقوله «فإذا تطرفا «الطاء» يعني ان يكون «فا» على الطرف الايمن من «ط»، و«مه» على الطرف الايسر من «ط» نتج اسم «فاطمة»، وبالنتيجة هذه قانونية حسابية حروفية رقمية باستخراج اسم «فاطمة» من «طه»، لان «طه» مجمع الأربعة عشر فتكون «فاطمة» بحكم التقابل العددي هي ايضا مجمع الأربعة عشر، وهذا امر يجب النظر اليه بعين خاصة لان التأمل فيه يظهر اسرار كثيرة.

وقوله «و«الطا» بزبره وبيئاته عشرة، و«الهاء» ستة فإذا ضرب العشرة في الستة حصل ستون، وهي «س» كما مر انه اسم محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا ضرب عشرة في خمسة حصل «نون» وهو ايضا محمد صلى الله عليه وسلم».

وهنا يستخدم الحاج الكرمانى مستوى اخر من علم الجفر لايجاد العلاقة الرقمية بين «ط، هـ، س، ن» وهو موضوع «الزبر والبيئات»، فحرف «ط» قواه «٩»، اما إذا كُتِبَ «طا» اي من جرفين «ط+١» فيكوم «١٠ = ١ + ٩» فيكون «٩» هو زبر «ط» و «١» بيئات «ط»، وكذلك «ها» فهي إذا كتبت «هـ» فقط كانت قواه «٥» اما إذا كتبت «ها» اي «٥ = ١ + ٤»، فيكون «ها» زبره وبيئاته هو «٦».

فإذا ضربت «ط x هـ» بزبرها وبيئاتها يكون «١٠ x ٦ = ٦٠»، والستين هو القيمة الرقمية للحرف «س» الذي هو اسم من اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد في الأحاديث على اعتبار ان

كلمة «ياسين» الياء فيها للنداء والاسم هو «س»<sup>(١)</sup>، واذ ضربت «١٠ x ٥ = ٥٠»، وخمسون هي القيمة العددية للحرف «ن» الذي هو ايضا اسم من اسماء رسول الله ﷺ، والنتيجة ان فاطمة هي روح محمد صلوات الله عليهم، وهو كما قلنا مقام الاجمال لقول رسول الله ﷺ «فاطمة روعي التي بين جنبي»، وبقية كلامه لا تحتاج إلى توضيح.

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله ﷻ «يس وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ»، فسمى الله النبي ﷺ بهذا الاسم حيث قال «يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين». الاحتجاج الطبرسي: ص ٢٥٣ كذلك تفسير البرهان/ البحراني/ ج٦/ ص ٣٨٠/ ح ٣

عن ابي جعفر عليه السلام قال «ان ارسول الله ﷺ اثني عشر اسما خمسة منها في القرآن، محمد، واحمد، وعبد الله، ويس، ونون» تفسير البرهان/ البحراني/ ج٦/ ص ٣٨١/ ح ٤

## جنة الحضائر : مؤمنو الجن وفساق الشيعة

عن محمد بن مسلم قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الجهنميين. فقال: «كان ابو جعفر عليه السلام يقول: يخرجون منها فينتهي بهم إلى عين عند باب الجنة تسمى عين الحيوان فينضح عليهم من مائها، فينبتون كما ينبت الزرع، تُنبت لحومهم وجلودهم وشعورهم»<sup>(١)</sup>

عن ابي بصير قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: «ان قوما يُحرقون بالنار حتى إذا صاروا حمماً ادركتهم الشفاعة قال فيُنطلق بهم إلى نهر يخرج من رشح اهل الجنة فيغتسلون فيه فيُنبت لحومهم ودمائهم ويذهب عنهم قشف النار ويدخلون الجنة فيسمون الجهنميين فينادون باجمعهم اللهم اذهب عنا هذا الاسم قال فيذهب عنهم، ثم قال: يا ابا بصير ان اعداء علي هم الخالدون في النار لا تدركهم الشفاعة»<sup>(٢)</sup>.

سُئل العالم عليه السلام عن مؤمني الجن ايدخلون الجنة؟ فقال «لا، ولكن لله حظائر بين الجنة والنار، ويكون فيها مؤمنو الجن وفساق الشيعة»<sup>(٣)</sup>.

الواضح ان هذه ليست الجنة النهائية لانه يقول «ما بين الجنة والنار حضائر»، فهي جنة بحالة وسطية يسكنها نوعيات بحالات وسطية سماهم «مؤمنو الجن وفساق الشيعة»، فاما موضوع مؤمنو الجن فواضح لان الجن ليس من سنخ الإنسان المؤمن فهو لا يدخل جنة المؤمن، وبهذا فللجن الصالحين جنة خاصة بهم من شعاع جنة المؤمنين، فمؤمن الجن لا يرتقي في كل الاحوال ان يحصل على درجة الإنسان المؤمن لان رتبة الإنسان في تسلسل الرتب الوجودية اعلى من الجن.

اما الموضوع المُحير فهو موضوع «فساق الشيعة» ولماذا تم جمعهم مع صالحى الجن في جنة واحدة؟ ان مسألة دخول الجنة والنار تابع لموضوع حُب محمد وآل محمد عليهم السلام فمن احبهم دخل الجنة، ومن ابغضهم دخل النار، ومن لم يحبهم ولم يُبغضهم اي لم يعرفهم فيجدد له تكليف بان يُرد إلى دار البلاء بعدة احوال، وهذا يجعلنا ننظر إلى ان موضوع «فساق الشيعة»

(١) تفسير البرهان/ البحراني/ج٤/ ص ١٣٩/ح ٢

(٢) تفسير البرهان/ البحراني/ج٤/ ص ١٤٠/ح ٦

(٣) تفسير البرهان/ البحراني/ج٧/ ص ١٩٩/ح ٢ كذلك تفسير القمي:ج٢/ص ٢٧٥

الواضح من الحديث ان مؤمن الجن اما بدرجة فاسق الشيعة، او لا يرتقي إلى مرتبة

كونهم نتاج خلط جملة من الاحوال والمفاهيم الجيدة والرديئة، فهو «شيعي» وفي نفس الوقت «فاسق»، وهذا معناه انه كان يحب محمد وآل محمد ﷺ ومن هنا فهو شيعي، ويحب اعدائهم او يساويهم بهم او يعتبرهم مسلمين ومن هنا فهو «فاسق»، وهؤلاء الذين تسميهم الأحاديث «اعور».

كما ورد في الحديث انقدم رجل على أمير المؤمنين ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين اني احبك واحب فلاناً وسمى بعض اعدائه. فقال ﷺ «اما الان فانت اعور فأما ان تعمي واما انت تبصر»<sup>(١)</sup>، فاما ان يكون فساق الشيعة من هذا المستوى والمعنى عندي بعيد، لان حُب اعداء علي ﷺ مشكلة كبيرة جداً تستحق ان يتعذب عليها الإنسان في نار جهنم، او يكون فساق الشيعة هم من المحيين ولكن لديهم قصور واضح في عموم التكليف الشرعية فيعذبون على قدرها في النار. وبهذا اما ان يكون فساق الشيعة هم انفسهم الجهنميين الذين يُعذبون لفترة ويخرجون من النار ولا يدخلون الجنة الاصلية بل جنات الحضائر، واما ان يكونوا من اهل الثواب المشفوع لهم، وبذلك لا يدخلون النار وفي نفس الوقت لا يدخلون الجنة الاصلية للشيعة الكاملين فيبقون في الحضائر هم ومؤمنو الجن<sup>(٢)</sup>.

وبما ان الله عادل ولا يجور فانه سوف يُعاقبهم على فسقهم ويكافئهم على تشيعهم بان يدخلهم جنات اوطأ من جنات الشيعة الكاملين فيسكنهم مع الجن لانهم اوطأ مرتبة من مرتبة الشيعي الكامل.

وهذا معناه ان آدم عندما هبط إلى الأرض لم يكن لوحده بل وجد امثال هؤلاء من الانس والجن من الاوادم السابقين كما ورد في الأحاديث «قبل ادمكم هذا الف الف آدم» وهذا ما تؤكد جملة من المرويات كون اولاد آدم ﷺ تزوجوا من حوريات الجنة وهنّ في الحقيقة النساء المؤمنات «انسيات وجنيات» الموجودات في جنة الحضائر من الاوادم السابقين لادمنا<sup>(٣)</sup>،

(١) وهؤلاء الشيعة تجد لهم تواجد واضح في كل زمان ومكان وهم في زماننا موجودين ويروجون لنظرية التقارب بين المذاهب وحوار الاديان في محاولة لمسك العصا من الوسط.

(٢) عن الفرات بن احنف قال: كنت عند ابي عبد الله ﷺ اذ دخل عليه رجل من هؤلاء الملعين فقال: والله لأسوءنه في شيعته فقال: يا ابا عبد الله اقبل أليّ فلم يقبل اليه، فاعاد فلم يقبل اليه، ثم اعاد الثالثة فقال: ها انا ذا مقبل فقل هل تقول خيراً، فقال: ان شيعتك يشربون النبيذ، فقال: وما بأس بالنبيذ اخبرني ابي عن جابر عن بن عبد الله ان أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يشربون النبيذ، فقال: لست اعنيك النبيذ اعنيك المسكر، فقال: شيعتنا ازكى واطهر من ان يجري للشيطان في امعائهم رسيس، وان فعل ذلك المخذول منهم فيجد رباً رؤوفاً ونبياً بالاستغفار له عطوفاً وولياً له عند الحوض ولوفاً وتكون وأصحابك ببرهوت عطوفاً.....» بحار الأنوار: ج ٤/ص ٣٨١

(٣) عن ابي عبد الله ﷺ «ان الله عز وجل انزل حوراء من الجنة إلى آدم فزوجها احد ابنه وتزوج الاخر إلى الجن فولدتا جميعاً فما كان من الناس من جمال وحسن الخلق فهو من الحوراء وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجان وانكر ان يكون زوج بنيه من بناته» قصص الأنبياء/نعمة الله الجزائري/الباب الأول/ص ٧٧

وحصل الاختلاط بينهم اي الاختلاط بين ذرية آدم وما موجود من المخلوقات على الأرض إلى درجة انه اصبحت في الأرض عدة اجناس كما يقول الإمام علي (عليه السلام) «اجناس بني آدم سبعون» ولا بد من وجود اكثر من جنس حتى تصبح هذه الاجناس سبعون<sup>(١)</sup>.

ويمكن ان تجد مصداق قرآني يؤيد ان آدم عندما هبط إلى الأرض وجدها مشحونة بالحياة بل حتى ان اولاده تزوجوا من حوريات تلك الجنة وهم كما افهمهم هم الذين يسميهم القرآن «ذرية قوما اخرين» كما في قوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ الْعَلِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، والآية بحاجة إلى عملية تدبر دقيق لانها تشير في طياتها إلى تجديد الخلق دورة بعد دورة من خلال قوله ﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾، و﴿ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ هم الموجودين في الأرض الذين هم بقايا الدورات السابقة كما افهمهم ويؤيده أحاديث الأئمة (عليهم السلام) بقولهم «قبل ادمكم الف الف آدم».

وبهذا فان آدم عندما هبط على الأرض لابد وانها كانت تعج بالحياة، لانه وجد فيها ملائكة وهو ما تقول عنه الأحاديث عنهم (عليهم السلام) «ان الملائكة كانت ترى إلى غاية نبي الله ادريس» وكان هناك البشر والجن الصالحين من سكان جنات الحضائر.

عن ابي عبد الله (عليه السلام) من حديث طويل.... فلما ادرك اظهر الله عز وجل جنية من ولد الجان يقال لها جهانة في صورة انسية فلما رآها قابيل احبها فاوحى الله إلى ادم ان يزوج جهانة من قابيل، ثم ولد لادم هايل فلما ادرك اهبط الله إلى ادم حوراء واسمها نزلة الحوراء فلما رآها هايل احبها فاوحى الله إلى ادم ان يزوجها من هايل ففعل ذلك «قصص الأنبياء/ نعمة الله الجزائري/ الباب الأول/ ص ٧٥

الراجح ان هذا العالم كان موجودا في فترة ما قبل ادمنا ولكنه لم يكن محجوب بل هو قريب من الأرض ربما في السماء الدنيا او ربما كلا العالمين المثال والدنيا متحد فيستطيع اهل الدنيا ان يتعاملوا مع مخلوقات ذلك العالم وحدث الانفصال نتيجة ذنوب بني ادم.

وربما هؤلاء هم انفسهم الذين يقول عنهم النص التوراتي ان ابناء الله قد تزوجوا من بنات البشر، ولعل عبارة «ابناء الله» تعني ابناء ادم، وبنات البشر هم ممن بقى من الدورات السابقة، حتى ان كتاب اخنوخ عندما وصف هبوط «الملائكة الساقطون» الذين رفضوا السجود قاموا باول عملية لهم على الأرض بانهم تدنسوا مع بنات البشر، وكل هذه القرائن تفيد ان على الأرض اجناس من البشر عند هبوط ادم وإبليس

(١) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سئل: مم خلق الله عز وجل الكلب؟ قال: خلقه من بزاق إبليس. قال: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: لما اهبط الله عز وجل آدم وحواء إلى الأرض اهبطهما كالفرخين المرتعشين فغدا إبليس الملعون إلى السباع وكانوا قبل آدم في الأرض.....» قصص الأنبياء/ نعمة الله الجزائري/ الباب الأول / الفصل الأول/ ص ٦٨

الحديث يدل على ان إبليس على الأرض قبلهما وان الأرض فيها حياة.

## العظام ثم اللحم

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٣﴾﴾<sup>(١)</sup>.

يعترض العلمانيون والملحدون على ترتيب الفعاليات الحياتية لنمو الجنين في هذه الآية، لان التسلسل يذكر ظهور العظام قبل اللحم ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾، فيما الواقع الحياتي لنمو الجنين في بطن امه يشير إلى ان العظام تنشأ داخل كتلة اللحم، فتكون عملية ظهور العظام متساوقة مع ظهور اللحم وليس كما يرتبها القرآن ان العظم يظهر أول مرة ثم يتم اكسائه باللحم حسب ظاهر سياق الآية الكريمة.

اما المتدينون فيردون هذه الشبهة بقولهم ان العلم الحديث اثبت ان الانسجة الغضروفية للجنين تظهر قبل اللحم، وهذه بدورها ستتحول إلى عظام، فلغويا الغضروف هو عظم، وبعد ذلك تنمو خلايا العضلات حول الغضروف فيتكون اللحم الذي يكسوا العظام، ولا زال الموضوع بين الطرفين محل نزاع فكل له ادلته في اثبات رأيه.

والعلمانيون يحتجون بالعلم وبظواهر الاشياء ولهم الحق لانها ادواتهم في تحليل الامور، ولكن الغريب ان المسلمين دائما يحتجون بالعلم لاثبات صحة مطالب آيات القرآن الكريم، فهم لا يستطيعون الدفاع عن القرآن إلا بنتائج العلم، وهم بهذا من حيث يشعرون ولا يشعرون يجعلون القرآن تابع للعلم وليس العكس، وهذه التبعية قد تاصلت في ذهن المسلم بل سادت حتى في مناهجهم البحثية وسببها واضح هو ان الفهم اللغوي الشائع في التفسير لا يغطي مساحة الاسئلة التي تطرحها آيات القرآن فلا بد من العلوم التجريبية لسد هذا الفراغ، وهذه مشكلة ظهرت نتيجة ابتعاد المسلمين عن أحاديث وعلوم حملة القرآن انفسهم ﷺ وقد قال عز من قال ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) المؤمنون/١٢-١٤

(٢) النساء/ ٦٥



وهنا سنسلك مسلك ثالث لفهم اجواء الآية المباركة من خلال التمعن ببعض الأحاديث ذات الصلة، لاني اعتقد ان مسألة التركيز على المعنى الظاهر للنص القرآني يسبب لنا اشكالات كثيرة وان كان ظاهر القرآن حُجة، فنحن دائما ننظر لظاهر النص ولا نتوقع ان يكون للنص معنى آخر قد يشير إلى افق آخر، وهناك قاعدة مهمة يتبناها بعض العلماء الاعلام مفادها «ان كل نص قرآني لا تجد له انطباق في الخارج يجب ان يؤول»، بمعنى ان ظاهر كل آية إذا لم ينطبق على موضوعها في الخارج فيجب ان تؤول بان نبحت لها على انطباق لموضوع اخر مخفي وبحاجه للبحث لكي يظهر، وكأن هذه الآيات تُصاغ بشكل معين للأشارة إلى معاني باطنية.

واستنادا لهذه المقدمة يمكن القول ان آية المؤمنون مورد الكلام لا تشير إلى المعنى العام لعملية تكوين الإنسان في الأرحام بل تشير إلى معنى خاص، فهي لا تتحدث عن عملية خلق عامة الناس بل تتحدث عن خلق «اول مخلوق» من جنس الإنسان بدلالة بداية الآية ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾، فهي تتحدث عن انسان خاص خُلق من طين وليس عامة الناس الذين خرجوا منه بعد ذلك والذين خلقوا من نطفة، فالإنسان المخصوص في هذه الآية «الأول من صنفه».

هنا ستقول لي ان بداية الآية ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ تشير إلى اول مخلوق، ولكن ما بعدها الذي يذكر النطفة والعلقة والمضغة والعظام واللحم وهي تخص عامة الناس، فيكون مطلع الآية لوصف اول مخلوق الذي هو الأول من نوعه وبقية الايات تصف احوال ذريته الذين هم تكرار من النطف.

لاحظ ان الاداة «ثم» تفصل بين الموضوعين و«ثم» تفيد الترتيب والتتابع فهذه فعاليات متتابعة غير مفصولة ويؤيده بقية الآية التي تفصل فيها «ثم» بين مواضيع اخرى.

ربما ستقول لي ان الآية تقول ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ فكيف تفسر موضوع النطفة وموضوع القرار المكين الذي هو الرحم، فمن اين كان للإنسان الأول رحم انثوي توضع فيه نطفته، وبالتالي فان النطفة لا بد ان تكون اتت من اب، والرحم لا بد ان يكون عند الانثى، وبالتالي فان هذا الإنسان في الآية له ام واب فكيف تقول عنه انه الأول من نوعه؟

ان موضوع هذا الإنسان في الآية يبدأ من ﴿سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ وليس من النطفة، لان «ثم» تفصل بين الموضوعين وتفيد الترتيب، والسلالة هي الصفوة من الشيء، فسلالة الطين صفوته، وهذه الصفوة من الطين تتحول «بالاستحالة» إلى نطفة بفعل عوامل داخلية وخارجية كما يتحول الطعام في بطن الإنسان إلى نطفة، فالطعام في داخل الإنسان تجري عليه فعاليات متعددة من

خلال اجهزة معينة يتحول فيها إلى نطفة، وهذه السلالة من الطين تجري عليها ذاتيا مجموعة فعاليات حياتية تحولها من طين إلى نطفة، ولكن لا تنظر إلى الطين في الآية كونه الطين العادي، بل هو طين خاص يمثل المادة الخام الاصلية للتخليق، وحتى الطين العادي هو حاضنة ينتج منها الكثير من الاحياء المختلفة إذا جرت عليها سلسلة من فعاليات الطبيعة المختلفة من حرارة ورطوبة ودوران للفلك، وقد ورد بكثرة في المأثور الروائي عن آل محمد ﷺ ان الطينة الأولى التي خلق الله منها الخلق اجري عليها الماء العذب والماء المالح لمدة «٤٠» يوم حتى ان بعض النصوص تشير إلى حالة مهمة حدثت لهذه الطينة وهي عملية «الاختمار».

عن أبا جعفر ﷺ من حديث قال «حدثني أبي أن الله عزّ وجلّ قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم ﷺ فصبّ عليها الماء العذب الفرات ثم تركها اربعين صباحاً ثم صبّ عليها الماء الاجاج فتركها اربعين صباحاً فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عركاً شديداً فخرجوا كالذر من يمينه وشماله.....»<sup>(١)</sup>.

لاحظ ان عملية صب الماء العذب والمالح على التراب تولد عجينة الطين التي بدورها لو تركت فترة من الزمن لاختمرت، ونتاج التخمير واضح هو خروج الذر منها، والذي يصفه حديث اخر كونهم «خرجوا يدبّون»، بل وصفه الرسول الكريم ﷺ في حديث «يخرجون كما يخرج النبات من الأرض»، وهذه العملية تشبه ما يجري يومياً في الطبيعة كما تخرج البكتريا من الطين او من العجين حين الاختمار، وبالتالي فان عملية خروج الذر من هذه الطينة هي عملية استحالة تتحول فيها المادة الطينية إلى كائنات اشبه بالنطف «الذر»، فتكون عملية استحالة الطين إلى نطفة امر جاري في اصل التخليق.

وهذه النطفة ستوضع في ﴿قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ والذي يتصوره البعض انه الرحم، والحقيقة ان هذا المعنى صحيح لكنه على الظاهر ينطبق على عامة الناس كما في قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿١﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢﴾﴾، هنا يسميه الماء المهين اي النطفة الإنسانية، والقرار المكين هنا رحم الام، فتكون الآية عامة لكل الناس، اما الإنسان المخصوص الذي نتحدث عنه في مورد المؤمنون فانه ﴿مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ والتي ستتحول بدورها إلى نطفة، اما الإنسان العام فالغذاء يتحول إلى نطفة.

(١) مختصر البصائر/ الشيخ عز الدين الحسين بن سليمان الحلبي/ أحاديث الذر/ ح ٢/٤٤٠

(٢) المرسلات/ ٢١

وبالنتيجة لابد ان يكون القرار المكين في كل حالة من نفس جنس مادة المخلوق، فالذي مادته اصلاً من الطين وهو الإنسان الخاص يوضع في قرار مكين «رحم» من مادة الطين وهي الأرض، والذي مادته من نطفة وهو الإنسان العام يوضع في قرار مكين «رحم» من نفس مادته وهو الرحم البيولوجي.

اما على الإنسان الخاص فالقرار المكين هنا هو الأرض، فالأرض إذا احتضنت هذه النطفة يصح ان تكون هي رحم لها اي قرار مكين، والذي يؤيد ان القرار في بعض موارد يعني الأرض قوله تعالى ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾<sup>(١)</sup> فإذا وضعت هذه الصفوة من الطين التي استحالت إلى نطفة في الأرض تستمر بقية الفعاليات بالظهور، فتكون عملية خلق الإنسان الأول هو عملية وضع المادة الفعالة من الطين الأول التي هي السلالة في حواضن الأرض التي هي القرار المكين.

وبالتالي ما دام هناك نطفة مصدرها الغذاء ونطفة مصدرها سلالة من طين، وما دام هناك رحم بيولوجي ورحم ترابي، فيمكن القول ان الذي نطفته من الطين ورحمه الأرض هو الإنسان الأول، اما الذي نطفته من الغذاء ورحمه في الانثى فهو الإنسان التكرار وهو عامة الناس، فيكون مورد المؤمنون خاص وليس عام.

وبالتالي ما دام هذا الإنسان المخلوق من سلالة من طين والذي نشأ في رحم الأرض يختلف عن عموم الناس فعليه تكون سلسلة الفعاليات الاحيائية الجارية عليه تختلف عن بقية الناس لانه اصل، ونحن لم نشهد عملية خلق الإنسان الأول فيمكن ان يجري عليه ما لا يجري على من ياتي بعده، لان هذا شي تقتضيه طبيعة المادة التي خُلقت منها ونوع الرحم الذي استقر فيه، فتظهر العظام قبل اللحم اي ان اللحم يكسي العظام لذلك قال في نهاية الآية ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup> لذلك لم يسميه خلق بل سماه ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ اي ليس مثلكم في التخليق، لان الخلق هنا مباشر من احسن الخالقين اي على الاصاله، على خلاف الإنسان العادي الذي يكون خلقه بواسطة امه واباه اي بالتبعية.

فنشأة الإنسان الأول وفق فعاليات الطبيعة العنصرية للمواد، اما الإنسان العام فينشأ وفق الفعاليات البيولوجية للإنسان، واقصد بالطبيعة العنصرية هي تحول مادة الطين كمادة تخليقية للعناصر الأولى إلى نطفة من خلال فعاليات في عالم سابق او ذو طبيعة نجعلها، على خلاف

(١) النمل/ ٦١

(٢) المؤمنون/ ١٤

الإنسان العام الذي مادته التخليقية ليست عنصرية بل حيائية وهي نطفة الاب وبويضة الام في عالم طبيعته معلومة لدينا.

وإذا تتبعت بعض موارد القرآن الكريم ستجد ان عملية احياء الموتى كما جرى على صاحب الحمار ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾، ستلاحظ هنا ايضا قدم خلق العظام على اللحم ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، ووجود «ثم» تدل على ترتيب الفعاليات من العظام إلى اللحم، مما يوحي بوجود تناغم مع مورد المؤمنون، فكل عملية خلق خارج الأرحام المتعارف عليها يكون فيه العظام قبل اللحم (٢)، وهي الحالة المتوقعة عن الحشر في الرجعة او في القيامة النهائية عندما يخرج الموتى من قبورهم، لان هذه نشأة الأرض وليست نشأة الأرحام.

ولو تأملت لرأيت ان الإنسان في الرجعة وفي الحشر النهائي لا يتم انتاجه من نطفة بل من «طينة»

عن عمار بن موسى عن ابي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن الميت يُبل جسده؟ قال: «نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم الا طينته التي خُلِقَ منها فأنها لا تُبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يُخلق منها كما خُلِقَ أول مرة» (٣).

وهي نفس الطينة الأولى التي خُلِقَ منها في عالم الذر وهذه ستبقى في الأرض بعد موت الإنسان لحين الحشر فإذا سقط عليها ماء السماء كما تقول الأحاديث انه في الرجعة وفي الحشر النهائي ستمطر السماء لمدة اربعين يوماً (٤)، ومن هذا الماء النازل ستتلقح هذه الطينة

(١) البقرة/٢٥٩

(٢) ربما ستقول لي ان العلم إذا استطاع ان ينتج انسان بالكامل خارج الأرحام البيولوجية من خلال اعداد ارحام صناعية ربما ستكون فيه ظهور الفعاليات الحياتية بان يظهر العظم قبل اللحم، اقول: لا، بل ستمت العملية ان نجحت كما هو المعلوم عندنا لسبب ان هذا الإنسان تكون من نطفة وبويضة انسان مثله، اما هنا فنحن نناقش خلق انسان من استحالة الطين إلى نطفة.

(٣) الكافي/ ج ٣ / ص ٢٥١ : باب النوادر

(٤) -عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «... وإذا آن قيامه مُطر الناس جمادي الآخرة عشرة أيام من رجب مطراً لم يرى الخلائق مثله. فينبت الله لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم فكأنني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب». «مختصر بصائر الدرجات/الصفار»

فتتحول إلى نطفة في قرار مكين ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٥١﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَدْنَانَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٥٢﴾ فيخرج من قبره انسان كامل، وبهذا تكون آيات سورة المؤمنون شارحة لاحوال خلق اول انسان وكذلك احوال المنشورين يوم القيامة لان المبدأ هو نفسه المعاد.

وهنا يجب ان نجري مقارنة بين مورد «المؤمنون/١٤» ومورد «الحج/٥» للتفريق بين احوال الإنسان الخاص والإنسان العام «التكرار».

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لَّيُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ﴿١﴾.

والذي نستشفه من الموردين ان مورد «المؤمنون» يتحدث عن انسان «خاص» ومورد «الحج» يتحدث عن عموم الناس للاسباب التالية:

١- مورد المؤمنون يتحدث عن «الإنسان» ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ بينما يتحدث مورد الحج عن «الناس» ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾

٢- مورد المؤمنون يذكر ان اصل التخليق للإنسان الخاص هو سلالة من طين ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾، بينما مورد الحج يتحدث عن اصل التخليق للناس هو التراب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ﴾ (٢).

(١) الحج/٥

(٢) لدينا هنا شاهد روائي يبين كيف ان التراب يدخل في تخليق الإنسان العادي في نشأة الأرحام

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ان الله عز وجل خلق خلقاً خلاقين فان أراد أن يخلق خلقاً أمرهم فأخذوا من التربة التي قال في كتابه ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ فعجن النطفة بتلك التربة التي يُخلق منها بعد أن أسكنها الرحم أربعين ليلة فإذا تمت له أربعة أشهر قالوا: يا رب تخلق ماذا؟ فيأمرهم بما يريد من ذكر أو أنثى ابيض أو أسود فإذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه كائناً ما كان صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى فلذلك يغسل الميت غسل الجنابة» بحار الأنوار: ج٥٧/ص ٣٣٧

فيكون التربة هي حقيقة الإنسان وليس النطفة

٣- في كلا الموردين «الطين» و «التراب» يستحيلان إلى نطفة ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۖ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾.

٤- في مورد المؤمنين وضعت هذه النطفة في ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، بينما في مورد الحج يسميها صراحة رحم ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾، فيكون القرار المكين هو الرحم العنصري للإنسان الخاص، والرحم هو هذا الجهاز البيولوجي الدموي اللحمي للإنسان العام.

٥- في مورد المؤمنين عندما يتحدث عن الإنسان الخاص يذكر عدة مراحل «النطفة، علقه، مضغة، العظام، اللحم» ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۖ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾، بينما في مورد الحج يذكر «النطفة، ثم علقه، ثم مضغة» ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُّخَلَّقَةٍ﴾ ولا يوجد في مورد الحج ذكر للعظام واللحم مما يوحي على ان هذا الإنسان العام في الأرحام البيولوجية بعد مرحلة المضغة تكون الفعاليات جارية فيه بالتساوق اي يظهر العظم واللحم بنفس الوقت كفعاليات متداخلية ليس احدهما قبل الاخر.

٦- مورد المؤمنين يسمي الناتج ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ دلالة على الاصل والخصوصية، اما مورد الحج فيسميه ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ وهي الحالة العامة لعموم الناس، فليس كل من يخرج من بطن امه هو خلقا آخر، بل كل من يخرج من بطن امه يكون طفلا.

٧- في بعض الموارد القرآنية التي تتناول عملية الخلق يذكر النطفة فقط، وفي بعضها الاخر يذكر عندما يذكر احوال النطفة يتوقف عند العلقه كما في الموارد التالية.

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ۖ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ۖ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾<sup>(١)</sup>

قال تعالى ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَّيِّ يُمْنَىٰ ۖ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۖ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>.

اما موضوع ما بعد العلقه الذي هو العظام واللحم فلم يذكر الا في مورد المؤمنين والذي يؤيد انه مورد خاص وليس عام.

(١) غافر/٦٧

(٢) القيامة/٣٧ - ٣٩

٨- لاحظ مورد المؤمنون ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، فهو عندما يرتب فعاليات الخلق يفصل بين كل موضوع بفعل خاص «خلقنا - جعلنا - خلقنا - فخلقنا - فخلقنا - فكسونا - أنشأنا» والفعل «خلقنا» يتكرر مما يشير إلى ان هذه عملية طويلة نسبيًا وفيها اعتناء لانها عملية خلق الإنسان الاصل.

لاحظ مورد الحج ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>

فهو هنا يذكر الفعل «خلقناكم» مرة واحدة ويشمل كل المراحل من تراب إلى نطفة إلى علقة إلى مضغة مما يدل على انها فعاليات متتابعة بزمن قصير وكانها عملية واحدة.

٩- إذا راجعت الأحاديث المباركة عن اهل بيت العصمة عليهم افضل الصلاة السلام حول موضوع خلق الإنسان في الأرحام ستجدها ان «بعضها» لا تذكر العظم واللحم بل تذكر النطفة والعلقة والمضغة «هذا على حد ما وقع تحت يدي من الأحاديث».

عن الإمام الرضا عليه السلام قال ابو جعفر عليه السلام «ان النطفة تكون في الرحم اربعين يوما، ثم تصير علقة اربعين يوما، ثم تصير مضغة اربعين يوما، فإذا كمل اربعة اشهر بعث الله ملكين خلاقين فيقولان يا رب ما تخلق.....»<sup>(٢)</sup>

فيما ورد حديث اخر يذكر اللحم ولا يذكر العظم.

عن ابي جعفر عليه السلام «من حديث.... فتصل النطفة إلى الرحم، فتزد في اربعين يوما، ثم تصير علقة اربعين يوما، ثم تصير مضغة اربعين يوما، ثم تصير لحما تجري فيه عروق مشتبكة»<sup>(٣)</sup>، وهي دالة بشكل واضح على مراحل نمو الإنسان العام وليس الإنسان الخاص.

(١) الحج/٥

(٢) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٥/ ص ٣٣٣/ ح ٢

(٣) ربما ستقول لي ان مرحلة العظام في هذا الحديث ربما سقطت من الحديث او لم يتبها اليها الناسخ، اقول: هذا امر ممكن، ولكن ورد حديث عنهم عليهم السلام «انقله بالمعنى» ان الإمام قال في بعض اقواله «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقال احد السامعين ياسيدي انما هي «اللهم يا مقلب القلوب والابصار»، فقال الامام انا اعلم بان الله مقلب القلوب والابصار ولكن قل كما اقول» ونحن هنا نلتزم بالنص كما وردنا لا نزيد فيه ولا نقص.

يبقى هنا سؤال: إذا كان الإنسان في مورد المؤمنون هو انسان خاص على خلاف مورد الحج الذي يتكلم عن عموم الناس، فهل الإنسان في مورد المؤمنون هو «آدم» ام غيره؟  
لنا هنا عدة تصورات:

اولاً: لا يوجد في مورد المؤمنون ما يشير إلى موضوع «النفخ» التي هي من مختصات آدم، وبالتالي فان هذا ﴿خَلَقْنَا آخَرَ﴾، والمستشف من احوال خلق آدم ﷺ ان الله في البداية قام بأعداد القلب او الهيكل الذي ستحل به الروح، والأحاديث تقول عن هذا البدن انه طرح على باب الجنة فترة، وبالتالي فان هذا القلب لا بد وانه تم تصنيعه بعد خلق روح آدم لان «الارواح قبل الابدان» فادم ذات وليس قالب كما ان الإنسان العادي نفس وذات وليس نطفة، لذلك سماه هنا «انسان» من باب عدم التشخص لانه اصل القوالب وليس اصل ذات البشرية لان اصل ذات البشرية نفوس وارواح.

فتكون آيات سورة المؤمنون تتحدث عن عملية اعداد القلب الطيني الذي استحال إلى جسم دموي لحمي لكي تحل به روح آدم، والراجع عندي ان هذا البدن ليس هو بدن آدم في السماء، لان بدن آدم في السماء نوراني ليس من جنس هذا العالم، ولكن آيات سورة المؤمنون تتحدث عن القلب الدموي اللحمي لوجود موضوع النطفة والعلقة والمضغة والعظام واللحم والذي ستحل فيه ذات آدم النورانية عندما يهبط إلى الأرض.

فايات سورة المؤمنون تشير إلى حدث ارضي وليس سماوي، لان الصناعة في السماء لا تمر بمرحلة «النطفة والمضغة والعلقة والعظام واللحم»، لذلك استحالت صفوة الطين ﴿سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ التي منشأها سماوي إلى نطفة في القرار المكين وهو الأرض، وجرت عليها بقية الفعاليات، فظهر «انسان» بدن بلا روح، او قالب من منشأ سماوي وصناعة ارضية ستحل فيه ذات آدم ﷺ النورانية، لذلك فهنا يسميه «انسان» اي كمظهر وليس كتشخص لان آدم هو التشخص والبدن هو مظهره، فتكون الإنسانية هي المظهر الخارجي، والبشرية هي التشخص الداخلي، لذلك كان السجود للبشر وليس للإنسان.

فيكون اعداد هذا القلب من استحالة الطين إلى نطفة داخل الأرض التي هي القرار المكين هو الخلق الاخر ﴿أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ لان عملية الانشاء تحمل في طياتها مفهوم النمو والانماء فقال بعدها ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

والراجع ان آية المؤمنون تتحدث عن هذا الإنسان الذي هو قالب من اصل طيني استحال إلى قالب دموي لحمي لكنه خالي من الروح لكي يكون مؤهل لاستقبال روح ادم التي ستحل



فيه عن طريق النفخ، وبعد عملية النفخ اصبح هذا المخلوق اسمه ادم لانه سيكون اصل لغيره  
 ثانياً: ربما الآية تشير إلى سلالة من الإنسانية غير آدم يمكن انتاجها في اي وقت من خلال  
 فعاليات الطبيعة نفسها، ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام وهو يخاطب  
 قومه ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾<sup>(١)</sup> وعملية الانبات تشير إلى حواضن الطين والانشاء  
 من الأرض، او كما في قوله تعالى مخاطبا قوم صالح ﴿هُوَ أَشْأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ  
 فِيهَا﴾<sup>(٢)</sup>

ثالثاً: انني اعتقد ان الزمن الأول لظهور آدم عليه السلام على الأرض ذو طبيعة تختلف عما نألفه  
 حالياً، فهو نظام برزخي يختلط فيه مفهوم السماء والأرض، فإذا كان مورد المؤمنون يتحدث عن  
 حدث ارضي كما ذكرنا فلا بد ان طبيعة ذلك الوقت وخصائصه تختلف عما عندنا الان، فتكون  
 في ذلك النظام قابلية على هكذا فعاليات طبيعية يكون فيها ظهور العظم قبل اللحم لانها نشأة  
 الأرض في ذلك الوقت وفي ذلك النظام.

(١) نوح/١٧

(٢) هود/٦١

## حديث النفوس الأربعة

ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حديثان كون النفوس اربعة.

### الحديث الأول:

عن كميل بن زياد قال: سألت مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال: قلت: يا أمير المؤمنين روعي فداك اريد ان تعرفني نفسي، قال «يا كميل اي النفس تريد ان اعرفك»، قال: قلت: يا مولاي وهل هي الا نفس واحدة، قال «يا كميل انما هي اربعة، النامية النباتية، والحسية الحيوانية، والناطقة القدسية، والكلية «الملكية» الإلهية، ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان، فالنامية النباتية لها خمس قوى ماسكة وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربية، ولها خاصيتان الزيادة والنقصان، وانبعاتها من الكبد، وهي اشبه الاشياء بانفس الحيوانات، والحسية الحيوانية لها خمس قوى سمع وبصر وشم وذوق ولمس ولها خاصيتان الرضا والغضب وانبعاتها من القلب وهي اشبه الاشياء بانفس الاناسي، والناطقة القدسية لها خمس قوى فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة وليس لها انبعاث وهي اشبه الاشياء بالنفوس الملكية «الكلية» ولها خاصيتان النزاهة والحكمة، والكلية «الملكية» الإلهية لها خمس قوى بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعز في ذل وفقر في غناء وصبر في بلاء ولها خاصيتان الرضا والتسليم، وهذه مبدؤها من الله واليه تعود قال الله تعالى «فَتَفَخَّخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا» وقال «يا ايبتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية والعقل وسط الكل»<sup>(١)</sup>.

### الحديث الثاني:

روي ان اعرابياً سأل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن النفس فقال له (عليه السلام) «عن اي نفس تسأل؟» فقال: يا مولاي هل النفس انفس عديدة؟ فقال (عليه السلام) «نعم نفس نامية نباتية، ونفس حسية حيوانية، ونفس ناطقة قدسية، ونفس إلهية ملكوتية كلية». قال: يا مولاي ما النامية النباتية؟ قال «قوة اصلها الطبايع الاربع بدو ايجادها مسقط النطفة، مقرها الكبد، مادتها من لطايف الاغذية، فعلها النمو والزيادة، وسبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة

(١) الكلمات المكونة/ الملا محسن القاشاني/ ٧٨، الاثنى عشرية/ محمد بن محمد بن حسن الشهير بابن قاسم العاملي،

كتاب المشاعر/ صدر الدين الشيرازي/ ص ١١٩، تفسير الصافي/ الفيض الكاشاني/ ج ٣/ ص ١١١

لا عود مجاورة»، فقال: يا مولاي وما النفس الحسية الحيوانية؟ قال «قوة فلكية وحرارة غريزية اصلها الأفلاك بدو ايجادها عند الولادة الجسمانية فعلها الحياة والحركة والظلم والغشم والغلبة واكتساب الاموال والشهوات الدنيوية مقرها القلب سبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة فتندم صورتها ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها»، فقال: يا مولاي وما النفس الناطقة القدسية؟ قال «قوة لاهوتية بدو ايجادها عند الولادة الدنيوية، مقرها العلوم الحقيقية الدينية، موادها التأييدات العقلية، فعلها المعارف الربانية، سبب فراقها تحلل الآلات الجسمانية، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود مجاورة لا عود ممازجة»، فقال: يا مولاي وما النفس اللاهوتية الملكوتية الكلية؟ فقال «قوة لاهوتية جوهرية بسيطة حية بالذات اصلها العقل منه بدت وعنه دعت واليه دلت وأشارت وعودتها اليه إذا كملت وشابتهته، ومنها بدأت الموجودات واليها تعود بالكمال فهو ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدره المنتهى وجنة المأوى، من عرفها لم يشق، ومن جهلها ضل سعيه وغوى»، فقال السائل: يا مولاي وما العقل؟ قال «جوهر درّك محيط بالاشياء من جميع جهاته عارف بالشيء قبل كونه، فهو علّة الموجودات ونهاية المطاب»<sup>(١)</sup>.

جُملة ممن كتب في موضوع النفس يذهب للقول بان النفوس ثلاثة منطلقين من ورود هذه التسميات الثلاثة في القرآن الكريم وهي

الأولى: النفس اللوامة ﴿وَلَا أُفْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾<sup>(٢)</sup>.

الثانية: النفس الامارة بالسوء ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾<sup>(٣)</sup>.

الثالثة: النفس المطمئنة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾<sup>(٤)</sup>.

وكلامهم على عمومهم صحيح وحق لا ريب فيه لانه مما نطق به القرآن، وقد بنوا ابحاثهم على تصور قرآني صرف مُهملين ما ورد عن اهل بيت النبي الأكرم ﷺ من روايات حول هذا الموضوع وقد قال الرسول الكريم ﷺ «اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابدأ

(١) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٨٥، مكارم الأبرار/ الحاج محمد كريم خان/ ج ١٠ / طريق النجاة ج ١ ص ١٧، الكلمات المكنونة

/ الملا محسن القاشاني

(٢) القيامة/ ٢.

(٣) يوسف/ ٥٣.

(٤) الفجر/ ٢٧ - ٣٠.

كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقان حتى يردا علي الحوض»، فلا تتضح حقيقة الاشياء والموجودات والمفاهيم الا بالاخذ والربط ما بين هاذين المنبعين، فما ورد في القرآن مُجملاً ستجده في أحاديث أهل البيت عليهم السلام مُفصلاً وهذا ما ستعرفه من حديث الإمام علي عليه السلام موضوع كلامنا اذ يحدد فيه تفصيل لمفهوم النفس من خلال انواع اربعة وهي «النفس النباتية، والنفس الحيوانية، والنفس الناطقة القدسية، والنفس الكلية الإلهية» فكل انواع النفوس ومراتبها تدرج تحت هذا التقسيم الرباعي، اذ سيتضح ان النفس النباتية والنفس الحيوانية ماهية واحدة عند كل الناس وهي عوارض تلحق بالإنسان يستطيع من خلالها ان ياكل ويشرب وينكح ويتحرك ويسمع ويشم ويتذوق وياكل ويشرب ويظلم، فان مات تفككت هاتين النفسين وعادت إلى ما منه بدأت وتبقى حقيقة الإنسان او ذاته المعبر عنها «انا» قائمة في عالمها اما مؤمنة او كافرة، اما النفس الكلية الإلهية فهي خاصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين ولا يشاركون فيها احد فهي من جهة المبدأ ومن سنخ النور الذي لا ضلام فيه والكمال الذي لا نقص يعتريه.

ولحديث النفوس الأربعة مورد الكلام اصل معرفي خاص لانه يبين الاصل الذي تتكون وتتالف منه هذه النفوس اذ تتكون النفس النباتية من الطبائع الأربعة، والنفس الحيوانية من الأفلاك، والناطقية القدسية من عالمها البرزخي الذي يسبق عالم الزمان رتبة، والنفس الكلية الإلهية مبدؤها من الله وتعود اليه.

ومن هنا كانت اهمية معرفة النفس لانها آية معرفة الرب وبها وصف الله نفسه لعبده وصف تعريف إذا عرفها العبد عرف ربه وعبد ربه وقد قال الرسول الكريم «من عرف نفسه فقد عرف ربه»<sup>(١)</sup>.

والحديثان فيهما وحدة موضوعية اذ جمعتهما، فكلاهما يتحدثان عن نفوس اربعة، ويذكر كل حديث خصائص لهما، فمرة يتحدث عن قوى وخصائص ومرة يتحدث عن مبدء وافعال.

### أولاً : النفس النامية النباتية:

ما ورد عنها في الحديث الأول:

«النامية النباتية لها خمس قوى ماسكة وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربية، ولها خاصيتان الزيادة والنقصان، وانبعثها من الكبد، وهي اشبه الاشياء بانفس الحيوانات»

(١) بحار الأنوار/ ج ٢/ ص ٣٢

ما ورد عنها في الحديث الثاني:

«قوة اصلها الطبايع الاربع بدو ايجادها مسقط النطفة، مقرها الكبد، مادتها من لطايف الاغذية، فعلها النمو والزيادة، وسبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة»

النفس النباتية هي الوظيفة الطبيعية الموجودة في النبات والتي تتشكل من اجتماع القوى والفعاليات الخمسة الطبيعية «ماسكة وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربية»، واصلها من الطبايع الأربعة التي هي «الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة»، فبحركة هذه الطبايع الأربعة ودورانها على عناصر الطبيعة الموجودة في التراب تتكون النفس النباتية، فتأثير حرارة الشمس على الهواء وتبخير الماء وامتزاجه بالتراب تظهر هذه النفس التي تمثل في النبات لطائف الاغذية، والطبايع فيها قوى منفعة وهي الرطوبة واليبوسة ومنها قوى فاعلة وهي الحرارة والبرودة، فإذا اجتمعت وعملت فيها الحرارة او البرودة خرجت صوافيها وصارت نباتا، فتتكون لها قوى جاذبة من نارها وهاضمة من هوائها ودافعة من مائها وماسكة من ترابها.

واقصد بلطائف وصوافي الاغذية هي تلك القوة الطبيعية الموجودة في النبات والتي تتركز في الجسم بعد الاكل فعندما ياكل الإنسان اي نبات او فاكهة فصافي ذلك الغذاء هو النفس النباتية وهو الذي يتغذى عليه الجسم، اما ما يتبقى من مادة النبات في الجسم فتطرح إلى الخارج على هيئة فضلات وهو الحالة المادية والعنصرية للنبات، وعندما يتعالج الإنسان بالاعشاب النباتية فانه يستخلص النفس النباتية من تلك الاعشاب التي هي صوافيها وبمثابة العقارات فالنفس النباتية لها نفس تأثيرات العقارات وفائدتها.

وهذه القوة الطبيعية وفعاليتها التي تمثل بمجموعها النفس النباتية هي قوة وطبيعة موجودة في كل انسان فكل انسان فيه نفس نباتية وهي متشابهة عند الكل فليس هناك نفس نباتية خاصة بزيد واخرى بعمر بل هي طبيعة واحدة موجودة في كل الناس كما ان قوة الجذب والهضم والدفع والمسك موجودة في كل الناس، وهذه النفس بدايتها في الإنسان تكون من النطفة، اذ تجري هذه النفس في الإنسان مع الدم كما يحمل الدم الغذاء إلى كافة اجزاء الجسم وثمره هذه النفس هي المنى الذي هو اشبه ببذر نبات اخر، اذ يمكن القول ان النطفة نفس نباتية تكونت من لطائف الاغذية التي يتناولها الإنسان بعد ان كرت عليها تلك القوى وتلك الطبايع في بدن الإنسان، اما انبعاثها بعد الاكتمال فتكون في الكبد، لذلك ترى الكبد له طبيعة النبات إذا اقتطعت من قطعة يمكن ان يعوضها كما ن النبات إذا قطعت منه غصن انتج غصن اخر وفيه

يتخلص الإنسان من الاعراض، اما خاصية الزيادة التي هي النمو والنقصان الذي هو الذبول التي في النبات فهي نفسها في الإنسان فإذا ولد نما إلى ان يهرم ويذبل، فإذا هرم الإنسان وذبل فبسبب ذبول النفس النباتية، وكل خلل عضوي في الإنسان بهذه القوى الخمسة «ماسكة وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربية» والفعاليات المرتبطة بها فهو بسبب خلل في هذه النفس النباتية التي انبعاثها من الكبد.

وهذه النفس إذا مات الإنسان ماتت معه وعادت إلى عناصرها عود ممازجة لا عود مجاورة، اذ يعود النار إلى النار، والهواء إلى الهواء، والماء إلى الماء، والتراب إلى التراب، فتتلاشى وتنتهي ويبطل عملها وترد إلى الجمادية، كما ان جسم الإنسان يتحلل بعد الموت إلى عناصر الطبيعة ويظل في مرتبة الجماد، ومن هنا فالنفس النباتية نفس زمانية فلا ذكر لها الا في الزمان، فهي تخرج من خزانة الزمان وتعود اليه، والنفس النباتية ليست درآكة بل هي مسؤولة عن بعض الفعاليات في الإنسان وبعرفنا الحالي وحسب اصطلاحاتنا الحالية فان مجموع فعاليتها يمكن ان نسميها برامج، وبهذا المعنى فان لهذه النفس اصل كيميائي بل ان ظهور النفس النباتية هي حتمية كيميائية.

والذي اتصوره ان هذه النفس هي المقصودة بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ۖ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾<sup>(١)</sup>

فموضوع ﴿سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾، هو نفسه الذي يسميه الحديث «قوة اصلها الطبايع الاربع» لان الطين جامع للطبايع الأربعة ممتزجة، التي منها تنشأ النفس النباتية، التي تتحول بدورها إلى لطائف الاغذية التي ياكلها الإنسان فتتحول إلى نطفة لذلك قال الحديث «بدو ايجادها مسقط النطفة»، فالنفس النباتية تنشأ من سلالة من طين والسلالة هي الصفوة من الشيء، فسلالة الطين صفوته، وهذه الصفوة من الطين تتحول «بالاستحالة» إلى ان تنتج صوافي الاغذية بفعل عوامل داخلية وخارجية، الداخلية هي طبيعة الطينة نفسها اذ انها سلالة، والخارجية هي فعاليات الملائكة عليها التي تمثل قوى الطبيعة نفسها، وكذلك دوران الفلك عليها، وهذه الفعاليات هي التي تحول هذه السلالة من الطين إلى نمط اخر من الحياة داخل الإنسان وهو النطفة، كما يتحول الطعام في بطن الإنسان إلى نطفة، وكما تنضج الثمار نتيجة دوران الفلك بتعدد شروق وغروب الشمس عليها، فالطعام في داخل الإنسان تجري عليه فعاليات متعددة من خلال اجهزة معينة يتحول فيها إلى نطفة، وحتى الطين العادي في زماننا وفي عالمنا لو تابعته

ستجد انه حاضنة ينتج منها الكثير من الاحياء المختلفة إذا جرت عليها سلسلة من فعاليات الطبيعة المختلفة من حرارة ورطوبة ودوران للفلك.

### لاحظ الحديث التالي

عن ابي جعفر عليه السلام من حديث طويل «..... وهما سلالة من الطين، ثم أمر الملائكة الأربعة الشمال والجنوب والصبا والذبور ان يجولوا على هذه السلالة من الطين فابرواها وأنشأوها ثم جزأوها وفصلوها واجروا فيها الطبائع الأربعة، الريح، والدم، والمرة، والبلغم.....»<sup>(١)</sup>

فالنفس الناتية هي مجموعة قوى وطبائع ستكون لاحقا جزء من فعاليات الإنسان ومظهر من مظاهر الحياة، فالنفس النباتية ذات اصل عنصرى فالعناصر الزمانية من «هيدروجين ووكسجين ونتروجين..... وغيرها» من اشكال المادة، واتحادها مع بعضها لتكوين المركبات الكيميائية هي المقدمة البسيطة لظهور ادنى مظاهر الحياة التي بتفاعلها مع التربة والطبائع الأربعة تكوّن النفس النباتية التي هي «مادتها من لطايف الاغذية»،

ومما لا شك فيه ان طبيعة الاغذية التي ياكلها الإنسان والتي تتكون منها النطفة ستكون سببا في ايجاد النفس النباتية فيه حسب طبيعة ذلك الطعام مما يرجعنا لجملة من الأحاديث التي تتعلق بخصائص تكون للإنسان عندما تاكل امه نوع خاص من الاغذية في فترة الحمل فالنفس النباتية إذا كانت من صوافي الاغذية فلا بد ان نوع الغذاء له دور في اظهار فعالياتها داخل الجسم لاحقا سلبا او ايجابا<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير البرهان/ البحراني/ ج ١/ ص ١٧٠ / ح ٥

(٢) تتكون الحياة على الأرض من ستة عناصر «كربون - هيدروجين - اوكسجين - نتروجين - كبريت - فسفور» وهي المكونات اللازم اجتماعها لتشكيل ابسط انواع الحياة وقد اجرى بعض العلماء تجارب على هذه العناصر بتعرضها إلى تيار كهربائي فأنتجت حوامض امينية التي هي الوحدة الاساسية لبناء البروتين، وان هذه التجارب توفر لنا فهم علمي لامكانية تواجد انماط حياة عضوية مختلفة في انظمة كوكبية اخرى مما يعزز نظرية الكائنات الفضائية.

يقول الدكتور ميشيو كاكو «شكلت التجربة الشهيرة التي اجراها «ستانلي ميلر» و«هارولد يوري» عام ١٩٥٣ المثال الاكثر بروزا حوال اهمية الكربون واطهرت ان الشكل التلقائي للحياة قد يكون النتاج الطبيعي الثانوي لكيمياء الكربون. أخذنا محلولاً من الامونيا والميثان ومواد كيميائية سامة اخرى اعتقدوا انها وجدت في المراحل الأولى لتشكيل الأرض ووضعها في قارورة وعرضها لتيار كهربائي صغير ثم ببساطة انتظروا. وخلال اسبوع استطاع ملاحظة دليل على تشكل الاحماض الامينية تلقائيا في القارورة. كان التيار الكهربائي كافيا لتحطيم الروابط الكربونية في الامونيا والميثان ثم اعادة ترتيب الذرات إلى احماض امينية وهي التي تشكل البروتينات. وبمعنى ما فالحياة يمكن ان تتشكل تلقائيا ومنذ ذلك الوقت وجدت الاحماض الامينية داخل الشهب وفي سحب الغازات في اعماق الفضاء» فيزياء المستحيل/ الدكتور ميشيو كاكو/ عالم المعرفة/ العدد ٣٩٩ / ص ١٥٦.

والنفس النباتية التي في النبات والتي عند الإنسان في زمن الرجعة ستصفوا لان الطبايع ستصفو وتعديل في ذلك الزمان فتصفو تبعاً لها النفس النباتية لانها «قوة اصلها الطبايع الاربع»، لذلك ورد في الأحاديث ان الاشجار في زمن الرجعة ستعطي ثمارها في السنة مرتين، وان عدة عديدة من الرجال يجتمعون على الرمانة الواحدة فتكفيهم وتزيد.

### ثانياً: النفس الحسية الحيوانية:

ما ورد عنها في الحديث الأول:

«والحسية الحيوانية لها خمس قوى سمع وبصر وشم وذوق ولمس ولها خاصيتان الرضا والغضب وانبعاتها من القلب وهي اشبه الاشياء بانفس الاناسي»،

ما ورد عنها في الحديث الثاني:

«قوة فلكية وحرارة غريزية اصلها الأفلاك بدو ايجادها عند الولادة الجسمانية فعلها الحياة والحركة والظلم والغشم والغلبة واكتساب الاموال والشهوات الدنيوية مقرها القلب سبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة فتندم صورتها ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها»

وهي تلك القوة الطبيعية الحسية الموجودة في الإنسان والحيوان وهي مشاعر ظاهرية خمسة والتي نسميها الحواس الخمسة «سمع وبصر وشم وذوق ولمس»، وكذلك الفعاليات والانفعالات التي يسميها الحديث «الحياة والحركة والظلم والغشم والغلبة واكتساب الاموال والشهوات الدنيوية»، فمجموع ما يمارسه الإنسان من اكل وشرب وجماع ولمس وحركة وظلم وسعي وراء الشهوات والتي يشترك فيها مع الحيوان تسمى بالنفس الحيوانية، فالبنار تبصر، وبالهاء تسمع، وبالماء تشم، وبالتراب تذوق وبالمجموع تلمس، وهذه النفس ايضا مؤلفة من بسائط عالم الزمان وقوة الفلك الزماني وموجودة في خزانة الزمان منه تبدأ واليه تعود، وعند موت الإنسان تعود إلى اصلها الزماني عود ممازجة لا عود مجاورة «فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة فتندم صورتها ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها»، فالموت بهذا المعنى هو انحلال النفس الحيوانية والنباتية إلى اصلهما والتحاق الناطقة القدسية إلى مقرها واصل منشأها، والنفس الحيوانية كالنفس النباتية متساوية عند كل الناس فلا توجد نفس حيوانية لزيد واخرى لعمر بل كلها حقيقة واحدة موجودة عند كل الناس وعند الحيوان فكل الناس والحيوانات لها بصر وسمع وشم وذوق.



وإذا كانت الطبائع الأربعة هي سبب تولد النفس النباتية فان حركة الأفلاك هي سبب تولد النفس الحيوانية كما يقول الحديث انها «قوة فلكية وحرارة غريزية اصلها الأفلاك بدو ايجادها عند الولادة الجسمانية».

والقوة الفلكية هي تلك القوة الطبيعية الناتجة من حركة الأفلاك، واقصد بحركة الأفلاك او دوران الأفلاك هو مجموع الفعاليات الفلكية الجارية بشكل يومي كشروق وغروب الشمس وانتقال القمر في منازلها وطلوع النجوم وافولها فلكل جرم سماوي اضاءة خاصة لها تأثير خاص على ظهور النفس الحيوانية.

وإذا كانت النفس النباتية كما يذكر الحديث اصلها الطبائع الأربعة مما يدل على وجود اصل كيميائي للحياة، فان قول أمير المؤمنين (عليه السلام) ان النفس الحيوانية اصلها الأفلاك يدل على ان اصل الحياة العضوية هو حركة الأفلاك واشتعال ضوئها، مما يشير إلى ان فعاليات الطبيعة حصرا هي المسؤولة عن تكوين النفس النباتية والنفس الحيوانية التي بدورها تكون الجسم الإنساني ذو الطبيعة الكيماوية والاحيائية التي تتعلق به حقيقة الإنسان في الدنيا ويتركه في الدنيا بعد الموت.

والنفس الحيوانية تتكون من الدم، والدم الأصفر بالذات الذي هو خلاصة الاغذية، فعند تفاعل الطبائع الأربعة «الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة» يرتفع منها بخار في القلب تقع عليه اشعة الكواكب ودوران الفلك فينضج إلى شيء واحد متشاكل وهو الدم الأصفر، ليس له طبيعة العناصر مستعد لقبول النفوس الفلكية، اذ الدم الأصفر بمثابة الدهن للسراج فيدفعه القلب إلى كافة انحاء الجسم لذلك قال الحديث عن النفس الحيوانية «وانبعاثها من القلب» و«مقرها القلب» وكل خلل في القلب يؤدي إلى خلل في وظائف هذه النفس، فالنفس الحيوانية قائمة بالعناصر قيام ظهور وقائم بالأفلاك قيام صدور.

وهذه القوة الفلكية تكون سببا في تولد ذلك البخار وهي المسؤولة عن حركة القلب وجملة من الفعاليات التي يسمونها في اصطلاح الطب «الأفعال اللا ارادية» فحركة القلب وتدفق الدم والتمثيل الغذائي والتصفية كلها فعاليات لا ارادية بفعل هذه الميكانيكية، لذلك كانت النفس الحيوانية هي المسيطرة على الفعاليات البيولوجية والاحيائية في الإنسان الا انها غير درآكة لانها من تفاعل البخار مع اشعة الأفلاك الا ان النفس «الناطقة القدسية» التي هي حقيقة الإنسان المعبر عنها «انا» عندما تحل في هذا المركب النباتي الحيواني ترتقي تلك النفس الحيوانية إلى الحس فيتمكن الإنسان من السمع والبصر والذوق والشم واللمس.

وكما ذكرت سابقا في فقرة النفس النباتية ان النطفة من مظاهر النفس النباتية وعلماء يبدوا ان الجنين ليس له الا نفس نباتية، فان النفس الحيوانية عند المخلوق لا تكتمل الا بعد الولادة كما قال الحديث «بدو ايجادها عند الولادة الجسمانية»، وهذا يؤكد قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فعملية ظهور الحواس الخمسة التي هي من مختصات النفس الحيوانية لا تتفعل الا بعد الولادة، فالجنين في بطن امه يمتلك اداة السمع التي هي الاذن ويمتلك اداة البصر التي هي العين وغيرها من الحواس الا انها خاملة ما دام في رحم امه وعند الولادة تتفعل وهي قوى النفس الحيوانية التي «بدو ايجادها عند الولادة الجسمانية».

والنفس الحيوانية بعرفنا الحالي وبحسب اصطلاحاتنا هي ما نسميه في احد جوانبه بالغريزة التي ياكل ويشرب وينكح بها الإنسان.

ومن هنا يمكن ان نعرف وجه العلاقة بين علم التنجيم الذي يسعى أصحابه لمعرفة سمات الشخص وقابلياته وربما مستقبله عن طريق مواقع النجوم وخصوصاً تلك القواعد التي يعملون عليها كون هذا الشخص برجه ناري او ترابي او مائي او هوائي او انه يتأثر بالكوكب الفلاني والبرج الفلاني ربما منشأها من كون النفس الحيوانية «قوة فلكية وحرارة غريزية اصلها الأفلاك» وهذه مسألة بحاجة لبحث مستقل.

وبما ان الأفلاك في زمن الرجعة ستلبث وتعتدل، وبما ان النفس الحيوانية قوة مصدرها الأفلاك فمن الطبيعي في زمن الرجعة ان تكون النفس الحيوانية في الإنسان على قمة الاعتدال، فإذا اعتدلت الأفلاك عادت الحياة كما بدأت فتصفو الطبائع وتعتدل الامزجة وتقوى الحواس، وقد ذكرت المرويات انه في الرجعة ستطول الاعمار وتقوى الاجسام

### ثالثاً: النفس الناطقة القدسية:

ما ورد عنها في الحديث الأول:

«الناطققة القدسية لها خمس قوى فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة وليس لها انبعاث وهي اشبه الاشياء بالنفوس الملكية» الكلية» ولها خاصيتان النزاهة والحكمة».

ما ورد عنها في الحديث الثاني:

«قوة لاهوتية بدو ايجادها عند الولادة الدنياوية، مقرها العلوم الحقيقية الدينية، موادها

التأييدات العقلية، فعلها المعارف الربانية، سبب فراقها تحلل الآلات الجسمانية، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود مجاورة لا عود ممازجة»

الكلام عن النفس الإنسانية أمر حارت به العقول وتاهت به الأوهام وتعددت فيه الآراء، فقد ورد عن الرسول الكريم ﷺ قوله «أعرفكم بنفسه أعرّفكم بربه»، وعن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قوله «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

وقد اختلف العلماء والحكماء بالمعنى المراد من هذه الكلمات ولهم في شرحها بيانات كثيرة، منها ماهو ظاهري ومنها ماهو باطني ومنها ما هو ذوقي، حتى ان بعضهم حمل المعنى في هذه العبارات «بالتعلق على المحال» فمعرفة النفس محال فكذلك معرفة ربه، ولا يعرفها على الحقيقة إلا أولياء الله واصفياءه لانهم مستودع سر الله، فالنفس بهذا المعنى عندهم سر. عند متابعة لفظة النفس «قرآنيا» نجد انها تشير إلى معان ثلاثة.

الأول: تطلق لفظة النفس ويُرَاد بها «معنى الشيء» «نفس الشيء» كما تقول «نفس الحجر - نفس المكان - نفس الطريقة - نفس الكلام - وهكذا»، فعندما تقول «نفس الحجر» مرادك هو الحجر وليس شيء آخر كالماء ولهذا المعنى موارد قرآنية منها قوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾<sup>(١)</sup>، فليس المراد هنا ان الله له نفس أو روح أو جسم، بل هو «ذاته» أو «معناه»، قال تعالى ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾<sup>(٢)</sup>، قال تعالى ﴿وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

الثاني: تُطلق لفظة النفس ويُرَاد بها «هذا الإنسان المُركَّب من عدة أجزاء»، أي ببعده المادي والروحي كما في قوله تعالى ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾<sup>(٦)</sup>، وفي كل هذه الموارد وغيرها يقع فعل القتل على الإنسان بمعناه المُركَّب.

الثالث: تُطلق لفظة النفس ويُرَاد بها ذلك «القسم» من الإنسان المُركَّب، أي ذلك الجزء المقابل للروح والجسم، أي «ذات الإنسان» أو «حقيقة الإنسان»، قال تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ

(١) المائدة/ ١١٦.

(٢) الأنعام/ ١٢.

(٣) آل عمران/ ٢٨.

(٤) المائدة/ ٣٢.

(٥) الكهف/ ٧٤.

(٦) -الأنعام/ ١٥١.

حِينَ مَوْتِهَا<sup>(١)</sup>، وقوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا الاطلاق الأخير هو موضع كلامنا.

وهذه النفس في الحديث مورد البحث هي النفس الناطقة القدسية والتي هي حقيقة الإنسان المعبر عنها بلفظة «انا»، وهي التي من عرفها عرف ربه،

فكل إنسان له نفس خاصة به، أي «ذات»، فهناك نفس لـ «زيد» ونفس لـ «عمر» وهكذا، وقرآنيًا اتصلت بالمواضيع الآتية «الموت الحياة. الوفاة القتل. العرض الحساب البعث الكسب التكليف. الإيمان. الظلم. الهدى. الجزاء. القضاء النوم الحركة وغيرها» فهي بصورة عامة موضوع الخلق وغايته<sup>(٣)</sup>. وهي موضوع التكليف وعليها مدار الحساب الثواب والعقاب التي بها يثاب وبها يعاقب، فليس الإنسان جسم يمتلك نفس بل هو نفس تمتلك جسم، وهي في الجسد كالمعنى في اللفظ، ولا معنى ما لم يكن لفظ ولا لفظ ما لم يكن معنى.

وهذه النفس بطبيعتها «مُدركة مُفكرة مُميزة» لوجود ماهية العقل المستجَنَّة فيها التي تمكنها من الاستنتاج والتحليل، والتي قال عنها الحديث «مقرها العلوم الحقيقية الدينية، موادها التأييدات العقلية، فعلها المعارف الربانية» لذلك كانت مدار الثواب والعقاب والتكليف بصورة عامة،

والنفس الناطقة القدسية حقيقة وحدانية وهي المعنية بحديث «من عرف نفسه فقد عرف ربه» والمعنية بقول الإمام علي عليه السلام «خلق الإنسان ذا نفس ناطقة ان زهاها بالعلم والعمل فقد شابته جواهر اوائل عللها فان اعتدل مزاجها وفارقت الاضداد فقد شارك بها السبع الشداد»<sup>(٤)</sup> لانها ذات الإنسان واصله في المبدأ والمعاد وهي نوعين اما تتعين بعلوم دينية الهية وهي نفس المؤمن، او بعلوم باطلة شيطانية وهي نفس الكافر، فالنفس المؤمنة لها الصورة الإنسانية، والكافرة لها الصورة الشيطانية، فإذا صدر من الإنسان اعمال الخير سُميت نفس ناطقة قدسية وان صدر منه اعمال الشر سُميت نفس ناطقة شيطانية.

وإذا كانت النفس النباتية والنفس الحيوانية الموجودة في الإنسان تموت بموت الإنسان لانها اعراض تنتهي بموته وهو ما عبر عنه الحديث بانها تعود عود ممازجة لا عود مجاور اي تتحلل وتعود إلى طبائع وعناصر النظام الطبيعي والفلكي، فالنفس الناطقة القدسية بعد الموت

(١) الزمر/٤٣.

(٢) الأنعام/٣٥.

(٣) بإمكانك مراجعة الموارد القرآنية الخاصة بالنفس المرتبطة بهذه المواضيع وهي كثيرة جدا في القرآن.

(٤) مصباح البلاغة «مستدرک نهج البلاغة»/ الميرجهاني/ج ٢/ ص ٢٤٤

لا تتحلل ولا تعود عود ممازجة بل تعود عود مجاورة وتذهب إلى عالم مجانس لها مستقلة متحققة بذاتها تجد اعمالها حاضرة امامها ان كانت خيرا ام شر كما قال الحديث «سبب فراقها تحلل الالات الجسمانية، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود مجاورة لا عود ممازجة».

والنفس الناطقة ليست جسمانية المبدء ولا تنبعث من الجسم لذلك قال «وليس لها انبعاث» لان انبعاثها من العلوم الحقيقية الدينية التي مقرها المدد العقلي لانها «قوة لا هوتية» من اصل برزخي وصورتها من ذلك العالم وهي في كل انسان بحسبه فنفس عمر ليست كنفس زيد لان نفس عمر هي حقيقته ونفس زيد هي حقيقة زيد لذلك قال عنها الحديث «مقرها العلوم الحقيقية الدينية، موادها التأييدات العقلية، فعلها المعارف الربانية»

والنفس الناطقة القدسية مؤلفة من بسائط البرزخ ما بين الدهر والزمان اعلاها دهرية واسفلها زمانية مقرها ارض هورقليا فهي مرتبطة بالدهر صدورا ومن اسفلها مرتبطة بالزمان وعناصره الزمانية ظهورا<sup>(١)</sup>.

والنفس الناطقة دركة لانها من اثر العقل الذي يقول عنه الإمام علي عليه السلام «جوهر دراك محيط بالاشياء من جميع جهاته ولها خمس قوى «والناطقة القدسية لها خمس قوى فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة» وهي مشاعر باطنية خمسة، وبهذه المشاعر الباطنية تستطيع ان تدرك بعض العوالم اذ صفت ومنها عالم الاحلام بعد ان يضغف ارتباطها بالبدن نتيجة النوم وكما روي انما خلق الله الرؤيا ليتمكن الناس من فهم امكان البعث والمعاد، وهذه الحواس باطنية كامنة إذا استطاع الإنسان بالمجاهدات تفعيلها حصلت لديه المكاشفات.

فإذا تفرقت النفس النباتية والنفس الحيوانية في الإنسان في الزمان بعد الموت بقيت الناطقة في البرزخ ما بقيت افلاك وبسائط البرزخ، فالنفس النباتية والحيوانية هي بمثابة المرأة وهو الجسد، والنفس الناطقة القدسية بمثابة الصورة فيها، فهي انعكاس لتلك النفس في البرزخ، فإذا جاء الموت تحطمت المرأة وفنيت النباتية والحيواني وانتهت الصورة التي في المرأة وبقيت النفس الناطقة في برزخها وهي التي تشخص بعد الموت، وتظهر هذه النفس عند اعتدال النفس الحيوانية كما قال الحديث «بدو ايجادها عند الولادة الدنياوية».

والجسد في عالم الزمان مُقدم على النفس الناطقة وجوداً اذ يتكون الجنين ثم تظهر النفس الناطقة عند الولادة الدنياوية، والنفس الناطقة متقدمة على الجسد في البرزخ وجوداً كما ورد في

(١) راجع كتاب «عالم الذر» للمؤلف حول عالم هورقليا

الحديث «خلق الارواح قبل الابدان بالفي عام»، ومن هنا نستنتج خطأ مقولة ملا صدرا بقوله «ان النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء»، والذي افهمه من عبارته انه يعتقد ان منشأ النفس اولاً من المادة الزمانية وتخرج كخروج ما في القوة إلى الفعل بالحركة الجوهرية اي ان النفس كامنة في المادة والحق ان النفس الناطقة وحقيقة الإنسان موجودة في عالمها قبل تكوّن جسدها الدنيوي ولكنها تسبقه وجوداً وتتاخر عنه ظهوراً.

وهذه النفس الناطقة القدسية عندما تنزل من عالمها البرزخي حين الولادة الدنيوية تمر بعوالم عديدة لانها مقدمة على جسدها العنصري بالفي عام، فتأخذ من مقام الطبيعة البرزخية طبائعها، ومن المادة البرزخية حصتها، وما الاظلة صورتها، ثم تنزل إلى عرش الزمان، ثم إلى كرسى الزمان، ثم إلى الأفلاك الزمانية «زحل ثم المشتري ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة ثم عطارد ثم القمر، ثم كرة النار، ثم كرة الهواء، ثم كرة الماء، ثم التراب وتلحق بها جملة من اعراض تلك العوالم

فبحصتها من الشمس تدرك الحقائق، وبحصتها من زحل تدرك المعاني الكلية، وبحصتها من المشتري تدرك بها الصور الكلية، وبحصتها من المريخ تدرك المعاني الجزئية، وبحصتها من الزهرة تدرك الصور المجردة، وبحصته من عطارد تدرك النسب الحكمية، وبحصتها القمرية تدرك الصور البرزخية، وما تأخذه من النار تدرك به الاضواء، وما تأخذه من الهواء تدرك به الاصوات، وما تأخذه من الماء تدرك بها الروائح، وما تأخذه من التراب تدرك به الطعوم، وهذه بدورها تنتطب على الحواس في النفس الحيوانية فيبصر ويسمع ويلتذ ويحس.

وإذا اردنا ان نجد لفظ او مفهوم للنفس الناطقة ينطبق على ما موجود في عرفنا واصطلاحنا الحالي فهي حسب اصطلاحاتنا «وعي»، وكل ما يصيب الإنسان من امراض عضوية وفلسجية فهو بسبب خلل في النفس النباتية والنفس الحيوانية، وما يصيب الإنسان من مرض نفسي فهو بسبب خلل في الناطقة القدسية، فالامراض العضوية سببها عوارض عضوية وحيائية وفلسجية اما الامراض النفسية فسببها عوارض شيطانية.

اما في الرجعة نتيجة لبوث الفلك واعتدال النفس النباتية والنفس الحيوانية في الانسان فستظهر النفس الناطقة بكل حيويتها وستتفعل كل حواسها الظاهرية والباطنية فيتمكن الانسان من رؤية عوالم اخرى ويتعامل مع مخلوقات اخرى كالملائكة والجن، وقد ورد في المرويات ان الإمام المهدي عليه السلام في زمن الرجعة سيظهر سبعة وعشرون حرفاً من العلم لان القابلية الإنسانية ستصبح مستعدة لتلقي تلك العلوم

### رابعاً : النفس الكلية الإلهية «اللاهوتية - الملكوتية»

ما ورد عنها في الحديث الأول:

والكلية «الملكية» الإلهية لها خمس قوى بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعز في ذل وفقر في غناء وصبر في بلاء ولها خاصيتان الرضا والتسليم، وهذه مبدؤها من الله واليه تعود قال الله تعالى «ونفخنا فيه من روحنا» وقال «يا ايها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية والعقل وسط الكل»

ما ورد عنها في الحديث الثاني:

وما النفس اللاهوتية الملكوتية الكلية؟ فقال «قوة لاهوتية جوهرية بسيطة حية بالذات اصلها العقل منه بدت وعنه دعت واليه دلت وأشارت وعودتها اليه إذا كملت وشابهته، ومنها بدأت الموجودات واليها تعود بالكمال فهو ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى، من عرفها لم يشق، ومن جهلها ضل سعيه وغوى».

وهذه هي نفس المعصوم عليه افضل الصلاة والسلام ولا تظهر في غيره ابداء، وهي ليست نفس زمانية او برزخية بل هي من منشأ علوي اقرب شيء إلى المبدأ، وعبارات الحديثين تشير إلى انها ذات جهتين، الأولى: جهتها إلى خالقها وهي قوله ﷺ «مبدؤها من الله واليه تعود» وهي هنا فعل الله ومشئته وارادته، والثانية: جهتها إلى الخلق وهي هنا علة الخلق وهي قوله ﷺ «ومنها بدأت الموجودات واليها تعود»، وهي هنا عين الله ويده وجنبه ونوره وبرهانه «فهو ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى، من عرفها لم يشق، ومن جهلها ضل سعيه وغوى»، وفي هذه الجهة تكون قوة لاهوتية اصلها العقل منه بدأت واليه تعود، فهي لا تنطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى، لذلك وصفها الحديث بمواصفات عالية «لها خمس قوى بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعز في ذل وفقر في غناء وصبر في بلاء ولها خاصيتان الرضا والتسليم» والثابت عقلا ونقلا ان كل شيء في الوجود دون الله له جهتين، لان كل شيء دون الله مُركَّب ولا بسيط بمعنى عدم التركيب الا الله عز وجل، فكل شيء له جهة إلى ربه ما منه وجوده، وله جهة إلى نفسه ما منه ماهيته، ومما لا شك فيه ان اعتبار جهة الرب اعلى من اعتبار جهة النفس، لان جهة الرب جهة الوحدة وجهة النفس جهة الكثرة، ومن هنا كانت النفوس اربعة لانها جهة الكثرة.

فالنفس النباتية والنفس الحيوانية غلبت جهة النفس فيها على جهة الرب فكانت مقر للفعاليات الدنيوية والظلم والغشم، اما النفس الناطقة القدسية ففي اصل منشأها يجب ان

تتساوى فيها جهة الرب وجهة النفس لكي تتحقق العدالة ويصح الاختيار والاختبار ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾<sup>(١)</sup>، فان كان شاكرًا غلبت جهة الرب وصار انسان بنفس ناطقة قدسية، وان كان كفور صار انسان بنفس ناطقة شيطانية.

اما النفس الكلية الإلهية فليس فيها هذا التمايز لان كلا جهتيها متشاكلتان فجهتهم إلى ربهم نفس جهتهم إلى انفسهم وللعكس صحيح لانها من عالم السرمد الذي فيه الأول هو الاخر والظاهر هو الباطن فهي مُركَّب لا تمايز في اجزائه لانه صرافة النور.



## المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

الكافي / الشيخ محمد بن يعقوب الكليني

بحار الأنوار / الشيخ محمد باقر المجلسي

وسائل الشيعة / الحر العاملي

من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق

التهذيب / الشيخ الطوسي

تفسير البرهان / السيد هاشم البحراني

تفسير القمي / علي بن إبراهيم القمي

تفسير الإمام الحسن العسكري

تفسير العياشي / محمد بن مسعود ابن عياش

كمال الدين وتمام النعمة / الشيخ الصدوق

الامالي / الشيخ الصدوق

التوحيد / الشيخ الصدوق

معاني الاخبار / الشيخ الصدوق

الخصال / الشيخ الصدوق

علل الشرائع / الشيخ الصدوق

عيون اخبار الرضا / الشيخ الصدوق

الاحتجاج / الطبرسي

سرور اهل الإيمان/ السيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم النيلي النجيفي  
منتخب الأنوار المضيئة/ السيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم النيلي النجيفي

رجال الكشي / الكشي

بصائر الدرجات / محمد حسن الصفار

مختصر البصائر/ الشيخ عز الدين الحسين بن سليمان الحلبي

الايقاظ من الهجعة بالبرهان عن الرجعة/ الحر العاملي

الغيبة للنعماني / ابن ابي زينب النعماني

الغيبة للطوسي / ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

مسند الإمام العسكري عليه السلام / عزيز الله العطاردي

الارشاد/ الشيخ المفيد

روضة الواعظين/محمد بن فتال النيسابوري

اعلام الوري/ الشيخ الطبرسي

كشف الغمة/ ابن ابي الفتح الاربلي

مصباح المتهجد/ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

السرائر/ ابن ادريس الحلبي

مهج الدعوات/ ابن طاووس

بشارة الإسلام/ السيد حيدر الكاظمي

الملاحم او علائم اخر الزمان/ الشيخ حسين طاوئي همداني

الملاحم والفتن/ ابن طاووس

مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر اشوب

- الصراط المستقيم/ علي بن يونس العاملي  
 نفس الرحمان في فضائل سلمان/ الميرزا حسين النوري  
 المحجة البيضاء/ محسن الكاشاني  
 جوامع الكلم/ الشيخ الاحسائي  
 جواهر الحكم/ السيد كاظم الرشتي  
 الكتاب المبين/ الحاج محمد كريم خان الكرمانلي  
 صحيفة الأبرار/ العلامة محمد تقي  
 الخطب النادرة لأمير المؤمنين عليه السلام / عبد الرسول زين الدين  
 بيان العارفين في احوال الجن والشياطين/ عبد الرسول زين الدين  
 معجم بلدان عصر الظهور/ عبد الرسول زين الدين  
 عدة الداعي/ الشيخ احمد بن فهد الحلبي  
 اثبات الهداة/ الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي  
 دلائل الامامة/ محمد بن جرير بن رستم الطبري  
 ينابيع المودة/ القندوزي  
 منتخب الاثر/ الشيخ لطف الله الصافي  
 جامع الاخبار او معارج اليقين في اصول الدين/ الشيخ محمد بن محمد السبزواري  
 كنز العمال / المتقي الهندي  
 مدينة المعاجز/العلامة هاشم البحراني  
 الخرائج/ القطب الراوندي  
 الدعوات/ الراوندي  
 قصص الأنبياء/ الراوندي

قصص الأنبياء / السيد نعمة الله الجزائري

ملاحم ابن المنادي / ابن المنادي

الإنجيل

الملاحم والفتن / ابن حماد

عقد الدر / المقدسي الشافعي

المفردات / الراغب الاصفهاني

المفاجأة بشراك يا قدس / محمد عبسى داود

صحيح مسلم

صحيح البخاري

سنن ابو داود

تاريخ بغداد

مناقب بغداد

تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك / الطبري

معجم البلدان / ياقوت الحموي

كون انشتاين / ميشيو كاكو

## كتب للمؤلف

- ١ - نجم يتقلب في الآفاق: «بحث تحليلي نقدي للعلامات السماوية التي تسبق ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) ودور الجبال في ظهور جنة الاستخلاف»
  - ٢ - المزيلة: «ودائع مؤمنين في أصلاب قوم كافرين» «حرب الاصلاب والأرحام غير المعلنة» «معركة سلالات الدم»
  - ٣ - الرجعة: حجر رفضه البناؤون/ ظهور الباطن وانتصار التأويل
  - ٤ - أيام الله: جغرافيا الكون وتكرار الأبدية / ونظرية لبوث الفلك
- دراسة لوصف حركة الموجودات في عوالم الوجود وطبيعة أوقاتها من السرمد إلى الدهر إلى الزمان مع شرح لمفهوم اليوم وتسلسل أيام الله القادمة ورؤية جديدة لقصة ذي القرنين من خلال واقع فلكي كان سائداً على الأرض قبل الطوفان مع دراسة قرآنية روائية علمية لكيفية ظهور الجنتان المدهامتان في آخر الزمان من خلال نظرية لبوث الفلك ودور الجبال في تغير النظام الطبيعي.
- ٥ - مقاصد الجمع في القرآن: متابعة لالفاظ قرآنية جمعت بصيغتين.
  - ٦ - آية ورواية: تأملات وتساؤلات في كلام القرآن والعترة.
  - ٧ - البداء: محو ام الغاء ام تغيير
  - ٨ - حدث وحديث: تصور أولي اجمالي لأحاديث واحداث ما قبل وما بعد ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)
  - ٩ - كربلاء في العوالم : نون والقلم وكربلاء وما يسطرون
  - ١٠ - جامع أحاديث الذر: روايات ائمة أهل البيت صلوات الله عليهم عن عالم الذر
  - ١٢ - عالم الذر: فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه/ارشيف التكوين وكواليس الخليقة/رحلة الإنسان الوجودية من البداية إلى الغاية

١٣- لا من شيء: بحث روائي فلسفي عن ماهية «الشيء» و «اللاشيء» و «لا من شيء» و «العدم» و «الفراغ».

البريد الإلكتروني للمؤلف: reedali2010@yahoo.com

تم الفراغ منه في بغداد / ٢٠١٨

## الفهرس

٥.....	المقدمة
٦.....	هلك فيك اثنان
٧.....	أروه عن أبي
٩.....	زكاة الظفر
١١.....	الكذابين والكذابة
١٣.....	حديث العزوبة
١٥.....	المبطلون
١٦.....	المكر الالهي
١٧.....	غاية ترقى المؤمنين
١٨.....	الروبيضة والمحاضير والفيس بوك
١٩.....	من هو «سفيها»
٢١.....	العالم والعليم والخبير
٢٢.....	الخلق والرزق والموت والحياة
٢٥.....	العبودية التكوينية والعبودية التشريعية
٢٦.....	ذا الكفل
٢٩.....	أم القرى
٣٣.....	الذكر الغائب
٣٥.....	وأشرق الأرض بنور ربها
٤٠.....	كتاب مختوم بخاتم من ذهب
٤٢.....	أولئك يفتح الله على أيديهم الدين
٤٦.....	تجدد سلطان بني العباس «قراءة جديدة»
٤٨.....	حديث اخر:

٥٠	المقام والمرتبة .....
٥٢	الغَلّ .....
٥٣	تراجمة الوحي .....
٥٦	استغفار المعصوم عليه السلام .....
٦٠	السنة الدهرية .....
٦٣	كلام ذوقي في آيات سورة التكوير .....
٦٨	علاقة الناس بالنبي والولي .....
٧٠	الموازن .....
٧٢	نظرة في أشكال التدين .....
٧٣	مصر ومنبرها .....
٧٥	صاحب كتاب المفاجأة .....
٧٧	التقويم الإسلامي الجديد .....
٨٣	الحُجَّة - الخليفة - الامام .....
٨٤	الحُجَّة: .....
٨٤	الخليفة: .....
٨٤	الإمام: .....
٨٨	فترة حكم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم .....
٩٣	رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم والشيطان .....
٩٧	عمر الدنيا .....
١٠١	متابعة بعض الألفاظ من خلال مفهوم الحركة .....
١٠٢	١ - السقوط: .....
١٠٢	٢ - النزول: .....
١٠٢	٣ - الصعود: .....
١٠٢	٤ - الهبوط: .....
١٠٣	٤ - الانزال: .....
١٠٤	٥ - العروج: .....



- ١٠٥ ..... جو السماء - الموج المكفوف - البحر المكفوف
- ١١١ ..... تأملات باطنية في العصا والحجر
- ١١٣ ..... أسياف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخمسة
- ١١٦ ..... السيف المشهر الأول:
- ١١٧ ..... السيف المشهر الثاني:
- ١١٨ ..... السيف المشهر الثالث:
- ١١٨ ..... السيف الرابع المكفوف:
- ١٢١ ..... السيف الخامس المغمود:
- ١٢٢ ..... شأن هذه السيوف بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام:
- ١٢٥ ..... الحنفية وملة إبراهيم
- ١٣٠ ..... الروح والمغناطيسية
- ١٣٣ ..... حقيقة روائية علمية عن المادة
- ١٣٧ ..... إبليس والفضاء ومقاعد السمع
- ١٤٥ ..... ها هنا كانت الزوراء
- ١٤٥ ..... تاريخ بغداد قديماً:
- ١٤٧ ..... أحاديث بغداد في مرويات آل محمد عليهم السلام
- ١٥٠ ..... بناء المدينة من قبل العباسيين
- ١٥١ ..... مساحة المدينة
- ١٥٢ ..... عوامل اختيار المكان:
- ١٥٤ ..... تساؤل مهم:
- ١٦٠ ..... الشعارات المجفورة
- ١٦٠ ..... الحديث الأول:
- ١٦٠ ..... الحديث الثاني:
- ١٦٠ ..... الحديث الثالث:
- ١٦٥ ..... النتائج النهائية للتحليل:
- ١٦٦ ..... الفرات في آخر الزمان

- المحور الأول: عوامل سياسية واقتصادية «حرب المياه»: ١٦٧ .....
- المحور الثاني: عوامل وكوارث بيئية: ١٦٩ .....
- المحور الثالث: تغيرات كونية..... ١٧٠ .....
- أين مكان هذا الكنز ..... ١٧١ .....
- طبيعة هذا الكنز..... ١٧٢ .....
- انبثاق الفرات ..... ١٧٤ .....
- الجفاف الانحسار..... ١٧٤ .....
- أمريكا في آخر الزمان ..... ١٧٧ .....
- الدلائل ..... ١٨٤ .....
- السيناريو الأول: ..... ١٨٥ .....
- السيناريو الثاني: ..... ١٨٦ .....
- السيناريو الثالث: ..... ١٨٧ .....
- السيناريو الرابع: ..... ١٩١ .....
- أسئلة واجوبة..... ١٩٥ .....
- أولاً: زمن الرسول والأئمة صلوات الله عليهم ..... ١٩٨ .....
- السؤال الأول: شيء لا يعلمه الله..... ١٩٩ .....
- السؤال الثاني: كلبا يطأ شاة ..... ٢٠٠ .....
- فرض المُحال ليس بمحال: ..... ٢٠٣ .....
- طريقة عكس السؤال بسؤال ..... ٢٠٥ .....
- ثانياً: زمن الغيبة الكبرى ..... ٢٠٦ .....
- تأملات أولية في موضوع بواطن القرآن..... ٢١٠ .....
- لتركبن سنن الذي من قبلكم ..... ٢٢١ .....
- ١- الانطباق العام: ..... ٢٢٦ .....
- ٢ - الانطباق الدقيق..... ٢٢٦ .....
- ٣ - «الانطباق ما قبل الحدث» ..... ٢٢٨ .....
- ٣ - الانطباق التصحيحي: ..... ٢٢٩ .....

- ٢٢٩ ..... مثال «١»: .....
- ٢٣٠ ..... مثال «٢»: .....
- ٢٣١ ..... مثال «٣»: .....
- ٢٣٢ ..... مثال «٤»: .....
- ٢٣٣ ..... ٤ - انطباقات لم تقع .....
- ٢٣٣ ..... ٥ - الانطباق المستقبلي .....
- ٢٣٥ ..... حباية الوالدية وحصاتها .....
- ٢٣٥ ..... مع رسول الله ﷺ: .....
- ٢٣٨ ..... مع أمير المؤمنين عليه السلام: .....
- ٢٤١ ..... مع الإمام الحسن عليه السلام: .....
- ٢٤١ ..... مع الإمام الحسين عليه السلام: .....
- ٢٤٣ ..... مع الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام: .....
- ٢٤٥ ..... مع الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: .....
- ٢٤٥ ..... مع الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: .....
- ٢٤٥ ..... مع الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: .....
- ٢٤٥ ..... مع الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: .....
- ٢٤٦ ..... مع الإمام محمد الجواد عليه السلام: .....
- ٢٤٦ ..... مع الإمام علي الهادي عليه السلام: .....
- ٢٤٦ ..... مع الإمام الحسن العسكري عليه السلام: .....
- ٢٤٧ ..... مع الإمام المهدي الحجة ابن الحسن عليه السلام: .....
- ٢٥٠ ..... مفهوم الحركة البعدية للسموات والأرضين .....
- ٢٥٦ ..... الجن والجن .....
- ٢٥٩ ..... ضلع آدم .....
- ٢٧٣ ..... محاولة لشرح عبارة الحاج الكرمانى .....
- ٢٧٧ ..... جنة الحضائر : مؤمنو الجن وفساق الشيعة .....
- ٢٨٠ ..... العظام ثم اللحم .....

٢٩٠	حديث النفوس الأربعة .....
٢٩٠	الحديث الأول: .....
٢٩٠	الحديث الثاني: .....
٢٩٢	أولاً: النفس النامية النباتية: .....
٢٩٦	ثانياً: النفس الحسية الحيوانية: .....
٢٩٨	ثالثاً: النفس الناطقة القدسية: .....
٣٠٣	رابعاً: النفس الكلية الإلهية «اللاهوتية - الملكوتية» .....
٣٠٥	المصادر .....
٣٠٩	كتب للمؤلف .....
٣١١	الفهرس .....